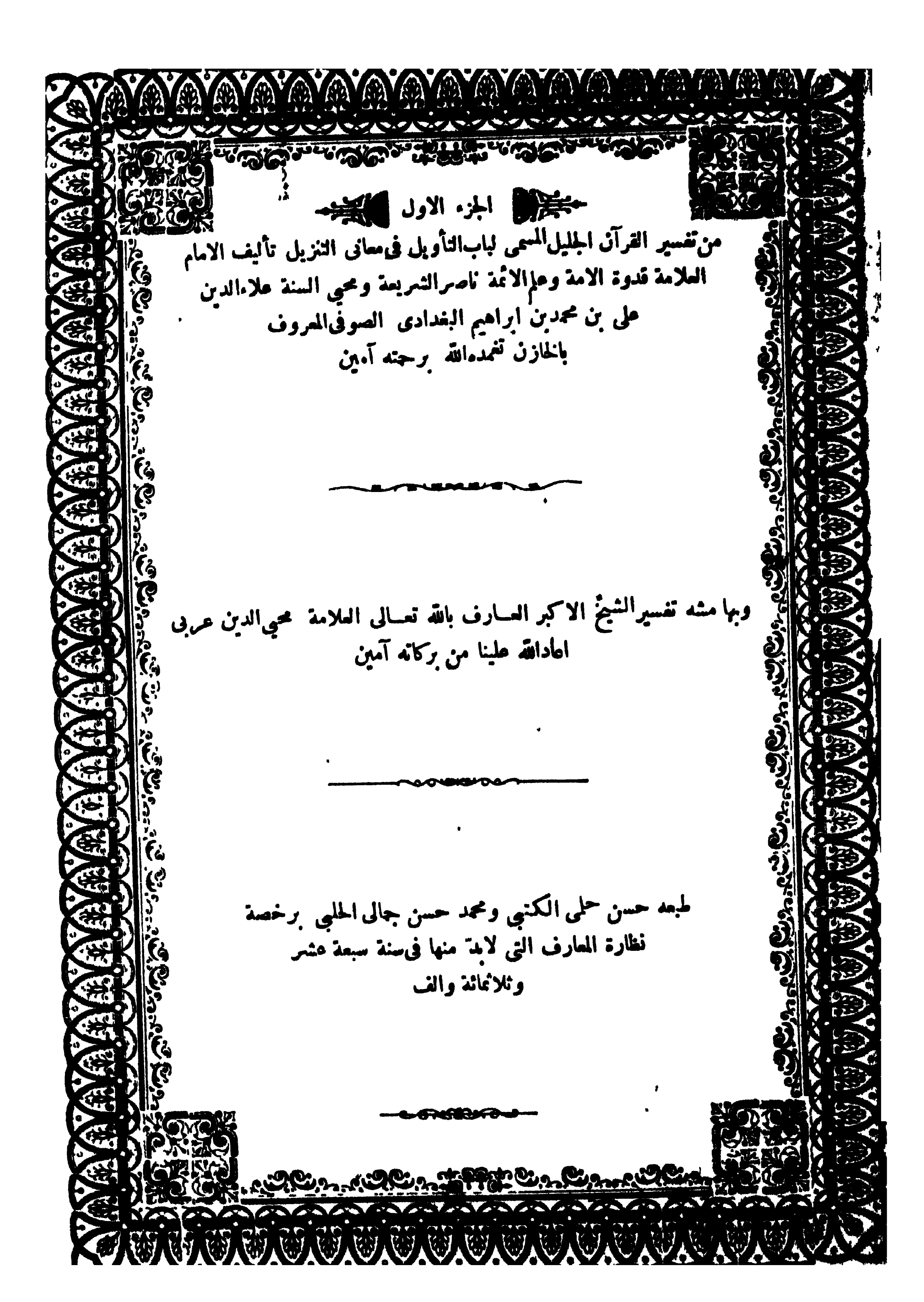


الجزء الاول

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله برحمته آمين

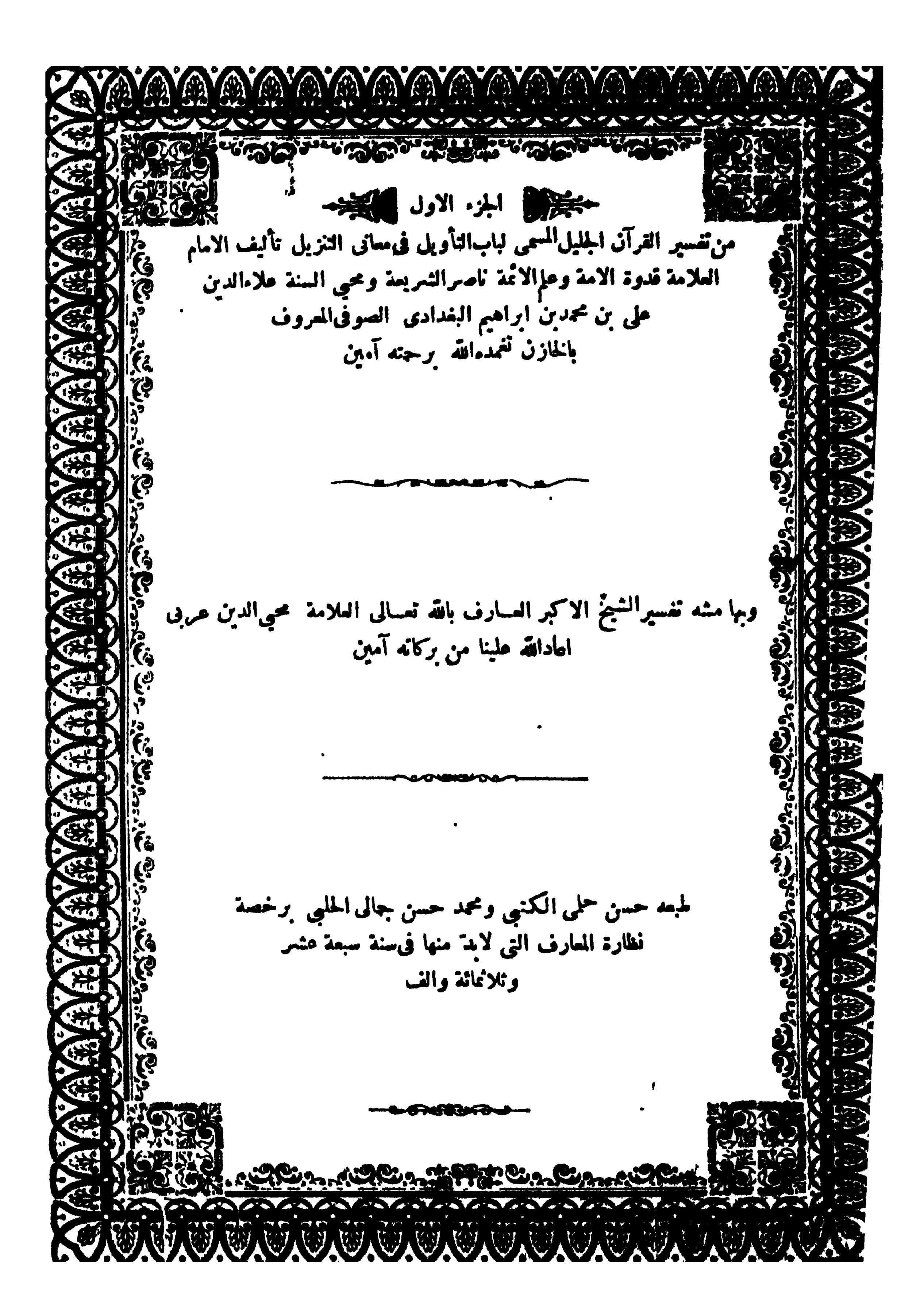
وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبي ومحمد حسن جمالى الحلبي برخصة نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبعة عشر وثلاثمائة والف

﴿ فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم الامام على بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفه

تمت

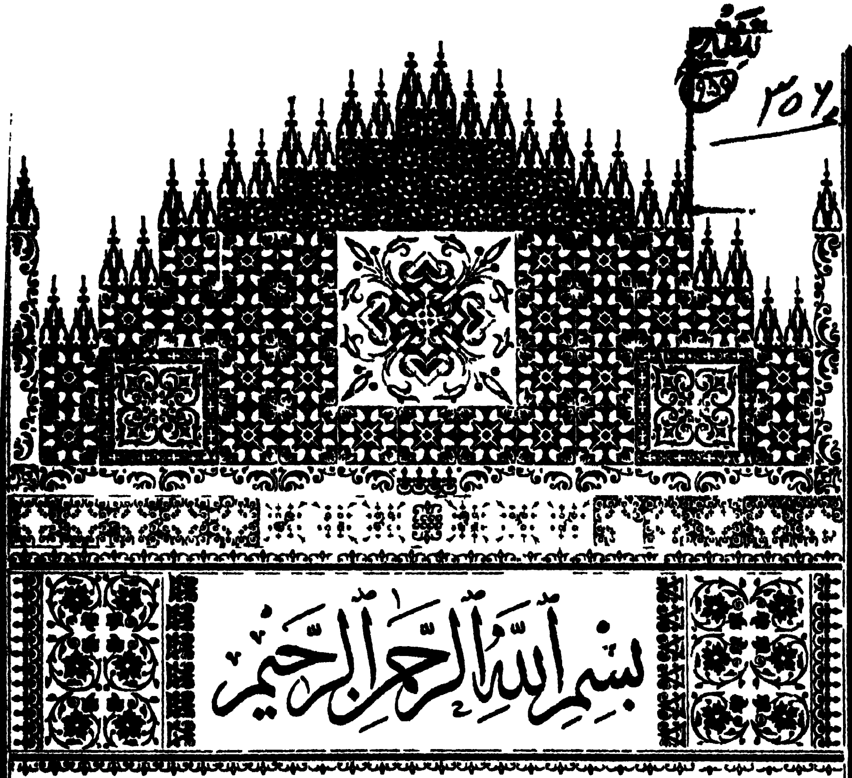


الجزء الاول

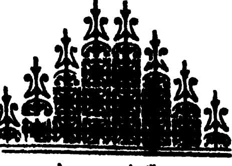
من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام
العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين
على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف
بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى
اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبى ومحمد حسن جالى الحلبى برخصة
نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبعة عشر
وثلاثمائة والف



الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا * وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا * ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا * وشرفه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا * وهداه الى معرفته فيالها نعمة وفضلا كبيرا * وأطلق لسانه مذعنا بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا * وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا * وأنزل عليه كتابا منيرا * وأودعه حكمة وحكما ترغيبا وتحذيرا * وألهم حفاظه تلاوته وتحبيرا * وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا * وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة وتحييرا * وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفى المصحف مسطورا * يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (احمده) على تواتر انعامه حمدا كثيرا * واتوكل عليه مفوضا أمرى اليه ومستجيرا * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وبعد) فان الله جل ذكره * ونفذ أمره * أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به بنيان النبوة * وختم به ديوان الرسالة * وأتم به مكارم الاخلاق * ونشر فضله فى الآفاق * وأنزل عليه نورا اهدى به من الضلالة * وأنقذ به من الجهالة * وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه * وبالخسران لمن اعرض عنه



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته * وطوالع صفاته مطالع نور ذاته * صفى مشارع مسامع قلوب اصفيائه لتحقق السماع * وروق موارد مشاعر فهوم أوليائه * لتيقن الاطلاق ولطف اسرارهم باشراق شعشعة المحبة فى أرجائها * وشوق أرواحهم الى شهود جمال وجهه بغنائمها * ثم ألقى اليهم الكلام فاستروحوا

بعدما اسمعه عجز الخلائق عن معارضته * حين تحداهم على ان يأتوا بسورة من مثله فى مقابلته * ثم سهل
على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته * ويسر على الالسن قراءته * امر فيه وزجر * وبشر وأنذر
وذكر المواعظ ليتذكر * وضرب فيه الامثال ليتدبر * وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر * ودل فيه
على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون
العمل بمحكماته * ولا بتلاوته دون تدبر آياته فى قراءته * ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه
ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله
واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه فى خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها
فرعا وفصلا * واكرمها نتاجا * وانورها سراجا * فلا شرف الا وهو السبيل اليه * ولا خير الا وهو
الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا فى سائر علومه
المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف
فشكر الله سعيهم * ورحم كافتهم * ولما كان كتاب معالم التنزيل * الذى صنفه الشيخ الجليل * والحبر
النبيل * الامام العالم الكامل * محيي السنة * قدوة الامة * وامام الائمة مفتى الفرق ناصر
الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل
المصنفات فى علم التفسير * واعلاها وانبلها واسناها * جامعا للصحيح من الاقاويل * عاريا عن الشبه
والتصحيف والتبديل * محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية * موشى بالقصص
الغريبة * واخبار الماضين العجيبة * مرصعا باحسن الاشارات * مخرجا باوضح العبارات * مفرغا
فى قالب الجمال بافصح مقال * فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه * وجعل الجنة منقلبه ومآبه
ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر
نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعانى التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا
لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير
المصنفة فى سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسى تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد
التطويل والاسهاب * وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد * فما اوردت فيه من
الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية اوبيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه
من السنة وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت
عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابى عبد الله محمد بن
اسمعيل البخارى فعلامته قبل ذكر اسم الصحابى الراوى للحديث (خ) وما كان من صحيح
ابى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق)
وما كان من كتب السنن كسنن ابى داود والترمذى والنسائى فانى اذكر اسمه بغير العلامة
ومالم اجده فى هذه الكتب ووجدت البغوى قد اخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوى
بسنده وما رواه البغوى باسناد الثعلبى وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة
فاعتمده فانى اجتهدت فى تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين
للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى ثم انى عوضت عن حذف الاسناد
شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة فى هذا الكتاب واسهل على الطلاب

اليه بكرة وعشيا * وقربهم
بذلك منه حتى خلصوا اليه
نجيا * فزكى بظاهره
نفوسهم فاذا هو ماء ثجاج *
وروى بباطنه قلوبهم فاذا
هو بحر مواج * فلما أرادوا
الغوص ليستخرجوا درر
أسراره * طغى الماء عليهم
فغرقوا فى تياره * لكن
أودية الفهوم سالت
من فيضه بقدرها * وجد
اول العقول فاضت
من رشحه بنهرها * فابرزت
الاوادى على السواحل
جواهر ثاقبة ودررا
وأنبتت الجداول على
الشواطئ زواهر ناضرة
وثمرا * فاخذت القلوب
عند مفيض مدها

وسقته بابلغ ماقدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب * وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب من هذه الخصال التي ذكرت * (وسميته لباب التأويل في معاني التنزيل) * والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ماقصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب

وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

* (الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) * (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد ألا أيها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن خطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحرث مقال (قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله هو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم الذي برئ من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء أي لا يميل عن الحق * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء

واقفة على حدها تملأ الحجور والاردان عاجزة عن عدها * وطمعت النفوس في اجتناء الثمار والانوار * شاكرة بوجدها قاضية بها الاوطار * وأما الاسرار فاذا قرع سمعها قوارع الآيات * تطلعت فاطلعت منها على طلائع الصفات * فتحيرت في حسنها اذ رأتها وطاشت * ودهشت عند تجليها لها وتلاشت * حتى اذا بلغ الروح منها التراقي * طلع من وراء جلال طلعة وجهه الباقي * وحكم الشهود عليها بنفي الوجود والزمها الاقرار * فسبحان من لا اله الا هو الواحد

من القرآن كالبيت الخرب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعنى الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمى بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يامر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل فى الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع أى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه له أجران يعنى يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التى تحصل له فيها وليس معناه أن له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبى موسى الاشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولاريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولاريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لاأقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عندالله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجئ القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهنى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا أخرجه أبو داود * عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن فى اللغة استمع ولايحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه فى ذلك وذلك لان سماع الله لايختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق فى القراءة وقيل معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول أولى ويدل

القهار * سبحان من يتجلى فى كلامه * بحلل صفات جلاله وجماله * على عباده فى صورة بهاء ذاته وكماله * والصلاة على الشجرة المباركة التى أنطقها بهذا الكلام * وجعلها مورده ومصدره منها ولها واليها وعليها السلام * وعلى آله الذين هم مخزن علمه وكتابه العزيز وأصحابه الذين أصبح الدين بهم فى حرز حريز (وبعد) فانى طالما تعهدت تلاوة القرآن * وتدبرت معانيه بقوة الايمان وكنت مع المواظبة على الاوراد * حرج الصدر قلق الفؤاد * لاينشرح بها قلبى ولايصرفنى عنها

عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

* (الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده) * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة اى منزلا من النار * عن جندب ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وماهو تابع لهواه وهذا لايخلو اما أن يكون عن علم أولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بمايقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها ومابعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ماقالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر مافهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر مانقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لايقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بئسما لاحدكم) أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لايقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي أنساه اياه وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها أي

(تخلصا)

ربي حتى استأنست بهـا فألفتهـا * وذقت حلاوة كأسها وشربتها * فاذا أنا بها نشيط النفس * فلج الصدر * متسع البـال * منبسط القلب * فسيح السر طيب * الوقت والحـال * مسرور الروح بذلك الفتوح * كأنه دائمـا في غبوق وصبـوح * تنكشف لي تحت كل آية من المعاني * مايكل بوصفه لساني لا القدرة تفي بضبطها واحصائها * ولا القوة تصبر عن نشرها وافشائهـا * فتذكرت حبر من أتى مازدهاني * بما وراء المقاصد والاماني * قول النبي الامي الصادق عليه أفضـل الصـلوات من كل صامت وناطق * ما نزل من القرآن

تخلصا من العقال وهو الحبل الذى تربط به * عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه الالقى الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى به جذام * عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علىّ ذنوب امتى فلم أرفيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أوآية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى أرض العدو وهى بلاد الكفار للنهى الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس من ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجئ أقوام يقرؤن القرآن يسئلون به أخرجه الترمذى * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماآمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

(الفصل الثالث فى جمع القرآن وترتيب نزوله وفى كونه نزل على سبعة أحرف) * (خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاءنى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد فقال لى ابو بكر انك رجل شاب عاقل لانتهمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وفى رواية فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ورأيت فى ذلك الذى رأيا قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبى خزيمة الانصارى فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم من أنفسكم الى آخر براءة فألحقتها فى سورتها قال فكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعنى الحزف (خ) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك هذه الامة

آية الا ولها ظهر وبطن * ولكل حرف حد ولكل حد مطلع * وفهمت منه ان الظهر هو التفسير والبطن هو التأويل * والحد ماينتاهى اليه الفهوم من معنى الكلام * والمطلع مايصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام * وقد نقل عن الامام المحقق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لقد تجلى الله لعباده فى كلامه ولكن لاتبصرون وروى عنه عليه السلام انه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية

قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرنى خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فالحقناها فى سورتها فى المصحف قال فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد فى رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب ألفاظ الحديثين ومايتعلق بهما (قوله بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أى لاوان قتلهم وأراد به الوقعة التى كانت فى اليمامة فى زمن أبى بكر الصديق وهى وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهى فى عداد أرض نجد (قوله استحر القتل) أى كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهى مايكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة (قوله يغازى أهل الشأم) أى مع أهل الشام (فى فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء لاغير سميت بارمينا بن لمطى بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه (وأذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبى خزيمة الانصارى) وفى الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية فاعلم أن المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى وهما قضيتان فاما المذكور فى الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا ومابعدها وتوفى فى خلافة عثمان وهو الذى وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور فى الحديث الثانى فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين شهد بدرا ومابعدها وقتل يوم صفين مع على بن أبى طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذى كتب بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول

حتى سمعتها من المتكلم بها (فرأيت) ان أعلق بعض مايسنح لى فى الاوقات * من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دون مايتعلق بالظواهر والحدود فانه قد عين لها حد محدود وقيل من فسر برأيه فقد كفر * وأما التأويل فلا يبقى ولا يذر فانه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته فى مراتب سلوكه وتفاوت درجاته * وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد * واطلع به على لطيف معنى عتيد (فشرعت) فى تسويد

الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأبها • وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت فى الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعنى ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال أحد عمومتى أخرجاه فى الصحيحين اسم أبى زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن * فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع فى مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا والذى حملهم على جمعه ما جاء مبينا فى الحديث وهو انه كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظه ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبى بكر فدعوه الى جمعه * فرأى فى ذلك رأيهم فأمر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم * فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخروا شيئا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا * فثبت ان سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن * وقد صح فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين * ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها ما نسخ وبقى فيها ما بقى ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه فى الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا فى شهر رمضان ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما

هذه الاوراق * بما عسى يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق * غير حائم بقعة التفسير * ولا خائض فى لجة من المطلعات مالا يسعه التقرير * مراعيا لنظم الكتاب وترتيبه * غير معيد لما تكرر منه أو تشابه فى أساليبه * وكل ما لا يقبل التأويل عندى أو لا يحتاج اليه فما أوردته أصلا * ولا أزعم انى بلغت الحد فيما أوردته كلا *

عندالحاجة وحدوث مايحدث على ماشاءالله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف * فأماترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول مانزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم نون والقلم ثم ياايها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا أبى لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم أرأيت الذى ثم قل يا أيها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم والتين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بنى اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم المؤمن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد أفلح المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت * واختلفوا فى آخر مانزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب مانزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على مااستقرت عليه روايات الثقات وأما مانزل بالمدينة ٣ فاحد وثلاثون سورة فأول مانزل بها سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب مانزل من القرآن بالمدينة * واختلفوا فى شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى

* (فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وماقيل فى ذلك) * (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ماقرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرأ ياعمر فقرأت بقراءتى التى اقرأنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه (قوله فكدت أساوره فى الصلاة) أى أواثبه وأقاتله وهو فى الصلاة * والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء

فان وجوه الفهم لاتنحصر فيما فهمت * وعلم الله لايتقيد بما علمت * ومع ذلك فاوقف الفهم منى على ماذكر فيه * بل ربما لاح لى فيما كتب من الوجوه ماتهت فى محاويه * ومايمكن تأويله من الاحكام الظاهر منها ارادة ظاهرها فما أولته الاقليلا * ليعلم به ان للفهم اليه سبيلا *

قوله فاحد وثلثون فيه ان المعدود ثلثون لاغير نعم سيذكر ان شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهى واحد وثلثون (مصحح)

الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه فى عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة * وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ماتجوّزه العربية * واما امر النبى صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده مايقتضى تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته فى القراءة والنبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها مالايعلمه عمر ولانه اذاقرأ وهو ملبب لايتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ماتيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل * واختلفوا فى المراد بسبعة أحرف. فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر. وقال الاكثرون هو حصر العدد فى سبعة احرف. ثم قيل هى فى سبع من المعانى كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهى .وقيل هى فى صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات فى هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بمايوافق لغته ويسهل على لسانه. وقال ابوعبيدة هى سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهى افصح لغات العرب واعلاها.وقيل هى لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن .وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهى متفرقة فى القرآن العزيز غير مجتمعة فى كلمة واحدة .وقيل بل هى مجتمعة فى بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بئيس. وقيل هى سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت من النبى صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة فى المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها مالم يثبت متواتراً. وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولامتباينة * فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية امثال بآية احكام * وقول من قال ان المراد خواتيم الآى فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لايجوز تغيير نظم القرآن والله اعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأنى جبريل على حرف فراجعته فزادنى فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف * معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عزوجل الزيادة فى الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عزوجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن ابىّ بن كعب رضى الله عنه قال كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسّن النبى صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله عزوجل فرقا فقال لى ياابىّ ارسل الىّ ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هوّن على امتى فرد الىّ الثانية ان اقرأه على حرفين

ويستدل بذلك على نظائرها * ان جاوز مجاوز من ظواهرها اذلم يكن فى تأويلها بدّ من تعسف * وعنوان المروة ترك التكلف * وعسى أن ينبه لغيرى وجوه أحسن منها طوع القياد * فان ذلك سهل لمن تيسر له من افراد العباد

فرددت اليه ان هوّن على امتى فرد الى الثالثة ان اقرأه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخرت الثالثة ليوم ترغب الى الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية) معناه وسوس لى الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه فى الجاهلية لانه كان فى الجاهلية غافلاً ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب (وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان فى قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لايؤاخذ بها (قوله ضرب فى صدرى ففضت عرقا) قال القاضى عياض ضربه صلى الله عليه وسلم فى صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه مازال عنه ذلك الخاطر (قوله ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا واما باقى الدعوات فرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم * روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منه وروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع وقيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل فى معناه الظهر ماحدّث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو فى الظاهر خبر وفى الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما نزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر فى القرآن العزيز من التأويل والمعانى مالايفتحه على غيره وفوق كل ذى علم عليم والله اعلم

* (فصل فى معنى التفسير والتأويل) فاما التفسير فاصله فى اللغة من الفسر وهو كشف ماغطى وهو بيان المعانى المعقولة فكل مايعرف به الشئ ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذى ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها * واما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته فآل اى صرفته فانصرف وهو رد الشئ الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعانى والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية * والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم * (القول فى الاستعاذة) * ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله ألتجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ * والشيطان اصله من شطن اى تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا * والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية * الرجيم فعيل بمعنى فاعل اى يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اى مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى * (واما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق

* والله تعالى فى كل كلمة كلمات ينفد البحر دون نفادها * فكيف السبيل الى حصرها وتعدادها * لكنها انموذج لاهل الذوق والوجدان * يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن * فينكشف لهم مااستعدوا له من مكنونات علمه * ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من مخبيات غيبه * والله الهادى لاهل المجاهدة * الى سبيل المكاشفة والمشاهدة * ولاهل الشوق * الى مشارب الذوق * انه ولى التحقيق * وبيده التوفيق

الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا * ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ أيضاء وحكى عن عطاء وجوبها سواء كان فى الصلاة أو غيرها * وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى اسقاط الوجوب * دليل الوجوب بظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبى صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا * ودليل الجمهور ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة (وأجيب عن مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات فى الصلاة فكان التعوذ مثلها (المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان فى الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعى انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين * حجة الجمهور ما روى عن أبى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا آله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث أشهر حديث فى الباب وقد تكلم فى بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابى داود والنسائى عن أبى سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو لا أدرى أى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة · اخرجه ابو داود · وقيل الموتة الجنون لان من جن تقدمات عقله · وقيل همزه هو الذى يوسوسه فى الصلاة ونفخه هو الذى يلقيه من الشبه فى الصلاة ليقطع عليه صلاته * واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله * واجيب عنه بما تقدم * وقال مالك لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ فى قيام رمضان بعد القراءة * لنا ما تقدم من الادلة (المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم * وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابى سعيد * وقال الثورى والاوزاعى الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم * وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب من كل شئ يشغله عن الله تعالى * ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارى عز وجل وانه هو الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين * ففى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوى الفاجر · وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

سورة الفاتحة

* (تفسير سورة الفاتحة) *

وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا · واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين

مرة بمكة ومرة بالمدينة . وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها * ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فاول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثانى) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شئ اصله وقيل هى امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثانى سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة ويقرأ بها فى كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم . وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لاتقسم فى القراءة فى الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفى عن غيرها فى الصلاة ولا يكفى عنها غيرها

* (فصل فى ذكر فضلها) * (خ) عن ابى سعيد بن المعلى قال كنت اصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يارسول الله انى كنت اصلى فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لى لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدى فلما اراد ان يخرج قلت له يارسول الله الم تقل لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القرآن قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته ورواه مالك فى الموطأ عنه . وقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى ابى بن كعب وهو يصلى وذكر نحوه . وفيه حتى تعلم سورة ما انزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور مثلها ورواه الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابى وهو يصلى وذكر نحو رواية الموطأ . وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل . اخرجه الترمذى والنسائى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثانى اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة اى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهى خداج هى خداج هى خداج غير تمام . قال فقلت يا اباهريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعى وقال اقرأ بها فى نفسك يافارسى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل (قوله فهى خداج)

(اى)

اى ناقصة (قوله فغمز ذراعى) اى كبس ساعدى بيده (قوله قسمت الصلاة) اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة التى جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد . وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل (قوله حمدنى عبدى ومجدنى) اى اثنى علىّ لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوّض الىّ عبدى) وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوّض امره الى فلان اذا ردّه اليه وعوّل فيه عليه وفى الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعى وجماعة . وستأتى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فى بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ باسم الله او باسم الله ابدأ او اقرأ * وانما طولت الباء فى بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة . وقيل لما اسقطوا الالف ردّوا طولها على الباء ليدلّ طولها على الالف المحذوفة واثبتت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله . وقيل انما طوّلوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم . وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى . وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتّابه طوّلوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوّروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل * (والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك* وهذا القول ليس بقوىّ والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشئ . وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به . فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى . وايضا فقد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحداً والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة . وأيضا فقوله فادعوه بها امران يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعوّ هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعوّ وبين اللفظ المدعوّ به * واجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم * واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال * وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه* وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر* (واختلفوا فى اشتقاق الاسم . فقال البصريون من السموّ وهو العلوّ فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علما له . وقال الكوفيون من السمة وهى العلامة فكأنه علامة لمسماه * وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام واجمعوا على ان تصغيره سمىّ وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرّد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق

بسم الله الرحمن الرحيم اسم الشئ ما يعرف به فأسماء الله تعالى هى الصور النوعية التى تدل بخصا نصها وهويّاتها على صفات الله وذاته وبوجودها على وجهه وبتعينها على وحدته اذ هى ظواهره التى بها يعرف والله اسم للذات الآلهية من حيث هى هى على الاطلاق لا باعتبار اتصافها بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها

ولا يشركه فيه احد * وهو الصحيح المختار * دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني لا يقدر احد غيره الله * وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة * دليله ويذرك والاهتك اى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره * وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه اى يفزعون اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى * فالفيتكم فيها كرائم محتد

* وقيل اصله أله يقال ألهت الى فلان اى سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره * وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتصير او بالارادة . ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء . يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده * ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقى الباقى يدل عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقى اله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض من الضمة * وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقى الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر . قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد . وقيل ذكر احدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه . وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور العافى للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة * ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله . وقيل هى ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق . فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل . وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب . وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق * (فصل فى حكم البسملة) * وفيه مسئلتان (الاولى) فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة . اختلف العلماء فى ذلك . فذهب الشافعى وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابى هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد فى احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقى هذا القول عن على بن ابى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب . وذهب الاوزاعى ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة . زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هى بعض آية فى سورة النمل . وانما كتبت للفصل والتبرك . قال مالك ولا يستفتح بها فى الصلاة المفروضة * وللشافعى قول انها ليست من اوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة * فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث انس المشهور المخرج فى الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين * قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة فى اولها فدل على انها ليست منها * قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا * واما حجة من ذهب الى اثباتها فى اوائل السور

و (الرحمن) هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما تقتضى الحكمة وتحتمل القوابل على وجه البداية و (الرحيم) هو المفيض للكمال المعنوى المخصوص بالنوع الانسانى بحسب النهاية ولهذا قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة فمعناه بالصورة الانسانية الكاملة الجامعة الرحمة العامة والخاصة التى هى مظهر الذات الآلهى والحق الاعظمى مع جميع الصفات أبدأ وأقرأه وهى الاسم الاعظم * والى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اوتيت جوامع الكلم وبعثت لاتمم مكارم الاخلاق اذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها كما سمى عيسى عليه السلام كلمة من الله * ومكارم الاخلاق كمالاتها وخواصها التى هى مصادر افعالها جميعها محصورة فى الكون الجامع الانسانى

من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية منها . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم . اخرجه ابن خزيمة وغيره . وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابوداود والحاكم ابوعبدالله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين . وروى الدار قطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدر قطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا . وروى الدار قطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدّها عدّ الاعراب وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعدّ عليهم . واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفوة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت عليّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث* قال البيهقي احسن مااحتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة . وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لايدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ . وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن . وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدّا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمدّ الله ويمدّ الرحمن ويمدّ الرحيم . فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه . وايضا فأجمع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من ان يزيدوا فيه اوينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

(المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار) اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية . وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم

وههنا لطيفة وهي ان الانبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجي بازاء مراتب الموجودات وقد وجدت في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وامير المؤمنين عليّ عليه السلام وبعض الصحابة مايشير الى ذلك ولهذا قيل ظهرت الموجودات من باء بسم الله اذ هي الحرف الذي يلي الالف الموضوعة بازاء ذات الله فهي اشارة الى العقل الاول الذي هو أول ماخلق الله المخاطب بقوله تعالى ماخلقت خلقا أحب اليّ ولا أكرم عليّ منك . بك اعطي . وبك آخذ . وبك اثيب . وبك اعاقب الحديث* والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر والمكتوبة تسعة عشر واذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف الى اثنين وعشرين فالثمانية عشر اشارة الى العوالم المعبر عنها بثمانية عشر الف عالم اذ الالف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب الاعداد فهو ام المراتب الذي لاعدد فوقه فعبر بها عن امهات العوالم التي هي عالم الجبروت وعالم الملكوت والعرش والكرسي

ومكحول وعمر بن عبدالعزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد. واليه ذهب الشافعي . وهو احد قولي ابن وهب صاحب مالك. ويحكى ايضا عن ابن المبارك وابي ثور * وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري . واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم * اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة * فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبدالله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها. وروى نعيم بن عبدالله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم * اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم * وروى الدار قطني بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث * قال الدار قطني اسناده كلهم ثقات * وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم * اخرجه الدار قطني وقال ليس في روايته مجروح * واخرجه الحاكم ابو عبدالله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم * اخرجه الدار قطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح * واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك * قال الشيخ ابو شامة اي لايماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح * وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدار قطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلوا ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ما آلوا ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الدار قطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبدالله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات * قلت وفي الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق * قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه * والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لايكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمأمور به *. والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه . والشكر لايكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لاتقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا. وقيل الحمد باللسان

والسموات السبع والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة التي ينفصل كل واحد منها الى جزئياته والتسعة عشر اشارة الى جوامع العالم الانساني فانه وان كان داخلا في عالم الحيوان الا انه باعتبار شرفه وجامعيته للكل وحصره للوجود عالم آخر له شأن وجنس برأسه له برهان كجبريل من بين الملائكة في قوله تعالى وملائكته وجبريل والالفات الثلاثة المحتجبة التي هي تتمة الاثنين والعشرين عند الانفصال اشارة الى العالم الالهي الحق باعتبار الذات والصفات والافعال فهي ثلاثة عوالم عند التحقيق والثلاثة المكتوبة اشارة الى ظهور تلك العوالم على المظهر الاعظمي الانساني واحتجاب العالم الالهي حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الف الباء من اين ذهبت قال سرقها الشيطان وامر بتطويل باء بسم الله تعويضا عن الفها اشارة الى احتجاب الوهية الآلهية في صورة الرحمة الانتشارية وظهورها في الصورة الانسانية بحيث لايعرفها الا اهلها ولهذا

قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم * واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشئ اى مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشئ مضافا (والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه . وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب . وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل * واختلف في مبلغ عددهم . فقيل لله الف عالم ستمائة عالم في البحر واربعمائة في البر . وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر . وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء . الفسطاط الخيمة (واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى * (الرحمن الرحيم) * فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم (فان قلت قد سمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وانت غيث الورى لازلت رحمانا * قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا (فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية (قلت ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه * قوله تعالى * (مالك يوم الدين) * يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء * والمالك هو المتصرف بالامر والنهى . وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى . وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون ملكا لشئ الا وهو يملكه وقد يكون مالكا لشئ ولا يملكه . وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا . وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين . قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضى يوم الحساب . وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان . وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين . وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اى قهرته فذل (فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها (قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة * قوله تعالى * (اياك نعبد) * رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من اول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء اولى (وقيل فيه ضمير اى قولوا اياك نعبد (والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك (والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل . وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده (وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة

نكرت في الوضع وقد ورد في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته فالذات محجوبة بالصفات والصفات بالافعال والافعال بالاكوان والآثار فمن تجلت عليه الافعال بارتفاع حجب الاكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الافعال رضى وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فنى في الوحدة فصار موحدا مطلقا فاعلا ما فعل وقارئا ما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فتوحيد الافعال مقدم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات والى الثلاثة اشار صلوات الله عليه في سجوده بقوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الاشياء اذ هى اثنية فائحة ذ[illegible] رائحة لموليها بما يستحقه فالموجودات كلها بخصوصيانها وخواصها

غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له* (واياك نستعين) * اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا (فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة عن العبادة وما الحكمة فيه (قلت ذكروا فيه وجوها (أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير (الثانى ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ماهو من تفاصيلها ثانيا (الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع (الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة *(اهدنا الصراط المستقيم)* اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهو هذا مذهب اهل السنة (والصراط الطريق قال جرير

امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

اى على طريقة حسنة (قال ابن عباس هو دين الاسلام (وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا (وقيل السنة والجماعة (وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة *(صراط الذين انعمت عليهم)* هذا بدل من الاول اى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا (وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته *(غير المغضوب عليهم)* يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم (والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين *(ولا الضالين)* اى وغير الضالين عن الهدى. واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك. وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود. والضالين هم النصارى * عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال (اخرجه الترمذى (وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل (وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

* (فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان) * * (الاولى) * السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة ان يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف * وفيه لغتان المد والقصر قال في المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال في القصر * امين فزاد الله ما بيننا بعدا *

وتوجيهها الى غاياتها واخراج كما لاتها من حيز القوة الى الفعل مسبحة حامدة كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فتسبيحها اياه تنزيهه عن الشريك وصفات النقص والعجز باستناد ها اليه وحده ودلالتها على وحدانيته وقدرته وتحميدها اظهار كما لاتها المترتبة ومظهريتها لتلك الصفات الجلالية والجمالية وخص بذاته بحسب مبدئيته للكل وحافظيته ومدبريته له التى هى معنى الربوبية للعالمين اى لكل ماهو علم لله يعلم به كالخاتم لما يختم به والقالب لما يقلب فيه * وجمع جمع السلامة لاشتماله على معنى العلم او للتغليب وبازاء افاضة الخير العام والخاص أى النعمة الظاهرة كالصحة والرزق والباطنة كالمعرفة والعلم وباعتبار منتهائيته التى هى معنى مالكية الاشياء في يوم الدين اذ لا يجرى في الحقيقة الا المعبود الذى ينتهى اليه الملك وقت الجزاء باثابة النعمة الباقية عن الفانية عند التجرد بالزهد وتجليات الافعال عند انسلاخ العبد عن افعاله وتعويض صفاته عند المحو

ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب (وقال ابن عباس معناه كذلك يكون (وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى (وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امّن الامام فامّنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه) قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفى رواية للبخارى ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم فى وقت التأمين فامّن مع تامينهم وقيل وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص . والقول الاول هو الصحيح (واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ماتقدم من ذنبه) يعنى تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

*(المسئلة الثانية فى حكم الفاتحة) * اختلف العلماء فى وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعى واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة فى الصلاة ولا تجزئ الا بها . واحتجوا بماروى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب . اخرجاه فى الصحيحين . وبحديث ابى هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم فى فضل سورة الفاتحة (وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لاتتعين على المصلى بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة او ثلاث آيات قصار . واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه * وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى المسئ صلاته ثم اقرأ بماتيسر معك من القرآن . اخرجاه فى الصحيحين (دليل الجمهور ماتقدم من الاحاديث (فان قيل المراد من الحديث لاصلاة كاملة (قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث (ومما يدل عليه حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب . اخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح * وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادى لاصلاة الا بفاتحة الكتاب فازاد . اخرجه ابوداود (واجيب عن حديث الاعرابى بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة اوعلى مازاد على الفاتحة اوعلى العاجز عن قراءة الفاتحة والله اعلم

*(تفسير سورة البقرة) *

قال ابن عباس هى اوّل مانزل بالمدينة قيل سوى آية وهى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة فى حجة الوداع * وهى مائتان وست . وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة * وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف

*(فصل فى فضلها) * (م) عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان اوغيابتان اوكأنهما فرقان من طير صواف يحاجّان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغنى ان البطلة السحرة (قوله اقرؤا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر

عن صفاته وابقائه بذاته وهبته له الوجود الحقانى عندفنائه فله تعالى مطلق الحمد وماهيته ازلا وابدا على حسب استحقاقه اياه بذاته باعتبار البداية والنهاية ومابينهما فى مقام الجمع على السنة التفاصيل فهو الحامد والمحمود تفصيلا وجمعا والعابد والمعبود مبدا ومنتهى * ولما تجلى فى كلامه لعباده بصفاته شاهدوه بعظمته وبهائه وكمال قدرته وجلاله فخاطبوه قولا وفعلا بتخصيص العبادة به وطلب المعونة منه اذمار أوا معبودا غيره ولاحول ولاقوة لاحد الابه فلوحضروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له وبه فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جماله من كل وجه على كل وجه (اهدنا الصراط المستقيم) اى ثبتنا على الهداية ومكنا بالاستقامة فى طريق الوحدة التى هى طريق المنعم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمية التى هى المعرفة والمحبة والهداية الحقانية الذاتية من النبيين والشهداء والصديقين والاولياء الذين شاهدوه

(قوله كانهما غمامتان اوغيايتان) قال اهل اللغة الغمامة والغيابة كل شئ اظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتى كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهى التى تصف اجنحتها عند الطيران (تحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة (والبطلة السحرة كما جاء فى الحديث مبينا يقال ابطل اذا جاء بالباطل *وفى الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقى السور وانه لا كراهة فى ذلك* وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور * والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرؤ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى · اخرجه الترمذى وقال حديث غريب *(بسم الله الرحمن الرحيم)*قوله عز وجل*(الم)*قيل ان حروف الهجاء فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر الله فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى * وفائدة ذكرها طلب الايمان بها· قال ابوبكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن اوائل السور· وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى (واورد على هذا القول بانه لايجوز ان يخاطب الله عباده بمالا يعلمون (واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف الله عباده بمالا يعقل معناه كرمى الجمار فانه ممالا يعقل معناه * والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة* فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولايلزم البحث عنها (وقال آخرون من اهل العلم هى معرفة المعانى * ثم اختلفوا فيها (فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد (وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه* ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفى فقالت قاف * لاتحسبى انانسينا الايجاف

قولها قاف اى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها (والايجاف الاسراع فى السير* قال ابن عباس الم انا الله اعلم* وقيل هى اسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الاترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا *وقيل اسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هى اقسام فقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العلياء وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ* وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفى آية بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر* وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين

اولا وآخرا وظاهرا وباطنا فنـا بوافى شهودهم طلعة وجهه الباقى عن وجود الظل الفانى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) الذين وقفوا مع الظواهر واحتجبوا بالنعمة الرحمانية والنعيم الجسمانى والذوق الحسى عن الحقائق الروحانية والنعيم القلبى والذوق العقلى كاليهود اذ كانت دعوتهم الى الظواهر والجنان والحور والقصور فغضب عليهم لان الغضب يستلزم الطرد والبعد والوقوف مع الظواهر التى هى الحجب الظلمانية غاية البعد (ولا الضالين) الذين وقفوا مع البواطن التى هى الحجب النورانية واحتجبوا بالنعمة الرحيمية عن الرحمانية وغفلوا عن ظاهريه الحق وضلوا عن سواء السبيل فحرموا شهود جمال المحبوب فى الكل كالنصارى اذ كانت دعوتهم الى البواطن وانوار عالم القدس ودعوة المحمديين الموحدين الى الكل والجمع بين محبة جمال الذات وحسن الصفات كما ورد سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة اتقوا الله وآمنوا

اسمعوا الى مايجىء به محمد فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم * وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لاسبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه * واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة فى أوائل السور اربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على باقيها فى مواضعها ان شاء تعالى * وقوله تعالى *(ذلك الكتاب)* اى هذا الكتاب هو القرآن * وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لايمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك به * وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب اى هذا الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبى الذى هو من ولد اسمعيل (والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القرآن *(لاريب فيه)* اى لاشك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق * وقيل هو خبر بمعنى النهى اى لاترتابوا فيه (فان قلت قد ارتاب فيه قوم فما معنى لاريب فيه (قلت معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك *(هدى للمتقين)* الهدى عبارة عن الدلالة (وقيل دلالة بلطف (وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين (وقيل هو هاد لاريب فى هدايته *(والمتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى (والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف (وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش (وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين مايقصده (وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار (وقيل المتقى هو من لايرى نفسه خيرا من احد (وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض (وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة (وقيل التقوى ان لايراك مولاك حيث نهاك (وقيل التقوى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه * وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (وقيل المتقى هو الذى يترك مالابأس به حذرا مما به بأس *(وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولولم يكن للمتقين فضل الا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم (فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون (قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ماهو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم *(الذين يؤمنون بالغيب)* اى يصدقون بالغيب (واصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق * فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولاينقص لان التصديق لايتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى (والايمان فى لسان الشرع عبارة

برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به اعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ فأجابوا الدعوات الثلاث كما جاء فى حقهم يرجون رحمته ويخافون عذابه يقولون ربنا أتمم لنا نورنا قالوا ربنا الله ثم استقاموا فأثيبوا بالجمع على ما أخبر الله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن لهم أجرهم ونورهم أينما تولوا فثم وجه الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم ذلك الكتاب) اشار بهذه الحروف الثلاثة الى كل الوجود من حيث هو كل لان (ا) اشارة الى ذات الذى هو أول الوجود على مامر و (ل) الى العقل الفعال المسمى جبريل وهو أوسط الوجود الذى يستفيض من المبدا ويفيض الى المنتهى و (م) الى محمد الذى هو آخر الوجود تتم به دائرته وتتصل بأولها ولهذا ختم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وعن بعض السلف ان (ل) ركبت من الفين أى وضعت بازاء الذات مع صفة العلم اللذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الالهية التى أشرنا

عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان * واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم * وفائدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة وهى ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف . والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . فنفى عنه اسم الايمان اوكمال الايمان (وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا (وقال المحققون من متكلمى اهل السنه ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها . وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر فى الادلة والبراهين وقلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة فى ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة (وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه (والدليل على ان الاعمال من الايمان ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه فى الصحيحين (البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشئ (واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه (والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح (وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحى ينزجر باستحيائه عن المعاصى فصار من الايمان (وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله (والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق (وذلك ان الرجل قد يكون مسلما فى الظاهر غير مصدق فى الباطن (ق) عن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يارسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من اشراطها وخمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفى افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقى اشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله

يها فهو اسم من أسماء الله مالى اذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما واما (م) فهى اشارة الى الذات مع جميع الصفات والافعال التى احتجبت بها فى الصورة المحمدية التى هى اسم الله الاعظم بحيث لا يعرفها الا من يعرفها ألا تدرى ان (م) التى هى صورة الذات كيف احتجب فيها فان الميم فيها الياء وفى الياء ألف والسر فى وضع حروف التهجى هو ان لا حرف الا وفيه ألف ويقرب من هذا قول من قال معناه القسم بالله العليم الحكيم اذ جبريل مظهر العلم فهو اسمه العليم ومحمد مظهر الحكمة فهو اسمه الحكيم ومن هذا ظهر معنى قول من قال تحت كل اسم من أسمائه تعالى أسماء بغير نهاية والعلم لا يتم ولا يكمل الا اذا قرن بالفعل فى عالم الحكمة الذى هو عالم الاسباب والمسببات فصير حكمة ومن ثم لا يحصل الاسلام بمجرد قول لا اله الا الله الى اذا قرن بمحمد رسول الله فمعنى الآية الم ذلك الكتاب الموعود أى صورة الكل المومى اليها بكتاب الجفر والجامعة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزاً اى ظاهراً . وقوله ان تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر . هو بكسر الخاء . وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت . والبعث هو بعده عند قيام الساعة . وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر (قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا (وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك (واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها (قوله اذا ولدت الامة ربها يعني سيدها* والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها (ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء مّن البهم وهي الصغار من اولاد الضان (والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم *(قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون* قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان* وقيل الغيب هنا هو الله تعالى* وقيل القرآن* وقيل بالآخرة *وقيل بالوحي * وقيل بالقدر* وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذي لا آله غيره ما آمن احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لاريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون *(ويقيمون الصلاة)* اى يداومون عليها في واقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه * والمراد به الصلوات الخمس* والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم . وأصله من صليت العود اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع * وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية *(ومما رزقناهم)* أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب *(ينفقون)* أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المندوب وهو صدقة التطوّع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها * وأدخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق *(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك)* أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله *(وبالآخرة)* يعني وبالدار الآخرة *سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها *(هم يوقنون)* من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة *(أولئك)* اى الذين هذه صفتهم *(على هدى من ربهم)* أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة *(وأولئك هم المفلحون)* اى الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب اى الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه

المشتملة على كل شئ الموعود بأنه يكون مع المهدى في آخر الزمان لا يقرأه كما هو بالحقيقة الا هو والجفر لوح القضاء الذى هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذى هو نفس الكل فمعنى كتاب الجفر والجامعة المحتويان على كل ما كان ويكون كقولك سورة البقرة وسورة النمل (لاريب فيه) عند التحقيق بأنه الحق وعلى تقدير القول معناه بالحق الذى هو الكل من حيث هو كل لانه مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الانبياء وفي كتبهم بأنه سيأتي كما قال عيسى عليه السلام نحن نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فسيأتي به المهدى في آخر الزمان وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه كما حذف في غير موضع من القرآن مثل والشمس والنازعات وغير ذلك اى انا منزلون لذلك الكتاب الموعود في التوراة والانجيل بان يكون مع محمد حذف لدلالة قوله ذلك الكتاب عليه اى ذلك الكتاب المعلوم في العلم السابق الموعود في التوراة والانجيل حق بحيث لا مجال للريب فيه (هدى للمتقين) اى هدى

ويكون الفلاح بمعنى البقاء * قال الشاعر * لو كان حى مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح *
يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون فى النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة
والعز والبقاء والغنى * وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أى يقطع * فعلى
هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر
هذه السورة باربع آيات أنزلها فى المؤمنين وبآيتين أنزلهما فى الكافرين وثلاث عشرة آية أنزلها
فى المنافقين * فأما التى فى الكفار فقوله تعالى *(ان الذين كفروا)* أى جحدوا وأنكروا * واصل الكفر
فى اللغة الستر والتغطية ومنه سمى الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته * قال الشاعر * فى ليلة كفر النجوم
غمامها * أى سترها (والكفر على أربعة أضرب * كفر انكار وهو ان لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون
وهو قوله * اعلمت لكم من آله غيرى * وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقرّ بلسانه ككفر
ابليس * وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبى الصلت
وأبى طالب حيث يقول فى شعر له

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

* وكفر نفاق وهو أن يقرّ بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه * فجميع هذه الانواع كفر * وحاصله
أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيأ مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو فى النار خالدا فيها ولا يغفر الله له
* نزلت فى مشركى العرب * وقيل فى اليهود *(سواء عليهم)* أى متساو لديهم *(أأنذرتهم)* أى خوّفتهم
وحذّرتهم * والانذار اعلام مع تخويف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا *(أم لم تنذرهم
لا يؤمنون)* أى لا يصدّقون (وهذه الآية فى أقوام حقت عليهم كلمة العذاب فى سابق علم الله الازلى
انهم لا يؤمنون * ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى *(ختم الله على قلوبهم)* أى طبع الله عليها
فلا تعى خيرا ولا تفهمه * وأصل الختم التغطية * وحقيقته الاستيثاق من الشئ لكى لا يخرج منه ما حصل
فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب * قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما
سبق فى علمه الازلى فيهم * وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم *(وعلى سمعهم)* أى وختم
على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق
منها بالختم أيضا * وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع * قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر
لا يثنى ولا يجمع *(وعلى أبصارهم غشاوة)* هذا ابتداء كلام (والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج
(أى وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهى غطاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده
(ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (وقيل الاسر والقتل فى الدنيا والعذاب الدائم فى العقبى
(وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعييه ويشق عليه * وقيل هو الايجاع الشديد * وقيل هو
ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش (والعظيم ضد الحقير) قوله عز وجل
(ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومعتب ابن قشير
وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبى صلى الله عليه وأصحابه
وأسرّوا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود * وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقرّ به

فى نفسه للذين يقولون
الرذائل والحجب المانعة
لقبول الحق فيه (واعلم ان
الناس بحسب العاقبة سبعة
اصناف لانهم امّا سعداء
وامّا اشقياء قال الله تعالى
فمنهم شقىّ وسعيد والاشقياء
اصحاب الشمال والسعداء
امّا اصحاب اليمين وامّا
السابقون المقرّبون قال الله
تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة
الآية واصحاب الشمال امّا
المطرودون الذين حق
عليهم القول وهم اهل الظلمة
والحجاب الكلى المختوم على
قلوبهم ازلا كما قال تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجنّ والانس الى آخر
الآية وفى الحديث الربانى
هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالى
وامّا المنافقون الذين كانوا
مستعدّين فى الاصل قابلين
للتنوّر بحسب الفطرة
والنشأة ولكن احتجبت
قلوبهم بالرين المستفاد من
اكتساب الرذائل وارتكاب
المعاصى ومباشرة الاعمال
البهيمية والسبعية ومزاولة
المكايد الشيطانية حتى
رسخت الهيآت الفاسقة
والملكات المظلمة فى نفوسهم
وارتكمت على افئدتهم فبقوا
شاكين حيارى تائهين قد
حبطت اعمالهم وانتكست

وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرها (والناس جمع انسان سمى به لانه عهداليه فنسى (قال الشاعر* وسميت انسانا لانك ناسى * وقيل سمى انسانا لانه يستأنس بمثله *(وباليوم الآخر)* أى وآمنا باليوم الآخروهو يوم القيامة *سمى بذلك لانه يأتى بعدالدنيا وهوآخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلاحدله* ولاآخر (قال الله تعالى ردّا على المنافقين *(وماهم بمؤمنين)* نفى عنهم الايمان بالكلية*(يخادعون الله والذين آمنوا)* أى يخالفون الله (والخديعة الحيلة والمكر . وأصله فى اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضدّ ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهوخادعهم أى يظهر لهم نعيم الدنيا ويجعله لهم بخلاف مايغيب عنهم من عذاب الآخرة (فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجئ فى الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة(قلت المفاعلة قد ترد لاعلى وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن ان يكون منه خداع (فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله (قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه (وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم* ولتجرى عليهم أحكام الاسلام فى الظاهر وهم على خلافه فى الباطن *(وما يخدعون الا أنفسهم)* أى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلايكونون فى الحقيقة الاخادعين أنفسهم (وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى(والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن *(ومايشعرون)* أى لايعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم *(فى قلوبهم مرض)* أى شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان (وسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن *(فزادهم الله مرضا)* يعنى ان الآيات كانت تنزل تترى أى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا *(ولهم عذاب اليم)* أى مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم *(بما كانوا يكذبون)* أى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر . وقرئ بالتخفيف أى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين *(واذا قيل لهم)* يعنى المنافقين . وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون *(لاتفسدوا فى الارض)* أى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن *(قالوا انما نحن مصلحون)* يعنى يقولونه كذبا *(الا)* كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب *(انهم هم المفسدون)* يعنى فى الارض بالكفر وهو أشد الفساد *(ولكن لايشعرون)* وذلك لانهم يظنون ان ماهم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد . وقيل لايشعرون ما أعد الله لهم من العذاب *(واذا قيل لهم)* يعنى المنافقين وقيل اليهود *(آمنوا كما آمن الناس)* يعنى المهاجرين والانصار وقيل عبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمنى أهل الكتاب (والمعنى أخلصوا فى ايمانكم كما أخلص هؤلاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان *(قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء)* أى الجهال (فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء (قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فردّ الله ذلك عليهم بقوله *(الا انهم هم السفهاء)* يعنى الجهال

رؤسهم فهم اشدّ عذابا واسوأ حالا من الفريق الاول لمنافاة مسكة استعدادهم لحالهم والفريقان هم اهل الدنيا واصحاب اليمين امّا اهل الفضل والثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات للجنة راجين لها راضين بها فوجدوا ماعملوا حاضرا على تفاوت درجاتهم ولكل درجات مما عملوا ومنهم اهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوّؤن درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لاعلى حسب كمالاتهم من ميراث عملهم واما اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وهم قسمان المعفوّ عنهم رأسا لقوّة اعتقادهم وعدم رسوخ سيآتهم لقلة مزاولتهم اياها ولمكان توبتهم عنها فاؤلئك يبدّل الله سيآتهم حسنات والمعذبون حينا بحسب ما رسخ فيهم من المعاصى حتى خلصوا عن درن ما كسبوا فنجوا وهم أهل العدل والعقاب والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ماكسبوا لكن الرحمة تتداركهم وثلاثتهم اهل الآخرة والسابقون امّا محبون

(وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم (وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء *(ولكن لا يعلمون)* يعني انهم كذلك * قوله تعالى *(واذا لقوا الذين آمنوا)* يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار *(قالوا آمنا)* كايمانكم *(واذا خلوا)* أي رجعوا . وقيل هو من الخلوة *(الى)* قيل بمعنى الباء أي ب *(شياطينهم)* وقيل بمعنى مع أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم (قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء بالشام (ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له (وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم *(قالوا انا معكم)* أي على دينكم *(انما نحن مستهزؤن)* أي بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم (قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي لاصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن اني لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا *(الله يستهزئ بهم)* أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته (قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار *(ويمدهم)* أي يتركهم ويمهلهم (والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في الخير *(في طغيانهم)* أي في ضلالهم * وأصل الطغيان مجاوزة الحد *(يعمهون)* أي يترددون في الضلالة متحيرين *(اولئك)* يعني المنافقين *(الذين اشتروا الضلالة بالهدى)* أي استبدلوا الكفر بالايمان (وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر (فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها بها (والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء *(فما ربحت تجارتهم)* اى ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال * واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون *(وما كانوا مهتدين)* اى مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى. وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم *قوله عزوجل *(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)* المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة (ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشئ في نفسه

واما محبوبون فالمحبوبون هم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وانابوا اليه حق انابته فهداهم سبله والمحبوبون هم اهل العناية الازلية الذين اجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم والصنفان هما اهل الله (فالقرآن ليس هدى للفريق الاول من الاشقياء لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم ولا للثاني لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية بفساد اعتقادهم فهم اهل الخلود في النار الا ما شاء الله فبقي هدى للخمسة الاخيرة الذين يشملهم المتقون والمحبوب يحتاج الى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه في الله لقوله تعالى لحبيبه كذلك لنثبت به فؤادك وقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك والمحب يحتاج اليه قبل الوصول والجذب وبعده لسلوكه الى الله وفي الله فعلى هذا المتقون في هذا الموضع هم المستعدون الذين بقوا على فطرتهم الاصلية واجتنبوا رين الشرك والشك لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم

ولان المثل تشبيه الشئ الخفى بالجلى فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية فى الايضاح * وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذى استوقد نارا لينتفع بها *(فلما اضاءت)* يعنى النار *(ماحوله)* يعنى حول المستوقد *(ذهب الله بنورهم)* (فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا (قلت يجوز وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا (وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد (وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذى استوقد نارا *(وتركهم فى ظلمات لايبصرون)* قال ابن عباس نزلت فى المنافقين * يقول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستدفأ ورأى ماحوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف * وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل ذهاب نورهم فى القبر او على الصراط (فان قلت ماوجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة (قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء فى الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة فى الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه فى الآخرة الا حيرة (وفى ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم * احداها ان المستضئ بالنار مستضئ بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو فى ظلمة فكأنهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار * الثانية ان النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم * الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء * فشبه حالهم بذلك * ثم وصفهم الله تعالى فقال *(صم)* اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه *(بكم)* اى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه *(عمى)* اى لا ابصار لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

*صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذن*

(فهم لا يرجعون) اى عن ضلالتهم ونفاقهم * قوله تعالى *(اوكصيب)* اى كاصحاب صيب وهو المطر وكل مانزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب *(من السماء)* اى من السحاب لان كل ماعلاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء (وقيل من السماء بعينها * وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء *(فيه)* اى الصيب *(ظلمات)* جمع ظلمة *(ورعد)* هو الصوت الذى يسمع من السحاب *(وبرق)* يعنى النار التى تخرج منه (قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب (وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها

وبقاء نورهم الفطرى فلم ينقض واعهد الله وهذه التقوى مقدمة على الايمان ولها مراتب اخرى متأخرة عنه كما سيأتى ان شاء الله (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة) اى بما غاب عنهم الايمان التقليدى او التحقيقى العلمى فان الايمان قسمان تقليدى وتحقيقى والتحقيقى قسمان استدلالى وكشفى وكلاهما اما واقف على حد العلم والغيب واما غير واقف والاول هو الايقان المسمى علم اليقين والثانى اما عينى وهو المشاهدة المسمى عين اليقين واما حقى وهو الشهود الذاتى المسمى حق اليقين والقسمان الاخيران لا يدخلان تحت الايمان بالغيب والايمان بالغيب يستلزم الاعمال القلبية التى هى التزكية وهى تطهير القلب عن الميل الى السعادات البدنية الخارجية الشاغلة عن احراز السعادة الباقية فان السعادات ثلاث قلبية وبدنية وماحول البدن فالقلبية هى المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية الخلقية والبدنية هى الصحة والقوة واللذات الجسمانية

فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق (وقيل الرعد تسبيح الملك) (وقيل اسمه
(يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت كل
من يسمعها اويغشى عليه (وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء *عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لاتقتلنا
بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب
(حذر الموت) اى مخافة الهلاك *(والله محيط بالكافرين)* اى عالم بحالهم (وقيل يجمعهم
ويعذبهم *(يكاد البرق)* اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل *(يخطف ابصارهم)* اى يختلسها
(والخطف استلاب الشئ بسرعة *(كلما)* اى متى ماجاء *(اضاء لهم)* يعنى البرق *(مشوا فيه)*
اى فى اضاءته ونوره *(واذا اظلم عليهم قاموا)* اى وقفوا متحيرين (وهذا مثل آخر ضربه
الله تعالى للمنافقين* ووجه التمثيل ان الله عزوجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة
فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك
الظلمات ان السارى لايمكنه المشى فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم
من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته * فهذا مثل ضربه الله تعالى
للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه * فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة
الارض * والظلمات مافى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق * والرعد ماخوفوا به
من الوعيد* وذكر النار والبرق مافيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة (فالكافرون
والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به
عندهم كفر والكفر موت (وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام . فالمطر هو الاسلام
. والظلمات مافيه من البلاء والمحن. والرعد مافيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة
. والبرق مافيه من الوعد. يجعلون أصابعهم فى آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء
وشدة هربوا حذرا من الهلاك. والله محيط بالكافرين يعنى لاينفعهم الهرب لان الله من ورائهم
يجمعهم ويعذبهم. يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ماسبق لهم من الشقاوة
.كلما اضاء لهم يعنى المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولاامتحان. مشوا فيه يعنى على المسالمة
باظهار كلمة الايمان (وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم
عليهم قاموا يعنى اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا *(ولو شاء الله لذهب بسمعهم)* أى بصوت الرعد
(وأبصارهم) بوميض البرق (وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم
وأبصارهم الباطنة *(ان الله على كل شئ قدير)* أى هو الفاعل لما يشاء لامنازع له فيه * قوله
عزوجل *(ياأيها الناس)* قال ابن عباس ياأيها الناس خطاب لاهل مكة وياأيها الذين آمنوا خطاب
لاهل المدينة وهنا خطاب عام لسائر المكلفين *(اعبدوا ربكم)* قال ابن عباس وحدوا ربكم (وكل
ماورد فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد (وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولايستحقها
الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى *(الذى خلقكم)* اى ابتدع خلقكم على غير مثال
سبق *(والذين من قبلكم)* اى وخلق الذين من قبلكم *(لعلكم)* لعل وعسى حرفا ترج
وهما اى كل منهما من الله واجب *(تتقون)* اى لكى تنجوا من العذاب (وقيل معناه تكونوا

والشهوات الطبيعية وماحول البدن هى الاموال والاسباب كما قال امير المؤمنين عليه السلام الاوان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة الجسد تقوى القلب ويجب الاحتراز عن

قوله اى متى ماجاء هكذا فى جميع النسخ التى بايدينا ولم تظهر لنا فائدة جاء فلعلها زائدة وكذا قوله فيما بعده من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها ليس بظاهر من التعبير بيكاد فى الآية مصححه

الاولين لاحراز الاخيرة المطلوبة بالزهد والعبادة فاقامة الصلاة ترك الراحات البدنية واتعاب الآلات الجسدية وهى ام العبادات التى اذا وجدت لم يتأخر عنها البواقى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ هى تحامل على البدن والنفس ومشقة فادحة عليهما وانفاق المال هو الاعراض عن السعادة الخارجية المحبوبة الى النفس المسمى الزهد فان الانفاق ربما كان اشد عليها من بذل الروح للزوم الشح اياها لم يكتف باقدر الواجب

على رجاء التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل مايشاء ويحكم مايريد *(الذى جعل لكم الارض فراشا)* اى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لايمكن القرار عليها . والحزن ماغلظ من الارض *(والسماء بناء)* أى سقفا مرفوعا (قيل اذا تأمل الانسان المتفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل مايحتاج اليه *فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه * فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها *(وانزل من السماء)* يعنى السحاب *(ماء)* يعنى المطر *(فاخرج به)* اى بسبب الماء *(من الثمرات)* يعنى من الوان الثمرات واصناف النبات *(رزقا لكم)* اى وعلفا لدوابكم *(فلا تجعلوا لله أندادا)* يعنى امثالا تعبدونهم كعبادته (والند المثل *(وانتم تعلمون)* يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها انداداً لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لامثل له ولا ضد له قوله تعالى *(وان كنتم فى ريب)* أى ان كنتم فى شك لان الله تعالى علم انهم شاكون *(مما نزلنا على عبدنا)* اى محمد صلى الله عليه وسلم * لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لاضد له ولا ند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه (وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى *(فاتوا)* أمر تعجيز *(بسورة)* والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر (وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه . سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن *(من مثله)* اى مثل القرآن (وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن احد (ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل ألا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فاتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم يدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق وان اعلاه لمثمر *(وادعوا شهداءكم من دون الله)* أى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله (والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى دعواكم انها آلهة (وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم *(ان كنتم صادقين)* ان محمدا صلى الله عليه وسلم

فقال (ومما رزقناهم ينفقون) ليعتاد القلب ترك الفضول المالية بالجود والسخاء وبذل المال فى وجوه المروات والهبات والصدقات الغير الواجبة فيوق شح نفسه وخصص الانفاق بالبعض بايراد من التبعيضية لئلا يقع فى رذيلة التبذير ببذل القدر الضرورى فيحرم فضيلة الجود الذى هو من باب التخلق باخلاق الله (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) اى الايمان التحقيقى الشامل للاقسام الثلاثة المستلزم للاعمال القلبية التى هى التحلية وهى تغرس القلب بالحكم والمعارف المنزلة فى الكتب الالهية والعلوم المتعلقة باحوال المعاد وامور الآخرة وحقائق عالم القدس ولهذا قال (وبالآخرة هم يوقنون) واهل الآخرة الذين ماجاوزوا حد التزكية ولم يصلوا الى التحلية التى هى ميراثها لقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم واهل الله الموقنون الجامعون لها كلهم على هدى من ربهم اماليه واما الى داره دار

بقوله من تلقاء نفسه *(فان لم تفعلوا)* اى فيما مضى *(ولن تفعلوا)* فيما بقى (وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل القرآن او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحد منهم ورضوا بسبى الذرارى وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد (وهو قوله تعالى *(فاتقوا النار)* أى فآمنوا واتقوا بالايمان النار *(التى وقودها)* أى حطبها *(الناس والحجارة)* قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا . وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها . وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم *(اعدت)* اى هيئت *(للكافرين)* قوله عز وجل *(وبشر الذين آمنوا)* اى اخبر المؤمنين وهذا امر للنبى صلى الله عليه وسلم (والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور فى بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو فى السرور والخير اغلب *(وعملوا الصالحات)* اى الفعلات الصالحات وهى الطاعات (قيل العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص (وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعنى عن الرياء *(ان لهم جنات)* جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق (وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم *(تجرى من تحتها)* اى من تحت اشجارها ومساكنها *(الانهار)* اى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى (وقيل معناه تجرى بأمرهم وفى الحديث ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود اى فى غير شق والخد الشق *(كلما رزقوا)* اى اطعموا *(منها)* اى من الجنة *(من ثمرة رزقا)* اى طعاما *(قالوا هذا الذى رزقنا من قبل)* اى فى الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى *(واتوا به)* اى بالرزق *(متشابها)* قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم (وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لارداءة فيها (وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك* قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس اى يجرى على السنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ كما ان النفس لا يشغل عن شئ* قوله طعامهم جشاء يعنى ان فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق * وقوله تعالى *(ولهم فيها)* اى فى الجنات *(ازواج)* اى من الحور العين *(مطهرة)* يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار (وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا

السلامة والفضل والثواب والالطف وهم اهل الفلاح لاغير اما من العقاب واما من الحساب ولهذا قال (أولئك) اى الموصوفون بهذه الصفات المذكورة من التزكية والتحلية (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاجلها فعلى هذا الذين يؤمنون مبتدا والذين يؤمنون الثانى معطوف عليه وأولئك خبره ولو جعل صفة للمتقين لكان المراد بهم الكاملين فى التقوى بعد الهداية وكان مجازا من باب تسمية الشئ بما يؤول اليه (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) هم الفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الآلهى لا ينجع فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار أولئك حقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار سدت عليهم الطرق واغلقت عليهم الابواب اذ القلب

(وقيل طهرن من مساوى الاخلاق(قيل فى الجنة جماع ماشئت ولاولد (وهم فيها خالدون)
اى لايخرجون منها ولايموتون والخلد البقاء الدائم الذى لاانقطاع له (ق) عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين
يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لايبصقون ولايمتخطون ولايتغوطون ولايبولون
امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين على خلق رجل
واحد وعلى صورة ابيهم آدم ستون ذراعا فى السماء (وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب رجل واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن ابى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان
للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون
يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا * عن ابى هريرة قال قلت يارسول الله مم خلق الله
الخلق قال من الماء قلت الجنة مابناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك
الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولايبأس ويخلد ولايموت
ولاتبلى ثيابهم ولايفنى شبابهم (اخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوى *
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة مابين كل
درجتين كمابين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة
ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس(اخرجه الترمذى (م)عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال
فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقدازدادوا حسنا
وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلانبيد
ونحن الناعمات فلانبأس ونحن الراضيات فلانسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له (اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب* قوله تعالى(ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا مابعوضة فمافوقها)
سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل
قالت اليهود ماارادالله بذكر هذه الاشياء الخسيسة (وقيل قال المشركون انالانعبد آلهة يذكر
هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لايستحيى * الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف
مايعاب به ويذم عليه* وقيل هو انقباض النفس عن القبائح (هذا اصله فى وصف الانسان والله
تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية
ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذى يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح
ونهايته ترك ذلك القبيح فاذاورد وصف الحياء فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو
التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لايستحيى
ان يضرب مثلا اى لايترك المثل لقول الكفار واليهود (ما * قيل ماصلة فيكون ان يضرب مثلا

هو المشعر الالهى الذى هو
محل الالهام فحجبوا عنه
بختمه والسمع والبصرهما
المشعران الانسيان اى
الظاهران اللذان هما بابا
الفهم والاعتبار فحرموا
عن جدواهما لامتناع
نفوذ المعنى فيهما الى القلب
فلا سبيل لهم فى الباطن
الى العلم الذوقى الكشفى
ولا فى الظاهر الى العلم
النقلى والكسبى فحبسوا
فى سجون الظلمات فما اعظم
عذابهم (ومن الناس
من يقول آمنا) هم الفريق
الثانى من الاشقياء سلب
عنهم الايمان مع ادعائهم
له بقولهم آمنا (بالله)لان
محل الايمان هو القلب
لااللسان قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولمايدخل الايمان
فى قلوبكم ومعنى قولهم
آمنا بالله (وباليوم الآخر
وماهم بمؤمنين
يخادعون الله والذين
آمنوا ومايخدعون
الا انفسهم ومايشعرون)
ادعاء على التوحيد
والمعاد اللذين هما اصل
الدين واساسه اى لسنا من
المشركين المحجوبين عن
الحق ولا من اهل الكتاب
المحجوبين عن الدين

بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة (والبعوض صغار البقّ وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوّف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه (فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منهما في الجثة *وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشئ الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة وأطيش من ذبابة والحّ من ذبابة (فاما الذين آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون انه) يعنى ضرب المثل (الحق) يعنى الصدق (من ربهم) الثابت الذى لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى بهذا المثل (يضلّ به كثيرا) اى من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدى به كثيرا) يعنى المؤمنين يصدّقونه ويعلمون انه حق (ومايضل به الا الفاسقين) يعنى الكافرين (وقيل المنافقين (وقيل اليهود* والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله* ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) اى يخالفون ويتركون* واصل النقض الفسخ وفكّ المركّب (عهد الله) اى امر الله واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) اى من بعد عقده وتوكيده (وفي معنى هذا العهد اقوال* احدها انه الذى اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى* الثانى المراد به الذى اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته* الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا امره الله تعالى واحكمه بما انزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود (وقيل اراد به قطع الارحام التى امر الله بوصلها (ويفسدون في الارض) يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك هم الخاسرون) اى المغبونون (واصل الخسار النقص* ثم قال تعالى لمشركى العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته* ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم امواتا) يعنى نطفا في اصلاب آبائكم (فاحياكم) يعنى في الارحام والدنيا (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعنى بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) اى تردّون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم *قوله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار (والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا (اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) اى قصد واقبل على خلقها (وقيل عمد (وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد (قال الازهرى معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم (وذلك ان الله تعالى خلق الارض اوّلا ثم عمد الى

والمعاد لانّ اعتقاد اهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقا للحق واعلم انّ الكفر هو الاحتجاب والحجاب امّا عن الحق كما للمشركين وامّا عن الدين كما لاهل الكتاب والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذى هو طريق الوصول اليه ضرورة وامّا المحجوب عن الدين فقد لا يحجب عن الحق فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين معا فكذبوا بسلب الايمان عن ذواتهم اى ليسوا بمؤمنين مادام وا اياهم * المخادعة استعمال الخدع من الجنبين وهو اظهار الخير واستبطان الشرّ ومخادعة الله مخادعة رسوله لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولانه حبيبه وقد ورد في الحديث لا يزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر ولسانه الذى به يتكلم ويده الذى بها يبطش ورجله الذى بها يمشي فخداعهم لله وللمؤمنين اظهار الايمان والمحبة واستبطان الكفر والعداوة

خلق السماء (فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها (قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك (فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم مافى الارض جميعا يقتضى ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو (قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما انعم به عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم (فسويهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات * قوله تعالى (واذ قال ربك) اى واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ماورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله (وقيل اذ زائدة * والاول اوجه (للملائكة) جمع ملك واصله مألك من المألكة والالوكة وهى لفظ البغوى وهى الرسالة واراد بالملائكة الذين كانوا فى الارض * و ذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوهم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لانى اكرم الملائكة عليه * فقال له ولجنده (انى جاعل فى الارض خليفة) اى انى خالق خليفة يعنى بدلا منكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة * والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم (وقيل لانه يخلفه غيره (والصحيح انه انما سمى خليفة لانه خليفة الله فى ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) اى بالمعاصى (ويسفك الدماء) اى بغير حق كما فعل الجن (فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول (قلت يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم اوقاسوا الشاهد على الغائب (وقيل انهم لما راوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك (وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصانى فلما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا هو ذلك (فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض (قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين * واستدل على ذلك بوجوه ٠ منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ٠ ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفى عليهم ولهذا أجابهم بقوله انى أعلم مالا تعلمون (وقيل ان العبد المخلص فى حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة فى اعظام الله عزوجل (ونحن نسبح بحمدك) أى نقول سبحان الله وبحمده وهى صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبى ذر أن رسول الله

وخداع الله والمؤمنين اياهم مسالمتهم واجراء أحكام الاسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الاموال وغير ذلك وادخار العذاب الاليم والمآل الوخيم وسوء المقبة لهم وخزيهم فى الدنيا لافتضاحهم باخباره تعالى وبالوحى عن حالهم لكن الفرق بين الخداعين ان خداعهم لا ينجح الا فى انفسهم باهلاكها وتحسيرها وايرائها الوبال والنكال بازدياد الظلمة والكفر والنفاق واجتماع اسباب الهلكة والبعد والشقاء عليها وخداع الله يوثر فيهم ابلغ تأثير ويوبقهم أشد ايباق كقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهم من غاية تعمقهم فى جهلهم لا يحسون بذلك الامر الظاهر (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق تنكير المرض وايراد الجملة الظرفية اشارة الى عروض المرض واستقراره ورسوخه فيها كما اشرنا اليه فى التقسيم والانقال قلوبهم مرضى أو موتى (فزادهم الله مرضا) ولهم عذاب اليم واذا قيل لهم لا تفسدون فى الارض قالوا انما نحن

صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال مااصطفى الله للملائكته أولعباده سبحان الله وبحمده (قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ماجاء فى القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك (وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لايليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أومتلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدّس لك) اصل التقديس التطهير أى نطهّرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بمايليق بعزّك وجلالك من العلوّ والعظمة. واللام صلة (وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال انى أعلم مالاتعلمون) قيل انه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها قال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة مالاتعلمون (وقيل اعلم ان فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو ابليس (وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

(فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن ابى ذرّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالاترون واسمع مالاتسمعون اطّت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا (أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب * واما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم اوحى الى الارض انى خالق منك خليفة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى ادخلته النار قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذى ارسلك الىّ ان لاتاخذ منى شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعاذت بك منى فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فاتنى بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ماقالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ماقالت له فقال لعزرائيل انطلق فاتنى بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان لاتاخذ منى شيا فقال وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما ورد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لاخلقنّ مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم اخرجها فجعلها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ماخلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لايتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولانعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل علىّ لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل فى جسد آدم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها

مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الاانهم هم السفهاء ولكن لايعلمون) اى اخر حقدا وحسدا وغلا باعلاء كلمة الدين ونصرة الرسول والمؤمنين والرذائل كلها امراض القلوب لانها أسباب ضعفها وآفتها فى افعالها الخاصة وهلاكها فى العاقبة وفرق بين العذابين بالالم للمنافقين والعظم للكافرين لان عذاب المطرودين فى الازل اعظم فلا يجدون شدة أله لعدم صفاء ادراك قلوبهم كحال العضو الميت أو المفلوج والخدل بالنسبة الى مايجرى عليه من القطع والكىّ وغيرذلك من الآلام واما المنافقون فلثبوت استعدادهم فى الاصل وبقاء ادراكهم يحسون شدة الالم فلاجرم كان عذابهم مؤلما مسببا عن المرض العارض المزمن الذى هو الكذب ولواحقه * واذا نهوا عن الافساد فى الارض اى فى الجهة السفلية التى هى النفوس وما تعلق بها من المصالح بتكدير النفوس وتهييج

وستخرجين منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى اول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء (وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم (وجعل فى جسده تسعة ابواب سبعة فى رأسه وهى الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين فى اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه (وجعل عقله فى دماغه وفكره وصرامته فى قلبه وشرهه فى كليته وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه * فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ماهو فلما رآه أجوف عرف انه لا يتمالك * عن ابى موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب (أخرجه الترمذى وابو داود * قوله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمى آدم لانه خلق من أديم الارض (وقيل لانه كان آدم اللون * وكنيته أبو محمد * وقيل ابو البشر (ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ماشاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا مالم يره فاظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم * وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا (قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة (وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها (وقيل علم آدم اسماء الملائكة (وقيل اسماء ذريته (وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعنى تلك الاشخاص (وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعنى تعجيزا لهم (انبؤنى) أى اخبرونى (باسماء هؤلاء) يعنى تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) اى انى لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منه واعلم (قالوا) يعنى الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) اى انك اجل من ان نحيط بشئ من علمك الا ما علمتنا (انك أنت العليم) أى بخلقك وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) اى فى امرك وله معنيان. احدهما انه القاضى العدل. والثانى المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد

الفتن والحروب والعداوة والبغضاء بين الناس أنكروا وبالغوا فى اثبات الاصلاح لانفسهم اذ يرون الصلاح فى تحصيل المعاش وتيسير أسبابه وتنظيم أمور الدنيا لانفسهم خاصة لتوغلهم فى محبة الدنيا وانهماكهم فى اللذات البدنية واحتجابهم بالمنافع الجزئية والملاذ الحسية عن المصالح العامة الكلية واللذات العقلية وبذلك يتيسر مرادهم ويتسهل مطلوبهم وهم لا يحسون بافسادهم المدرك بالحس * واذا دعوا الى الايمان الحقيقى كايمان فقراء المسلمين والصعاليك المجردين سفهوهم لمكان تركهم لحطام الدنيا واعراضهم عن متاعها ولذاتها وطيباتها لزهدهم الحقيقى اذ قصارى همهم وقصوى مقاصد عقولهم الاسيرة فى قيد الهوى المشوبة بالوهم المؤدية لهم الى الردى هى تلك اللذات يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولا يعلمون ان غاية السفه هو اختيار الفانى الاخس

(قال) يعنى الله تعالى (يا آدم انبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التى خلق لها (فلما انبأهم بأسمائهم قال) يعنى الله تعالى (ألم اقل لكم) يعنى ياملائكتى (انى اعلم غيب السموات والارض) يعنى ماكان وماسيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم انى اعلم مالاتعلمون (واعلم ماتبدون) يعنى قول الملائكة أتجعل فيها (وماكنتم تكتمون) يعنى قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا اكرم عليه منا (وقال ابن عباس اعلم ماتبدون من الطاعة وماكنتم تكتمون يعنى ابليس من المعصية* قوله عزوجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض (والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعنى الملائكة (وفى هذا السجود قولان* اصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لاسجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فى قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره (والقول الثانى ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى (وفى هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمى به لانه ابلس من رحمة الله أى يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمى ابليس وغيرت صورته (قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم (وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس* والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (ابى) أى امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أى تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى فى علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله وفى رواية ياويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار * قوله عزوجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) اى اتخذها مأوى ومنزلا* وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض* ولما اسكن الله آدم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء وضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما ماعطف رجل على امرأة قط (وسميت حواء لانها خلقت من حى (فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كاحسن ماخلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما ذا خلقت قالت لتسكن الى وأسكن اليك (واختلفوا فى الجنة التى أمر آدم بسكناها. فقيل انها جنة كانت فى الارض بدليل انه لوكانت الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لما أخرج منها (وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا (والقول الصحيح انها الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى هى دار الجزاء والثواب (وقيل كلا القولين

(ممكن)

على الباقى الاشرف وفرق بين الفاصلتين بالشعور والعلم لان تأثير خداعهم فى أنفسهم وافسادهم فى الارض أمر بين كالمحسوس وأما ترجيح نعيم الآخرة على نعيم الدنيا المستلزم للفرق بين السفه والحكمة فأمر استدلالى عقلى صرف (واذ القوا الذين آمنوا) حكاية لنفاقهم اللازم لحصول استعدادين فيهم الفطرى النورى الضعيف المغلوب القريب من الانطفاء الذى ناسبوا به المؤمنين والكسبى الظلمانى القوى الغالب الذى تألفوا به الكفار اذ لولم يكن فيهم أدنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبتهم أصلا كغيرهم من الكفار للتنافى الضرورى بين النور والظلمة من جميع الوجوه* والشيطان فيعال من الشطون الذى هو البعد وشياطينهم المتعمقون فى البعد وهم المطرودون ورؤساؤهم البالغون فى النفاق واستهزاؤهم بالمؤمنين دل على ضعف جهة النور وقوة جهة الظلمة فيهم اذا لمستخف بالشئ

يمكن فلاوجه للقطع (وكلا منها رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بلامنع الاما نهى عنه وهو قوله تعالى (ولاتقربا هذه الشجرة) يعنى الاكل (قيل انما وقع هذا النهى عن جنس الشجرة (وقيل عن شجرة مخصوصة (قال ابن عباس هى السنبلة (وقيل الكرمة (وقيل هى شجرة التين (وقيل عن شجرة العلم (وقيل الكافور (وقيل ليس فى ظاهر الكلام مايدل على التعيين اذ لاحاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة ومالايكون مقصودا لايجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعنى ان أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما (فمن جوّز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية (وأصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه (ومن لم يجوّز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ماكان الاولى أن لايفعله (وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوّة (فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او بظلم أنفسهم (قلت لايجوز أن يطلق عليهم ذلك لمافيه من الذم* قوله عز وجل (فأزلهما الشيطان) أى استزلّ آدم وحوّاء ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسيأتى الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى فى سورة طه (عنها) اى الجنة (فاخرجهما مما كانا فيه) يعنى من النعيم (وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوّاء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة فى فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لايعلمون (وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى مافيها من النعيم قال لوأن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد (وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحوّاء وهما لايعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا مايبكيك قال أبكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ماأنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين فاغترّا وماظنا أن احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوّاء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها (قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لاتنال العيش فيها الانكدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم دوسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد (وفى رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله تعالى ياآدم ماحملك على ماصنعت قال يارب زينته لى حوّاء قال فانى اعقبتها ان لاتحمل الا كرها ولاتضع الا كرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حوّاء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك (والرنة الصوت* فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) اى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحوّاء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوّاء بجدة والابليس بالابلة

هو الذى يجد ذلك الشئ فى نفسه خفيفا قليل الوزن والقدر فهم يستخفون النورانيين لخفة النور عندهم اذ بالنور يعرف قدر النور ورجحان الظلمة فيهم اووا الى الكفار والفوهم (الله يستهزئ بهم) اى يستخفهم لان الجهة التى هم بها ناسبوا الحضرة الآلهية فيهم خفيفة ضعيفة فبقدر مافنيت فيهم الجهة الآلهية ثبتوا عند انفسهم كما ان المؤمنين بقدر مافنيت فيهم انيتهم النفسانية وجدوا عند الله شتان بين المرتبتين (ويمدّهم) فى ظلماتهم البهيمية والسبعية التى هى الصفات الشيطانية والنفسانية بتهيئة موادها واسبابها التى هى مشتهياتهم ومستلذاتهم واموالهم ومعايشهم من الدنيا التى اختاروها بهواهم فى حالة كونهم متحيرين (فى طغيانهم يعمهون) والعمه عمى القلب وطغيانهم التعدّى عن حدّهم الذى كان ينبغى ان يكونوا عليه وذلك الحدّ هو الصدر اى وجه القلب الذى يلى النفس كان الفؤاد وجهه الذى يلى الروح فانه متوسط بينهما ذو وجهين

من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدو) يعنى العداوة التى بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عزوجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التى بين ذرية آدم والحية (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ماسالمنا هن منذحار بناهن(أخرجه أبوداود(وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس منى وفى رواية اقتلوا الكبار كلها الاالجان الابيض الذى كأنه قضيب فضة (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان(وفى رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم فى الارض مستقر) أى موضع قرار (ومتاع) أى بلغة ومستمتع (الى حين) الى وقت انقضاء آجالكم * قوله عز وجل (فتلقى آدم) أى فتلقن والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم (وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أى كانت سبب توبته (وقيل ان تلك الكلمات هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية(وقيل هى لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسى فاغفرلى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسى فارحمنى انك انت أرحم الراحمين (وقيل قال آدم يارب أرأيت ماأتيت أشئ ابتدعته من تلقاء نفسى أم شئ قدرته على قبل أن تخلقنى قال بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفرلى وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفرلى ذنوبى فاوحى الله تعالى اليه ياآدم قد غفرت لك ذنوبك (وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى (وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء (قال ابن عباس بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما (وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث اخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) اى فتجاوز عنه وغفرله (واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه (ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل (أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم فى المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى(انه هو التواب) اى الرجاع على عباده بقبول التوبة(والتواب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عباده (الرحيم) اى بخلقه (وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم

اليهما والوقوف على ذلك الحد هو التعبد با وامر الله تعالى ونواهيه مع التوجه اليه طلبا للتنور ليستنير ذلك الوجه فتتنور به النفس كما ان الوقوف على الحد الآخر هو تلقى المعارف والعلوم والحقائق والحكم والشرائع الآلهية لتنقش بها الصدر فتتزين به النفس فالطغيان هو الانهماك فى الصفات النفسانية البهيمية والسبعية والشيطانية واستيلاؤها على القلب ليسود ويعمى فتتكدر الروح (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى اختاروا الظلمة والاحتجاب عن طريق الحق الذى هو الدين اوعن الحق فان الضلالة تقسم بازاء الهداية بالنور الاستعدادى الاصلى (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) اذ كان رأس مالهم من عالم النور والبقاء ليكتسبوا به مايجانسه من النور الفيضى الكمالى بالعلوم والاعمال والحكم والمعارف والاخلاق والملكات الفاضلة فيصيرون اغنياء فى الحقيقة مستحقين للقرب والكرامة والتعظيم والوجاهة عندالله فاربحوا

(قلنا اهبطوا منها جميعا) يعني هؤلاء الاربعة (وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض (وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض (والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم مني هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحوّاء كأنه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع (وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعني يا ذرية آدم اما يأتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) يعني فيما يستقبلهم (ولاهم يحزنون) اى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولاهم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) اى جحدوا (وكذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن (اولئك اصحاب النار) اى يوم القيامة (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها * قوله عز وجل (يابني اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب (اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) اى اشكروا نعمتي وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان * ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير * ثم ان النعم ثلاثة . نعمة تفرد بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه . ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى . ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة (فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها (قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد انعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها (وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (واوفوا بعهدي) اى امتثلوا امري (اوف بعهدكم) اى بالقبول والثواب * واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهدا * وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص بعض التكليف دون بعض * وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لأكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم * وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوّة يعني شريعة التوراة * وقيل هو قوله واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله * وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان . وذلك ان العهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدّق النور الذي يأتي به

بكسبها * وضاعت الهدية الاصلية التي كانت بضاعتهم ورأس مالهم بازالة استعدادهم وتكدر قلوبهم بالرين الموجب للحجاب والحرمان الابدي فخسروا بالخسران السرمدي اعاذنا الله من ذلك (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله) اى صفتهم في النفاق كصفة المستوقد للاضاءة الذي اذا اضاءت ما حوله من الاشياء القريبة منه خمدت ناره وبقي متحيرا لان نور استعدادهم بمنزلة النار الموقدة واضاءتها ما حولهم هي اهتداؤهم الى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيدة بالنسبة اليهم وصحبة المؤمنين وموافقتهم في الظاهر وخمودها سريعا انطفاء نورهم الاستعدادي وسرعة زوال ما تمتعوا به من دنياهم ووشك انقضائه (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات) الاستعدادي بامدادهم في الطغيان * وخلاهم محجوبين عن التوفيق في ظلمات صفات النفس (لا يبصرون) بصر القلب وجه المخرج ولا

غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعنى امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياى فارهبون) اى فخافون فى نقضكم العهد (وآمنوا بما انزلت) يعنى بالقرآن (مصدّقا لما معكم) يعنى ان القرآن موافق لما فى التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبى صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فى التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولاتكونوا اول كافر به) الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولاتكونوا يامعشر اليهود اول من كفر به (فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم (قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس (وقيل معناه ولاتكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولاتشتروا) اى ولاتستبدلوا (بآياتى) اى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا من الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذى لاقيمة له والذى كانوا ياخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلذا قال الله تعالى ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم فى كل سنة شيا معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر (واياى فاتقون) اى فخافون فى امر محمد صلى الله عليه وسلم * والتقوى قريب من معنى الرهبة . والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب . والتقوى جعل النفس فى وقاية مما تخاف * قوله عز وجل (ولاتلبسوا الحق بالباطل) اى ولاتكتبوا فى التوراة ماليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم (وقيل معناه ولاتخلطوا الحق الذى انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغيير صفته (وقيل لاتخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل اى بصفة الدجال * وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وانتم تعلمون) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى مرسل * وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا فى الصورة لكنه عام فى المعنى فعلى كل احد ان لايلبس الحق بالباطل ولايكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد * وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (واقيموا الصلاة) يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها (وآتوا الزكاة) اى ادوا الزكاة المفروضة عليكم فى اموالكم (واركعوا مع الراكعين) اى صلوا مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة

مايفهم من المعارف لكن تنطفئ ناره وهو فى تيه بين اشغال واسباب (صمّ بكم عمى) بالحقيقة لاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذى به تسمع الحق وتنطق به وتراه وفى الظاهر لعدم فوائدها لانسداد الطرق من تلك المشاعر الى القلب لمكان الحجاب فلم يصل اليها نور القلب ليحتظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا (فهم لايرجعون اوكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) الى الله لوجود السدّين المضروبين على قلوبهم المذكورين فى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدّا ومن خلفهم سدّا وفائدة التشبيه تصوير المعقول بصورة المحسوس ليتمثل فى نفوس العامّة * ثم شبههم ثانيا بقوم اصابهم مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فالمطر هو نزول الوحى الآلهى ووصول امداد الرحمة اليهم ببركة صحبة المؤمنين وبقية استعدادهم مما يفيد قلوبهم ادنى لين وحصول العلم الظاهرة لهم بموافقتهم فى الظاهر * والظلمات هى الصفات النفسانية

ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود * وفيه حث على اقامة الصلاة فى الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين فى الجماعة * قوله عزوجل (اتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم (والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات (نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق (وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركى العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه (وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون انفسكم) اى وتعدلون عما فيه نفع * والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم (والمعنى اتتركون انفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وانتم تتلون الكتاب) يعنى تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم (افلا تعقلون) يعنى انه حق فتتبعونه * والعقل قوة تهيء قبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول على ابن ابى طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

* واصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه فى المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون (وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تغير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان مالك الم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه (قوله فتندلق اى تخرج (اقتاب بطنه اى امعاء بطنه واحدها قتب (وروى البغوى بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه * وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

والشكوك الخيالية والوهمية والوساوس الشيطانية مما تحيرهم وتوحشهم * والرعد هو التهديد الالهى والوعيد القهرى الوارد فى القرآن والآيات والآثار المسموعة والمشاهدة مما تخوفهم فيفيد أدنى انكسار لقلوبهم الطاغية وانهزام لنفوسهم الآبية * والبرق هو اللوامع النورية والتنبهات الروحية عند سماع الوعد وتذكير الآلاء والنعماء مما يطمعهم ويرجيهم فيفيدهم أدنى شوق وميل الى الاجابة ومعنى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) يتشاغلون عن الفهم بالملاهى والملاعب عن سماع آيات الوعيد ولكن لا ينجع فيهم فيقطعهم عن اللذات الطبيعية بهم الآخرة اذ الانقطاع عن اللذات الحسية هو موتهم والله قادر عليهم قاطع اياهم عن تلك اللذات المألوفة بالموت الطبيعى قدرة المحيط بالشيء الذى لا يفوته منه فلا فائدة لحذرهم (يكاد البرق) أى اللامع النورى (يخطف

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

* قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به (وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبنى اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين (فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر اى بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال (وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله (وقيل على مايشغلكم من انواع البلاء (وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصى (وقيل بالصبر على اداء الفرائض (وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اى اجمعوا بين الصبر والصلاة (وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى مايجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ماسواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اى اذا اهمه امر لجأ الى الصلاة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو فى سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعنى الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) اى ثقيلة (الاعلى الخاشعين) يعنى المؤمنين . وقيل الخائفين . وقيل المطيعين المتواضعين لله (واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة . وقيل الخشوع الضراعة واكثر ماتستعمل فى الجوارح (وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لايرجو لها ثوابا ولايخاف على تركها عقابا فهى ثقيلة عليه واما الخاشع الذى يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهى سهلة عليه (الذين يظنون) اى يستيقنون وقيل يعلمون (انهم ملاقو ربهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة (وانهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزيهم باعمالهم * قوله عزوجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وانى فضلتكم على العالمين) يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) اى واخشوا عذاب يوم (لاتجزى) اى لا تقضى (نفس عن نفس شيأ) يعنى حقا لزمها وقيل معناه لاتنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولاترد عنها شيأ مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه (ولاتقبل منها شفاعة) اى فى ذلك اليوم والمعنى لاتقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة *وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولاتقبل منها شفاعة . وقيل

(ان)

ابصارهم) اى عقولهم المحجوبة بالنعاس عن نور الهداية والكشف اذ العقل بصر القلب (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اى ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى (واذا أظلم عليهم قاموا) أى ثبتوا على حيرتهم فى ظلمتهم (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) لطمس أفهامهم وعقولهم ومحو نور استعدادهم كما للفريق الاول فلم يتأثروا بسماع الوحى أصلا (ان الله على كل شئ قدير) الشئ الموجود الخارجى الواجب والممكن والموجود الذهنى الممكن والممتنع اذ اللاشئ هو المعدوم الصرف الذى ليس فى الذهن ولا فى الخارج لكن تعلق القدرة به خصصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والممتنع بدليل العقل هذا آخر الكلام فى الاصناف السبعة على سبيل الاجمال * وفصل بين فريق الاشقياء وأوجز ذكر الفريق الاول وأعرض عنهم اذ الكلام فيهم لا يجدى * وبالغ فى ذكر الفريق الثانى وذمهم وتعبيرهم

ان طاعة المطيع لاتقتضي عن العاصي ما كان واجبا عليه . وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لايقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) اى فدية وهو مماثلة الشئ بالشئ (ولاهم ينصرون) اى لايمنعون من العذاب ❊ قوله عزوجل (واذ نجيناكم) اى واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعتده نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم (من آل فرعون) اى من اتباعه واهل دينه (وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد ابن مصعب ابن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) اى يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) اى اشد العذاب واسوأه (وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال اصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن فى عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا اصنافا فى اعمال فرعون فذو والقوة يسلخون السوارى من الجبال حتى تقرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه (وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب مابعده وهو قوله عزوجل (يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء وذلك ان فرعون رأى فى منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل فى طلب موسى اثنى عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع فى بنى اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لايذبح فيها وولد موسى فى السنة التى يذبح فيها (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) اى اختبار وامتحان . والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة ❊ قوله عزوجل (واذ فرقنا بكم البحر) اى فصلنا بعضه من بعض وجعلناه فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه

❊ (ذكر سياق القصة) ❊

وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه ان يسرجوا فى بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلى القبط لتبقى لهم اوليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان فى القبط من بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل وكل ولد زنا كان فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكرى لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال

وتقبيح صورة حالهم وتهديدهم وايعادهم وتهجين سيرهم وعاداتهم لامكان قبولهم للهداية وزوال مرضهم العارض واشتعال نور قرائحهم بمدد التوفيق الآلهى عسى التقريع يكسر اعواد شكائمهم والتوبيخ يقلع أصول رذائلهم فتزكى بواطنهم وتتنور قلوبهم بنور الارادة فيسلكوا طريق الحق ولعل موادعة المؤمنين وملاطفتهم اياهم ومجالستهم معهم تستميل طباعهم فتهيج فيهم محبة ماوشوقا تلين به قلوبهم الى ذكر الله وتنقاد به الى نفوسهم لامر الله فيتوبوا ويصلحوا كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) ثم لما فرغ

لاخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى فى بنى اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لايعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا مابين رجل وامرأة فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لايخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرنى به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولى فكان يمر الرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارأيتك ان دللتك على قبره اتعطينى كل ماسألتك فأبى عليها وقال حتى اسأل ربى فأمره ان يعطيها سؤالها فقالت انى عجوز لااستطيع المشى فاحملنى معك واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا واما فى الآخرة فأسألك ان لاتنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه فى النيل فى جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببنى اسرائيل هو فى ساقتهم وهرون فى مقدمتهم ثم خرج فرعون فى طلبهم فى الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات (وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون فى الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون فى سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف الف ناشب ومائة الف الف حواب ومائة الف الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون فى جنوده فبقوا متحيرين وقالوا ياموسى اين ماوعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ياابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لايرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فانجيناكم) يعنى من فرعون (واغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى ادرك عبيدى الذين ابقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا (وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى اثرها ولم يملك فرعون من امره شيأ واقتحمت الخيول خلفه فى البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول

من ذكر السعداء والاشقياء دعاهم الى التوحيد وأوّل مراتب التوحيد توحيد الافعال فلهذا علق العبودية بالربوبية ليستأنسوا برؤية النعمة فيحبوه كما قال فخلقت الخلق وتحببت اليهم بالنعم فيشكروه بازائها اذ العبادة شكر فلا تكون الا فى مقابلة النعمة * وخصص ربوبيته بهم ليخصوا عبادتهم به وقصد رفع الحجاب الاول من الحجب الثلاثة التى هى حجب الافعال والصفات والذات ببيان تجلى الافعال لان الخلق فى الثلاثة كلهم محجوبون عن الحق بالكون مطلقا فنسب انشاؤهم وانشاء ماتوقف عليه وجودهم من المبادى والاسباب والشرائط كمن قبلهم من الآباء والامهات وجعل الارض فراشا لهم لتكون مقرهم ومسكنهم وجعل السماء بناء اظلالهم وأنزل الماء من السماء وأخرج النبات به من الارض ليكون رزقا لهم الى نفسه لعلهم يتقون نسبة الفعل الى غيره فيتنزهون عن الشرك فى الافعال عند مشاهدة جميعها من الله ولهذا ذكر نتيجة هذه المقدمات بالفاء فقال (فلا تجعلوا لله

الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم فى البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج فأمر الله البحران يأخذهم فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين وكان بين طرفى البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمر اى من بنى اسرائيل فذلك قوله (وانتم تنظرون) يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى * قوله عزوجل (واذواعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجئ الميقات (موسى) اسم عبرى معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمى موشى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمى موسى (اربعين ليلة) اى انقضاء اربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء

* (ذكر القصة فى ذلك) *

قال العلماء لما انجى الله بنى اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات ربى لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هرون فلما جاء الموعد اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لايصيب شيأ الاحي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرا وقيل كرمان وقيل من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر فى الحال فقال فى نفسه ان لهذا لشأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقى فى روعه انه اذا القى فى شئ حيي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقى اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنواسرائيل قد استعار واحليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة لاتحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هرون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى اخذها السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التى اخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى اى فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنواسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت

أندادا وانتم تعلمون) ماذكرنا من المقدمات كأنه قال هو الذى فعل هذه الافعال فلا تحق العبادة الا له ولاتنبغى ان تجعل لغيره فلا تجعلوا له ندا بنسبة الفعل اليه فيستحق ان يعبد عندكم فتعبدوه مع علمكم بهذا فعبادتهم انما هى للصانع وربهم هو المتجلى فى صورة الصنع اذ كل عابد لايعبد الا ما يعرفه ولا يعرف الله الا بقدر ماوجد من الالوهية فى نفسه وهم ماوجدوا الا الفاعل المختار فعبدوه وغاية هذه العبادة الوصول الى الجنة التى هى كمال عالم الافعال فالله مهد لهم اراضى نفوسهم وبنى عليها سموات ارواحهم وانزل من تلك السموات ماء علم توحيد الافعال فاخرج به من تلك الارض نبات الاستسلام والاعمال والطاعات والاخلاق الحسنة ليرزق قلوبهم منها ثمرات الايقان والاحوال والمقامات كالصبر والشكر والتوكل * ولما اثبت التوحيد استدل على اثبات النبوة ليصح بهما الاسلام فانه لايصح الابالشهادتين لان مجرد التوحيد هو الاحتجاب

التلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قدمات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الاهرون مع اثنى عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعنى الها (من بعده) اى من بعد موسى (وانتم ظالمون) اى وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم) اى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) اى من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) ان لكى تشكروا عفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافات النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى انعمت على النعم السوابغ وامرتنى بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه ياموسى تعلمت العلم الذى لا فوقه علم حسبى من عبدى ان يعلم ان مابه من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لايعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك الاحسان والافضال * قوله عز وجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق وبين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو واصلية (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعنى الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) يعنى انها تعبدونه فكانهم قالوا مانصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) اى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) يعنى ليقتل البرئ منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لايعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لاتتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لاتتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لايقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى ان يقتل التائب من الردة اما عاما فى حق الكل او خاصا فى حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لابد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته اومد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر السيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلا يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لايبصر بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتلى

بالجمع عن التفصيل وهو وهو محض الجبر المؤدى الى الزندقة والاباحة ومجرد اسناد الفعل والقول الى الرسول احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدر المؤدى الى المجوسية والثنوية والاسلام طريق بينهما بالجمع بين قولنا لا اله الا الله وبين قولنا محمد رسول الله واعتقاد مظهريته لافعاله تعالى فان افعال الخلق بالنسبة الى افعال الحق كالجسد بالنسبة الى الروح فكما ان مصدر الفعل هو الروح ولايتم الا بالجسد فكذلك مبدأ الفعل هو الحق ولايظهر الا بالخلق ولابد من الرسالة لان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لايمكنهم تلقى المعارف من ربهم فيجب وجود واسطة يجانس بروحه الشاهدة الحق بالحضرة الالهية وبنفسه المخالطة للخلق الرتبة البشرية ليتلقى قلبه من روحه الكلمات الربانية ويلقى الى نفسه القدسية ويقبل منه الخلق برابطة الجنسية فقال وان كنتم فى ريب مما

دعا موسى وهرون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنواسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه * فذلك قوله عزوجل (فتاب عليكم) اى فعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه * قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) اى لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا وذلك ان الله عزوجل امر موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه واسمعهم الله تعالى انى انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فاخذتكم الصاعقة) قيل هى الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها* وقيل ان الصاعقة هى سبب الموت واختلفوا فى ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسيسهم فخروا صعقين (وانتم تنظرون) اى ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول الهى ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) اى احييناكم (من بعد موتكم) اى لتستوفوا بقية آجالكم وارزاقكم ولو انهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالكم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) * قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعنى فى التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم فى التيه شئ يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وانزلنا عليكم المن والسلوى) اى فى التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شئ كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شئ انبته الله من غير سعى احد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لانه يقطر ماؤها بحتا فى العين

(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله) اى فى تنزيلنا على محمد فتشكوا فى حقية نبوته فروزوا قواكم البشرية واحرزوا عقولكم المحتنكة بالقياس المحجوبة عن نور الهداية وافكاركم الدربة بتركيب الكلام ونظم المعانى وانتم ومن حضركم من ابناء جنسكم هل تقدرون على الاتيان بسورة اى طائفة من الكلام مثله (ان كنتم صادقين) فى نسبته الى محمد (فان لم تفعلوا) فاذعنوا واسلموا وآمنوا واتركوا العناد المفضى بكم الى النار فحذف الملزوم الذى هو الايمان او الاسلام واقام لازمه الذى هو اتقاء النار مقامه ليكون ادل على ان الانكار موجب لدخول النار وحصول العذاب لهم وقوله (ولن تفعلوا فاتقوا النار التى) اعتراض على طريق الاخبار بالغيب للعلم بامتناع عقول المحجوبين عن مثله والمراد بالنار احتراقهم بثورة نفوسهم وشرر طباعهم المصروفة عن الروح القدسى الروحانى

وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا ياموسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى هو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل ياخذ مايكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة ياخذ مايكفيه اليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ (كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) اى حلالات (مارزقناكم) اى ولاتدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير (وماظلمونا) اى ومابخسوا حقنا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى بأخذهم اكثر مماحد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلامؤنة ولاتعب فى الدنيا ولاحساب فى العقبى ❊ قوله عزوجل (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى اريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح اريحاء بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه. وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية اريحاء قال ادخلوا من اى باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) اى حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لااله الاالله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) اى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعنى ثوابا (فبدل) اى فغير (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى قالوا قولا غير ماقيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطانا سمقاثا اى حنطة حمراء وذلك استهزاء منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى عذابا من السماء قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا (بما كانوا يفسقون) اى يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى ❊ قوله عزوجل (واذا ستسقى موسى لقومه) اى طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق. وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) قال

والنسيم الذوق الروحانى المحرومة عن لذة برد اليقين وسلامة دار القرار المقطوعة بالمألوفات الحسية واللذات البدنية الممنوعة عما ضريت به والفته مع بقاء حنينها اليه وولهها ورسوخ هيئات التعلق بالامور السفلية ومحبة الاجساد الارضية فيها التى هى سبب استيقاد نيرانها ولهذا قال (وقودها الناس والحجارة) اى الامور الجاسية السفلية الصامتة التى تعلقوا بها بالمحبة فرسخت صورها فى انفسهم وسجنت نفوسهم بميلهم اليها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء يحشر مع من حب حتى لو احب احدكم حجرا حشر معه وكيف لاوقد ركزت صورته فى نفسه بالمحبة بحيث صار صورة قلبه صورته واعلم ان حرارة النار تابعة لصورتها النوعية التى هى روحانيتها وملكوتها والاساوت سائر الاجسام فى خواصها وتلك الروحانية شرر من نار قهر الله المعنوية بعد تنزلها فى مراتب كثيرة كتنزلها فى مرتبة النفس بثورة الغضب

وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا . وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام . قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه . وقيل كان للحجر اربعة وجوه كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين . وقيل كان من الرخام . وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة . وقيل هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فأتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعنى على عدد اسباط بنى اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت . قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد . وقيل انبجست اى عرقت وانفجرت اى سالت (قد علم كل اناس مشربهم) اى موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) اى قلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العيث اشد الفساد * فى هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ماروى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم اعظم من انفجاره من الحجر * قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة (فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد (قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها فى كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) اى فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة اولانهم ملوا من البقاء فى التيه فسألوا هذه الاطعمة التى لا توجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة (قال) يعنى موسى (اتستبدلون الذى هو ادنى) اى الذى هو اخس واردأ وهو الذى طلبوه (بالذى هو خير) يعنى بالذى هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعنى ان ابيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار . وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ماسألتم) يعنى من نبات الارض (وضربت عليهم الذلة) اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان . وقيل الذلة الجزية وزى اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) اى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود (وباؤا) اى رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من الله) وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه (ذلك) اى الغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله)

اذ ربما تؤثر ثورة الغضب فى احراق الاخلاق ما لا تؤثر النار فى الحطب ومن هذا يعلم ان كل مسخن لا يجب ان يكون حارا واذا كانت النار الجسمانية اثر النار الروحانية فلا جرم ان ايلامها اشد وادوم من ايلام هذه النار كيف وكل قوة جسمانية متناهية دون القوى الروحانية ولهذا المعنى يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها (اعدت للكافرين) المحجوبين عن الدين لانقطاعهم دون مرادهم (وبشر الذين آمنوا) بالصانع (وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار) وعملوا ما يصلحهم للجنة بمقتضى علمهم بتوحيد الافعال ان لهم مراداتهم ومشتهياتهم فوق ما تصوروا وتمنوا التنكير الجنات والجنات الجارية من تحتها الانهار ابهى والطيب ما يكون من مقام والذ واحلى ما يكون من مرام لاهل الدنيا فهى لنفوسهم من جنس جنات الدنيا واصفى منها بحسب المعاد الجسمانى فانه حق كما ستعلم

اى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التى فى التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبى معناه المخبر من انبأ ينبئ . وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) اى بغير جرم (فان قلت قتل الانبياء لايكون الا بغير حق فما فائدة ذكره (قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور . روى ان اليهود قتلت سبعين نبيا فى اول النهار وقامت الى سوق بقلها فى آخره وقتلوا زكريا ويحيي وشعياء وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) اى ذلك القتل والكفر بما عصوا امرى (وكانوا يعتدون) اى يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اى ملنا اليك . وقيل هادوا اى تابوا عن عبادة العجل . وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله . وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح نزلها (والصابئين) اصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب . قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب . وقال ابن عباس لاتحلّ ذبائحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤسهم * وقيل هم قوم يقرّون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلوّن الى الكعبة اخذوا من كل دين شيأ * والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هى التى تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال فى اول الآية ان الذين آمنوا وقال فى آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص آخرا (قلت اختلف العلماء فى حكم الآية فلهم فيه طريقان . احدهما انه اراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا فى زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابى ذر الغفارى وسلمان الفارسى فمنهم من ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم . وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية . وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعنى فى زمن استقامة امرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان فى اول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك . وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقى صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى وثبتوا على ذلك فى المستقبل

(وهو)

(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) فى الدنيا فانها مالوفهم (وأتوا) بالرزق (متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) ولقلوبهم هى مقاماتهم كالتوكل مثلا وروضات عالم القدوس التى تنشأ من كل مرتبة منها انهار علوم تنبع السالكين تنفع علة المتعطشين المشتاقين والثمرات هى الحكم والمعارف وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى ان تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التجرّد فاحتجبت عنها بالتوغل فى الامور الطبيعية عند التعلق فنسيتها ثم تذكرت حين تجرّدت عن ملابسها لقوله عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن والازواج لنفوسهم الحور العين المطهرة عن الطمث والفواحش ولقلوبهم النفوس القدسية المطهرة عن دنس الطبائع وكدر العناصر ولا جنة لارواحهم لاحتجابهم عن المشاهدة (انّ الله لا يستحيي) لا يمتنع امتناع المستحيي (ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)

وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) اى فى ايمانه (فلهم اجرهم عند ربهم) اى جزاء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى فى الآخرة * قوله عز وجل (واذ اخذنا ميثاقكم) اى عهدكم يامعشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعنى الجبل العظيم * قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم . وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا بأحكامها فأبوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار يعنى الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قد قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا مافى التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) اى قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) اى ما اعطيناكم (بقوّة) اى بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) اى ادرسوا مافيه (لعلكم تتقون) اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لايسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) اى اعرضتم (من بعد ذلك) اى من بعد ماقبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) اى بالامهال (لكنتم من الخاسرين) اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى * قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) اى جاوزوا الحد (فى السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع

* (ذكر الاشارة الى القصة) *

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لايرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولايقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها . وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول فصيحتهم قالوا والله لانساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذاهم جميع قردة لهم اذناب وهم يتعاوون * وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا

اذ الكافر عنده احقر من بعوضة والدنيا من جناحها كما نطق به الحديث (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) لمناسبة الممثل به للممثل له (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ومايضل به الا الفاسقين) الذين خرجوا من مقام القلب الى مقام النفس ومن طاعة الرحمن الى طاعة الشيطان وهم الفريق الثانى من الاشقياء الفريق الاوّل فانهم ضالون فى نفس الامر على اىّ حال كان لابه ولا بسبب آخر واضلالهم به مسبب عن فسقهم فى الحقيقة اذ ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية وهى زيادة عنادهم ونكارهم وحقدهم وغلبة صفات نفوسهم على قلوبهم بور ود القران فيزيدهم بعدا وظلمة على ظلمة (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون) هو الذى اشار اليه فى قوله واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

قردة خاسئين) امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) اى عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم • وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التى كانت عامرة فى الحال وما خلفها اى ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهى الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

* (ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك) *

قال علماء السير والاخبار انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسأل موسى ربه فى ذلك فأمره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) اى نحن نسألك امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعنى موسى (اعوذ بالله) اى امتنع بالله (ان اكون من الجاهلين) اى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اى بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان فى ذلك حكمة الله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بنى ان اباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بآله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبنى فانه اهون عليك فقال الفتى ان امى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا

ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وقد ورد فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده واخرج ذريته منه كهيئة الذر الحديث فيد الله هو العقل الاقدس والروح الاول الذى هو روح العالم المسمى بيمين الرحمن وآدم هو النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره اياها بنوره بالاتصال الروحانى واخراج ذريته منه ايجاد النفوس الشخصية الجزئية التى كانت فيها بالقوة واخراجها الى الفعل وعهد الله اليهم بقوله الست بربكم ايداع علم التوحيد فى ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركز ادلة التوحيد فى عقولهم والزام ذلك العلم اياهم وجعله من اللوازم الذاتية لهم بحيث اذا تجردوا عن الصفات النفسانية والغواشى الجسمانية تبين لهم ذلك وانكشف عليهم اظهر شئ وابينه وهو اشهادهم على انفسهم لكون ذلك العلم ضروريا حينئذ واجابتهم لذلك بقولهم بلى قبولهم الذاتى له ونقض ذلك

ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا امى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا امى ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاى فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال له استأمرت امك فقال الفتى نعم انها امرتنى ان لا انقصها عن ستة على رضاها فقال الملك انى اعطيتك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ماسنها (قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) اى لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التى لم تلد والبكر الفتية التى لم تلد (عوان) اى نصف (بين ذلك) اى بين السنين (فافعلوا ماتؤمرون) اى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك (تسر الناظرين) اى يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى سائمة او عاملة (ان البقر تشابه علينا) اى التبس واشتبه امرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) اى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) اى ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) اى ليست بسانية والسانية هى التى تستقى الماء من البئر لسقى الارض (مسلمة) اى بريئة من العيوب (لا شية فيها) اى لا لون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) اى بالبيان التام الذى لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) اى وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا ❊ قوله عز وجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن عباس اى اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج ماكنتم تكتمون) اى مظهر ماكتمتم من امر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعنى القتيل (ببعضها) اى ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها الايمن والاقرب انهم كانوا مخيرين فى ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باى جزء منها اجزأ وحصل المقصود وانه ليس فى القرآن مايدل على ذلك البعض ماهو وذلك يقتضى التخيير وفى الآية اضمار تقديره فضربوه فحيى وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط

العهد انهما كهم فى الذات البدنية والغواشى الطبيعية وتعبدهم لهواهم وشهواتهم بحيث احتجبوا بهما عن وحدة الله وتعبده وقطعهم ما امر الله بوصله اعراضهم عن اتصال روح القدس والمبادى العالية والارواح السماوية التى هى الملاء الاعلى وسكان الحضرة الآلهية من اهل الجبروت والملكوت الذين يجانسونهم بذواتهم وصفاتهم وهم اهل قرابتهم الحقيقية بتوجههم الى العالم السفلى ومحبتهم للجواهر الفاسقة المظلمة وعشقهم وشغفهم بالامور الخسيسة الفانية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب معالى الامور واشرافها ويبغض سفاسفها اذ كلما كان مطلوب النفس اخس كانت عن العالم الشريف ابعد * ضروب الناس عشاق ضروبا * فاعذرهم اشقهم حبيبا * وقدمر تفسير الافساد فى الارض والخسران الذى هو تضييع الجوهر النورى الباقى لاجل الظلمانى الفانى (كيف تكفرون بالله) اى على أى حال تحجبون عنه (و) الحال

ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ماورث قاتل بعد صاحب البقره (كذلك) اى كما احيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيي الموتى) يعنى يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) اى تمنعون انفسكم عن المعاصى (فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب (قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بنى اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فى نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر ومايتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل (فان قلت مافائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ (قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احيي القتيل عند ماضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك (فان قلت هلا امروا بذبح غير البقرة (قلت الكلام فى غير البقرة لو امروا به كالكلام فى البقرة * ثم فى ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ماكانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة فى تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذى اخذه صاحبها من ثمنها

* (فصل فى حكم هذه المسئلة فى شريعة الاسلام اذا وقعت) * وذلك انه اذا وجد قتيل فى موضع ولايعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعى بان اجتمع جماعة فى بيت اوصحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم اووجد قتيل فى محلة اوقرية وكلهم اعداء القتيل لايخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولى على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولاقود عليه فى قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحد فان لم يكن ثمه لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى انه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند ابى حنيفة لاحكم للوث ولايبدأ بيمين المدعى بل اذا وجد قتيل فى محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ماقتلوه ولايعرفون له قاتلا فان حلفوا والا اخذ الدية من سكانها * والدليل على ان البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ماروى عن سهل بن ابى حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهى يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط فى دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون

انكم (كنتم امواتا) نطفا فى اصلاب آبائكم (فاحياكم) اى لم لاتستدلون بالخلق على الخالق (ثم يميتكم) بالموت الطبيعى (ثم يحييكم) بالبعث اذ الاول معلوم بالمشاهدة والثانى بالاستدلال عليه بالانشاء الاول (ثم اليه ترجعون) للمجازاة اوثم يميتكم عن انفسكم بالموت الارادى الذى هو الفناء فى الوحدة ثم يحييكم بالحياة الحقيقة التى هى البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقانى ثم اليه ترجعون للمشاهدة ان كانت الوحدة وحدة الصفات اوالشهود ان كانت وحدة الذات (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا) اى الجهة السفلية التى هى العالم العنصرى جميعا لكونها مبادى خلقكم ومواد وجودكم وبقائكم (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) اى قصد قصدا مستويا الى الجهة العلوية وثم للتفاوت بين الجهتين والايجادين الابداعى والتكوينى لاللتراخى بين الزمانين ليلزم تقدم خلق الارض

قاتلكم او قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين
منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية
يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين * ووجه الدليل
من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين
ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل
براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم * قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) اى
يبست وجفت * وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه * وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك)
اى من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هى اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض
البقرة (فهى) يعنى القلوب في الغلظ والشدة (كالحجارة) اى كالشئ الصلب الذى لا تخلخل
فيه (او) قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اى و (اشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم
بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب * قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد
لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط * ثم فضل الحجارة على القلب
القاسى فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر
الذى كان يضرب عليه موسى ليسقى الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء) يعنى العيون الصغار التي هى دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله)
اى ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد
منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع * فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف
يخشى * قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل
السنة ان الله تعالى اودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة
وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد
علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث وانى لاعرفه
الآن عن على قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (خ) عن
جابر بن عبد الله قال كان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع فى قبلته يقوم اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفى رواية صاحت النخلة صياح الصبى فنزل صلى الله عليه وسلم
حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت
تسمع من الذكر * قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما
الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم
وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة * قوله عز وجل (افتطمعون) خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعى الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب

على السماء * فعدلهن سبع
سموات بحسب ماتراه
العامة اذ الثامن والتاسع
هو الكرسى والعرش
الظاهران والحقيقة ان
الجهة السفلية هى العالم
الجسمانى كالبدن واعضائه
لدنو رتبته بالنسبة الى العالم
الروحانى الذى هو الجهة
العلوية المعبر عنها بالسماء
وثم للتفاوت بين الخلق
والامر وسواهن سبع
سموات اشارة الى مراتب
عالم الروحانيات فالاول
هو عالم الملكوت الارضية
والقوى النفسانية والجن
والثانى عالم النفس والثالث
عالم القلب والرابع عالم
العقل والخامس عالم السر
والسادس عالم الروح
والسابع عالم الخفاء الذى
هو السر الروحى غير
السر القلبى والى هذا
اشار امير المؤمنين عليه
السلام بقوله سلونى عن
طرق السماء فانى اعلم
بها من طرق الارض وطرقها
الاحوال والمقامات
كالزهد والتوكل والرضا
وامثالها * واعلم ان العقل
باصطلاح الحكمة هو
الروح باصطلاح اهل
التصوف والذى سميناه
هنا بالعقل على اصطلاح

للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون (ان يؤمنوا لكم) اى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب فى خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم فى افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) اى يغيرون كلام الله ويبدلونه * فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم * ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة (من بعد ما عقلوه) اى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) اى فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون * قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقى اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقى اليهود على ذلك و (قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعنى قص الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) اى ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبى حق فى كتابكم لم لا تتبعونه * وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبى حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) اى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (افلا تعقلون) اى ان ذلك لا يليق بما انتم عليه (اولا يعلمون) يعنى اليهود (ان الله يعلم ما يسرون) اى ما يخفون (وما يعلنون) اى ما يبدون وما يظهرون * قوله عز وجل (ومنهم) اى من اليهود (اميون) اى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امى وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا امانى) جمع امنية وهى التلاوة ومنه قول الشاعر

(تمنى)

المتصوفة هو القوة العاقلة التى للنفس الناطقة عند الحكماء ولهذا قالت المتصوفة العقل هو موضع صقيل من القلب متنور بنور الروح والقلب هو النفس الناطقة فاحفظه لئلا يتشوش الفهم باختلاف الاصطلاح (واذ قال ربك للملائكة) اذ اشارة الى السرمد الذى هو من الازل الى الابد والقول هو القاء معنى تعلق مشيئة الله تعالى بايجاد آدم فى الذوات القدسية الجبروتية التى هى الملائكة المقربون والارواح المجردة والملكوتية التى هى النفوس السماوية اذ كل ما يحدث فى عالم الكون له صورة قبل التكوين فى عالم الروح الذى هو عالم القضاء السابق ثم فى عالم القلب الذى هو قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ ثم فى عالم النفس اى نفس العالم الذى هو لوح المحو والاثبات المعبر عنه بالسماء الدنيا فى التنزيل كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فذلك قوله تعالى للملائكة (انى جاعل فى الارض خليفة) واعتبر بحالك

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

اى تلا كتاب الله * وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه غير عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم (وان هم الا يظنون) اى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذى وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بايديهم) تأكيد للكتابة لانه يحتمل ان يأمر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعنى هذه الصفة التى كتبوها فاذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به (ليشتروا به) اى بما كتبوا (ثمنا قليلا) اى المآكل والرشا التى كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عز وجل (وقالوا) اى اليهود (لن تمسنا) اى لن تصيبنا (النار الا اياما معدودة) اى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب * قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم فى امر فاقسم ليعذبنهم اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) اى يا محمد لليهود (اتخذتم عند الله عهدا) اى موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) اى وعده (ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار ابدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصى كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس (واحاطت به خطيئته) اى احدقت به من جميع جوانبه * قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه * وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود فى النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا * قلت اجاب بعضهم

فى نفسك فان كل ما يظهر على جوارحك التى هى عالم كونك وشهادتك من القول والفعل له وجود فى روحك التى هى ماوراء غيب غيبك ثم فى غيب غيبك ثم فى نفسك التى هى غيبك الادنى وسماؤك الدنيا ثم يظهر على جوارحك والجعل اعم من الابداع والتكوين فلم يقل خالق لان الانسان مركب من العالمين خليفة يتخلق باخلاق ويتصف باوصافى وينفذ امرى ويسوس خلقى ويدبر امرهم ويضبط نظامهم ويدعوهم الى طاعتى وانكار الملائكة بقولهم (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وتعريضهم باولويتهم لذلك بقولهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) هو احتجابهم عن ظهور معنى الالهية والاوصاف الربانية فيه التى هى من خواص الهيئة الاجتماعية والتركيب الجامع للعالمين الحاصر لما فى الكونين وعلمهم بصدور الافعال البهيمية التى هى الافساد فى الارض والسبعية المعبر عنها بسفك الدماء اللتين هما من خواص قوة الشهوة والغضب الضرورى

بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الاان قوله آمن لايفيد الاانه فعل فعلا واحدا من افعال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضى وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا اولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) يعنى فى التوراة والميثاق العهد الشديد (لاتعبدون الاالله) اى امرالله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لاغيره (وبالوالدين احسانا) اى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لايخالف امرالله تعالى ويوصل اليهما مايحتاجان اليه ولايؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف برالوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذى خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا (وذى القربى) اى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لايقدر هو ان ينتفع بنفسه ولايقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولاتكتموها قاله ابن عباس والوجه الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر * وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ماوفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) اى اعرضتم عن العهد (الاقليلا منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبدالله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد (وانتم معرضون) اى كاعراض آبائكم * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لاتسفكون) اى لاتريقون (دماءكم) اى لايسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لاتسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم (ولاتخرجون انفسكم من دياركم) اى لايخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لاتفعلوا شيأ فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم اقررتم) اى بهذا العهد انه حق

وجودهما فى تعلق الروح بالبدن وبنزاهة ذواتهم وتقدس نفوسهم عن ذلك اذ كل طبقة من الملائكة المقدسة تطلع على ماتحتها ومافى افقها ولاتطلع على مافوقها فهى تعلم انه لابد فى تعلق الروح العلوى النورانى بالبدن السفلى الظلمانى من واسطة تناسب الروح من وجه وتناسب الجسم من وجه هى النفس وهى مأوى كل شر ومنبع كل فساد ولاتعلم ان الجمعة الانسانية جالبة للنور الالهى الذى هو سر (قال انى اعلم مالاتعلمون) والفرق بين التسبيح والتقديس ان التسبيح هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص والتقديس هو التنزيه عن التعلق بالمحل وقبول الانفعال وشوائب الامكان والتعدد فى ذاته وصفاته وكون شئ من كمالاته بالقوة فالتقديس اخص اذ كل مقدس مسبح وليس كل مسبح مقدسا فالملائكة المقربون الذين هم الارواح المجردة بتجردهم وعدم احتجابهم وقهرهم ماتحتهم باقامة النور عليهم وتأثيرهم فى غيرهم وكون جميع كمالاتهم بالفعل مقدسون

(وانتم تشهدون) يعنى انتم يامعشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم انتم هؤلاء) يعنى ياهؤلاء اليهود (تقتلون انفسكم) اى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) اى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم اسارى) جمع اسير (تفدوهم) اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لايقتل بعضهم بعضا ولايخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحيى ان نذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء * قال الله عز وجل (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه ان وجدتموهم فى يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لا على الفداء لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعنى يامعشر اليهود (الا خزى فى الحياة الدنيا) اى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الاجلاء والنفى من منازلهم الى اريحاء واذرعات من ارض الشام (ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (اولئك الذين اشتروا) اى استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) اى فلا يهون عليهم (ولاهم ينصرون) اى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل (ولقد آتينا) اى اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة جملة واحدة (وقفينا) اى واتبعنا من التقفية وهو ان يقفوا اثر الآخر (من بعده بالرسل) يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم فى اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارمياء وحزقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) اى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وايدناه) اى وقويناه (بروح القدس) قيل اراد بالروح الذى

وغيرهم من الملائكة السماوية والارضية مسبحون ببساطة ذواتهم وخواص افعالهم وكمالاتهم (وعلم آدم الاسماء كلها) اى القى فى قلبه خواص الاشياء التى تعرف بها هى ومنافعها ومضارها (ثم عرضهم) اى عرض مسمياتها (على الملائكة) بشهودهم البنية الانسانية ومرافقتهم لآدم لا التنزيل ومعنى قوله (فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) ارادته لانتعاشهم ببعض معلومات الانسان باقتضاء التركيب الانسانى وتأدى محسوساته ومعلوماته المتنوعة منها والحادثة فيه بخاصة التركيب والهيئة الاجتماعية الى ذواتهم بعد مالم تكن اذ علومهم تابعة لعله وهو معنى افعالهم وتعلق ارادته بذلك امر آدم بالانباء اذ جميع القوى الانسانية والملائكة التى تحضرنه تنتعش بمالا تنتعش هى فى غير ذلك المحل وهو معنى انباء آدم اياهم ومعنى قوله (قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم) شهادة وجوداتهم بالدلالة

نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبدالله واءة الله وبيت الله * وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيي به الموتى * وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا * وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط * وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبدالله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه اى قوّيناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فأتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (افكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم) اى تعاظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكرياء ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع اغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه * قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) اى طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) اى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) اى يستنصرون به (على الذين كفروا) يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) اى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به)اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم) اى بئس شئ اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم (ان يكفروا بما انزل الله) يعنى القرآن (بغيا) اى حسدا (ان ينزل الله من فضله) يعنى الكتاب والنبوّة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) اى فرجعوا (بغضب على غضب) اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) اى يهانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما انزل الله

والسنة الحال على قصورهم عن الكمالات الانسانية وتخلفهم عن شأوها وبتنزيه الله عن فعل ما فيه مفسدة بالاجال وعلمهم بامتناع ترقيهم الى مراتبهم بكسب العلوم ادراكا لانهم مقارنة لوجوداتهم وبان علمه تعالى فوق علمهم فهو العليم المطلق والحكيم الذى لا يفعل الا ما ينبغى ولهذا (قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم) ولم يقل علمهم لان العلم المكتسب الموجود للترقى هو من خاصية الجمعية الانسانية فلا يقبل كل منها الا ما فى طباعه من جنس مدركاته لا غير وكان البصر مثلا من كثرة مبصراته لا يزيد علما ورتبة ولا يقبل الا ما هو من جنس المبصرات فقط وان تكثرت عنده فكذلك حال كل قوة باطنة ومعنى (قال الم اقل قال لكم انى اعلم غيب السموات والارض) تقريره فى طباع الملائكة ان الله تعالى يعلم ما لا يعلمون من غيب السموات والارض الذى هو سر المعرفة والمحبة المودع فى الانسان الذى استأثر الله بعلمه (واعلم ما تبدون) من علمكم بمفاسد

(قالوا نؤمن بما انزل علينا) يعني التوراة وما انزل على انبيائهم (ويكفرون بما وراءه) اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعني القرآن (مصدقا لما معهم) يعني التوراة (قل) يامحمد (فلم تقتلون انبياء الله من قبل) انما اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها (ان كنتم مؤمنين) اى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء * قوله عزوجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وانتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيد الحجة عليهم (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) اى استجيبوا واطيعوا اى فيما امرتم به (قالوا سمعنا) يعني قولك (وعصينا) يعني امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) اى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذرى فى النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) اى بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يامحمد لليهود (ان كانت لكم الدار الآخرة) يعني الجنة (خالصة) لكم (من دون الناس فتمنوا الموت) اى فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه ومابقى على وجه الارض يهودى الامات قال الله تعالى (ولن يتمنوه ابدا) اى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت ايديهم) يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكانوا اولى به (ولتجدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يامحمد يعني اليهود (احرص الناس على حياة) اى حياة متطاولة والحرص اشد الطلب (ومن الذين اشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا * فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر * قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لايؤمنون بالمعاد ولايعرفون الا الحياة الدنيا لايستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس (يود احدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اى يتمنى احدهم (لو يعمر الف سنة) اى تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود

الانسان (وما كنتم تكتمون) من ترجيحكم ذواتكم عليه لنزاهتها وتقدسها (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاوعتهم وتسخرهم له (فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر) وابليس هو القوة الوهمية لانها ليست من الملائكة الارضية الصرفة المحجوبة عن ادراك المعانى بادراك الصور فيذعن بالقهر مطاوعة لامر الله ولا من السماوية العقلية فتدرك شرف آدم وتوافق عقله فيذعن بالمحبة طائعا لرضا الله وكان جنيا اى من جملة الملكوت السفلية والقوى الارضية نشأ وتربى بين ظهور الملائكة السماوية لادراكه المعانى الجزئية وترقيه الى الافق العقلى ولهذا كان فى الحيوانات العجم بمنزلة العقل فى الانسان واباؤه عدم انقياده للعقل وامتناعه لقبول حكمه واستكباره تفوقه على الخلقة الطينية والملائكة السماوية والارضية بعدم وقوفه على حده من ادراك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعديه عن طوره بخوضه فى

لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزارسال اى عش الف سنة اوالف نير وزاوالف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) اى بمباعده (من العذاب) اى النار (ان يعمر) اى لو عمر طول عمره لاينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) اى لا يخفى عليه خافية من احوالهم * قوله عز وجل (قل من كان عدوّا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن صوريا حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدوّنا ولوكان ميكائيل لآمنابك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اى حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية * وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوّة فينا لجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما مافى اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجئ بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبرونى عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوّا لهما كان عدوّا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك ياعمر فقال عمر والله لقد رأيتنى بعد ذلك فى دينى اصلب من الحجر * والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (فانه نزله) يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يامحمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) اى بامره (مصدقا) اى موافقا (لما بين يديه) اى لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) اى فى القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوابها (من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) لما بين فى الآية الاولى ان من كان عدوّا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوّ الله لان الله تعالى هو الذى نزله على محمد بين فى هذه الآية ان كل من كان عدوّا لاحد هؤلاء فانه عدوّ لجميعهم وبين ان الله عدوّه بقوله (فان الله عدوّ للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذى لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه واهل طاعته

المعانى العقلية والاحكام الكلية (وكان من الكافرين) المحجوبين فى الازل عن الانوار العقلية والزوجية فضلا عن نور الوحدة (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) زوجته هى النفس وسميت حوّاء لملازمتها الجسم الظلمانىّ اذ الحيوة هى اللون الذى يغلب عليه السواد كما انّ القلب سمى آدم لتعلقه بالجسم دون الملازمة بالانطباع اذ الادمة هى السمرة اى اللون الذى يضرب الى السواد ولولا تعلقه لما سمى ادم والجنة المأمور بملازمتها اياها هى سماء عالم الروح التى هى روضة القدس اى الزما سماء الروح (وكلا منها رغدا حيث شئتما) اى توسعا وتفسحا فى تلقى معانيها ومعارفها وحكمها التى هى الاقوات القلبية والفواكه الروحية توسعا بالغا على اىّ مرتبة وحال ومقام شئتما اذ هى دائمة غير منقطعة ولا محجورة (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) الواضعين النور فى محل الظلمة الذى ليس موضعه والناقصين من نور استعداد

فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله واهل طاعته * وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم * وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين فى الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما * وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان * وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبدالله وعبدالله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (ومايكفر بها) اى ومايجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) اى الخارجون عن طاعتنا وما امروا به (اوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مااخذ عليهم من العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ماعهد الينا فى محمد عهد فانزل الله هذه الآية * اوكلما استفهام انكار. عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد اظل زمان نبى مبعوث وانه فى كتابنا. وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) اى طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بل اكثرهم لايؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عندالله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعنى مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام * وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) * قيل اراد بالكتاب القرآن * وقيل التوراة * وهو الاقرب لان النبذ لايكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن * اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولايعملون بها * وقيل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بمافيها (كأنهم لايعلمون) يعنى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة * وانما حملهم على ذلك عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك النفر قليلا * قوله عزوجل (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ماتتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر * وقيل على ملك سليمان اى على عهده وزمانه * وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ماعلم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك * وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر فى زمانه فمنعهم سليمان من ذلك واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه * فاما صلحاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه

كما وحظكما من عالم النور فان الظلم فى العرف هو وضع الشئ فى غير موضعه وفى اللغة نقص الحق والحظ الواجب (فازلهما الشيطان عنها) اى حملهما على الزلة من مقامهما الى مهوى الطبيعة عن الجنة بتسويل الملاذ الجسمانية ودوامها عليهما (فاخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والروح الدائم وقيل بينما هما يتفرجان فى الجنة اذ راعهما طاوس تجلى لهما على سور الجنة فدنت حواء منه وتبعها آدم فوسوس لهما الشيطان من وراء الجدار وقيل توسل بحية تسورا لجنة فاخذ بدنها وصعد الجنة والاول اشارة الى توسله من قبل الشهوة خارج الجنة والثانى الى توسله بالغضب وتسوره جدار الجنة اشارة الى ان الغضب اقرب الى الافق الروحانى والحيز القلبى من الشهوة (وقلنا اهبطوا) اى الزمناهم الهبوط الى الجهة السفلية التى هى العالم الجسمانى (بعضكم لبعض عدو) حال من الهبوط مقيد له اذ الهبوط الى الدنيا التى هى الجهة السفلية يستلزم كون

براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعني بالسحر ولم يعمل به* وفيه تنزيه سليمان عن السحر* وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر* وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك* وقيل ان بعض احبار اليهود قال الاتعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الاساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا* ثم بين الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا *ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر ٠ وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولايفعل الا في خفية٠ وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ماسحرك عن كذا اي ماصرفك عنه فكان الساحر لما ارى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة * واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل* ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان* وروى عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به* وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء * وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت٠ ويدل على ذلك ان الكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان مايكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان * واما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها٠ ويحرم تعلمه لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات* والسحر على قسمين ٠ احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر ويعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي * والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولايعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لايكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روى عن مالك ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت اخرجه في الموطأ * قوله عزوجل (وما انزل على الملكين) اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ماالهما وعلما* وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران

مطالبها جزئية في ضيق المادة محصورة لاتحتمل الشركة وكلما حظي بها احد حرم منها غيره فمعه فيقع بينهما العداوة والبغضاء بخلاف المطالب الكلية وجمع الخطاب لان خطابهما خطاب النوع اذالاصل يتناول الفرع (ولكم في الارض) اي في هذه الجهة (مستقر) استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) اي حين تجردهما بالموت الارادي اوانقطاع حظوظهما بالموت الطبيعي وقيام احد القيامتين الكبرى اوالصغرى (فتلقى آدم من ربه كلمات) اي استقبل من جهة ربه انوارا واطوارا اي مراتب من الملكوت والجبروت وارواحا مجردة اذ كل مجرد كلمة لانه من عالم الامر كما سمي عيسى كلمة اوتلقن منه معارف وعلوما وحقائق (فتاب عليه) تقبل رجوعه اليه بالتجرد عن الملابس الطبيعية والانخراط في سلك الانوار الملكوتية والاتصاف بالكمالات القدسية والتجلي بالعلوم الحقيقية واصل تاب عليه الق

كانا بابل * وقيل مجاز * ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر * والقراءة المشهورة بفتح اللام (فان قلت كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر (قلت قال ابن جرير الطبرى ان الله تعالى عرّف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهى معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بنى آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين الذين سماهما فى تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعليم منهما ويخزى الكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكان فى تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمد ان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمر ان باجتنابه فالشقى من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما (وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما فى ذلك الزمان فالشقى من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بنى اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى (بابل) قيل هى بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود * وقيل انها بابل نهاوند والاول اصح واشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان * وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بنى آدم الخبيثة فى زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم فى الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا * وقيل بل افتتنا فى اول يوم * وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس * وقيل كانت ملكة فلما رأياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فأبت وقال لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفى انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة * وقيل انهما سجدا للصنم (وقيل جاءتهما امرأة

الرجوع عليه وجعله راجعا ولعمرى انما هو التوبة المقبولة لا الرجوع الناشئ من قبله (انه هو التوّاب) الكثير القبول التوبة عباده (الرحيم) الذى سبقت رحمته غضبه فيرحم عبده فى عين غضبه كما جعل غضبه على آدم سبب كماله ورجوعه اليه وبعده ليقرب منه (قلنا اهبطوا منها جميعا) كرّر ذلك الامر بالهبوط ليفيد انه هو الذى اراد ذلك ولولا ارادته لما قدر ابليس على اغوائهم ولهذا اسند الاهباط الى نفسه مجرّدا عن التعليق بالسبب بعد اسناد اخراجهما الى الشيطان فهو قريب من قال لنبيه وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى فتفطن منه سرّ قضائه وقدره وبين وجه حكمة الاهباط بتعقيبه بقوله (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) واراده بالفاء اذ لولا الهبوط لما امكنهم من متابعة الهدى ولما تميز السعيد والشقىّ ولا حصل استحقاق الثواب والعقاب ولبطل دار الجزاء من الجنة والنار بل ما وجدت والهدى هو الشرع فمن تبعه

من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال هل لك ان تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه اماتعلم ماعند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اماتعلم ماعند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيالى على زوجى فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اماتعلم ماعند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اماتعلم ماعند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لى صنما اعبده ان انتما صليتما معى عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا * وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركى حتى تعلمانى اياه فقال احدهما للآخر علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا * فذهب بعضهم الى انها هى الزهرة بعينها وانكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا (قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ماحل بهما فقصدا ادريس النبى عليه السلام واخبراه بأمرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبادة مثل مايصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان. قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة. وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد. وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الاقدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت قال رجل من الناس فقالا من اى امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا اوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقددنا انقضاء عذابنا

(فصل فى القول بعصمة الملائكة) اجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء واتفق ائمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم * ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملائكة * فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية . وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين. واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على وما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفظ متقاربة عن علىّ بن ابى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى والربيع ومجاهد * واجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان مانقله

امن سوء العاقبة فلم يخف مما يأتى من العقاب والفناء وتسلى عن الشهوات واللذات فلم يحزن على مافاته من حطام الدنيا ونعيمها لاكتحال بصيرته بنور المتابعة واهتدائه الى مالايقاس بلذات الدنيا من الاذواق الروحانية والفتوحات السرية والمشاهدات القلبية والعلوم العقلية والمواجيد النفسية (والذين كفروا) اى حجبوا عن الدين لكونه فى مقابلة اتباع الهدى واردافه بقوله (وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار) اى نار الحرمان (هم فيها خالدون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون) بنو اسرائيل هم اهل اللطف الالهى وارباب نعمة الهداية والنبوة دعاهم باللطف وتذكير النعمة السابقة والعهد السالف المأخوذ منهم فى التوراة بتوحيد الافعال بعد العهد الازلى كما هو عادة الاحباب عند الجفاء

المفسرون واهل الاخبار فى ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وماكفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم * وذكروا ايضا فى الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها * الاول ان فى القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونى قالوا سبحانك ماكان ينبغى لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم * الوجه الثانى انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لايخير من اشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما * الوجه الثالث ان المراة الفاجرة فكيف يعقل انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها فى قوله فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس * فبان بهذه الوجوه ركاكة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه * والاولى تنزيه الملائكة عن كل مالايليق بمنصبهم * وقوله تعالى (ومايعلمان من احد حتى يقولا) يعنى ومايعلمان احدا حتى ينصحاه اولا ويقولا (انما نحن فتنة) اى ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) اى لاتتعلم السحر فتعمل به فتكفر * قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع فى السماء فذلك الايمان والمعرفة ينزل شئ اسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعنى من الملكين (مايفرقون به بين المرء وزوجه) اى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لان السحر له تأثير فى نفسه بدليل قوله (وماهم) يعنى السحرة (بضارين به) اى بالسحر (من احد) اى احدا (الا باذن الله) اى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) اى اختارا لسحر (ماله فى الآخرة من خلاق) يعنى ماله نصيب فى الجنة (ولبئس ماشروا به انفسهم) اى باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف اثبت الله لهم العلم اولا فى قوله ولقد علموا على التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم آخرا فى قوله لو كانوا يعلمون (قلت قد علموا ان من اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وماجاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكانهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو انهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر ومايؤثمهم (لمثوبة من عند الله) اى لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعنى هذا الثوب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا) سبب نزول

* المريك بيننا رحم ووصل *
* وكان بنا المودة والاخاء *
وهذه الدعوة مخصوصة بتوحيد الصفات الذى هو رفع الحجاب الثانى فهى اخص الدعوة الاولى العامة لتذكير النعمة الدينية والعهد والتجلى بصفة المنعم والولى والتهديد على عدم اجابتها بالرهبة التى هى اخص من الخوف فان الخوف انما يكون من العقاب والرهبة من السخط والقهر والاعراض والاحتجاب والخشية اخص منها لكونها مخصوصة باحتجاب الذات قال الله تعالى يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وكذا الهيبة لانها قرنت بعظمة الذات (وآمنوا بما انزلت) من القرآن على حبيبى من توحيد الصفات (مصدقا لما معكم) فى التوراة من توحيد الافعال (ولاتكونوا اول كافر به) اى اول محجوب عنه لاحتجابكم باعتقادكم (ولاتشتروا) اى لاتستبدلوا (بآياتى) الدالة على تجليات ذاتى وصفاتى كسورة الاخلاص وآية الكرسى وامثالهما (ثمنا قليلا فاياى

هذه الآية إن المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراعاة اى ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبًا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لاسمعت * وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعنى احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرًا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يامحمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا اى لكى لايجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) اى انظر الينا * وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) اى ماتؤمرون به واطيعوا * نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعانى ادقها وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولايخاطبوه بمايسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب اليم) اى مؤلم (مايود) اى مايحب (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود (ولا المشركين) يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) يعنى ماانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحى والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ماهذا الذى تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعنى ان كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه * قوله عز وجل (ماننسخ من آية اوننسها) الآية * وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا مايقول الامن تلقاء نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بماينزل قالوا انما انت مفتر فانزل ماننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى النسخ وانه من عنده لامن عند محمد صلى الله عليه وسلم * واصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لايقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى اثبات مثله فى كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه * (فصل فى حكم النسخ) * هو فى اصطلاح

فاتقون) اى جنبتكم النفسية لتألفكم بالالذاذ الحسية وثواب الاعمال بتوحيد الافعال وان اتقيتم عن الشرك فاتقوا سطوة قهرى وجلالى وحجابى بابتغاء رضاى فلا تثبتوا صفة لغيرى (ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) اى ولاتخلطوا صفاته تعالى الثابتة كعلمه وقدرته وارادته بالباطل الذى هو صفات نفوسكم بظهورها بصفاتها وعدم تمييزكم بين دواعيها وخواطرها ودواعى الحق وخواطره ولاتكتموها بحجاب صفات النفس وسترها اياها عند ظهورها (وانتم تعلمون) من علم توحيد الافعال ان مصدر الفعل هو الصفة فكما لم تسندوا الفعل الى غيره لاتثبتوا صفة لغيره (واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) طلبا لمرضاتى لارجاء لثوابى ومصداقه قوله (واركعوا مع الراكعين) اذ الركوع هو الخضوع والاذعان لما يفعل به فهو علامة الرضا الذى هو ميراث تجلى الصفات وغايته اى ارضوا بقضائى عند مطالعة صفاتى والتوجه عند القيام بالفعل

العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل فى يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه قد جاء فى التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك انى جعلت كل دابة مأ كولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوّج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما * الوجه الثانى المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا * الوجه الثالث وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننساها نأت بخير منها او مثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا * (مسئلة) * قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية او ننساها نأت بخير منها او مثلها * وذلك يفيد انه تعالى هو الآتى والمأتى به هو من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله * واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث * اجاب الشافعى رضى الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى اصول الفقه * ثم النسخ فى القرآن على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن ابى امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها * اخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما * الوجه الثانى ما رفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم وروى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخارى نحوه * الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت

علامة طلب الثواب والاجر لاستقلال النفس بصورتها والسجود الذى هو غاية الخضوع علامة الفناء فى الوحدة عند تجلى الذات (اتأمرون الناس بالبرّ) الذى هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب وزكاء النفس الزائد منها التنوّر (وتنسون انفسكم) افلا تفعلون ما تتقون به من مقام تجلى الافعال الى تجلى الصفات (وانتم تتلون الكتاب) كتاب فطرتكم الذى يأمركم باتباع محمد فى دينه السالك بكم سبيل التوحيد (افلا تعقلون) تعيير بالغ وتهييج لحميتهم (واستعينوا) واطلبوا العون والمدد ممن له القدرة اذ لا قدرة لكم على افعالكم (بالصبر) على ما تكرهون مما يفعل بكم وتكلفكم ونيتكم به لكى تصلوا الى مقام الرضا (والصلوة) التى هى حضور القلب لتلقى تجليات الصفات (وانها) وانّ المراقبة اى الحضور والتلقى (لكبيرة) لشاقة ثقيلة (الا على الخاشعين) المنكسرة اللينة قلوبهم لقبول انوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطوات التجليات القهرية

الذين يتيقنون انهم بحضرة ربهم اى حضرة الصفات لدلالة الرب عليها فى حال لقائه (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) بفناء صفاتهم ومحوها فى صفاته * كرر الخطاب ليفيد انّ الذى هداهم اوّلا ولطف بهم وفضلهم على عالمى زمانهم المحجوبين بالهداية الى رفع الحجاب الاوّل هو الذى يهديهم ثانيا فكما لم يرد بهم شرّا فى الهداية الاولى فكذلك فى الثانية لا يريد بهم الاخيرا (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى) اى حال تجلى صفة القهر حين لاتغنى (نفس عن نفس شيا) من الاغناء لعدم القدرة لاحد (ولايقبل منها شفاعة) لعدم الشفاعة والمدد اذ كلهم مسلوبوا الصفات والافعال كقوله * ولايرى الضب بها ينجحر * (ولا يؤخذ منها عدل) اى فدية لعدم الملك لاحد (ولاهم ينصرون) لامتناع القوّة والنصرة لغيره تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون) ظاهره

بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية اربعة اشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن واما معنى الآية فقوله ماننسخ من آية اى نرفعا اونرفع حكمها اوننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على قلبك * وقال ابن عباس نتركها لاننسخها * وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ لاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلاننزلها اونرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيدبن المسيب وعطاء ماننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جملة من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننساها اى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلاننزلها (نات بخير منها) اى بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (اومثلها) اى فى المنفعة الثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان عليهم خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام ايام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر اما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث امره الله (الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) اى على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من احكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ماشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من امر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوّة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بمايشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعنى يامعشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) اى مما سوى الله (من ولى) اى قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور (ولانصير) اى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولانصير يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم * قوله عزوجل (ام تريدون ان تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اتريدون وقيل بل تريدون ان تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا

(رسولكم)

ارنا الله جهرة* ففى الاية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) اى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اى اخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين اعلمهم ان اليهود اهل غش وحسدو انهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به فى الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل * قوله عز وجل (ودكثير من اهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لوكنتم على الحق ماهزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال انى عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ماعشت قالت اليهود اماهذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى وداى تمنى كثير من اهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردونكم) اى يامعشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) اى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) اى يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لما روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اوقال العشب اخرجه ابوداود فاذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولايحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد * وقوله (من عند انفسهم) اى من تلقاء انفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ماتبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم دينه حق لايشكون فيه فكفروابه حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) اى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله بامره) بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو امر الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما امر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وماتقدموا لانفسكم من خير) اى من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عندالله) يعنى ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد (ان الله بما تعملون بصير) اى لايخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصى * قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الامن كان هودا) يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد (اونصارى) وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الامن كان يهوديا ولادين الادين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولادين الادين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى

وتفسيره على مايفهم من تذكير النعمة لتهييج المحبة وباطنه وتأويله واذنجينا كم من آل فرعون النفس الامارة المحجوبة بانانيتها المستعلية على ملك الوجود ومصر مدينة البدن التى استعبدت هى وقواها التى هى الوهم والخيال والتخلية والغضب والشهوة والقوى الروحانية التى هى ابناء صفوة الله يعقوب الروح والقوى الطبيعية البدنية من الحواس الظاهرة والقوى النباتية (يسومونكم سوء العذاب) يكلفونكم المتاعب الصعبة والكد والاعمال الشاقة فى جمع المال وادخاره بالحرص والامل وترتيب الاقوات والملابس وغيرها مما يكدح فيه الحراص ابناء الدنيا ويستعبدونكم فى التفكر فيها والاهتمام بها وضبطها وتحصيل لذاتهم التى هى عذاب لنمنعها اياكم عن لذاتكم (يذبحون ابناءكم) التى هى تلك القوى الروحانية من العاقلة النظرية والعاقلة العملية اللتين هما عينا القلب النظرية اليمنى والعملية اليسرى والفهم الذى هو سمع القلب والسر الذى هو قلب القلب والفكر والذكر

اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله (تلك امانيهم) اى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لايدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون * ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) اى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من اسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص فى دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اى فى عمله لله (فله اجره عند ربه) اى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) اى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) اى على مافاتهم من الدنيا * قوله عزوجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ماأنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى تدين بصحته النصارى يحقق مافى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ماقاله (كذلك قال الذين لايعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) اى يقضى (بينهم يوم القيامة) يعنى بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من امر الدين * قوله عزوجل (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اى ومن اكفر وابغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاربه ان يذكر فيها اى يعبد ويصلى له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل بختنصر المجوسى من اهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل

(ويستحيون نساءكم) القوى الطبيعية المذكورة بمنع الطائفة الاولى عن افعالها الخاصة بالقهر والاستيلاء وحجبها عن حياة نور الروح ومدده واقدار الطائفة الثانية عن افعالها وتمكينها (وفى ذلكم) الانجاء نعمة عظيمة (بلاء من ربكم) هى نعمة مطالعة صفات جلاله وجماله او فى ذلكم العتذيب نقمة عظيمة من ربكم هى نقمة الاحتجاب والحرمان والبعد اذ البلاء الذى هو الامتحان يحصل بهما قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات (واذ فرقنا بكم) بوجودكم (البحر) اى البحر الاسود الزعاق الذى هو المادة الجسمانية لانفلاقها بوجودكم انفلاق الارض من النبات (فانجيناكم) بالتجرد منها (واغرقنا آل فرعون) اى القوى النفسانية فيها بملازمتها اياها وهلاكها بفسادها (وانتم تنظرون) تشاهدون ذلك وعلى هذا امكن ان يؤول بنو اسرائيل فى اول الخطاب بتلك القوى الروحانية والنعمة التى انعم بها عليهم هى التهدى الى قبول الانوار الفائضة عليهما من عالم الروح

ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم * قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومى اونصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار * وقيل ان الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام * وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالموسم لما انزلت سورة براءة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم * فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام * قلت يجوز ان يجئ الحكم عاما وان كان السبب كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين * فان قلت اى القولين ارجح * قلت رجح الطبرى القول الاول * وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه * وايضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربى فى احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال

* قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية * قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وقال ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومى وكان ابن عمر يفعله وفى رواية لمسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله

وتلقى المعارف والحكم وايفاؤهم بالعهد وابرازهم ماركز فيها بحسب الاستعداد الاول من الادلة التوحيدية والمعانى الكلية الكامنة فيها بالتصفية ومزاولة مايخص بها من الافعال وايفاؤه بعهدهم افاضة النور الكمالى عليها عند قيامها بحق النور الاستعدادى بالتصفية واستعمال ماعندها من المعانى وان كنتم رهبتم شيئا فارهبوا احتجاب انوارى بزوال استعدادكم وآمنوا اى واقبلوا ما افيض عليكم من الاشراقات النورية والسوانح الغيبية مصدقا لما فى استعدادكم من النور الفطرى ولا تكونوا فى اول رتبة المحتجبين من قبولها بالتوجه الى الجهة السفلية ولا تستبدلوا بها لذات النفس ومقاصدها ولا تخلطوا حق المعارف الروحية والانوار القدسية بباطل المطالب الحسية والصفات النفسية وتكتموا تلك الانوار والمعارف بظهور هذه عليكم واقيموا وادیموا التوجه الى حضرة الروح وامتثال امره وآتوا زكاة معلوماتكم التى هى اموالكم بتصفيتها وتزكيها لتحرزوا بها ثواب

هذه الآية * وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله اي فهنالك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة * وقيل فثم رضا الله اي يريدون بالتوجه اليه رضاه (ان الله واسع) من السعة وهو الغني اي يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) اي بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء * (مسئلة تتعلق بحكم الآية) * وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جزع بحيث لا يمكنه الاستقبال ❁ قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) اي تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا (بل له ما في السموات والارض) يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما * وقيل ان الولد لابد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير * وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعني ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية * وقيل قانتون اي مذللون مسخرون لما خلقوا له * واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين* احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة * الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار * وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين* احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه* والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية اجاب عن لفظة كل بأنها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء الى شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك ❁ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) اي خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشياء اي يحدثها مما لم يكن (واذا قضى امرا)

النتائج واللوازم وانفقوها على فقرائكم الذين بحضرتكم من القوى البدنية الطبيعية ليعيشوا بها ويكتسبوا بها الاخلاق الفاضلة والملكات الجميلة وعلوها اباء جنسكم ليكملوا بها واركعوا واخضعوا لقبول الاوامر العقلية والانوار الروحية والاعمال القلبية اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اتسوسون ما تحتكم من القوى بالعبادات الجميلة والآداب الحسنة والترقي الى مقامكم والتأدب بآدابكم وتنسون انفسكم في التأدب بين يدي الله بآداب الروحانيين والتمرن في المراقبة والتنور بانوار الروح في مقام المشاهدة والترقي الى مقامه عند الفناء في الوحدة وانتم تتلون كتاب المعقولات النازلة من رب الروح بواسطة ملك العقل الى نبي القلب افلا تعقلون بالعقل المجرد عن شوب الهوى والوهم واستعينوا بالصبر على ما يظهر عليكم ورد من سلطنة انوار سلطان الروح واحكامه وقهر تجليات العظموت والحضور مع الحق وان هذه الاستعانة لثقيلة الا على الخاشعين

اى قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه واتقنه واصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) اى اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده * فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ماهو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كانها كائنة لعلمه بها فجاز ان يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود * وقيل اللام فى قوله لام اجل فيكون المعنى اذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب * قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هم مشركو العرب (لولا) اى هلا (يكلمنا الله) اى عيانا بانك رسوله (او تأتينا آية) اى دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) اى كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ماليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ماقال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم * وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) اى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعنى ان آيات القرآن وماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين * قوله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) اى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام * وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق (بشيرا) اى مبشرا لاوليائى واهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لاعدائى واهل معصيتى بالعذاب الاليم (ولا تسأل) قرئ بفتح التاء على النهى * قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى مافعل ابواى فنزلت هذه الآية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به ولا تسأل عن اصحاب الجحيم * وقرئ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر * وقيل على النفى والمعنى انا أرسلناك بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ (عن اصحاب الجحيم) اى عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار * قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم تبعوه فانزل الله هذه الآية * والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى امر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيآن فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم (قل) اى يامحمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى)

المرتاضين المذعنين لانقياد امر القلب والروح المتيقنين بانهم بحضرته وفى لقائه وانهم يرجعون اليه فى قبول انواره وتفضيلهم على العالمين هو شرفهم على جميع مافى الانسان من القوى (واذ واعدنا موسى) بعد فراغه عن مقاومة آل فرعون واهلاكهم (اربعين ليلة) يخلص لنا فيها الترفع بها الغشاوات الطبيعية التى حجبت قلبه عن معدن النور فى الاربعين التى خلق فيها بدنه عند تكونه جنينا واحتجابه بالنشأة عن الفطرة كما ورد فى الحديث خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا وعن وجه قلبه وتظهر حكمة التوراة من قلبه على لسانه (ثم اتخذتم العجل من بعده) عجل النفس الحيوانية الناقصة الهامن بعد انزاله وغيبته عنكم (وانتم ظالمون) واضعون العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) الفعل الشنيع والظلم القبيح بتوبتكم عند رجوع موسى اليكم لكى تشكروا والنعمة عفوى بتصور تلك النعمة عن المنعم فتستعدوا له ولتجلى صفة الام وعلى التأويل الثانى

اى يصح ان يسمى هدى (ولئن اتبعت) يامحمد (اهواءهم) يعنى اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التى هى اهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) اى البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى) يعنى يلى امرك ويقوم بك (ولا نصير) اى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم اخاطب ولكم اؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين و لئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولى ولا نصير ❊ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت فى اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابى طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب * وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة * وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) اى يقرؤنه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون مافيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا فى معانيه وحقائقه واسراره (اولئك) يعنى الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) اى يصدقون به * فان قلنا ان الآية فى اهل الكتاب فيكون المعنى المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) اى يجحد مافيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) اى خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان ❊ قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى ايادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى اياكم من ايدى عدوكم فى نعم كثيرة انعمت بها عليكم (وانى فضلتكم على العالمين) اى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم * وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها فى اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ) وفى هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يامعشر بنى اسرائيل المبدلين كتابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزى فيه نفس عن نفس شيأ (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) اى لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه * وقيل انه رد على اليهود فى قولهم ان آباءنا يشفعون لنا (ولا هم ينصرون) اى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ابراهيم اسم اعجمى ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز * وقيل بابل وقيل بكوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى ارض بابل وهى

واعدنا موسى القلب عند تعلقه بالبدن واحتجابه عن قومه القوى الروحانية الاربعين التى خلقت فيها بنية بدنه ثم تعبدتم بعجل النفس الحيوانية الطفل من بعد غيبته واحتجابه فى حال الصبا لعلكم تشكرون) التعبد بالبلوغ الحقيقى وظهور نور القلب بتجردكم لكى تشكروا نعمة توفيق اياكم لذلك التجرد وتهيئتى لاسباب كمالكم بسلوك سبيل صفاتى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم) القلب كتاب المعقولات والحكم والمعارف والتمييز الفارق بين الحق والباطل لكى تهتدوا بنور هداه وعلى الوجه الاول غنى عن التأويل (ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) نقصتم حقوقها وحظوظها من الثواب والتجليات المذكورة (فتوبوا الى [بارئكم]) الى خالقكم برفع الحجاب الاول لدلالة ذكر البارئ عليه (فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم

ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب فى الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكنى حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب فى وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره * والثانى ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات * واختلفوا فى تلك الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام * قال ابن عباس هى ثلاثون سهما هن شرائع الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابرهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد اتى الانبياء بجميع ما امر به من الدين خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براءة فى قوله التائبون العابدون الآية وعشرة فى سورة الاحزاب فى قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سورة المؤمنين فى قوله قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآيات وهى مذكورة ايضا فى سورة سأل سائل * وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشياء هن الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس * وفى رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء * قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة * وقيل الملة * وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وانها من الفطرة * قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهى لنا سنة * واتفقت العلماء على انها من الملة واما معانيها فقد قيل اما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة الاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها

انه هو التواب الرحيم) بسيف الرياضة ومنعها عن حظوظها وافعالها الخاصة بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التى هى روحها التى تحيا هى بها وعلى الثانى الهم القلب قواه انكم نقصتم حقوقكم بتعبد النفس فارجعوا الى بارئكم بنور هداه فامنعوا انفسكم بالرياضة عما ضريتم فاقتلوها عن حياتها العارضة لها بغلبة الهوى لتحيوا بحياتكم الاصلية فتقبل توبتكم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) لاجل هدايتك الايمان الحقيقى حتى تصل الى مقام المشاهدة والعيان (فاخذتكم الصاعقة) صاعقة الموت الذى هو الفناء فى التجلى الذاتى وانتم تنظرون) تراقبون اوتشاهدون (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكى تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك فى الله (وظللنا عليكم الغمام) غمام تجلى الصفات لكونها حجب شمس الذات المحرقة بالكلية (وانزلنا عليكم المن

واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول * واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع * عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس رأى الشيب قال رب ماهذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يارب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطأ * وقيل في الكلمات انها مناسك الحج * وقيل ابتلاه الله بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها * قيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة اوبعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب * وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لايعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة * وقوله تعالى (قال اني جاعلك للناس اماما) اي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به (قال ومن ذريتي) اي قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادي ائمة يقتدى بهم (قال) الله (لاينال) اي لايصيب (عهدي) اي نبوتي وقيل الامامة (الظالمين) يعني من ذريتك والمعنى لاينال ماعاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك * قوله عزوجل (واذ جعلنا البيت) يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) اي مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وآمنا) اي موضعا ذا آمن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لايتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لايعضد شوكه ولاينفر صيده ولايلتقط لقطته الا من عرفها ولايختلى خلاه فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لايحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولايحل لاحد بعده قوله يعضد شوكه اي لايقطع شوك الحرم واراد به مالايؤذى منه

(اما)

والسلوى) من الاحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة واسهال رذائل اخلاق النفس كالتوكل والرضا وسلوى الحكم والمعارف والعلوم الحقيقية التي نحشرها عليكم رياح الرحمة والنفحات الآلهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها (كلوا من طيبات مارزقناكم) اي تناولوا وتلقوا هذه الطيبات (وماظلمونا) ما انقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات نفوسهم (ولكن كانوا انفسهم) ناقصين حقوق انفسهم بحرمانها وخسرانها هذا على التأويلين والخطاب وان كان عاما لكنه مخصوص بالسبعين المختارين (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اي روضة الروح المقدسة التي هي مقام المشاهدة (وادخلوا الباب) الذي هو الرضا كما ورد في الحديث الرضا بالقضاء باب الله الاعظم (سجدا) منحنين خاضعين لما يرد عليكم من التجليات الوصفية والفعلية والحلية وقوله (وقولوا حطة) اي اطلبوا ان يحط الله عنكم ذنوب صفاتكم

اماما يؤذى منه كالموسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده اى لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها اى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة فى جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصورا الرطب من النبات الذى يرعى * وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد * وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم * وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذى قام ابراهيم عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما امروا بالصلاة عنده لم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاثى قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على مارواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يا من قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف * قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا

واخلاقكم وافعالكم (نغفر لكم خطاياكم) تلوينا تكم وذنوب احوالكم (وسنزيد المحسنين) اى المشاهدين لقوله عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ثواب احسانهم الذى هو كشف الذات اواحسانهم بالسلوك فى الله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى طلبوا الاتصاف بصفات النفس ابتغاء حظوظها سوى طلب الاتصاف بصفات الله ابتغاء الحظوظ الروحية كما روى عنهم حنطا سمقاثا اى نطلب غذاء النفس (فانزلنا على الذين ظلموا) على الظالمين (رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) عذابا وضنكا وضيقا وظلمة فى حبس النفس واسرا فى وثاق التمنى واحتجابا فى قيد الهوى وحرمانا وذلا بمحبة المادة السفلية وتغيرها وزوالها من جهة قهر سماء الروح ومنع اللطف والروح عنهم بسبب فسقهم اى خروجهم عن طاعة النفس وتركنا التأويل الثانى لقربه منه جدا (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك

في اسفل مكة فراوا الطائر احائما فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا اوجريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى ان أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبى وقد امرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسال عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف أنتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عزوجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعالهم فيه قال فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة الالم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسمعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته الاتنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قال نعم اتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويامرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرنى بامر قال فاصنع ماأمرك ربك قال وتعيننى قال وأعينك قال فان الله أمرنى أن ابنى بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ماحولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس

الحجر) طلب نزول امطار العلوم والحكم والمعانى من سماء الروح فامرناه بضرب عصا النفس التى يتوكاء عليها في تعلقه بالبدن وثباته على ارضه بالفكر على حجر الدماغ الذى هو منشا العقل (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) من مياه العلوم على عدد المشاعر الانسانية التى هى الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والعاقلة النظرية والعملية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من فقد حسا فقد فقد علما (قد علم كل اناس مشربهم) اى اهل كل علم مشربهم من ذلك العلم كأهل الصناعات والعلماء العاملين من مشرب العقل العملى والحكماء والعارفين من النظرى والصباغين من علم الالوان المبصرة واهل صناعة الموسيقى من علم الاصوات وغير ذلك وعلى التأويل الثانى امرنا موسى القلب بضرب عصا النفس على حجر الدماغ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا هى المشاعر المذكورة التى تختص كل واحدة منها بقوة من القوى الاثنتى عشرة المذكورة التى هى اسباط يعقوب

نورهما لاضاء مابين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا فى قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التى هى الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قبله أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لايعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذى يصلى فيه (وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل) اى امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما * قيل انما سمى اسمعيل لان ابرهيم كان يدعوالله ان يرزقه ولدا ويقول فى دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (ان طهرا بيتى) يعنى الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اى ابنياه على الطهارة والتوحيد * وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعنى الدائرين حوله (والعاكفين) يعنى المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون * وقيل الطائفين يعنى الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعنى اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلاة لاهل مكة بمكة افضل * قوله عزوجل (واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) اى ذا امن يأمن فيه اهله وانما دعا ابراهيم له بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شى من النواحى فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة * فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا خراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين * احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم * القول الثانى انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وهذا يقتضى ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من أنبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم واسكن بها اهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عزوجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم (وارزق اهله من الثمرات)

الروح قد علم كل منها مشربه (كلوا واشربوا من رزق الله) اى انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والاحوال والمقامات (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تبالغوا فى الفساد بالجهل (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) اى الغذاء الروحانى من العلم والمعرفة والحكمة (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير) اى اسال لنا ربك يوسع علينا ويرخص لنا فيما تنبته ارض نفوسنا من الشهوات الخبيثة واللذات الخسيسة والتفكهات الباردة وكل مافيه حظ النفس وعذابها (اهبطوا مصرا) اى مدينة البدن (فان لكم فيها ما سألتم وضربت عليهم الذلة) اللازمة لاتباع الشهوات والحرص فى المقتنيات (والمسكنة) اى دوام الاحتياج ودوام سكنى الجهة السفلية (وباؤا) واستحقوا (بغضب) البعد والطرد (من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما

انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق المؤمنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين صار ذلك تاديبا له في المسئلة فلاجرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتعه) اي سارزق الكافر أيضا (قليلا) اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره الى عذاب النار) أي الجئه واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه (وبئس المصير) اي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب * قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) وكانت قصة بناء البيت على ماذكره العلماء واصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال ياآدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك ياآدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعد ماولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوي الجحفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها ياابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ماحول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي اس البيت وقيل جدرة من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعد من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابوقبيس

عصوا وكانوا يعتدون) باحتجابهم عن ايات الله وتجلياته والباقي ظاهر وعلى الوجه الثاني وبقتلهم انبياء القلوب بغير امر ثابت لهم عليهم يتوجه به ذلك بل بصرف باطلهم ذلك بعصيانهم اوامر القلوب والعقول واعتدائهم عن طهور هم (ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) الايمان التقليدي والظاهريين والباطنيين والذين تعبدوا ملائكة العقول لاحتجابهم بالمعقولات وكوا كب القوى النفسانية لاحتجابهم بالوهميات والخياليات (من امن منهم)الايمان الحقيقي (بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم) والمعاد وايقنوا علم التوحيد والقيامة وعملوا ما يصلحهم للقاء الله ونيل السعادة في المعاد فلهم الثواب الباقي الروحاني عند ربهم من عقوبة افعالهم (ولاهم يحزنون) بفوات تجليات الصفات والجملة اعتراض بين خطاب بني اسرائيل (واذ اخذنا ميثاقكم) اي عهدكم السابق اواللاحق المأخوذ منهم في التوراة او بدلائل العقل بتوحيد الافعال والصفات (ورفعنا

يا ابراهيم انك عندى وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمد ابراهيم واسمعيل بسبعة املاك يعينونهما فى بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفى الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اى ماعملناك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنالك (انك انت السميع) اى لدعائنا (العليم) يعنى بنياتنا * قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد اوالاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان * احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى فى المستقبل وذلك لاينافى حصوله فى الحال * الوجه الثانى يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لاينافى حصوله فى الحال (ومن ذريتنا) اى من اولادنا (امة) اى جماعة (مسلمة) اى خاضعة منقادة (لك) وانما ادخل من التى هى للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لاينال عهدى الظالمين ان فى ذريتهما الظالم فلذا خص بعض الذرية بالدعاء * فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء * قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم الاترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وارنا) اى علمنا وبصرنا (مناسكنا) اى شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) اى تجاوز عنا (انك انت التواب) أى المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لاتطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد فى طاعة ربه عز وجل فانه لاينفك عن تقصير فى بعض الاوقات اما على سبيل السهو اوترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما فى ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى * قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث فى امة المسلمة اوالذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره * واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته

فوقكم الطور) طور الدماغ للتمكن من فهم المعانى وقبولها وقلنا (خذوا) اى اقبلوا (ما آتيناكم بقوة) من التوراة اوكتاب العقل الفرقانى بجد (واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) وهو ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع لكى تتقوا الشرك والجهل والفسق (ثم توليتم) اعرضتم (من بعد ذلك) باقبالكم الى الجهة السفلية (فلولا فضل الله عليكم) بهدايته العقل (ورحمته) بنور البصيرة والشرع (لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) اعلم ان الناس لواهملوا وتركوا وخلى بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا فى اللذات الجسمانية والنواشى الظلمانية لضراوتهم بها واعتياد هم من الطفولية والصبا حتى زالت استعداداتهم وانحطوا عن رتبة الانسانية فمسخوا كما قال تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وان حفظوا اوروعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب والمواعظ الوعدية والوعيدية ترقوا وتنوروا كما قال الشاعر

بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم باول امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل فى طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (يتلو عليهم) اى يقرأ عليهم (آياتك) يعنى ماتوحيه اليه وهو القرآن الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم مافى القرآن من دلائل التوحيد والنبوّة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اوّلا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه واسراره (والحكمة) اى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هى العلم باحكام الله تعالى التى لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم مافى القرآن من الاحكام والحكمة وهى مافيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أودعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) اى ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية اى يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله الايدى * وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اى صلبة قوية (الحكيم) اى العالم الذى لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام * قوله عزوجل (ومن يرغب عن ملة ابرهيم الامن سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن سلام دعا ابنى اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب

هى النفس ان تهمل تلازم خساسة * وان تبعث نحو الفضائل تبهج * فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها فى الاوقات المعينة لنزول عنهم بها درن الطباع المتراكم فى اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة فى ازمنة اتخاذ اللذات وارتكاب الشهوات فتتنور بوا طنهم بنور الحضور وتنتعش قلوبهم بالتوجه الى الحق عن السقوط فى هاوية النفس والعثور وتستريح بروح الروح وحبّ الوحدة عن وحشة الهوى وتعلق الكثرة كما قال عليه السلام الصلاة كفارة ما بينهما من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر ومباشرة الشهوة بتطهير الغسل وعند الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال بالاشغال الدنيوية فى ساعات اليوم والليل بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواس الخمس الحاصلة فى النفس بسببها كل بما يناسبه فلذلك وضعوا بازاء وحشة تفرقة الاسبوع وظلمة انفرادهم بدؤب الاشتغال والمكاسب والملابس البدنية والملاذ النفسانية اجتماع يوم واحد على العبادة

عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى رغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الامن سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف اعرف نفسى وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) اى اخترناه (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى الفائزين * وقيل مع الانبياء فى الجنة (اذ قال له ربه اسلم) اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد * قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم (قال اسلمت لرب العالمين) اى قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فامره الى الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القى فى النار *قوله عزوجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومدائن ويقنان وزمران وشيق وشوخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة * فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم * قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا اهم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) اى ووصى يعقوب بمثل ماوصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توامين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد وآشر

والتوجه لزوال وحشة التفرقة بانس الاجتماع وتحصل بينهم المحبة والانس وتزول ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض عن الحق بنور العبادة والتوجه ويحصل لهم التنوّر فوضوع لليهود اوّل ايام الاسابيع لكونهم اهل المبدا والظاهر وللنصارى بعده لانهم اهل المعاد والروحانى والباطن المتأخرين عن المبدا والظاهر بالنسبة الينا وللمسلمين آخرها الذى هو يوم الجمعة لكونهم فى آخر الزمان اهل النبوّة الخاتمة واهل الوحدة الجامعة للكلّ وان جعل السبت آخر الايام على مانقل انه السابع فبالنسبة الى الحق تعالى لانّ عالم الحس الذى اليه دعوة اليهود هو آخر العوالم وعالم العقل الذى اليه دعوة النصارى اوّلها والجمعة هى يوم الجمع والختم فمن لم يراع هذه الاوضاع والمراقيات اصلا زال نور استعداده فمسخ كما مسخت اصحاب السبت نهوا عن الصيد اى احراز الحظوظ النفسانية واقتنائها فى يوم السبت فاحتالوا فيه فاتخذوا حياضا على ساحل البحر

ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) اى اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) اى مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم فى اى وقت يأتى الموت على الانسان * وقيل فى معنى وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عزوجل يدل عليه ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه فى الصحيحين * قوله عزوجل (ام كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ماكنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود وذلك لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ام كنتم يامعشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فانى ما ابتعثت خليلى ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ماقال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعنى يعقوب (لبنيه) يعنى لاولاده الاثنى عشر (ما تعبدون) اى اى شئ تعبدون (من بعدى) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرنى حتى اسال ولدى واوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلى ما تعبدون من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله فى جملة الآباء وان كان عمالهم لان العرب تسمى العم أبا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال فى عمه العباس ردوا على ابى (الها واحدا ونحن له مسلمون) اى مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (امة قد خلت) اى مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم ماليس فيهم (لها ما كسبت) يعنى من العمل (ولكم) يعنى يامعشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) اى من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى كل فريق يسئل عن عمله لا عن غيره * قوله عزوجل (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت فى رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابى ياسر بن اخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عزوجل (قل) يعنى يا محمد (بل ملة ابراهيم) يعنى اذا كان لابد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم * قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر * ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين *

ليلبسوا فيها الحيتان ويصطادوها يوم الاحداى ادخروا فى سائر ايام الاسبوع من مابحر الهيولى الجرمية والجرمانيات المادية فى حياض بيوتهم ليجمعوا بها انواع المطاعم والمشارب والملاذ والملاهى فاجتمع لهم من كل الحظوظ النفسانية فى يوم السبت ما اكتفوا به سائر ايام الاسبوع ليفرغوا فيها الى الاشتغال بالمكاسب والصناعات والمهن كما هو عادة اليهود اليوم وشطار المسلمين فى الجماعات فان اكثر فسقهم فيها فذلك اعتيادهم فى السبت وهو يدل على ان جميع اوقات حضورهم مصروفة فى هموم الدنيا وطلب حظوظ النفس والهوى كما ترى اليوم واحدا من المسلمين قالبه فى المسجد فى الصلاة وقلبه فى السوق فى المعاملة حتى قال احدهم جريدة حسابى هى الصلاة اى اذا فرغت من اشغال الدنيا الى الصلاة اخذ قلبى فى تصفح تجاراتى ومالى على الناس ومال الناس على وذلك موجب للانحطاط عن العالم العلوى الانسانى الى الافق السفلى الحيوانى

والعرب تسمى كل من حج اواختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابرهيم * وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعنى ان الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابرهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعنى ابرهيم * وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة ابرهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعنى قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا اونصارى تهتدوا آمنا بالله اى صدقنا بالله (وما انزل الينا) يعنى القرآن (وما انزل الى ابراهيم) يعنى وآمنا بما انزل الى ابرهيم وهو عشر صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء * وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد * ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب من بنى اسمعيل وكان فى الاسباط انبياء (وما اوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وما اوتى النبيون من ربهم) والمعنى آمنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التى اوتى جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ماذكر الله من انبيائه كانوا على هدى وحق (لانفرق بين احد منهم) اى لانؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما برئت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم واقرت ببعض الانبياء وكما برئت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) اى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن ابى هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الآية * قوله عز وجل (فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) اى بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما انزل اليهم * وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما هم فى شقاق) اى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال واصله من الشق كأنه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على مايشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) اى يكفيك الله يامحمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم يسمع جميع ماينطقون به ويعلم جميع مايضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه * قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله * وقيل سنة الله وقيل

وهو معنى قوله (فقلنا لهم كونوا قردة) اى مشابهين الناس فى الصورة وليسوا بهم (خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) بعيد من طريدين والمسخ بالحقيقة حق غير منكر فى الدنيا والآخرة وردت به الآيات والاحاديث كقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام الممسوخ ثلاثة عشر ثم عدهم وبين اعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم والحاصل ان من غلب عليه وصف من اوصاف الحيوانات ورسخ فيه بحيث ازال استعداده وتمكن فى طباعه وصار صورة ذاتية له كالماء الذى معه معدن الكبريت مثلا صار طباعه طباع ذلك الحيوان ونفسه نفسه فاتصلت روحه عند المفارقة ببدن يناسب صفته فصارت صفته صورته والله اعلم بذلك (واذ قال موسى قومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) هى النفس

اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم * قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه فى ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن احسن من الله صبغة) اى دينا * وقيل تطهيرا لانه يطهر من ارساخ الكفر (ونحن له عابدون) اى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم (اتحاجوننا فى الله) اى اتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى امرنا ان نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله تعالى المؤمنين ان يقولوا لهم اتحاجوننا فى الله (وهو ربنا وربكم) اى و نحن وانتم فى الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان لكل احد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) اى مخلصوا الطاعة والعبادة له * وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل ابن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة باية السيف * قوله عز وجل (ام تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى) يعنى اتزعمون ان ابرهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (ءانتم اعلم) يعنى بدينهم (ام الله) اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن اظلم ممن كتم) يعنى اخفى (شهادة عنده من الله) وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا احق بنعته وصفته وجدوا ذلك فى كتبهم وكتموه وجحدوه * والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمانكم الحق فيما الزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه فى الاخرة (تلك امة قد خلت) يعنى ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) اى جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) اى جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى ان كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اى لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله * وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتاكيده * وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) اى الجهال من الناس والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك فى باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين * فقيل نزلت هذه الآية فى اليهود وذلك انهم طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل

الحيوانية وذبحها قمع هواها الذى هو حياتها ومنعها عن افعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة (قالوا اتتخذنا هزوا) مهزوا بنا وتستخفنا لنطيعك وتسخرك كما جاء فى حق فرعون فاستخف قومه فأطاعوه (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) الاستخفاف والاستهزاء وطلب الترؤس هو فعل الجهال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) اى سل لنا ربك ما هى (قال انه انه يقول انها بقرة لا فارض) اى غير مسنة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد (ولا بكر) اى فتية لقصور استعدادها عما يراد منها و عسر احتمالها للرياضة لغلبة القوى الطبيعية وقوتها فيها (عوان) نصفة (بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون) ما ذكر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء) لان لون الجسم اسود لعدم النورية فيه اصلا ولون النفس الحيوانية اخضر لظهور النورية فيها وغلبة السواد عليها لعدم ادراكها ولون القلب ابيض لتجرده عن

نزلت فى مشركى مكة * وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم * وقيل نزلت فى المنافقين * وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام * وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذلا فائدة فى التخصيص ولان الاعداء يبالغون فى الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا اومجالا جالوا (ماولیهم) يعنى اى شئ صرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله المشرق والمغرب) يعنى ان له قطرى المشرق والمغرب ومابينهما ملكا فلايستحق شئ ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدى من يشاء) يعنى من عباده (الى صراط مستقيم) يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابرهيم عليه السلام ❊ قوله عزوجل (وكذلك جعلناكم امة وسطا) الكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه * احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا * الثانى انه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا * الثالث قيل كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعنى عدولا خيارا وخير الامور اوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالى بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى امر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم * وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ماترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية * وروى ابوسعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفى سبعين امة هى آخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى ❊ وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس اجمعين (ويكون الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعنى عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اى رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجاء

الجسم وقوة ادراكه وكمال نوريته فلزم ان يكون لون النفس الحيوانية فى الحيوانات العجم احمر لتركب نورية ادراكها وسواد تعلقها بالجسم اذ الحمرة لون بين البياض والسواد ومركب منهما لكن السواد فيه اكثر فى الانسان اصفر لغلبة نورية ادراكها بمجاورة القلب اذ الصفرة حمرة غلبها البياض (فاقع لونها) لصفاء استعدادها وشعشعان شعاع نور العقل عليها (تسر الناظرين) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) لقوة نور استعدادها وتشعشعها والناظرون هم الكاملون المطلعون على الاستعدادات لوجوب محبتهم للمستعدين المستبصرين ودونهم يحضورهم (ان البقر تشابه علينا) لكثرة البقر الموصوف بهذه الصفة اى كثرة اصناف المستعدين وما كل مستعد طالبا كما قيل ما كل طبع طالبا ولا كل قابل طالبا ولا كل طالب صابرا ولا كل صابر واجدا (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى ذبح هذه البقرة وقولهم ان شاء الله دليل على استعدادهم لعلمهم بأن الامور متعلقة

بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا * قوله عزوجل (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) اى وما جعلنا صرفك عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس وانما حذف ذكرا لصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى كنت عليها منسوخة * وقيل معناه وما جعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت مامعنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها * قلت اراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لايتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب * وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية اى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلى وحزبى واوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة مافعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره * وقيل انه قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول اى يطيعه فى امر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) اى يرجع الى ماكان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) اى وقد كانت (لكبيرة) يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة * وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة * وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجه اليه قبل التحويل وهى بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة * وقيل لتانيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعنى الصادقين فى اتباع الرسول (وماكان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى بيت المقدس * وذلك ان حى بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقدمات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قدمات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قدصرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وماكان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى لايضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة * وقيل الرافة الرحمة * وقيل فى الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لايضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل * قوله عزوجل (قدنرى تقلب وجهك

بمشيئة الله ميسرة بتوفيقه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم يستثنوا لما ظفروا بها ابدالدهر قال انه يقول انها بقرة (لاذلول) غير مذللة منقادة لامر الشرع (تثير الارض) ارض الاستعداد بالاعمال الصالحة والعبادات (ولا تسقى الحرث) حرث المعارف والحكم التى فيها بالقوة باستقاء ماء العلوم الكسبية والافكار الثاقبة لعدم احتياج مثل هذه البقرة الى الذبح (مسلمة) سلمها اهلها لترعى غير مسوسة برسوم وعادات وشرائع وآداب (لاشية فيها) اى لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب لعدم صلاحيتها للذبح (قالوا الآن جئت بالحق) الثابت فى بيان المستعد المشتاق الطالب للكمال (فذبحوها وماكادوا يفعلون) لكثرة سؤالاتهم ومبالغاتهم وتعمقهم فى البحث والتفتيش عن حالها وفضول كلامهم فى بيانها التى تدل على عدم انقياد النفس بالسرعة وابائها للرياضة وغلبة الفضول عليها وتعذر مطلوبهم وتأخرهم عنه بسبب ذلك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى

فى السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود * وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته فى التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولنى الله الى الكعبة فانها قبلة ابى ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عزوجل قد نرى تقلب وجهك فى السماء يعنى تردد وجهك وتصرف نظرك فى السماء اى الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة فى التلاوة فهى متقدمة فى المعنى لانها رأس القصة واول مانسخ من احكام الشرع امر القبلة (فلنولينك) اى فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) اى ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) اى تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعنى ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهى قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ماقدم المدينة نزل على اجداده اوقال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد قباء وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ ذاك انه يصلى قبل بيت المقدس وهى قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء فى حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر مانقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء فى وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان فى يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا * وقيل كان لستة عشر شهرا * وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قباء فى صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة * وقوله تعالى (وحيث ما كنتم) اى من بر او بحر او شرق او مغرب (فولوا وجوهكم شطره) اى نحو البيت

بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم اى لو لم يكن منهم كثرة فضول البحث والسؤال لما عز عليهم مطلوبهم لقوة قبولهم وارادتهم مكان سلس القياد سهل الانقياد ونهى صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال قال الله تعالى لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وقيل فى قصتها ان شيخا من بنى اسرائيل نتجت له عجلة على هذه الصفة وكان له ابن طفل فجاء بها الى عجوزة وقال انها لهذا الطفل سلميها فى مرعاها عساها تنفعه اذا بلغ فلما وقعت هذه الواقعة وسعى بنو اسرائيل فى طلب البقرة اربعين سنة سمعت العجوز بها فأخبرت ابنها بما فعل ابوه وقد ترعرع فجاء الى المرعى فوجدها فأتى بها فسا ومو فى شرائها ومعته العجوز عن بيعها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا فالشيخ هو الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذى هو نتيجة الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذى هو نتيجة الروح والشاب

وتلقاءه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء فى اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف فى اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف فى هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا فى حق اهل المشرق لان المشرق الشتوى جنوبى متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفى شمالى متباعد عن خط الاستواء والذى بينهما فقوسها مكة والفرض لمن بمكة فى القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الاشئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره فانزل الله تعالى (وان الذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (ليعلمون انه الحق من ربهم) يعنى امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعنى وما انا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فانا اجازيهم عليه فى الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء * قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتى وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزاء * قوله عز وجل (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (بكل آية) اى بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية (ماتبعوا قبلتك) يعنى الكعبة (وما انت بتابع قبلتهم) يعنى ان اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وانت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التى امرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت اهواءهم) يعنى مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) اوفى امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعنى انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها * قيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة ويكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه * قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه (يعرفونه) اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذى يجدونه عندهم (كما يعرفون ابناءهم) اى لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم ابناءهم من ابناء غيرهم * روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا ادرى ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت * وقيل الضمير فى يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التى صرفتك

المقتول هو القلب سلم شيخ الروح عجل النفس الى عجوز الطبع ليرعى فى مرعى اللذات الطبيعية حتى يكبر عسى طفل العقل ان ينتفع بها وقت البلوغ فى انتزاع المعقولات من محسوساتها واستعمال الفكر الذى هو من قواها فى اكتساب العلوم العقلية وهو الذى جاء بها من المرعى وسعى بنى اسرائيل اربعين سنة اشارة الى السير الى الله بالاعمال والآداب والتحلق بالاخلاق الى او ان البلوغ الحقيقى وتجرد القلب كما قال الله تعالى بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ومساومتهم اياها فى شرائها اشارة الى طلب القوى الروحانية المنورة بنور الهداية الشرعية والارادة وانتزاعها من العقل المشوب بالوهم واستعباد العقل اياها بالمعقولات القياسية وتسخيرها بالفكريات وحجبها عن نور الهداية الشرعية بالقياسات العقلية وعدم تحليتها بالشرعيات وهذا هو الموجب لتشددهم فى السؤال وتأخرهم وتباطئهم فى الامتثال ومع العجوز اياها هو ممانعة الطبع فى الانقياد للشرع وموافقة العقل اياه فى ذلك رعاية العقل جانب

اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون في ذلك (وان فريقا منهم) اى من علماء اهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل امر القبلة (وهم يعلمون) يعني ان كتمان الحق معصية * وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) اى الذي يكتمونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين) اى من الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاندوا كتم الحق فلا تشك في ذلك * فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فامعنى هذا النهي * قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عز وجل (ولكل وجهة) اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه * وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة * وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين اى ولكل اهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها * وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) اى مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها اى مختارها * وقيل انه هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها اى مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) اى بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب (اينما تكونوا) يعني انتم واهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) اى على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة * قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى من اى موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعني التوجه اليه (للحق من ربك) اى الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) اى ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل في هذا التكرار فائدة * قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد وتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم

الطبع في مصالح المعاش وترفيهه اياه وترخيصه والتوسيع عليه اكثر من الشرع وبيعها بملء مسكها ذهبا اشارة الى تحليها بعد الذبح والسلخ بالعلوم النافعة الشرعية والعقلية الخلقية والاحكام الفرعية الدينية واشتمال صورتها عليها التي توافق العقل والطبع وتنفعهما باستعمالهما اياها في تحصيل مصالح المعاش والمباغي الطبيعية والمطالب العقلية العملية باذن الشرع من الوجه الحلال والتصرف في المباح وانواع الرخص في جميع التمتعات بعد حصول الكمال وتمام السلوك (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اشارة الى بيان سبب الامر بذبح البقرة وهو انه كان شيخ موسر من بني اسرائيل وله ابن شاب فقتله ابناءه او بنو عمه طمعا في ميراث ابيه وطرحوه بين اسباط بني اسرائيل على الطريق فتدافعوا في قتله فورد الامر بذبح البقرة وضربه ببعضها ليحيا فيخبر بالقاتل فالشاب هو القلب الذي هو ابن الروح الموسر باموال المعارف والحكم وقتله منعه حياته الحقيقية وازالة العشق الحقيقي الذي

وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل فى معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبى الذى نجده فى كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) اى الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) اى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشونى) اى احذروا عقابى ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم (ولاتم نعمتى عليكم) اى ولكى اتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلكم تهتدون) اى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب * قوله عز وجل (كما ارسلنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا فيكم * وقيل ان ابراهيم * قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل فى ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين ونعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى امر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب (رسولا منكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (ويزكيكم) اى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعنى يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (اذكركم) اى بالثواب والرحمة عنكم * قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى [illegible]

هو حياته عنه باستيلاء الشوق لشهوة والغضب اللذين هما ابنا هذه النفس الحيوانية او بتشبيع قواها عليه اذ الروح والنفس اخوان باعتبار فيضانهما وولادتهما من اب هو العقل الفعال المسمى روح القدس على قياس ما ورد فى الحديث اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طين آدم فان النفس النباتية الكاملة التى اذا كانت عمة النفس الانسانية عمتها فقتلاه طمعا فى استعمال المعانى العقلية والحكم التى هى ميراث ابيه فى تحصيل مطالبهما وكمالاتهما ولذاتهما بانواع الحيل والمكر وصناعة الفكر وطرحاه على طرق القوى الروحانية والطبيعية بين محالها وتدافعهم فى قتله هو احالة كل قوة منها الفساد والاثم الى الاخرى والصلاح والبراءة الى نفسها لتنازعها وتجاذبها فى [illegible]نصالها [illegible] لذاتها واحتجاب كل منها بمائها عما يلائم الاخرى ورؤيتها الصلاح فيه والفساد فى ضده (والله مخرج ما كنتم تكتمون) من نور القلب وحياته لاستيلاء عليه (فقلنا اضربوه ببعضها) بذبحها [illegible] لسانها على ما ورد فى

[illegible] المانى بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان * [illegible] اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب [illegible] اذكروني بالدعاء اذكركم بالعطاء (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان اتانى يمشى اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا او بالكفاية اذ طلب الكفاية * وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه اذا ذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة * وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالثواب والجزاء عما لا يطلع عليه احد قوله وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء * واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون فى جماعة لا نبى فيهم قوله وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلابد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما ازداد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتانى يمشى فى طاعتى اتيته هرولة اى صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذى كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لى) يعنى بالطاعة (ولا تكفرون) اى بالمعصية فان اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق فى العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس على تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) اى بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات) نزلت فى قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين [illegible] المطلب وعمير بن ابى وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى

القصد ليحيا فيخبركم بالقاتل وضرب الذنب اشارة الى اماتة النفس وتنقية اضعف قواها وآخرها وجهتها التى تلى النفس النباتية وارتباطها بها كالحس اللمسى مثلا وسائر الحواس الظاهرة فانها ذنبها وضرب اللسان اشارة الى تعديل اخلاقها وقواهـا وتنقية فكرهـا الذى هو لسانها وهما طريقان طريق الرياضـة واماتة الغضب والشـهوة كما هو طريق التصوف وهـو للنفوس القوية الجانية المستولية الطـاغية اولى وطريق التحصيل وتعديل الاخلاق كما هو سبيل العلماء والحكماء وهـو للنفوس الضعيفة والصـافية المنقـادة اللينة اولى فضربوه ببعضها فقام واوداجه تشخب دما واخبر بقاتليه اى صار حيا قائمـا بالحياة الحقيقية وعليه اثر القتل لتعلقه بالبدن وتلوثه بمطالبه بحسب الضرورة وعرف حال القوى البدنية فى منعهـا اياه عن ادراكه وحجبها له عن نوره (كذلك يحيى الله الموتى) اى مثل ذلك الاحياء العظيم يحيى

اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث ابن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان ابن بيضاء من بني الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلب المرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية واخبران من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى (بل احياء) وانما احياهم الله عزوجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احياء وماوجه النهي في قوله ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه لاتقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احياء تصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب آخر وهو انهم احياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لانشاهدهم كذلك قوله تعالى (ولكن لاتشعرون) اي لاترونهم احياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخباري اياكم به فان قلت اليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بمادون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم في نعيم دائم ❊ قوله عزوجل (ولنبلونكم) اي ولنختبرنكم ياامة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها (بشئ) انما قال بشئ ولم يقل باشياء لئلا يوهم ان اشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الجوع وقيل معناه بشئ قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب (والجوع) يعني القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعني بالهلاك والخسران (والانفس) اي ونقص من الانفس بالموت او القتل (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك

الله موتى الجهل بالحياة الحقيقية العملية (ويريكم اياته لعلكم تعقلون) دلائله وآيات صفاته لكي تعقلون (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) اي بعد تطاول الامد وتراخي مدة الفترة وتتابع التلوينات وتوالي النزعات قست قلوبكم بكثرة مباشرة الامور واللذات البدنية وملابسة الصفات النفسانية (فهي كالحجارة) من عدم تأثرها بالنقش العلمي (او) شئ (اشد قسوة) منها كالحديد مثلا ثم بين ان الحجارة التي منها بان حالها منحصر في الوجوه الثلاثة المذكورة فافاد ان القلوب اربعة قلب تنور بالنور الالهي منطمسا فيه واستغرق في البحر العلمي منغمسا فيه فانفجرت منه انهار العلم لمن شرب منها يحيا ابدا كقلوب اهل الله السابقين وهو المشار اليه بقوله الى (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) وقلب ارتوى من العلم فحفظ ووعى ما تنفع به الناس كقلوب العلماء الراسخين وهو المشار اليه بقوله (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) وقلب

واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت
ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى
بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته
والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب
فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة
الرزق من الغنائم فلما اخبر الله انه مبتل عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب
ومنها ان الانسان في حال الابتلاء اشد اخلاصا لله منه في حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع
والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند
نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم
بقوله تعالى (الذين اذا اصابتهم مصيبة) اي نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) اي عبيدا وملكا (وانا اليه
راجعون) يعني في الآخرة (م) عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها
الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطى احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع
عند المصيبة ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على
يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به
من المصائب (اولئك) يعني من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس اي مغفرة
من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع
الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله
انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة
من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق
المعنى وقيل كررهما للتأكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة (واولئك هم المهتدون) يعني الى الاسترجاع
وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان
ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

﴿فصل﴾ في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين (خ) عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره
على ذلك (ق) عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب
التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال
المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام
ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس

خشع وانقاد واستسلم واطاع
كقلوب العباد والزهاد من
المسلمين وهو المشار اليه بقوله
(وان منها لما يهبط من خشية
الله) وادنى احوال حاله
هو الهبوط من خشية الله
اي الانقياد لما امر الله من
الميل الى المركز بالسلاسة
وبقي قلب لم يتأثر قط بالعلم ولم
يلين بالخوف آيا الهدى
متكبرا ممتلئا بالهوى متمردا
فلا يوجد من الجواهر
ما يشبهه لقول جميعها ما امر
الله به فكيف بالحديد الذي
يلين لما يراد منه قال النبي
عليه السلام مثل ما بعثني الله
به من الهدى والعلم كمثل
الغيث الكثير اصاب ارضا
فكانت طائفة منها طيبة قبلت
الماء وانبتت الكلاء والعشب
الكثير وكانت منها طائفة
اجاذات امسكت الماء فنفع
الله بها الناس فشربوا وسقوا
وزرعوا واصاب منها
طائفة اخرى انما هي قيعان
لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء
فذلك مثل من فقه في الدين
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع
بذلك رأسا ولم يقبل هدى
الله الذي ارسلت به فتبين
عليه السلام القلوب الثلاثة
الاخيرة والاول من
الاربعة هو القلب المحمدي
(وما الله بغافل عما تعملون)

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا واذا اراد الله بعبد شرا امسك عنه حتى يوافى يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض وله عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى مالعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابى وقاص قال قلت يارسول الله اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة الملساء وقيل هى الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا ن اصلهما فى اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة فى طرفى المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التى جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) اى قصد البيت هذا اصله فى اللغة وفى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك (او اعتمر) اى زار البيت والعمرة الزيارة ففى الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) اى فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (ان يطوف بهما) اى يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الآية واذن فى السعى بينهما واخبرانه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى انزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفى رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء فى حكم السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وابو حنيفة الا انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شئ عليه واختلفت الرواية عن احمد فى ذلك فروى عنه ان من ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه

تهديد للقاسية قلوبهم اى الله مطالع فيحجبهم عن نوره ويتركهم فى ظلماتهم والآيات التى تتلوها ظاهره وتأويل الاولى (افتطمعون ان يؤمنوا لكم) ان يوحدوا بتوحيد الصفات لاجل هدايتكم (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) يقبلون صفات الله ثم يحرفونها بنسبتها الى انفسهم (ثم يحرفونه من بعدما عقلوه) اى علموا توحيد الصفات وماوجدوه بالعيان (وهم يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا) ان تلك الصفات لله لكن نفوسهم ينتحلونها بالاشراك حالة ذهول العمل عن استيلائها على القلب لعدم كون توحيدهم ملكة ولابل علما فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم اى ويل لمن بقيت منه بقايا صفات النفس وهو لا يشعر بها او يشعر فيحتال او لا يحتفل بها فيفعل ويقول بنفسه وصفاتها ويدعى انه من عند الله ليكتسب به حظا من حظوظ النفس بل عين ذلك القول والفعل ونسبته الى الله حظ تام لها وذنب لاذنب اقوى منه ويمكن ان تؤول الآيات الثلاث الاول على الوجه الثانى المبنى على التطبيق فيقال افتطمعون

جمهور وروى عنه انه لاشئ في تركه عمدا ولاسهوا ولاينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب
هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلاجناح عليه يصدق عليه انه لااثم عليه في فعله فدخل تحته الواجب
والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لايدل على ان السعي بين الصفا والمروة واجب اوليس
بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لادلالة فيه خصوصية احدهما
فاذالابد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب اوغير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه
في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ماروى الشافعي بسنده عن صفية
بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجزاة واسمها حبيبة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع
نسوة من قريش دار آل ابي حسين ننظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة
فرايته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لاقوله انى لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا
فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم ارأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت اواعتمر فلا
جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيأ ان لايطوف بهما فقالت عائشة كلا لوكان كما تقول
كانت فلاجناح عليه ان لايطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت
مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر في حديثه
الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة
من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدا بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب
علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب
ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويوتى به في احرام كامل فكان
ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لايرى وجوب السعي بقوله فلاجناح عليه ان
يطوف بهما وهذا لايقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين
انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلاجناح عليه ليس فيه الا انه لااثم
على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلايكون فيه دلالة على نفي الوجوب
وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لايقتضي ان يكون
المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيأ آخر يدل
على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا
على ماافترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات
وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لايرى الطواف بهما فرضا وقيل
معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم (فان الله شاكر)
اي مجاز على الطاعة (عليم) اي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر
هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لايوصف بذلك لانه لايلحقه المنافع والمضار فالشاكر في
صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج

ايتها القوى الروحانية ان
تؤمن هذه القوى النفسانية
لاجل هدايتكم منقادة وقد
كان فريق منهم كالوهم
والخيال يسمعون كلام الله
اي يتلقفون المعاني الواردة
من عند الله على القلب ثم
يحرفونه بالمحاكاة وكثرة
الانتقالات وجعلها جزئية
واعطائها احكام الجزئيات كما
في المنامات والواقعات من
بعد ماعقلوه اي ادركوه على
حاله وهم يعلمون تحريفها
وانتقالاتها الى اللوازم
والاشباه والاضداد واذا
لقوكم بالتوجه نحوكم وتلقي
مدركاتكم عند حضوركم
ومشايعتها اياكم وعروجها
اذعنوا وصدقوا (واذا خلا
بعضهم الى بعض قالوا
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم افلا
تعقلون) في اوقات الغفلات
منع بعضهم بعضا عن القاء
مافتح الله عليهم من مدركاتهم
المحسوسة والمخيلة والموهومة
ليركبوا منها الحجج
ويحاجوهم بها في الحضرة
الروحانية عند ربهم
(اولا يعلمون ان الله يعلم ما
يسرون) عنكم من مدركاتهم
(ومايعلنون) فيبطلكم
عليها وينصركم عليهم
(ومنهم اميون) اي القوى

التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم * قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ماانزلنا من البينات والهدى) نزلت فى علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من احكام التى كانت فى التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من امر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن ابى هريرة قال لولا آيتان انزلهما الله فى كتابه ماحدثت شيأ ابدا ان الذين يكتمون ماانزلنا من البينات والهدى وقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه الى آخر الآيتين. وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية اوفرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) يعنى فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بنى اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ماانزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (اولئك) يعنى الذين يكتمون ماانزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) اى يبعدهم من رحمته واصل اللعن فى اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصى بنى آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ماتلاعن اثنان من المسلمين الارجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) اى ندموا على مافعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام (واصلحوا) يعنى الاعمال فيمابينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعنى ماكتموا من العلم (فاولئك اتوب عليهم) اى اتجاوز عنهم واقبل توبتهم (وانا التواب) اى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عنى الى (الرحيم) يعنى بهم بعد اقبالهم على * قوله عزوجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لايلعن نفسه ولايلعنه اهل دينه او ملته فامعنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثانى ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) اى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما اضمرت لعظم شأنهم (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايمهلون ولايؤجلون وقيل لاينظرون ليعتذروا وقيل لاينظر اليهم نظر رحمة

(فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم) قال العلماء لايجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لايعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله فى هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلايجوز لعنة احدمنهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لماروى

الطبيعية الغير المدركة والحواس الظاهرة (لايعلمون الكتاب) كتاب المعانى المعقولة (الا امانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) لذاتهم وشهواتهم وما يتيقنون خاتمة عاقبتها و مضرتها فى طريق الكمال يظنون نفعها وخيريتها (وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله مالاتعلمون) اعتقدوا ان زمان العقاب يساوى زمان مباشرة الذنب ولم يعلموا ان الذنب اذا كان معتقدا فاسدا ثابتا فى النفس وهيئة راسخة فيها وصار ملكة كصورة ذاتية لها كان سببا لتخليد العذاب وهو معنى قوله (بلى من كسب سيئة احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) اى استولت عليه واستوعبت كسواد المستوعب للثواب

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في الصحيح ❁ قوله عز وجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد في الوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعنى لا شريك له في الوهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شئ من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعنى انه المولى لجميع النعم واصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه الصفة لان كل ماسواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فانزل الله تعالى (ان في خلق السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته واتقان افعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع في افعالهما التساوى في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع ❁ اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات ❁ النوع الثانى قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) اى تعاقبهما في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد ❁ النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التى تجرى في البحر) اى السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه الا الله تعالى ❁ النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الناس) يعنى ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من ركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشئ معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب

ولو لم يكن كذلك لما كانت الطاعة ايضا سبب خلود الثواب (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون) عاهدناهم بالتوحيد ومقتضى التوحيد ملاحظة الحضرة الربوبية ومشاهدة تجلياتها في مظاهرها والقيام بحقها على حسب ظهور اوصافها ❁ واول من يظهر عليه صفات الربوبية وآثارها في الظاهر وعالم الشهادة هما الابوان لمكان النسبة والتربية والعطوفية التى هى آثار الموجد الرب الرحيم فيهما له فالاحسان اليهما يجب ان يلى عبادة الله بحسب ظهوره في مظهريهما ثم ذوى القربى لظهور المواصلة والمرحمة الالهية فيهم بالنسبة اليه ثم اليتامى لاختصاص ولايته وحفظه تعالى بهم فوق من عداهم اذ هو ولى من لا ولى له ثم المساكين لولايته رعايتهم ورزقهم بنفسه بلا واسطة غيره ثم سائر الناس للرحمة العامة بينهم التى هى ظل الرحمانية

السفن وخوض البحر وغير ذلك فالعامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه * النوع الخامس قوله تعالى (وما انزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل اراد بالسماء السحاب سمي سماء لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فاحيا به) اي بالماء (الارض بعد موتها) اي يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيأ ولم يصبها المطر فهي كالميتة والآية في انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان * النوع السادس قوله تعالى (وبث) اي فرق (فيها) اي في الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان * النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة في رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيات العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الارض * النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والآية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله (لآيات) اي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) اي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا ومختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله اندادا) يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام انداد بعضها البعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله ان يكون له نداوله مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلته معرضا بان تحبه والمحبة لارادة (كحب الله) اي كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة الله تعالى

فالاحسان المأمور به في في الآية على درجاته وتفاضله في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله مع مشاهدة صفاته في مظاهرها ورعاية حقوق تجلياتها واحكامها (واذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم) بهواكم الى مقار النفس وصفاتها وميلكم الى هواها وطباعها وتارككم حياتكم الحقيقية وخواص افعالكم لاجل تحصيل مآربها ولذاتها (ولاتخرجون انفسكم) اي ذواتكم اذ يعبر بالنفس عن الذات (من دياركم) اي مقاركم الروحانية والروضات القدسية (ثم اقررتم) بقبولكم لذلك (وانتم تشهدون) عليه باستعداداتكم الاولية وعقولكم الفطرية (ثم انتم هؤلاء) الساقطون عن الفطرة المحجوبون عن نور الاستعداد الاصلي (تقتلون انفسكم) بغواياتكم ومتابعتكم الهوى (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اوطانهم القديمة الاصلية باغوائهم واضلالهم وتحريضهم على ارتكاب المعاصي واتباع الهوى (تظاهرون عليهم) تتعاونون عليهم (بالاثم) بارتكاب

لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب (والذين آمنوا اشد حبا لله) اى اثبت وادوم على محبته
لانهم لا يختارون مع الله سواء والمشركون اذا اتخذ واصنما ثم راوا آخر احسن منه طرحوا الاول
واختاروا الثانى وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم فى الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر
عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء
ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون
اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا اشد حبا لله لان الله احبهم
اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله
يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى
اشركوا فى شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم
عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام
لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو راى الذين كانوا يشركون فى الدنيا
عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من
قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود
(وان الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذ تبرأ) اى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
ورأوا العذاب) اى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع
فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم
الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الوصلات التى
كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعلمونها فى
الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب فى اللغة الحبل الذى
يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة اوقرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذى
يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لو ان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم)
اى من المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) اى كما اراهم العذاب يريهم الله
(اعمالهم حسرات عليهم) لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه
انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيآت التى عملوها
وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على
تضييعها وقيل يرفع لهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك
حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) ❊ قوله عز
وجل (يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا) نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام
والحلال المباح الذى احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد
والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس
تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به
ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان

الفواحش والمعاصى ليروكم فيتبعوكم فيها (والعدوان) والاستطالة على الناس لتعدى اليهم ظلمكم والزامكم اياهم رذائل القوتين البهيمية والسبعية وتحريضكم لهم عليها وتزيينكم لهم اياها كما هو عادة ملاحدة المسلمين من اهل الاباحة المدعين للتوحيد (وان يأتوكم اسارى) فى قيد تبعات ارتكبوها وشين افعالهم القبيحة اخذ تكم الداعة وعيرتهم عقولهم وعقول ابناء جنسهم بما لحقهم من العار والشنار (تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم) بكلمات الحكمية والموعظة والنصيحة الدالة على ان اللذات المستعلية هى العقلية والروحية وعاقبة اتباع الهوى والنفس والشيطان وخيمة ومشاركة البهائم والهوام فى افعالها مذمومة رديئة فيتيقظوا بها ويتخلصوا من قيد الهوى سريعة كما نشاهد من حال عاوح مدعى التوحيد والمعرفة والحكمة واتباعهم فى زماننا هذا (افتؤمنون ببعض الكتاب) اى كتاب العقل والشرع قولا واقرارا فتقرون به وتصدقونه وهو

قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى
(انه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين
عداوته ماهي فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعني بالاثم والسوء مايسوء صاحبه ويحزنه
(والفحشاء) يعني بها المعاصي وماقبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء مالاحد فيه والفحشاء
مايجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وان تقولوا على الله مالاتعلمون) يعني من
تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها ولم ترد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان
في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل
هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر
له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم وانما اقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان ❊ قوله عز وجل
(واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال
ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن
عوف بل نتبع ماالفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية متصلة بما قبلها
والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد او هم مشركوا العرب
قالوا بل نتبع ماالفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله ياايها
الناس كلوا مما في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله يعني في تحليل ماحرموا على انفسهم
(قالوا بل نتبع ماالفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى
(اولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لايعقلون شيا) يعني لايعلمون شيا من امر الدين لفظه
عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر دنيا (ولايهتدون) اى الى الصواب ثم ضرب
لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق
صوت الراعي بالغنم ولايقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يامحمد ومثل
الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لاتسمع الا صوتا فصار الداعي
الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه
المثل ان الغنم تسمع الصوت ولاتفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله
عليه وسلم ولكن لاينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله
كمثل المنعوق به من البهائم التي لاتفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق
به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لاتفقه ولاتعقل كمثل
الناعق بالغنم فهو لاينتفع من نعيقه بشئ غير انه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من
دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف
هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه
وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء
الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لايسمع يقال لمن يسمع ولايعقل كانه اصم بكم اى

ان اتباع الهوى والنفس
مذموم موجب للوبال
والهلاك والخسران (و
تكفرون ببعض) فعلا
وعملا فلاتنتهون عمانهاكم عنه
وهو اباحتهم واستحلالهم
للمحرمات والمنهيات (فما
جزاء من يفعل ذلك منكم
الاخزى) افتضاح وذلة
(في الحيوة الدنيا ويوم
القيامة) اى حال المفارقة
التي هي القيامة الصغرى
(يردون الى اشد العذاب)
الذي هو تعذيبهم بالهيئات
المظلمة الراسخة في نفوسهم
واحتراقهم بنيرانها او مسخهم
عن صورهم بالكلية و
تضاعف البلية (وما الله
بغافل عما تعملون اولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولاهم ينصرون)
عن اعمالكم احصاها
وضبطها في انفسكم وكتبها
عليكم كما قال يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه
الله ونسوه (ولقد آتينا
موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسل وآتينا عيسى بن
مريم البينات وايدناه بروح
القدس افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم

عن النطق بالحق عمى اى عن طريق الهدى (فهم لايعقلون) قيل المراد به العقل الكسبى لان العقل الطبيعى كان حاصلا فيهم * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولايقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من الطعام فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعنى على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) اى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لاغيره وقيل ان كنتم عارفين بالله ونعمه فاشكروه عليها قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما امرنا الله تعالى فى الآية التى تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الآية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل مافارقه روحه من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجارى وكانت العرب تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه ويأكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما اهل به لغير الله) يعنى وماذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعنى الى اكل الميتة واحوج اليها (غير باغ) اصل البغى الفساد (ولا عاد) اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) اى فأكل فلا اثم عليه اى فلا حرج فى اكلها (ان الله غفور) اى لما اكله فى حال الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك ﴿ فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل ﴾ (الاولى فى حكم الميتة) اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روى عن ابن ابى اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه اخرجاه فى الصحيحين واختلف فى السمك الميت الطافى على الماء فقال مالك والشافعى لابأس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن جنى انه مكروه وروى عن على بن ابى طالب انه قال ماطفا من صيد البحر فلاتأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن ابى بكر الصديق وابى ايوب اباحته واختلف فى الجراد فقال الشافعى وابو حنيفة لاباس باكل الجراد كله مااخذته وماوجدته ميتا وروى مالك ان ماوجد ميتا فلايحل وما اخذ حيا يذكى ذكاة مثله بان يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلايحل ﴿ المسئلة الثانية فى حكم الدم ﴾ اتفق العلماء على ان الدم

الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما

حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطني عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد واما الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبدالرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبدالله بن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبدالله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابوبكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الوقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم ﴿المسئلة الثالثة في الخنزير﴾ اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره ﴿المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله﴾ من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروى عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿المسئلة الخامسة في حكم المضطر﴾ المضطر هو المكلف بالشئ الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيأ البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلو ان كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان احدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك ﴿المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد﴾ قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي معتد يعني العاصي بسفره بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره ان يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي غير طالب

هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهد انبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ظاهر ومعلوم تمامه والظاهر ان جبرائيل هو العقل الفعال وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بارزاق العباد واسرافيل هو روح الفلك الرابع وعقله المفيض للنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالحيوانات وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالارواح الانسانية كلها يقبضها بنفسه او بالوسايط التي هي اعوانه ويسلمها الى الله تعالى (واتبعوا) اي اتبع اليهود والقوى الروحانية (ما تتلو الشياطين) شياطين

الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اى غير متعد ما حدله وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها * قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما انزل الله من الكتاب (ويشترون به) اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم (اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) يعنى ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضى بهم ذلك الى النار فكانهم اكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى كلام رحمة ما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) اى وجيع يصل المه الى قلوبهم (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما اصبرهم على النار) اى ما الذى صبرهم واى شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار (ذلك بان الله نزل الكتاب) يعنى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله انزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) يعنى اختلفوا فى معانيه وتأويله فحرفوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفى شقاق) اى خلاف ومنازعة (بعيد) يعنى عن الحق * قوله عزوجل (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه فى هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس

الانس الذين هم المتمردة العصاة الاشرار الاقويا وشياطين الجن وهم الاوهام والخيالات والمتخيلات المحجوبة عن نور الروح العاصية لامر العقل المتمردة عن طاعة القلب (على) عهد (ملك سليمان) النبى او سليمان الروح من كتب السحر وعلومه يزعمون انه علم سليمان وبه استولى على الملك وسخر ما سخر من الجن والانس والطير وعلم الحيل والشعبذة والموهومات والمتخيلات والسفسطة (وما كفر سليمان) باسناد التأثير الى غير الله اذ السحر كفر واحتجاب عن مؤثرية الله باسناد التأثير الى غيره (ولكن الشياطين كفروا) احتجبوا ولم يعلموا ان لا مؤثر الا الله (يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين) اى العقل النظرى والعلمى المائلين الى النفس المنكوسين من بئر الطبيعة لتوجههما اليها باستجذاب النفس اياهما اليها (ببابل هاروت وماروت) الصدر لمعذبين بضيق المكان بين ابخرة المواد وادخنة نيران الشهوات من العلوم والاعمال من باب الحيل والنيرنجات والطلسمات على التأويلين (وما يعلمان من احد حتى

البر ان تولوا وجوهكم اى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البر)
يعنى ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب
والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى (من آمن بالله) اى ولكن البر من آمن
بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم
الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) اى ومن البر الايمان
بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل اراد به القرآن وقيل
جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعنى اجمع وانما خص الايمان بهذه
الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها (وآتى
المال على حبه) يعنى من اعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على
هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يارسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا
بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له
وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه راجع الى الله تعالى اى وآتى
المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعنى اهل قرابة المعطى وانما قدمهم
لانهم احق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على
المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائى (ق) ان ميمونة
رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور
عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت وليدتى قال اوقد فعلت قالت نعم قال اما انك لو
اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا اب له مع
الصغر وقيل يقطع على الصغير والبالغ اى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين
سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المنقطع
عن اهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل
اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين)
يعنى الطالبين المستطعمين عن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل
حق ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك فى الموطا عن ام بجيد قالت قلت يارسول الله
ان المسكين ليقوم على بابى فلم اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده
اخرجه ابو دود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد
الحرمان وانما اراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا
مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء
الاسارى (واقام الصلاة) يعنى المفروضة فى اوقاتها (وآتى الزكوة) يعنى الواجبة (والموفون

يقولا انما نحن فتنة) امتحان
وبلاء من الله لقوة النورية
وبقية الملكوتية فيهما فينبهان
على حالهما بالنور العقلى (فلا
تكفر) باستعمال هذا العلم فى
المفاسد والمناهى واسناد
التأثير اليه (فيتعلمون منهما
ما يفرقون به بين المرء
وزوجه) القلب والنفس
وبين الروح والنفس وتكدير
القلب (وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله) اى اذا
اراد الله ان يضره عند ذلك
الفعل فيفعل ما يريد ويكون
زيادة ابتلاء للساحر وامهالا له
فى كفره واحتجابه لرؤيته
ذلك من تأثير سحره
(ويتعلمون ما يضرهم)
بزيادة الاحتجاب وشدة الميل
والهوى (ولا ينفعهم) فى
رفع الحجاب برؤيتهم ذلك
ابتلاء من الله واستعاذتهم
بالله ليقيهم من شره (ولقد
علموا لمن اشتراه ماله فى
الآخرة من خلاق ولبئس
ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون) اى نصيب لاقباله
على النفس والهوى بالكلية
واستعمال ذلك فى اكتساب
حطام الدنيا وتمتعاتها (ولو
انهم آمنوا) برؤية الافعال
من الله (واتقوا) الشرك
بنسبة التأثير الى غيره (لمثوبة)
دائمة ثابتة (من عند الله) من

بعهدهم) يعنى ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا فى اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا (والصابرين فى البأساء) اى فى الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعنى المرض والزمانة (وحين البأس) يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب باسا لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس اى اشتد الحرب ونتقى به اى نجعله وقاية لنا من العدو (اولئك الذين صدقوا) اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم (واولئك هم المتقون) * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) نزلت فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وامره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم اى فرض عليكم القصاص فى القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ راسه بحجر فات فيقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة والرواية الثانية عن احمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعى واحمد ويدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابى جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن قال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن على نحو هذا من غير رواية ابى جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء

الانوار اولرحية والمواهب الفتوحية والاحوال القلبية والمعارف الالهية (خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية) بابطال حكمها وابقاء لفظها (او ننسها) ونذهب بها من قلبك بازالة لفظها ومعناها او لفظها دون معناها كآية الرجيم (نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) اى بما هو اصلح فى بابه منها فى نفعها او يساويها فى الخير والصلاح واعلم ان الاحكام المثبتة فى اللوح المحفوظ اما مخصوصة واما عامة والمخصوصة اما ان تختص بحسب الاشخاص واما ان تختص بحسب الازمنة فاذا نزلت بقلب الرسول فالتى تختص بالاشخاص تبقى ببقاء الاشخاص والتى تختص بالازمنة تنسخ وتزال بانقراض تلك الازمنة قصيرة كانت كمنسوخات القرآن اوطويلة كاحكام

القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقام الحدود فى المساجد ولايقتل الوالد بالولدا خرجه الترمذى وذهب اصحاب الراى الى ان المسلم يقتل بالذمى والحر بالعبدوهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه ويقولون هى مفسرة لما ابهم فى قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بنى اسرائيل فى التوراة وهذا الاية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراى الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابن عمران غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعاء لقتلتهم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك فى الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة اوسبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالا اى تعاونوا واجتمعوا عليه * وقوله تعالى (فمن عفى له من اخيه شئ) اى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى بالدية او العفو عنها اوقبول الدية فى قتل العمد من اخيه اى من دم اخيه واراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه اولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيا من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) اى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يأخذ اكثر من حقه ولا يعنفه (واداء اليه باحسان) اى على القاتل اداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل فى تقدير الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفى الآية دليل على ان القاتل لايصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثانى انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عفى له من اخيه شئ واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر * وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما فى التوراة وكان فى شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو وقبول الدية (فله عذاب اليم) وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة * قوله عز وجل (ولكم فى القصاص حياة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه

الشرائع المتقدمة ولاينافى ذلك ثبوتها فى اللوح اذ كانت فيه كذلك والعامة تبقى ما بقى الدهر كتكلم الانسان واستواء قامته مثلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) اى له ملك سموات عالم الارواح وارض الاجساد وهو المتصرف فيهما بقدرته بل كله ظاهره وباطنه فلم يبق شئ غيره ينصركم ويليكم (ام تريدون ان تسالوا رسولكم) من قبل اللذات الدنية الحسية والشهوات الخسيسة النفسية (كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان) الظلمة بالنور (فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شئ قدير واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير) الطريق المستقيم (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) اى قالت اليهود لن يدخل الجنة

اذاقتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب الحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذ علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة (ياولى الالباب) اى ياذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعنى لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص *قوله عزوجل (كتب) اى فرض وواجب (عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه فى ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعنى مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فتجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا فى مقدار الكثير الذين تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال وروى ان رجلا قال لعائشة انى اريد ان اوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية) اى الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هى القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية فى ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائى والترمذى بنحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق من يرث وبقى وجوبها فى حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وجماعة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذى لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض احكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد ان يوصى به ان يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندى اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ

المعهودة عندهم جنة الظاهر وعالم الملك التى هى جنة الافعال وجنة النفس الامن كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة المعهودة عندهم اى جنة الباطن وعالم الملكوت التى هى جنة الصفات وجنة القلب الامن كان نصرانيا ولهذا قال عيسى عليه السلام فى دعوتهم الى جنتهم لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين وكانت دعوته الى السماء اى السماء الروحانية (تلك امانيهم) اى غاية مطالبهم التى وقفوا على حدها واحتجبوا بها عما فوقها (قل هاتوا برهانكم) اى دليلكم الدال على نفى دخول غيركم جنتكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم بل الدليل دل على نقيض مدعاكم فان من (بلى اسلم وجهه) اى ذاته الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها (لله) بالتوحيد الذاتى عند المحو الكلى والفناء فى ذات الله (وهو محسن) اى مستقيم فى احواله بالبقاء بعد الفناء مشاهد ربه فى اعماله راجع من الشهود الذاتى الى مقام الاحسان الصفاتى الذى هو المشاهدة بالوجود الحقانى لمكان الاستقامة والعبادة

الحق يشمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث فى الوصية لانه لايدرى متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) اى بالعدل الذى لاوكس فيه ولاشطط فلايزيد على الثلث ولايوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتدبى فقلت يارسول الله انى قدبلغ بى من الوجع مازى وانا ذو مال ولايرثنى الا ابنة لى افاتصدق بثلثى مالى قال لاقلت فالشطر يارسول الله قال لاقلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير او قال والثلث كبير انك ان تذر ذريتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال فى الوصية لوان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال على بن ابى طالب لان اوصى بالخمس احب الى من اوصى بالربع ولان اوصى بالربع احب الى من ان اوصى بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس او بالخمس او الربع (حقا) اى ثابتا ثبوت ندب لاثبوت فرض ووجوب (على المتقين) اى على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) اى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما فى الكتابة اوفى قسمة الحقوق اوالشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت اوما اوصى به (بعدما سمعه) اى من الموصى وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) اى انه اثم ذلك التبديل لايعود الا على المبدل والموصى والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما اوصى به الموصى (عليم) يعنى بتبديل المبدل (فمن خاف) اى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (اواثما) اى ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطا فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصية اما بتقصير اواسراف اووضع الوصية فى غير موضعها فلاحرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه اراد به اذا اخطا الميت فى وصيته اوخاف متعمدا فلاحرج على وليه اووصيه اوولى امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) اى فلاحرج عليه فى الصلح (ان الله غفور رحيم) اى لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابوهريرة من بعد وصية يوصى بها اودين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابوداود والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية ان لا تمضى او ينقص بعضها او يوصى لغير اهلها او يحيف فى الوصية ونحو ذلك * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب

(والجماع)

لابالوجود النفسانى (فله اجره عندربه) اى ماذكرتم من الجنة واصنى والاذ لاختصاصها بمقام العندية اى المشاهدة التى احتجبتم عنها (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) اى وزيادة على ما لكم من الجنة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فاتهم بسبب الوقوف بحجاب جنة الافعال والصفات والتلذ ذبها والاستراحة فيها والاستدامة اليها من شهود جمال الذات فانهم وان تركوها بالشوق الى تجلى الذات فانها حاصلة لهم وادنى مقامهم تحت جنة الذات (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) لاحتجابهم بدينهم عن دينهم وكذا قالت النصارى لاحتجابهم بالباطن عن الظاهر كما احتجب اليهود بالظاهر عن الباطن على ماهو حال اهل المذاهب اليوم فى الاسلام (وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم) وفيه مايرشدهم الى رفع الحجاب ورؤية حق كل دين ومذهب وليس اهل ذلك الدين

والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة اى فى الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى اسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فجعل لله عليه ان هو براء من وجعه ان يزيد فى صومهم اسبوعا فبرأ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة ايام اتموه خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (اياما معدودات) اى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا محتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انها اكثر من ذلك لكنها غير محصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت فى السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا او على سفر) اى فافطر (ف) عليه (عدة من ايام اخر) يعنى غير ايام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) اى يطيقونه الصوم واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التى بعدها فنسختها وفى رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هى خاصة فى حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن

والمذهب حقهم باطل لتقيدهم بمعتقدهم فما الفرق بينهم وبين الذين لا علم لهم ولا كتاب كالمشركين فانهم يقولون مثل قولهم بل هم اعذر اذ ليس عليهم الا حجة العقل وهم بحجة العقل والشرع (فالله يحكم بينهم) بالحق فى اختلافاتهم (يوم) قيام (القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الكبرى وظهور الوحدة عند خروج المهدى عليه السلام وفى الحديث ما معناه ان الله يتجلى لعباده فى صورة معتقداتهم فيعرفونه ثم يتحول عن صورته الى صورة اخرى فينكرونه وحينئذ يكونون كلهم ضالين محجوبين الا ما شاء الله وهو الموحد الذى لم يتقيد بصورة معتقده (ومن اظلم) اى انقص حقا وابخس حظا (ممن منع مساجد الله) اى مواضع سجود الله التى هى القلوب التى يعرف فيها فيسجد بالفناء الذاتى (ان يذكر فيها اسمه) الخاص الذى هو الاسم الاعظم اذ لا يتجلى بهذا الاسم الا فى القلب وهو التجلى بالذات مع جميع الصفات او اسمه المخصوص بكل واحد منها اى الكمال اللائق باستعداده المقتضى له (وسعى فى خرابها) بتكديرها

يشق عليه رخص له ان يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا فى المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه فى عبادة ونحوها ويجب على من افطر فى رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعنى زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وان تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى (ان كنتم تعلمون) يعنى ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما فى الصوم من المعانى المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين فى افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهولاء اذا فطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعى وذهب اهل الراى الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل (شهر رمضان) يعنى وقت صيامكم شهر رمضان سمى الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا ظهر شهر وسمى الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمى الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهى الحجارة المحماة فى الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذى انزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعى انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله

بالتعصبات الباردة وغلبة واستيلاء التمنيات عليها ومنع اهلها المسعدين عنها بالهرج والمرج وتهييج الفتن اللازمة لتجاذب قوى النفس ودواعى الشيطان والوهم (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) ويصلوا اليها أى منكسرين لظهور تجلى الحق فيها (لهم فى الدنيا خزى) اى افتضاح وذلة بظهور بطلان دينهم ومعتقدهم وفسخه بدين الحق وانقهارهم وتحسرهم ومغلوبيتهم (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو الاحتجاب عن الحق بدينهم (ولله المشرق) اى عالم النور والظهور الذى هو جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه (والمغرب) اى عالم الظلمة والاختفاء الذى هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره (فاينما تولوا) اى اى جهة توجهوا من الظاهر والباطن (فثم وجه الله) اى ذات الله المتجلية بجميع صفاته او ولله الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها وذواتها واختفائه بصفة جلاله حالة [illegible]ائكم بعد الفناء فاى

فلااقسم بمواقع النجوم وروى ابوداود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابراهيم فى ثلاث ليال مضين من رمضان وفى رواية فى اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى فى ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى فى ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود فى ثمان عشر ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وابى سليمان الدمشقى وقيل فى معنى الآية شهر رمضان الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية فى الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض روى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى للناس) يعنى من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال مامعنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لايكون كذلك فكانه قال هو هدى فى نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى فى نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هى الدلالات الواضحات التى تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل * قوله عزوجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) اى فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه فى الصحيحين ولاخلاف انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء فى وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة فى سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى آخره مجرى الشهادة فلايقبل فى آخره اقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط فى امر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

﴿فصل فى حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿الاولى﴾ اختلفوا فى المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اى مرض كان وهو مايطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثانى وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس او زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض مايؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا اجهده الصوم افطر والافهو كالصحيح ﴿المسئلة الثانية﴾ الفطر فى السفر مباح والصوم جائز به قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لايجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام

جهة تتوجهوا حينئذ فثم وجهه لم يكن شئ الا اياه وحده (ان الله واسع) جميع الوجود شامل لجميع الجهات والوجودات (عليم) بكل العلوم والمعلومات (وقالوا اتخذ الله ولدا) اى اوجد موجودا مستقلا بذاته مخصوصا دونه (سبحانه) نزهه عن ان يكون غيره شئ فضلا عما يجانسه (بل له ما فى السموات والارض) اى له عالم الارواح والاجساد وهى باطنه وظاهره كما تقول له الذات والوجه والصفات وامثال ذلك (كل له قانتون) موجودون بوجوده فاعلون بفعله معدومون بذواتهم وهو غاية الطاعة والقيام بحقه اذ هو الوجود المطلق فلا يوجد بدونه شئ والوجودات المعينة صفاته واسماؤه لامتيازها بتعيناتها التى هى امور امكانية عدمية ليست عينه بالاعتبار العقلى الذى يقسمها الى الوجود والماهية التى هى بدون الوجود ليست شيئا فى الخارج لكن فى العقل والعقليات باطنه فهى فى الحقيقة ليست غيره فلا يكون غيره موجودا حتى يكون ولدا اى معلولا او

فى السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم فى السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ماروى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فراى زحاما ورجلا قدظلل عليه فقال ماهذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام فى السفر اخرجه البخارى ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر فى السفر ماروى عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلف العلماء فى قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهرى اى سفر كان ولوكان فرسخا وقال الاوزاعى السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعى واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابوحنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر فى اثنائه جازله ان يفطر حالة السفر ويجوزله ان يصوم فى بعض السفر وان يفطر فى بعضه ان احب يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة ﴿ المسئلة الخامسة ﴾ اختلفوا فى الافضل فذهب الشافعى الى ان الصوم افضل من الفطر فى السفر وبه قال مالك وابوحنيفة وقال احمد الفطر افضل من الصوم فى السفر وقالت طائفة من العلماء هماسواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿ المسئلة السادسة ﴾ يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولايجوز للعاصى بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخى فى القضاء ويدل عليه ايضا ماروى عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضى الافى شعبان ذلك من الشغل بالنبى صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) اى قدنفى عنكم الحرج فى امر الدين قيل ماخير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى (ولتكملوا العدة) اى عدد الايام التى افطر تم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل اراد عدد ايام الشهر (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلاتصوموا حتى تروا الهلال ولاتفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعى واحب اظهار التكبير فى العيدين وبه قال مالك واحمد وابويوسف ومحمد وقال ابوحنيفة لايكبر فى عيد الفطر ويكبر فى عيد الاضحى حجة الشافعى ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ماهداكم الى آخر هذه العبادة القول الثانى فى معنى قوله ولتكبروا الله اى ولتعظموا الله شكرا على ماانعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على ماهداكم) اى ارشدكم الى طاعته والى مايرضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

مخلوقا او ما شئت فسمه (بديع السموات والارض) اى مبدع سمواته وارضه غير مسبوقة بمادة ومدة بل هى ظلال ذاته ومنشأ عالميته منورة باسمه النورانى موجودة بوجوده الخارجى ولولم يكن جهات الامكان واعتبارات العقل بحسب اليقينيات لما اعتبرت وجوداتها اصلا اذهى بلا هوغير شئ فلاتكون معه موجودة بالمقارنة بل بالتحقيق بوجوده ولاتكون غيره بالمفارقة بل بالاعتبار العقلى فهى باعتبار تعيناتها خلق وباعتبار حقيقتها حق (واذاقضى امرا) اى حكم به (فانما يقول له كن فيكون) اى فلايكون الاتعلق ارادته به فيوجد بلا تخلل زمان ولاتوسط شئ بل معا وذلك التعلق هوقوله والالم يكن ثم قول ولاصوت (وقال الذين لايعلمون) علم التوحيد من المشركين (لولا يكلمنا الله اوتأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) فى الجهل بعلم التوحيد وبكلام الله وآياته اذالعلم بهمافرع علم التوحيد (قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) دلائل

(فصل)

﴿ فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه ﴾ ق عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اى
شدت بالاغلال (ق) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم
من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اى طلبا
لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة
وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن ابى هريرة
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى للصائم فرحتان فرحة
عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك زاد فى رواية
والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه احد او قاتله فليقل
انى صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد
وانما خص الصوم بقوله تعالى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم
لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع
عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما اتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله
وللصائم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل
فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى
من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام
ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة
على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند
احدكم قوله الصيام جنة اى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى قوله
فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب
الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة
بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه
احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلا يدخل منه احد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله الا الصائمون عن ابى امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله مرنى
بامر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفى رواية اى العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه
لا عدل له اخرجه النسائى * قوله عز وجل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) قال ابن عباس
قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ
كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى اى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا
فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله
اما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السؤال عن صفاته تعالى
فهو ان يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا واما السؤال عن افعاله تعالى فهو ان يكون السائل

التوحيد وكيفية المكالمة
(لقوم يوقنون) لاهل الايقان
(انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا) ولا تسئل عن
اصحاب الجحيم) اى ولا تؤاخذ
باحتجابهم وما عليك ان
تنقذهم من ظلمات حجبهم انما
عليك ان تدعوهم بالبشارة
والانذار (ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم قل ان هدى الله
هو الهدى (اى طريق
الوحدة المخصوصة بالحق
هو الطريق لا غير كما قال
على عليه السلام اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى
هى الجادة (ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذى جاءك
من العلم) اى من علم التوحيد
والمعرفة (مالك من الله
من ولى ولا نصير) لامتناع
وجود غيره (الذين
آتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فأولئك
هم الخاسرون يا بنى
اسرائيل اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم انى فضلتكم على
العالمين واتقوا يوما لا تجزى
نفس عن نفس شيأ ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولاهم ينصرون)
واذا ابتلى ابرهيم ربه
بكلمات) اى بمراتب
الروحانيات كالقلب والسر

سأل هل يجيب ربنا اذادعوناه فقوله تعالى واذاسألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فانى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لايخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من سأله (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال لماغزارسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا وقال توجه الى خيبر اشرف الناس على وادفرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لاتدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم * وقوله تعالى (اجيب دعوة الداع اذا دعان) اى اسمع دعاء عبدى الداعى اذادعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه لايخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذادعا وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الآية مطلقة وقد وردت آية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه اجيب دعوة الداعى اذا وافق القضاء او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه اذا لم يسال اثما او محالا ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الاية واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها ان للدعاء ادابا وشرائط وهى اسباب الاجابة فمن استكملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتداء فى الدعاء فلا يستحق الجواب والله اعلم * وقوله تعالى (فليستجيبوا لى) يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذ دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) اى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

* فصل فى فضل الدعاء وآدابه) (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على مايليق به ويكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويله مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على مايليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم

والروح والخفاء والوحدة والاحوال والمقامات التى يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها (فأتمهن) بالسلوك الى الله وفى الله حتى الفناء (قال انى جاعلك للناس اماما) بالبقاء بعد الفناء والرجوع الخلق من الحق تؤمهم وتهديهم سلوك سبيلى ويقتدون بك فيهتدون (قال ومن ذريتى) اى واجعل بعض ذريتى ايضا اماما (قال) قد يكون منهم ظالمون و (لاينال عهدى الظالمين) اياهم اى لايكونون خلفائى ولا اعهد الى الظالمين بالامامة (واذجعلنا البيت) بيت القلب (مثابة) اى مرجعا ومبوأ (للناس وامنا) ومحل امن اوسبب امن وسلامة لهم يأمنون بالوصول اليه والسكون فيه شر غوائل صفات النفس وفتك فتاك القوى الطبعية وافسادها وتخييل شياطين الوهم والخيال واغوائهم ومكائدهم (واتخذوا من مقام ابرهيم) الذى هو مقام الروح ومقام الخلة (مصلى) موطنا للصلاة الحقيقة التى هى المشاهدة والمواصلة الالهية والخلة الشوقية (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى

حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب الصفر الخالى يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع بإثم اوقطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذى قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذى وله عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيأ احب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل بقوله قد دعوت فلم يستجب لى ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم اوقطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يارسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر اى يستنكف عن السؤال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخارى ارزقنى ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسئلة اى لا تكن فى دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد فى المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له اولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح * قوله عزوجل (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول هذه الآية انه كان فى ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلى العشاء الاخيرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر ابن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة انى رجعت الى اهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت اهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت فى عمر واصحابه احل لكم اى ابيح لكم ليلة اراد بالليلة ليالى الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيى كريم يكنى فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) اى سكن لكم (وانتم لباس لهن) اى سكن لهن قيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون احد الزوجين الى الآخر وسمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما

امرنا هنا بتطهير بيت القلب من قاذورات احاديث النفس ونجاسات وساوس الشيطان وارجاس دواعى الهوى وادناس صفات القوى (للطائفين) اى السالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب فى سيرهم (والعاكفين) الواصلين الى مقام القلب بالتوكل الذى هو توحيد الافعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وازعاجها منه (والركع السجود) اى الخاضعين الذين بلغوا الى مقام تجلى الصفات وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين فى الوحدة (واذقال ابراهيم رب اجعل هذا) الصدر الذى هو حرم القلب (بلدا آمنا) من استيلاء صفات النفس واغتيال العدو اللعين وتخطف جن القوى البدنية اهله (وارزق اهله من الثمرات) من ثمرات معارف الروح اوحكمه وانواره (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من وحد الله منهم وعلم المعاد (قال ومن كفر) اى ومن احتجب ايضا من الدين سكنوا الصدر ولا يجاوزون حده بالترقى الى مقام العين لاحتجابهم بالعلم

عند الوم واجتماعهما فى ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء فى الحديث من تزوج فقد احرز ثلثى دينه ﴿ علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ﴾ قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون فى ليالى الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شئ فلا يؤدى فيه الامانة ويقال للعاصى خائن لانه مؤتمن على دينه ﴿ فتاب عليكم ﴾ اى فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم ﴿ وعفا عنكم ﴾ اى محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر ﴿ فالآن باشروهن ﴾ اى جامعوهن فهو حلال لكم فى ليالى الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ اى ما قضى لكم فى اللوح المحفوظ يعنى الولد وقيل وابتغوا الرخصة التى كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع فى اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ﴾ نزلت فى صرمة بن قيس بن صرمة الانصارى ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل فى ارض له وهو صائم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمى الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيأ سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيا من التعب فايقظته فكره ان يعصى الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما افاق اتى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا ابا قيس مالك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحا اى مهزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسى وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا فى ليالى الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو فى الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم فى رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى تتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعده (من الفجر) فعلموا انه انما يعنى الليل والنهار (ق) عن عدى بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتى وجعلت انظر فى الليل فلا يتبين لى فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل

(وبياض)

الذى وعاؤه الصدر (فأمتعه) تمتيعا (قليلا) من المعانى العقلية والمعلومات الكلية النازلة اليهم من عالم الروح على قدر ما تعيشوا به (ثم اضطره الى عذاب النار) نار الحرمان والحجاب (وبئس المصير) مصيرهم لتعذبهم بنقصانهم وتألمهم بحرمانهم (واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت) قيل ان الكعبة انزلت من السماء فى زمان آدم ولها بابان الى المشرق والمغرب فحج آدم عليه السلام من ارض الهند واستقبلة الملائكة اربعين فرسخا فطاف بالبيت ودخله ثم رفعت فى زمان طوفان نوح عليه السلام ثم انزلت مرة اخرى فى زمان ابراهيم صلوات الله عليه فزارها ورفع قواعدها وجعل بابها بابا واحدا وقيل ثم تمخض ابوقبيس فانشق عن الحجر الاسود وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة نزل بها جبرائيل فخبئت فيه فى زمان الطوفان الى زمن ابراهيم عليه السلام فوضعه ابراهيم مكانه ثم اسود بملامسة النساء الحيض فنزولها فى زمان ادم اشارة الى ظهور القلب فى زمانه بوجوده عليه وكونه

وبياض النهار (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض وهو اول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا اشبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل يعني منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل افطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيأ فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل او لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية في ان الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى (ثم اتموا الصيام الى الليل) امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعي عنه بأن هذا انما ورد في بيان احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فاني اذا صائم ثم اتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله اهدي لنا حيس قال ارنيه فلقد اصبحت صائما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق اوفتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف * قوله عز وجل (ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

﴿فصل في حكم الاعتكاف﴾ الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن علي انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعي ومالك واحمد

ذا بابين شرقي وغربي اشارة الى ظهور علم المبدأ والمعاد ومعرفة عالم النور وعالم الظلمة في زمانه دون علم التوحيد وقصده زيارتها من ارض الهند اشارة الى توجهه بالتكوين والاعتدال من عالم الطبيعة الجسمانية المظلمة الى مقام القلب واستقبال الملائكة اشارة الى تعلق القوى الحيوانية والنباتية بالبدن وظهور آثارها فيه قبل آثار القلب في الاربعين التي تكونت فيها بنيته وتخمرت طينته اوتوجهه بالسير والسلوك من عالم النفس الظلماني الى مقام القلب واستقبال الملائكة تلقي القوى النفسانية والبدنية اياه بقبول الاذعان والاخلاق الجميلة والملكات الفاضلة والتمرن فيها والتنقل في المقامات قبل وصوله الى مقام القلب وطوافه بالبيت اشارة الى وصوله الى مقام القلب وسلوكه فيه مع التلوين ودخوله اشارة الى تمكنه واستقامته فيه ورفعه في زمان الطوفان الى السماء اشارة الى احتجاب الناس بغلبة الهوى وطوفان الجهل في زمان نوح عليه

يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ﴿فروع﴾ الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح الابه وحجة الشافعي ماروى عن عمر قال يارسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل ﴿الفرع الثاني﴾ لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابي حنيفة يوم بشرط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس ﴿الفرع الثالث﴾ الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به واما مادون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلماء وهو اظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابي حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد هنا بها كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) اي فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت في الآية اشكالان اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ماتقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجمع فلا تقربوها الاشكال الثاني هو انه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في آية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك

(ان يقع)

السلام عن مقام القلب وبقاؤه في السماء الرابعة اى البيت المعمور الذي هو قلب العالم ونزوله مرة اخرى في زمان ابراهيم عليه السلام اشارة الى اهتداء الناس في زمانه الى مقام القلب بهدايته ورفع ابراهيم قواعده وجعله ذا باب واحد اشارة الى تلقي القلب بسلوكه عليه السلام من مقامه الى مقام الروح الذي هو السر وارتفاع مراتبه ووصوله الى مقام التوحيد اذ هو اول من ظهر عليه التوحيد الذاتي كما قال عليه السلام وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين والحجر الاسود اشارة الى الروح وتمخض ابي قبيس وانشقاقه عنه اشارة الى ظهوره بالرياضة وتحرك آلات البدن باستعمالها بالتفكر والتعبد في طلب ظهوره ولهذا قيل خبئت فيه يعني احتجبت بالبدن واسوداده بملامسة النساء الحيض اشارة الى اختفائه وتكدره بظلمة القوى النفسانية على القلب واستيلائها عليه وتسويدها الوجه النور اي الذي

فيه وقيل المراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد وهذا من التحريم فهى حدود لا تقرب (كذلك) اى كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه (يبين الله آياته) اى معالم دينه واحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافى الوافى (لعلهم يتقون) اى لكى يتقوا ماحرم عليهم فينجوا من العذاب * قوله عز وجل (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) نزلت فى امرئ القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمى الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل اى من غير الوجه الذى اباحه الله له واصل الباطل الشئ الذاهب

(فصل) اما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول ان يأكله بطريق التعدى والنهب والغصب الثانى ان يأكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك الثالث ان يأكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان يأكل اموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) اى وتلقوا امور تلك الاموال التى فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول انى لاقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكنى لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان قضائى لا يحل لك حراما (ق) عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه يأتينى الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفى رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها او يذرها قولها سمع جلبة خصم يعنى اصوات خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اى اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لتأكلوا فريقا) اى طائفة وقطعة (من اموال الناس بالاثم) يعنى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وانتم تعلمون) يعنى انكم على الباطل * قوله عز وجل (يسألونك) اى يا محمد (عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فانزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول واحال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر (قل هى مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انما فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم واجارتهم وعدد النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) اى وللحج وانما افرد الحج

يلى الروح منه وكذا اسمعيل ايضا كان من الموحدين لعطفه عليه فى رفع قواعد البيت (واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) اى لا تكلنا الى انفسنا فنسلم بانفسنا بل بك وبجعلك (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) هو محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال عليه السلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى وقد رأت فى المنام ان نورا اخرج منها فاضاءت لها قصور الشام (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) اى ملة التوحيد (الا من سفه نفسه) الا من احتجب عن نور العقل بالكلية وبقى فى مقام ظلمة نفسه اى نفسا على التمييز او فى نفسه على انتزاع الخافض (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اى من كان من المحبوبين المرادين بالسابقة الازلية

بالذكر وان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبران الحج مقصور على الاشهر التي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لايجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسيء (وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها) ق عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيوت من ظهورها فانزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولادارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشديدهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ابطال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لايبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها) يعني في حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

*قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) اي في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن ابي موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن انس هذه اول آية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا اولم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فامامن لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس

(ولا تقتلوا)

فاخترناه حالة الفناء في التوحيد (وانه في الآخرة) اي حالة البقاء بعد الفناء من اهل الاستقامة (لمن الصالحين) لتدبير النظام وتكميل النوع (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) اي وحد واسلم ذاتك الى الله يعني جعله في الازل من اهل الصف الاول مسلما موحدا مذعنا لرب العالمين فانيا فيه (ووصى بها) اي بكلمة التوحيد (ابراهيم بنيه ويعقوب) بنيه تأسيا (يابني ان الله اصطفى لكم الدين) اي دينه الذي يدين به الموحد لا دين له غيره ولا ذات فدينه دين الله وذاته ذات الله (فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) الاعلى هذا الدين اي لا تموتن بالموت الطبيعي موت الجهل بل كونوا ميتين بانفسكم احياء بالله ابدا فيدرككم موت البدن على هذه الحالة (تلك امة قد خلت لها ما

ولاتقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولامن القى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش اوسرية اوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو مايخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولاتعتدوا اى ولاتنقضوا العهد وقيل فى معنى الآية لاتعتدوا اى لاتبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لاتفى قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال ولاتعتدوا بابتداء القتال (ان الله لايحب المعتدين) * قوله عزوجل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى حيث وجدتموهم وادركتموهم فى الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد فى الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفى هذه الآية امرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا اولم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم (والفتنة اشد من القتل) يعنى ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم فى الحرم والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يؤدى الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء فى هذه الآية فذهب مجاهد فى جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لايحل ان يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) اى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لاتحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال فى الحرم إلا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعنى لما سلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) اى وقاتلوا المشركين (حتى لاتكون فتنة) اى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولايقبل من الوثنى الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم

كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) اى لاتكونوا مقلدين ولا تكتفوا بالتقليد الصرف فى الدين اذ لا اعتماد على النقل فليس لاحد الا ماكسب من العلم والعمل والاعتقاد والسيرة لايجازى احد بمعتقد غيره ولا بعمله فكونوا على بصائركم واطلبوا اليقين واعملوا عليه (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا) كل محجوب بدينه يزعم ان الحق دينه لاغير (قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فان الهدى المطلق هو التوحيد الذى يشمل كل دين ويرفع كل حجاب كما ذكر بعده فى قوله (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم (لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون بنفى دين البعض وابطال ملته واثبات الآخر وحقيته بل نقول باجتماعهم على الحق واتفاقهم على التوحيد ونقبل جميع اديانهم بالتوحيد الشامل لكلها (فان آمنوا بمثل

وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل (ويكون الدين لله) اى الطاعة و العبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) اى فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) اى بالقتال (فاعتدوا عليه) اى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) * قوله عز وجل (وانفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على اصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد شيأ السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد (ت) عن ابى عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى

ما آمنتم به) من التوحيد الجامع من كل دين ومذهب (فقد اهتدوا) الاهتداء المطلق اى كل الاهتداء (وان تولوا فانما هم فى شقاق) فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فى طرف من الدين وشق من الهداية يشاقونكم فيه (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) اى آمنا بالله وصبغنا الله صبغة فان كل ذى اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه فالمتعبدون بالملل المتفرقة مصبوغون بصبغ نبيهم والمتمذهبون بصبغ امامهم وقائدهم والحكماء بصبغ عقلهم واهل الاهواء والبدع المتفرقة بصبغ

الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس
سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال ايها الناس انكم لتؤولون هذه
الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر
ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت
وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله
تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب
شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقال حديث غريب صحيح مات ابو ايوب في آخر
غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م)
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مات ولم يغز ولم
يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب
الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط
فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الآية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا
فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال انفقوا في سبيل الله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة (واحسنوا) اي بالانفاق على من تلزمكم
مؤنته ونفقته وقيل احسنوا في الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار
في الانفاق وقيل معناه واحسنوا في اداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) اي
يثيبهم على احسانهم * قوله عز وجل (واتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو ان تتمهما
بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان تفرد
لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل
اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام
* فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا * م عن ابي هريرة قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افي كل عام
يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما
استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن
وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثاني
انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة حجة
من اوجب العمرة ما روى في حديث الصبي بن سعيد انه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي واني اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود
والنسائي باطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رآه
في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها كقرينتها في كتاب الله واتموا
الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة

اهوائهم ونفوسهم
والموحدون بصبغة الله
خاصة التي لا اصبغ احسن
منها ولا اصبغ بعدها كما قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى خلق
الخلق في ظلمة ثم رش عليهم
من نوره فمن اصاب من ذلك
النور اهتدى ومن اخطا
ضل فذلك النور هو صبغته
(سيقول السفهاء من الناس)
سماهم سفهاء خفاف العقول
لعدم وفاء عقولهم بادراك
حقيقة دين الاسلام
وقضاياها على ما عرفت بحقق
مذهبها ووقوفها به ولذلك
كانت محاجتهم في الله مع
اتفاقهم في التوحيد
واختصاص المسلمين
بالاخلاص اذ لو ادركوا
الحق لادركوا اخلاصهم
فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت
عقولهم رزينة لاستدلت
بالآيات وادركت في كل
دين ومذهب حقه وفرقت
بين ذلك الدين الحق
الذي هو كالروح لذلك
وبين باطل اهله الذي
اختلط به ولبسه خاصة
دين الاسلام فان كله حق
بل هو حق الحقوق ولذلك
جعلوا امة وسطا اي عدولا
بين الامم فضلاء شهداء
عليهم (ماولاهم عن قبلتهم

وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب
كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي
والترمذي وزادوا مامن مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح ووجه
الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام
فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بأنها سنة ماروى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بأن هذا الحديث
يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ماتفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به
واجمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد
ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع
انه يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي بأعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك
السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج
وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة
في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب مالك
والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ماروى عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله
عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال
افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك
في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ماروى عن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى ان التمتع
افضل يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
فأول من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان
من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان
منكم اهدى فانه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت
وبالصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة
اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شئ ثم خب
ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم
فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر
هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل مافعل رسول الله صلى الله

التي كانوا عليها) لانهم كانوا
مقيدين بالجهة فلم يقبلوا
الا مقيدا ولم يعرفوا
التوحيد الوافي بالجهات
كلها (قل لله المشرق
والمغرب) على ما مر من
التأويلين (يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم) اى
طريق الوحدة التي تتساوى
الجهات بالنسبة اليها لكون
الحق المتوجه اليه لا في
جهة وكون الجهات كلها
فيه وبه وله كما قال اينما تولوا
فثم وجه الله * ومعنى
شهادتهم على الناس وشهادة
الرسول عليهم اطلاعهم
بنور التوحيد على حقوق
الاديان ومعرفتهم بحق
اهل كل دين وحق كل ذي
دين من دينه وبالمطلم الذي
ليس حقهم الذي هو
مخترعات نفوسهم وتمنياتها
واكاذيب اخبارهم
وملفقاتهم ووقوفهم على
حدثهم وابطالهم لما عداه
من الاديان واحتجابهم
وتقيدهم بظاهره دون
التحقق الى باطنه واصله
والاعرفوا حقية دين
الاسلام لان طريق الحق
واحد فلا يستضعفون بحق
سائر الاديان وخاصة دين
الاسلام الذي هو الحق
الاعظم الاظهر والرسول

عليه وسلم من اهدى فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهى ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم فى حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره واريد به انه امر ببنائها وكما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهولاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير فى اصح القولين واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة * قوله تعالى (فان احصرتم) اصل الحصر فى اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذى يمنعه الخوف او المرض احصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة فى قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس فى دار او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا فى المنع الباطن واما قوله فان احصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة فى معناها اختلف الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة ويدل عليه ماروى عن عكرمة قال

مطلع على رتبة كل متدين بدينه فى دينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحدود ايمانهم واعمالهم وحسناتهم وسيآتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وامته يعرفون ذلك من سائر الامم بنوره (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم) بالعلم التفصيلى التابع لوقوع المعلوم لا العلم السابق فى عين جمع اول الوجود فانه معلوم له بذلك العلم قبل وجوده لان العلم كله له لا علم لاحد غيره فعلو منا التى نعلم بها الاشياء تظهر على مظاهرنا من علمه وذلك علمه التفصيلى اى علمه فى تفاصيل الموجودات فهو يعلم بذلك العلم التفصيلى الظاهر فى مظاهرنا الاشياء بعد وجودها كما يعلمها بالعلم الاول الذى هو فى عين الجمع قبل وجودها (من يتبع الرسول) فى توحيده (ممن ينقلب على عقبيه) لاحتجابه بالتقييد بالدين (وان كانت

حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى
قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي
وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس و
انس وبه قال مالك والليث والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول
الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته
ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الآية وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من
خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار
هو حصر العدو دون المرض وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط
التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روى عن ابن عباس
ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني اريد الحج افاشترط قال
نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحق اذا اشترط في الحج
فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس
وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدي) ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة
فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة
قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي
لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث
بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله) اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر
وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر
سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي
واحمد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار
قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري * قوله عز وجل
(فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا
الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل او الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية
نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق
وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت
هذه الآية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه
وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم
وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى

(اوما)

لكبيرة) اي انه كانت
التحويلة لكبيرة لشاقة
ثقيلة (الا على الذين هدى
الله) هداهم الله الى التوحيد
ونجاهم عن الاحتجاب
بالتقييد (وما كان الله
ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم
الى بيت المقدس لكونها لله
واذا كانت له فيما توجهتم
قبلها ولعمري انها انما شقت
على طائفتين المحجوبين
بالحق عن الخلق والمحجوبين
بالخلق عن الحق فان الاولى
عرفت ان التحويلة الاولى
التي كانت من الكعبة الى
بيت المقدس هي صورة
العروج من مقام القلب
والسر اي المكاشفة
والمكالمة الى مقام الروح
والخفاء اي المشاهدة
والمعاينة فحسبوا التحويلة
الثانية التي كانت صورة
الرجوع الى مقام القلب
حالة الاستقامة والتمكين
للدعوة والنبوة ومشاهدة
الجمع في عين التفصيل
والتفصيل في عين الجمع
حيث لا احتجاب عن الخلق
بالحق ولا عن الحق بالخلق
هو النزول بعد
العروج والبعد بعد القرب
وظنوا ضياع السعي الى
المقام الاشرف وحصول
الهجر بعد الوصول
والسقوط عن الرتبة فشق

اوما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) اى صوم ثلاثة ايام (او صدقة) يعنى اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (اونسك) واحدتها نسيكة اى ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدى او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء * قوله تعالى (فاذا امنتم) يعنى من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد احللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى اشهر الحج ثم احللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق فى اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند ابى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز ان يأكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة ايام فى الحج) اى فعليه صيام ثلاثة ايام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم فى ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول الآخر للشافعى (وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله ان العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة فى علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام

عليهم ذلك واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة نسكهم وعلمهم وما عرفوا حكمة التحويلة فظنوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياعها وبطلانها الذى توهموه فهدينا الى خلاف ما توهموه بما فهم من الآية (ان الله بالناس لرؤف) رؤف بهم بشرح الصدر ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للاولى وبقبول ماعملت الثانية بصدقهم وان لم يعلموا ما يفعلون (رحيم) يرحمهم بالوجود الحقانى للاولى وثواب الاعمال والهداية الى الحقيقة للثانية وتوفيقهم للترقى من حالهم ومقامهم الى مقام اليقين (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) فى جهة سماء الروح فى مقام الجمع عند الاستغراق فى الوحدة والاحتجاب بالحق عن الخلق يؤدى وزر النبوة ومقام الدعوة لعدم التفاتك الى الكثرة ويعسر عليك الرجوع الى الحق فى اول حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوة توجهك الى الحق (فلنولينك قبلة ترضيها) فلنجعلن وجهك يلى قبلة القلب بانشراح الصدر كما قال الم نشرح لك صدرك

ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لايعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اى اكملوها ولا تنقصوها (ذلك) اى هذا الحكم الذى تقدم (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فادونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضرو المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدى او بدله على المتمتع وهو الآفاقى فاما المكى اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لا يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقدتم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة فان الله انزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس من غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال ابو مسعود الدمشقى هذا حديث غريب ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يروعنه فى صحيحه وعندى ان البخارى انما اخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) اى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه * قوله عزوجل (الحج اشهر معلومات) يعنى اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله وعبدالله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى والثورى وابى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه ومابعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعى وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج

ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فانها قبلة ترضاها لوجود الجمع هناك فى صورة التفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة فترضى تلك القبلة بدعوة الخلق الى الحق مع بقاء شهود الوحدة (فول وجهك شطر المسجد الحرام) جانب الصدر المشروح المحرم من وصول صفات النفس ودواعى الهوى والشيطان (وحيث ما كنتم) ايها المؤمنون والمحققون سواء كنتم فى جهة مشرق الروح ومغرب النفس (فولوا وجوهكم شطره) جانبه ليتيسر عليكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الاولى اى الجهة الشرقية وا ترقى عن حالكم ومقامكم والتوقى عن احتجابكم بدواعى الهوى والشيطان فى الثانية (وان الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة والانجيل وكتاب العقل الفرقانى اى العقل المستفاد (ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) لاهتدائهم بما فى الكتاب من توحيد الافعال والصفات والدالة على التوحيد المحمدى

الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال و
ذو القعدة وذوالحجة بكماله وهورواية عن ابن عمروبه قال الزهرى وهى الرواية الاخرى عن
مالك وجة هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهرالحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان
كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهوان الله تعالى قال
قبل هذه الآية يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج
قات قوله هى مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج اشهر معلومات
خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت
انما قال الحج اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابى حنيفة
وعشرة ايام فاوجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ماوراء الواحد بدليل قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما
رآه فى ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث شوال
وذو القعدة وذو الحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعنى فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج
والمراد بهذا الفرض مابه يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى ينعقد
الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون
النية كافية فى انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لايصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه
التلبية اوسوق الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلابد من انضمام شئ الى النية
كتكبيرة الاحرام مع النية فى الصلاة وفى الآية دليل على ان الاحرام بالحج لاينعقد الا فى اشهره
وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعى واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر
بفرض الحج فيها فلو انعقد فى غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثورى
وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج فى جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على
الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هى مواقيت للناس والحج وقد تقدم
الجواب عنه وقوله تعالى (فلارفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفى رواية عنه ان الرفث غشيان
النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به فى غيبة النساء
لايكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت اترفث وانت محرم فقال ان الرفث ماقيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث
كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلارفث يحتمل ان يكون نهيا عن
تعاطى الجماع وان يكون نهيا عن الحديث فى ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا
والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم
احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولافسوق) اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هى المعاصى
كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع والقرظى وقال ابن عمر
هو مانهى عنه المحرم فى حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل

الذاتى اليه اونور العقل المنور بالنور الشرعى لا المحجوب بالقياس الفكرى (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية) دالة على صحة نبوتك وحقيقة قبلتك ولو من كتابهم اوما كانت عقلية قطعية (ما تبعوا قبلتك) لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم به (وما انت بتابع قبلتهم) لعلوك عن رتبة دينهم وترقيك عن مقامهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لاحتجاب كل بدينه وتضاد وجههم الذاتى من التضاد المركوز فى طباعهم (ولئن اتبعت اهواءهم) المتفرقة (من بعد ماجاءك من العلم) علم التوحيد الجامع اياك (انك اذا لمن الظالمين) الناقصين حقك وحق مقامك (الذين آتيناهم الكتاب) اتاء فهم ودراية (يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) اى كالمحسوس المشاهد القريب الدائم الاحساس لقربهم منه بالحقيقة وتوسمهم اياه بالدلائل الواضحة (ولكل وجهة هو موليها) اى ولكل احدمكم غاية وكمال

هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه (ولاجدال فى الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يمارى الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا هلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج فى ذى القعدة وبعضهم فى ذى الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله ولاجدال فى الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولاشك فى الحج انه فى ذى الحجة فابطل النسىء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهى اى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا فى الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه فى الحج وان كان اجتناب ذلك فى كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال فى الحج اسمج وافظع منه فى غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اى لا يخفى عليه شئ من اعمالكم وهو الذى يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهى عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهى انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده فى الدنيا فكيف يكون فى العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت فى ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا اى ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر فى الدنيا ولابد فيه من زاد الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة وفى هذا المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزود
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

(واتقون) اى وخافوا عقابى وقيل معناه واشغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا اولى الالباب) ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق الامور * قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) اى حرج (ان تبتغوا فضلا من ربكم) يعنى رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا ان يتجروا فى المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من

بحسب استعداده الاول الله موجه وجهه اليها اوهو نفسه موجه نفسه اليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده باذن الله (فاستبقوا الخيرات) الامور المقربة اياكم من كمالكم وغاياتكم التى خلقتم لاجلها وندبتم اليها (اينما تكونوا) من مقام وحال دونها اوتخالفها لكونها فى مقابلها (يأت بكم الله جميعا) الى تلك الغاية قريبا او بعيدا بحسب اقتضاء المقربات واستباقها (ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت) من طرق حواسك وميلك الى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصالح المؤمنين (فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى فكن حاضرا للحق فى قلبك مواجها صدرك تشاهد مشاهد فيه مراعيا جانب تكون فى الاشياء بالله لا بالنفس (وحيث ما كنتم) ايها المؤمنون (فولوا وجوهكم) جانب الصدر تشاهدون مشاهدكم فيه مراعين له غير معرضين

ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية ان تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقى هى بأسفل مكة على بريد منها وذوالمجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذى القعدة وثمانية ايام من اول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن ابى امامة التيمى قال كنت رجلا اكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا اباعبدالرحمن انى رجل اكرى فى هذا الوجه وان اناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ماسألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابوداود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا فى اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة افضل واكمل ❊ وقوله تعالى (فاذا افضتم) اى دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان ابراهيم لما اذن فى الناس بالحج واجابوه بالتلبية وابى من ابى امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لايطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجاز فسمى ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ولده فلما اصبح تروى يومه اجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى ام من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء اى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلايكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولايتم الحج الابه ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته

عنه فى حال (لئلا يكون للناس عليكم حجة) ساطعة بوقوعهم فى اعيككم واعتذاركم اياهم عند غيبتكم عن الحق وترفعهم عليكم اوغلبة بالقول اوالفعل فى مقاصدكم ومطالبكم لكونكم بالحق فيها حينئذ بل يخضعون وينقادون لكم فان حزب الله هم الغالبون (الا الذين ظلموا منهم) اى الكفار المردودين الذين احتجبوا عن الحق مطلقا فانهم يرتفعون عليكم ولا يخضعون ولا ينقادون لعدم اشتغالهم عن الحق مطلقا وسمى شبهتهم التى يسوقونها مساق الحجة واعتراضهم على المسلمين قولا وفعلا وترفعهم عليهم فى انفسهم حجة مجازا وقرى الا للتنبيه واستؤنف الذين ظلموا (فلاتخشوهم) لانهم لايغلبونكم ولا يعسرونكم (واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) كونوا على هيبة من تجلى عظمتى لئلا يقعوا فى قلوبكم واعينكم ولايميلوا صدركم فتميلوا الى موافقتهم اجلالا لهم وتعظيما لكونكم فى الغيبة وبالنفس كما قال امير المؤمنين عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق

الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل اونهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يارسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو مابين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى مابعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة ماقبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس * وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) اي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) اي لا تعرفون كيف

في هينك * ولا تمامي نعمة الكمال عليكم ولا رادتي اهتداء كم امرتكم بدوام الحضور والمراقبة (كما ارسلنا) اي كما ذكرتم بارسال رسول (فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) من جنسكم ليمكنكم التلقي والتعلم وقبول الهداية منه لجنسية النفس ورابطة البشرية (فاذكروني) بالاجابة والطاعة والارادة (اذكركم) بالمزيد والتوالي للسلوك وأفاضة نور اليقين (واشكروالي) على نعمة الارسال والهداية بسلوك صراطي على قدم المحبة ازدكم عرفاني ومحبتي (ولا تكفرون) بالفترة والاحتجاب بنعمة الدين عن المنعم فانه كفران بل كفر (ياايها الذين آمنوا) الايمان العياني (استعينوا بالصبر) معي عند سطوات تجليات عظمتي وكبريائي (والصلوة) اي الشهود الحقيقي (ان الله مع الصابرين) المطيقين لتجليات انواره (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) اي يجعل فانيا مقتولة نفسه في سلوك

تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين * قوله عزوجل (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفى المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهو الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتى عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثانى انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسى بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسى ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدله على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضى ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكأنه قال فاذا افضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز (قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم فى قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اى وافيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير السريع وهو اشد من المشى والفجوة الفرجة وهى المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبى صلى الله

سبيل التوحيد ميتا عن هواه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا هم (اموات) اى عجزة مساكين (بل) هم (احياء) عند ربهم بالحياة الحقيقية وحياة الله الدائمة السرمدية شهداء الله بالحضور الذاتى قادرون به (ولكن لا تشعرون) لعمى بصيرتكم وحرمانكم عن النور الذى تبصر به القلوب اعيان عالم القدوس وحقائق الارواح (ولنبلونكم بشئ من الخوف) اى خوف الموجب لانكسار النفس وانهزامها (والجوع) الموجب لنهك البدن وضعف قواه ورفع حجاب الهوى وسد طريق الشيطان الى القلب (ونقص من الاموال) التى هى مواد الشهوات المقوية للنفس لزائدة فى طغيانها (والانفس) المستولية على القلب بصفاتها والمستغنية بذاتها ليزيد بنقصها القلب ويقوى او انفس الاقرباء والاصدقاء الذين تأوون اليهم وتستظهرون بهم لتنقطعوا الى وتبدلوا (والثمرات) اى الملاذ والمتمتعات النفسانية لتنالوا بالمكاشفات والمعارف القلبية

عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى (واستغفروا الله) اى من مخالفتكم فى الموقف ولجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعنى ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة فى الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه * قوله عز وجل (فاذا قضيتم مناسككم) اى فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم اى ذبائحكم وذلك بعد رمى جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) يعنى بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال اهل التفسير كانت العرب فى الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابى كبير الجفنة رحب الفناء يقرى الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار فى ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكرونى فانا الذى فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبى اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (او اشد ذكرا) اى بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اى واشد ذكرا اى واكثر ذكرا لآباء لانه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتى على الرجل اليوم ولا يذكر فيه اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصى اشد من غضبك لوالديك اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) يعنى ان المشركين كانوا يسألون الله فى حجهم الدنيا وحدها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابى كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطنى مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من اثنا والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على راسه او فى امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت فى جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وماله فى الآخرة من خلاق) اى وماله فى الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعنى المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا فى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثانى هم المؤمنون الذين جمعوا فى الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالآم الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله

والمشاهدات الروحية عند صفاء بواطنكم بالانقطاع منها وخلوص بصائر قلوبكم بنار الرياضة والبلاء والعزلة من غش صفات نفوسكم (وبشر الصابرين) يعنى الصابرين عن مألوفاتهم بلذة محبتى وقوة ارادتى (الذين اذا اصابتهم مصيبة) من تصرفاتى فيهم دائما شاهدوا آثار قدرتى بل انوار تجليات صفتى و (قالوا انا لله) اى سلموا وايقنوا انهم ملكى اتصرف فيه (وانا اليه راجعون) اى تفانوا فى وشاهدوا تهلكهم فى بى (اولئك عليهم صلوات من ربهم) بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاتى المنور بانوارى (ورحمة) ونور وهداية يهدون بها الخلق الى (واولئك هم المهتدون) بهداى كما ورد فى الدعاء واجعلنا هادين ومهديين غير ضالين ولا مضلين (ان الصفا والمروة) اى ان صفاء وجود القلب ومروة وجود النفس (من شعائر الله) من اعلام دينه و[illegible] القلبية كاليقين والرضا والاخلاص والتوكل والصالية

من شرهاو آلامهالانه لواضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته فى الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا فى الدعاء من امر الدين فلذلك قال تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة قيل ان الحسنة فى الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقيل الحسنة فى الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفى الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد اوتى فى الدنيا حسنة فى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (م) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رجلا من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ او تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن انس بن مالك قال كان اكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبدالله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابوداود (اولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وماله فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا اى لكل فريق من هؤلاء (نصيب) اى حظ (مما كسبوا) يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا فى معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق فى اقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة او ناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب اى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم اشياء مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل فى معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة * قوله عز وجل (واذكروا الله) يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى ادبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح ان

كالصلاة والصيام وسائر العبادات البدنية (فمن حج البيت) اى بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الالهيه بالفناء الذاتى الكلى (او اعتمر) زار الحضرة بتوحيد الصفات والفناء فى انوار تجليات الجمال والجلال (فلا جناح عليه) حينئذ فى (ان يطوف بهما) اى يرجع الى مقاميهما ويتردد بينهما لا بوجودهما التكوينى فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الحرج فان فى هذا الوجود سعة بخلاف الاول (ومن تطوع خيرا) اى ومن تبرع خيرا من باب التعاليم وشفقة الخلق والنصيحة ومحبة اهل الخير والصلاح بوجود القلب ومن باب الاخلاق وطرق البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل الرفق لهم ولعياله بوجود النفس بعد كمال السلوك والبقاء بعد الفناء (فان الله شاكر) يشكر عمله بثواب المزيد (عليم) بانه من باب التصرف فى الاشياء بالله لا من باب التكوين والابتلاء والفترة (ان الذين يكتمون ما انزلنا

النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (فى ايام معدودات) يعنى ايام التشريق وهى ايام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن وهى ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن ابى طالب وروى عن ابن عمرا يضا وهو مذهب ابى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر فى قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه البخارى بغير اسناد واجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى ادبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل تبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى اصح اقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر ايام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن ابى طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعى ومازاد من ذكر الله فحسن وروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق * وقوله تعالى (فمن تعجل فى يومين) اى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من ايام التشريق (فلا اثم عليه) اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى ايام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى واراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن تأخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه فى تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من ايام التشريق

من البينات والهدى) اى يكتمون ماافضنا عليهم من بينات انوار المعارف وعلوم تجليات الافعال والصفات وهدى الاحوال والمقامات او الهداية الى التوحيد الذاتى بطريق علم اليقين فان العيانى لا يكتم بالتلوينات النفسية او القلبية الحاجبة للمكاشفات القلبية والمسامرات السرية والمشاهدات الروحية (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) فى كتاب عقولهم المدورة بنور المتابعة المدركة لآثار انوار القلوب والارواح ببركة الصحبة (اولئك يلعنهم الله) يردهم ويطردهم (ويلعنهم اللاعنون) من الملا الاعلى بعد لانهم وترك امدادهم من عالم الابد والنور ومن المستعدين المشتاقين الذين كانوا قد استأنسوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النور بقوة صدقهم واستراحوا الى صحبتهم وملازمتهم يتبركون بهم وبأنفاسهم عند استشراق لمعان احوالهم بالهجران والانقطاع عن صحبتهم والبعد والاعراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدر صفاتهم (الا الذين

وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها والرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر مالم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاة الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فامعنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن فى التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه فى الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى فتعجلوا او تأخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التأخير (لمن اتقى) اى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقى من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله (واتقوا الله) اى فى المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى فيجازيكم اعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه ابى وانما سمى الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال انى سأخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك وتستحسنه ويعظم فى قلبك فى الحياة الدنيا يعنى ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا (ويشهد الله على ما فى قلبه) يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو الد الخصام) اى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعنى الشديد فى الخصومة (واذا تولى) اى ادبر واعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق (سعى فى الارض) اى سار ومشى فى الارض (ليفسد فيها) يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى

تابوا) اى رجعوا عن ذنوب احوالهم وعلموا ان ذلك كان ابتلاء من الله (واصلحوا) احوالهم بالانابة والرياضة (وبينوا) اى كشفوا واظهروا بصدق المعاملة مع الله والاخلاص ما احتجب عنهم (فأولئك اتقبل توبتهم والقى التوبة عليهم (وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا) حجبوا عن الدين او الحق (وماتوا وهم كفار) اى بقوا على احتجابهم حتى زال استعدادهم وانطفأ نور فطرتهم بدين الحجاب وانقطعوا عن الاسباب التى يمكن بها رفع حجاب الموت (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى استحقوا البعد والحرمان والطراد الكلى عن الحق وعن عالم الملكوت وعن الفطرة الانسانية المعبر عنه بالطمس (خالدين فيها) لطموس استعدادهم وانطفاء نور فطرتهم (لا يخفف عنهم العذاب) لرسوخ هيئاتهم المعذبة فى جواهر نفوسهم (ولاهم ينظرون) للزوم تلك الهيئات المظلمة اياهم (والهكم اله واحد لا اله الا هو) ومعبودكم الذى خصصتموه بالعبادة ايها

الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى اى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشئوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) اى خف الله فى سرك وعلانيتك (اخذته العزة بالاثم) اى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه واصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) اى كافية له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم اعجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) اى الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى * قوله عز وجل (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد احد (خ) عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثرهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال اتخشين منى ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ان تروا ان ما بى جزع من الموت

الموحدون معبود واحد بالذات واحد مطلق لا شئ فى الوجود غيره ولا موجود سواه فيعبد فكيف يمكنكم الشرك به وغيره العدم البحت فلا شرك الا للجهل به (الرحمن) الشامل الرحمة لكل موجود (الرحيم) الذى يخص رحمة هدايته بالمؤمنين الموحدين وهى اول اية نزلت فى التوحيد بحسب الرتبة اى اقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فان اول التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ افهام الناس تنزل الى مقام توحيد الافعال (ان فى خلق السموات والارض) اى ان فى ايجاد سموات الارواح والقلوب والعقول وارض النفوس (واختلاف الليل والنهار) النور والظلمة بينهما (والفلك التى تجرى فى البحر) وفلك البدن التى تجرى فى بحر الجسم المطلق (بما ينفع الناس) فى كسب كمالاتهم (وما انزل الله من السماء من ماء) اى الروح من ماء العلم (فأحيا به الارض بعد موتها) ارض النفس بعد موتها بالجهل (وبث فيها

لزدت فكان اول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست ابالى حين اقتل مسلما * على اى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبه بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ زاد فى رواية واخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذى فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اى مارسوه واراد به انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير و قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب ابن عدى الانصارى ومرثد بن ابى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابى افلح الانصارى وذكر نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لى احد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبلغه سلامى فقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديى خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم يعنى سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بأبيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى بنسطاس الى التنعيم ليقتله فى الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس فى اهلى فقال ابو سفيان ما رأيت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثنى ولم يتغير منه شئ بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما اجرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام وامى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهى بهذين من اصحابك ونزل فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته

من كل دابة) القوى الحيوانية الحية بحياة القلب وتصريف الرياح) عصوف زيادة الافعال الحقانية وسحاب تجلى الصفات الربانية (والسحاب المسخر بين السماء والارض) المسخر المهيا بين سماء الروح وارض النفس (والسحاب المسخر بين السماء والارض) (لايات لدلائل لقوم يعقلون) بالعقل المنور بنور الصرع المجرد عن شوب الوهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) اومن يعبد من دون الله اشياء اما اناسى من جنسهم كالازواج والاولاد والآباء والاجداد والاخوان والاحباب والرؤساء والملوك وغيرهم واماغير اناسى كالحيوانات والجمادات وسائر اموالهم بالاقبال عليهم والتوجه نحوهم ومراعاتهم وحفظهم والاهتمام بهم وبحالهم والتفكر فى بابهم يحبونهم كحبهم الله اى كما يجب ان نحب الله فتكون تلك الاشياء عندهم مساوية فى المحبة مع الله فتكون اندادا اوشركاء الله بالنسبة اليهم اوتكون هى محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير فهى آلهتهم كما ان الله الخلق

وقال اكثر المفسرين نزلت فى صهيب ابن سنان الرومى وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمرين قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركى قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان فى كنانته وقال والله لاتصلوا الى او ارمى بكل سهم معى ثم اضرب بسيفى مابقى فى يدى وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن اتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت فى المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لااله الاالله فيأبى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسى لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما ارى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال وانا اشرى نفسى لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب واما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن اى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى فى الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه فى طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهى عن منكر فكان مايبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشترى والثمن هو ثواب الله تعالى فى الآخرة ابتغاء مرضات الله اى طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد) اى من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم فى الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشترى ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة وقالوا ايضا يارسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به فى صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الآية وامرهم ان يدخلوا فى السلم اى فى شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى ياايها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا فى السلم كافة اى فى الاسلام وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود وتعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم اتتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو ان موسى حيا ماوسعه الا اتباعى قوله اتتهوكون اى تتحيرون انتم فى دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعنى بالملة الحنيفية بيضاء نقية اى

فهم جعلوا لانفسهم آلهة اندادا لااله سائر الخلق اله العالمين (والذين آمنوا اشد حبا لله) من غيره لانهم لايحبون الا الله لايختلط حبهم له بحب غيره ولا يتغير ويحبون الاشياء بمحبة الله ولله وبقدر مايجدون فيها من الجهة الالهية كما قال بعضهم الحق حبيبنا واذا اختلفا فالحق احب الينا اى اذا لم تبق جهة الالهية فيهم بمخالفتهم اياه لم تبق محبتنا لهم او اشد حبا من محبتهم لآلهتهم لانهم يحبون الاشياء بانفسهم لانفسهم فلاجرم تتغير محبتهم بتغيير اعراض النفوس انفسهم عند خوف الهلاك ومضرة النفس عليهم والمؤمنون يحبون الله بأرواحهم وقلوبهم بل بالله لله لاتتغير محبتهم لكونها لالغرض ويبذلون ارواحهم وانفسهم لوجهه ورضاه ويتركون جميع مراداتهم لمراده ويحبون افعاله وان كانت بخلاف هواهم كما قال احدهم

* اريد وصاله ويريد هجرى *
* فاترك ما اريد لما يريد *

(ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب) اى اشركوا بمجهة الانذار فى وقت

لاتحتاج الى شئ وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى ياايها الذين
آمنوا بالسنتهم ادخلوا فى السلم اى الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد
كافة اى باجمعكم ولاتتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا فى احكام
الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة
بن اليمان فى هذه الآية للاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة
والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال وقد خاب من لاسهم له (ولاتتبعوا خطوات
الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا
تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة
انسان فقد تبع اثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر
والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول
ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما معنى الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصى
والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان فى مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا
من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انا لانراه قلت
ان الله تعالى بين عداوته ماهى فكأنه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) اى ملتم وضللتم
وقال ابن عباس اشركتم (من بعد ماجاءتكم البينات) اى الدلالات الواضحات (فاعلموا
ان الله عزيز) اى فى نقمته ممن خالفه غالب لايعجزه شئ (حكيم) يعنى انه لاينتقم الا بحق
والحكيم ذو الاصابة فى الامور كلها وفى الآية وعيد وتهديد لمن فى قلبه شك ونفاق اوعنده
شبهة فى الدين * قوله عزوجل (هل ينظرون) اى ينتظرون التاركون الدخول فى السلم
والمتبعون خطوات الشيطان (الا ان يأتيهم الله فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب
الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى
تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) اى وتأتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره
بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتى الله
عزوجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة
وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك
وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء فى آيات الصفات واحاديث الصفات مذهبان
احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء فى آيات الصفات
واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله
تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث
وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لايفسر وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله
به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان
الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق
بن راهويه يقولون فى هذه الآية وامثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولاتشبيه ولاتأويل هذا
مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم فى المعنى

رؤيتهم عذاب الاحتجاب
بآلهتهم (ان القوة لله جميعا
وان الله شديد العذاب)
اى القدرة كلها لله ليس
لآلهتهم شئ منها وشدة
عذاب الله بقرنهم بآلهتهم
فى نار الحرمان بالسلاسل
النارية المستفاد من محبتهم
اياها لكان مايدخل تحت
الوصف ولهذا المعنى حذف
جواب لو (اذتبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا)
بدل من اذيرون العذاب
اى وقت رؤيتهم العذاب
هو وقت تبرئ المتبوعين
من التابعين مع لزوم كل
منهما الآخر بمقتضى المحبة
التى كانت بينهم لتعذب كل
منهما بالآخر وتقيده
واحتجابه به عن كمالاته
ولذاته وانقطاع الاسباب
والوصل الموجبة للفوائد
والتمتعات التى كانت بينهم
فى الدنيا من القرابة والرحم
والالفة والعهود وسائر
الموصلات الدنيوية الجالبة
للنفع واللذة فانها تقطع
كلها بانقطاع لوازمها
وموجباتها دون المواصلات
الخيرية والمحبات الالهية
المبنية على المناسبة الروحية
والتعارف الازلى فانها
تبقى ببقاء الروح ابدا وتزيد
فى الآخرة بعد رفع الحجب

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولاذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * واخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثانى وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل على ذلك ان كل مايصح عليه المجئ والذهاب لاينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان ومالاينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك فى حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلابد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجئ الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم امر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره فى آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل فى هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما اوعد من الحساب والعقاب فحذف مايأتى به تهويلا عليهم اذلو ذكر مايأتى به كان اسهل عليهم فى باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ * وقيل يحتمل ان تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ماينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة واهوالها (وقضى الامر) اى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) اى الى الله تصير امور العباد فى الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره فى الدنيا اضافوا افعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله مااضافوه الى غيره فى الدنيا * قوله عزوجل (سل بنى اسرائيل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم امره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التى انعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) اى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته) يعنى يغير الآيات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة والمراد بنعمة الله هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعمة الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعنى لمن بدل نعمة الله * قوله عزوجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا)

البدنية لاقتضائها محبة الله المفيدة فى الآخرة كما قال تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والواو فى (ورأوا العذاب) وتقطعت بهم الاسباب) واو الحال اى تبرؤا عنهم فى حال رؤيتهم العذاب وتقطع الوصل بينهم يعنى حال ظهور شر المقارنة وتبعتها ونفاد خيرها وفائدتها كحال سفاح الكلاب مثلا (وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة) اى ليت لنا كرة (فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) اى ينقلب محباتهم ومايبتنى عليهم من الاعمال حسرات عليهم وكذا يكون حال القوى الروحانية المصادقة للقوى النفسانية التابعة لها المسخرة اياها فى تحصيل لذاتها (ياايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) اى تناولوا من اللذات والتمتعات التى فى الجهة السفلية من عالم النفس البدن على وجه يحل ويطيب اى على قانون عدالة باذن الشرع واستصواب العقل بقدر

نزلت فى مشركى العرب ابى جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت فى المنافقين عبدالله بن ابى واصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزين هوالله تعالى بدليل قراءة من قرأزين بفتح الزاى وذلك انه لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار الابتلاء والامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الآخرة وقيل اوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين لهم وهذا المزين لابد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعنى ان الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين زعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعنى الفقراء من المؤمنين (فوقهم) اى فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء فى عليين والكفار والمنافقين فى اسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظرى مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد فى الخصومة الذى لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال فى مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظرى الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بما ليس فيه اوعنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه فى الدنيا ولا يحاسبه فى الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفادما فى خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله غنى عالم بما يعطى ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق لمن يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له فى حكمه ومحاسب فيما رزق ولا يقال لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له فى ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه

الاحتياج والضرورة ولا تخطوا حد الاعتدال الذى به تطيب وتنفع الى حدود الاسراف فانها خطوات الشيطان ولهذا قال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فانه عدو لكم بين العداوة يريدان يهلككم ويبغضكم الى ربكم بارتكاب الاسرافات المذمومة فانه لا يحب المسرفين واعلم ان العداوة فى عالم النفس هى ظل الالفة فى عالم القلب واعتدال ظلها فى عالم البدن والالفة ظل المحبة فى عالم الروح وهى ظل الوحدة الحقيقية فالاعتدال هو الظل الرابع للوحدة والشيطان يفر من ظل الحق ولا يطيقه فيحطو ابدا فى مجال تلك الظلال الى جوانب الاسرافات وحيث يعجز فالى جوانب التفريطات كما فى المحبة والالفة ولهذا قال امير المؤمنين على عليه السلام لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا فان الجاهل مسخرة الشيطان (انما يأمركم بالسوء) الاضرار والاذى الذى هو افراط القوة الغضبية (والفحشاء) اى القبائح التى هى افراط

مايعطى الله المتقين فى الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على مامن به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لانفاد له ولاانقطاع وقيل انه تعالى يعطى اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عزوجل (كان الناس امة واحدة) اى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحى وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغى والحسد وقيل ان آدم وحده كان امة واحدة يعنى اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب فى ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها مايدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم فى القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعنى بالثواب لمن آمن واطاع (ومنذرين) يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجرى مجرى ازالة المرض ولاشك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم (وانزل معهم الكتاب) اى الكتب اويكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) اى بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعنى الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبى مجاز والله هو الحاكم فى الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعد ماكانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين اوتوه) اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ماجاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) اى انهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ماجاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين

القوة الشهوانية (وان تقولوا على الله مالاتعلمون) الذى هو افراط القوة النطيقة لشوب العقل بالوهم الذى هو الشيطان المسخر له (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) من مراعاة حد الاعتدال والعدالة فى كل شئ على الوجه المأمور به فى الشرع (قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا) من الاسرافات المذمومة فى الجاهلية تقليدا لهم (أ) تتبعونهم (ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا) من الدين والعلم (ولايهتدون) الى الصواب فى العمل لجهلهم (ومثل الذين كفروا) اى مثل داعى الكفار المردودين (كمثل الذى ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون) الناعق بالبهائم فانها لاتسمع الاصوتا ولاتفهم مامعناه فكذا حالهم (ياايها الذين آمنو كلوا من طيبات ما رزقناكم) ان كنتم موحدين تخصون العبادة بالله فلا تتناولوا الامن طيبات مارزقناكم اى ماينبغى فى العدالة ان يستعمل من المرزوقات (واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون) باشتغالها فيما يجب ان تستعمل

آمنوا لما اختلفوا فيه) اى الى مااختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة مااختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيدانهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعدغد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامه المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعنى بعلمه وامره وارادته (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) * قوله عزوجل (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم مااصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة فى اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم النفاق فانزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية احسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل مااصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) اى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) اى اصابهم الفقر او الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعنى المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) اى وحركوا بأنواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لايستقر بل لايزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية

لوجه الذى ينبغى ان تستعمل على بالقدر الذى ينبغى فان التوحيد يقتضى مراعاة الاعتدال والعدالة فى كل شئ اقتضاء الذات ظلها ولازمها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انى والجن والانس فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) لجمود الدم فيها وبعدها عن الاعتدال بانحراف المزاج (والدم) لاختلاطه بالفضلات النجسة البعيدة عن قبول الحياة والعدالة والنورية وعدم صلاحيته لذلك بعد لقصور النضج (ولحم الخنزير) لغلبة السبعة والشره ومباشرة القاذورات والدياثة على طبعه فيولد فى آكله مثل ذلك (وما اهل به لغير الله) اى رفع الصوت بذبحه لغير الله يعنى ماقصد بذبحه واكله الشرك لمنافاته التوحيد سفيرا عن الشرك ويفهم منه مايقوى اكله به على الكلام ورفع الصوت لغير الله اى كل ما يؤكل لاعلى التوحيد فهو محرم على آكله (فمن اضطر) اى من الجماعة (غير باغ) على مضطر آخر باستئثاره (ولا عاد) سد الرمق (فلا

القصوى فى الشدة فلما بلغ بهم الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اجابة لهم فى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصر الله فكونوا يامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تنتصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون * قوله عزوجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يارسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ماانفقتم من خير) اى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل اوكثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والاقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لايقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لايقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم (والمساكين) وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى (وماتفعلوا من خير فان الله به عليم) وماتفعلوا من خير مع هؤلاء اوغيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول ﴿ بقى فى الآية سؤال ﴾ وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ماينفق فأجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ماانفقتم من خير بيان ماينفقونه هو المال ثم ضم الى جواب السؤال مايكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لاتعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

* قوله عزوجل (كتب عليكم القتال) اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله

ثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) اى ملء بطونهم الا ما هو وقودنا رالحرمان وسبب اشتعال نيران الطبعية الحاجبة عن نور الحق المعذبة بهيآت السوء المظلمة الموقعة صاحبها فى جحيم الهيولى الجسمانية (ولايكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) عبارة عن شدة غضبه عليهم وبعدهم عنه (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) مشرق عالم الارواح ومغرب عالم الاجساد فانه تقيدوا احتجاب (ولكن البر) بر الموحدين الذين آمنوا بالله والمعاد فى مقام الجمع اذ التوحيد فى مقام الجمع يلزمه البقاء الابدى الذى هو المعاد الحقيقى وشاهدوا الجمع فى تفاصيل الكثرة ولم يحجبوا بالجمع عن التفصيل

عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل
بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير براكان اوفاجرا اخرجه
ابوداود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لاهجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام
به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى
كتب الله القتال على الناس جاهدوا اولم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين
به اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولوكان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ
والمنسوخ فى هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها
منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول
الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه
والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة * وقوله تعالى (وهو كره لكم) اى القتال شاق عليكم وهذا الكره
انما حصل من حيث نفور الطبع على القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف
لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان
كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذى
تكرهون من القتال هو خير لكم) من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى ان تكرهوا
شيأ وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى
لاتدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى
الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشئ شاقا فى الحال وهو سبب
المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع فى الحال ويكرهه لكن يتحمل
هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل (وعسى ان تحبوا شيأ) يعنى القعود
عن الغزو (وهو شر لكم) يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم
ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة
على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعنى مافى الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وانتم لاتعلمون)
يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر
فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس فى الحال * قوله
عز وجل (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث عبدالله بن جحش وهو ابن عمته فى سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين
وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين
فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدا منهم على
السير معك فسار عبدالله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم امابعد فسر

الذى هو باطن عالم الملائكة
وظاهر عالم النبيين (من امن
بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب
والنبيين وآتى المال) الذى
جمع بين الظاهر بالاحكام
والمعارف وافاد علم
الاستقامة ثم استقاموا بعد
تمام التوحيد جمعا وتفصيلا
بالاعمال المذكورة فان
الاستقامة عبارة عن وقوف
جميع القوى على حدودها
بالامر الالهى لتنورها
بنور الروح عند تحقق
صاحبها بالله فى مقام البقاء
بعد الفناء وذلك مقام العدالة
وتكون هى فى ظل الحق
منخرطة فى سلك الوحدة
بكليتها (على حبه ذوى
القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين
وفى الرقاب واقام الصلوة)
اى فى حال الاحتياج اليه
والشح به كما قال ابن مسعود
ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تامل العيش وتخشى الفقر و
لاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا
قال الله تعالى يؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وعلى حب الله لئلا يشغل
قلبه عنه ولانه تعالى يرضى
باتيانه اوعلى حب الايتاء
يعنى بطيب النفس فان

على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك تأتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبدالله ببقية اصحابه حتى نزل فى بطن نخلة بين مكة والطائف فبيناهم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفى العير عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبدالله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا امنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما رأوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس عليا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء واخذ الحرائب يعنى المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبدالله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم مالم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يارسول الله اناقتلنا ابن الحضرمى ثم امسينا فنظرنا هلال رجب فلاندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس فى الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقى على اصحاب السرية وبعث اهل مكة فى فداء اسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان ابن عبدالله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية واما تفسير الآية فقوله تعالى يسئلونك يعنى يا محمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطؤا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال فى الحرام وفى الشهر الحرام لايحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثانى ان

الكريم هو الفرح وطيب النفس بالاعطاء ومن قوله واتى المال الى قوله (واتى الزكوة) من باب العفة التى هى كمال القوة الشهوانية ووقوفها على حدها فيما يتعلق بها وقوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) من باب العدالة المستلزمة للحكمة التى هى كمال القوة النطقية فانها مالم تعلم تبعة الغدر والخيانة وفائدة الفضيلة المقابلة لهما لم تف بالعهد وقوله (والصابرين فى الباساء) اى الشدة والفقر (والضراء) اى المرض والزمانة (وحين الباس) اى الحرب من باب الشجاعة التى هى كمال القوة الغضبية (اولئك) الموصوفون بهذه الفضائل كلها الثابتون فى مقام الاستقامة (الذين صدقوا) الله فى موطن التجريد بافعالهم التى هى البركات (واولئك هم المتقون) عن محبة غير الله حتى النفس المجردون عن غواشى النشأة والطبيعة ويمكن ان يؤول المال بالعلم الذى هو مال القلب لانه يتقوى به ويستغنى اى اعطى العلم مع كونه محبوبا ذوى قربى القوى الروحانية لقربها منه ويتامى القوى

السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) اى قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) اى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لايجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله مايحل للناس ان يغزو فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) اى وصدكم عن المسجد الحرام (واخرج اهله منه) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله اهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (اكبر عند الله) اى اعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام (والفتنة) اى الشرك الذى انتم عليه (اكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (يقاتلونكم) يعنى يا معشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعنى الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب (فاولئك حبطت اعمالهم) اى بطلت اعمالهم (فى الدنيا والآخرة) وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيأ للمسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله وتحبط اجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه دليل للشافعى ان الردة لاتحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم (واولئك اصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار (هم فيها خالدون) اى لايخرجون منها ابدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) نزلت فى عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يارسول الله هل تؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا اى فارقوا مساكنهم وعشائرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى امصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله اى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (اولئك يرجون رحمت الله) اى يطمعون فى نيل رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى اصل الثواب وانما دخل الظن فى كميته

النفسانية لانقطاعها عن نور الروح الذى هو الاب الحقيق ومساكين القوى الطبيعية لكونهما دائمة السكون لثواب البدن وعلمها علم الاخلاق والسياسات الفاضلة ثم اذا ارتوى من العلم علم المعارف والاخلاق والآداب والمعايش جملة وتفصيلا وفرغ من نفسه افاض على ابناء السبيل اى السالكين والسائلين اى طلبة العلم وفى فك رقاب عبدة الدنيا والشهوات من اسرهم بالوعظ والخطابة واقام صلاة الحضور اى اداءها بالمشاهدة وآتى ما زكى نفسه عن النظر الى الغير والتفاتات الخواطر بالنفى ومحو الصفات والموفون بعهد الازل بملازمة التوحيد وافناء الذات والآنية والصابرين فى بأساء الافتقار الى الله دائما وضراء كسر النفس وقمع الهوى وحين بأس محاربة الشيطان اولئك الذين صدقوا الله فى الوفاء بعهده وعزيمة السلوك وعقده واولئك هم المتقون عن الشرك المتنزهون عن البقية (ياايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر

ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) اى لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه مالم يعلموا به ❊قوله عزوجل (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله تعالى هذه الآية واصل الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمر ان الله عزوجل انزل فى الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها فى اول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزل بالمدينة فى جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلى بهم فقرا قل ياايها الكافرون اعبد ماتعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون فحرم الله السكر فى اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن ابى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا وروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة ❊ فلم يرجى مثلنا فى المعاشر

فاحياؤنا من خير احياء من مضى ❊ وامواتنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بفعل حمزة فعزم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وماحرم عليهم شئ اشد من الخمر (ق) عن انس قال ماكان

بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم فى القصاص) ❊القصاص قانون من قوانين العدالة فرض لازالة عدوان القوة السبعية وهو ظل من ظلال عدله تعالى فانه اذا تصرف فى عبده بافنائه فيه عوضه عن حر روحه روحا منه وهو ما خيرا منه وعن عبد قلبه قلبا موهوبا وعن انثى نفسه نفسا موهوبة كاملة مقاصة الله اياكم بما ذكر (حياة) عظيمة اى حياة لايوصف كنهها (يااولى الالباب) اى العقول الخالصة عن قشر الاوهام وغواشى العينيات والاجرام فكذا فى هذا القصاص (لعلكم تتقون) كى تتقوا تركه وتحافظوا عليه (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية والدين والاقربين بالمعروف) ❊الوصية والمحافظة عليها قانون آخر فرض لازالة نقصان القوة الملكية اى النفس النطقية وقصورها بما يقتضى الحكمة من التصرف فى الاموال والمحافظة على القوتين

لنا خزغير فضيحكم وانى لقائم اسقى اباطلحة واباايوب وفلانا وفلانا اذجاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال ياانس فاسألوا عنها ولاراجعوها بعد خبر هذا الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهى الجرة الكبيرة

﴿ فصل فى تحريم الخمر ووعيد من شربها ﴾ اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها فى الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وماطينة الخبال يارسول الله قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وماطينة الخبال يارسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابوداود * عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها فى بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شئ من الفرائض وفى رواية عن القرآن لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائى * عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لايجتمع الايمان وادمان الخمر الايوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائى موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها اخرجه الترمذى

﴿ فصل فى احكام تتعلق بالخمر ﴾ وفيه مسائل ﴿ الاولى فى ماهيتها ﴾ قال الشافعى الخمرة عبارة عن عصير العنب النئ الشديد الذى قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ماأسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بماروى عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ماذهب ثلثاه وبقى ثلثه وفى رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه النسائى الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه واحتج ايضا بماروى عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب اخرجه النسائى واستدل ايضا على ان السكر حرام لماروى عن ابى الاحوص عن القاسم بن عبدالرحمن عن ابيه عن ابى بردة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولاتسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائى وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعى على ان الخمر من عدة اشياء بماروى عن ابن عمران عمر قال على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد

الاخرين بنور الحق وحكم الشرع ومنعها عن عدوانها ايضا بتبديل الوصية الذى هو نوع من الجريمة والخيانة وتحريضها على التحقيق والتدقيق فى باب الحكمة التى هى كمالها بالاصلاح بين الموصى لهم على مقتضى الحكمة اذا توقع وعلم من الموصى اضرارا بالسهو اوالعمد (حقا على المتقين فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) * الصيام قانون آخر مما فرض لازالة عدوان القوة البهيمية وتسلطها * (واعلم) * ان قصاص اهل الحقيقة ماذكر ووصيتهم هى بالمحافظة على عهد الازل بترك ماسوى الحق كما قال تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب وصاياهم هو الامساك عن كل قول وفعل وحركة وسكون ليس بالحق للحق (كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى

ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينافيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابوداود وزاد فى رواية والذرة وانى انهاكم عن كل مسكر وللترمذى نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد الباذق فما اسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير فى النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية اى لم يكن فى زمانه اوسبق قوله فيها وفى غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام * عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعى على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذى وابو داود * عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والنسائى وفى رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادى واجيب عن حديث عمر فى الطلاء بأنه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وانا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك فى الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى الباذق وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب واما حديث ابى الاحوص ففيه وهمان احدهما فى سنده حيث قال عن ابى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابى بريدة عن ابيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم فى صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث ابى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم فى قول النسائى * المسئلة الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر * الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه

الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان) اى احتراق النفس بنور الحق (الذى انزل فيه) فى ذلك الوقت (القران هدى الناس) اى العلم الجامع الاجمالى المسمى بالعقل القرآنى الموصل الى مقام الجمع * هداية للناس الى الوحدة باعتبار الجمع (وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر) ودلائل متصلة من الجمع والفرق اى العلم التفصيل المسمى بالعقل الفرقانى * فمن حضر منكم فى ذلك الوقت اى بلغ مقام شهود الذات (فليصمه) اى فليمسك عن قول وفعل وحركة ليس بالحق فيه (ومن كان مريضا) اى مبتلى بامراض قلبه من الحجب النفسانية المانعة من ذلك الشهود (او على سفر فعدة من ايام آخر) اى فى سلوك بعد ولم يصل الى الشهود الذاتى فعليه مراتب اخر يقطعها حتى يصل الى ذلك المقام (يريد الله بكم اليسر) بالوصول الى مقام التوحيد والامتداد بقدرة الله (ولا يريد بكم العسر) اى تكلف الافعال

والرجس فى اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغى ان يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها ﴿ المسئلة الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع بها ﴾ اجتمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه فى الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اى فليقطعها قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما فى التحريم سواء * عن ابى طلحة قال يانبى الله انى اشتريت خمر الايتام فى حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان اباطلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها وماكانوا يصيبون من الربح فى ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

﴿ فصل ﴾ واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصباء فللفذ سهما وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من اقداح لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح انما سهمى وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح فى خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المحيل والمفيض فيجيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر مايخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لا انصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل لايأخذ ولايغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيأ وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لايخرج شيأ بين الاصحاب لبخله واما حكم الآية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعنى الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فحرم

بالنفس الضعيفة العاجزة (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم) ولتتموا تلك المراتب والاحوال والمقامات الموصلة * ولتعظموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه على هدايته اياكم الى مقام الجمع (ولعلكم تشكرون) بالاستقامة امركم بذلك (واذا سئلك عبادى عنى) السالكون الطالبون المتوجهون الى عن معرفتى (فانى قريب) ظاهر (اجيب دعوة الداع اذا دعان) من يدعونى بلسان الحال والاستعداد باعطائه ما اقتضى حاله واستعداده (فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) بتصفية الاستعداد بالزهد والعبادة فانى ادعوهم الى نفسى واعلمهم كيفية السلوك الى وليشاهدونى عند التصفية فانى اتجلى عليهم فى مرائى قلوبهم * لكى يرشدوا بالاستقامة اى لكى يستقيموا ويصلحوا (احل لكم) اى ابيح لكم (ليلة الصيام) اى فى وقت الغفلة الذى يتخلل ذلك الامساك المذكور فى زمان حضوركم (الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن) التنزل الى موافقة نفوسكم

اللعب به سواء كان بخطر ام لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير خرجه مسلم وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد اونرد شير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابوداود وعن على بن ابى طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا فى الشطرنج فذهب ابى حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن اوبغير رهن ومذهب الشافعى انه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان وروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعنى فى الخمر والميسر (اثم كبير) اى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو العقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففى ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير فى الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجرى بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعنى انهم كانوا يربحون فى بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما اكبر من نفعهما) يعنى اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر * قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعنى الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط فى الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو فى صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى يبين لكم الامور التى سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) يعنى فتأخذون ما يصلحكم فى الدنيا وتنفقون الباقى فينفعكم فى الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها * قوله عز وجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) اى اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اى

(اعظم)

بحظوظها اذ لا مصابرة لكم عنها لكونها تلابسكم وكونكم تلابسونها بالتعلق الضرورى (علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم) باستراق الحظوظ فى ازمنة تلك السلوك والرياضة والحضور (فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن) اى فى وقت الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء (باشروهن) فى اوقات الغفلات (وابتغوا ما كتب الله لكم) من التقوى والتمكن بتلك الحظوظ على توفير حقوق الاستقامة والقيام بما امر الله به من العبودية والدعوة اليه (وكلوا واشربوا) اى كونوا مع رفقها (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) حتى تظهر عليكم بوادى الحضور ولوامعه وتغلب آثاره وانواره على سواد الغفلة وظلمتها ثم كونوا على الامساك المذكور بالحضور مع الحق حتى

اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعنى فى الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اى شاركوهم فى اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا منى اموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم اوتكافؤهم على ماتصيبون من اموالهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعنى المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لاعنتكم) اى لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل شئ مايشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) اى غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لايكلف عباده الا ماتتسع فيه طاقتهم * قوله عزوجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت فى ابى مرثد بن ابى مرثد الغنوى واسم ابى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ياعناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فقالت ابى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق ومالقى بسببها وقال يارسول الله ايحل لى ان اتزوجها فانزل الله تعالى هذه الآية واصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اى اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وماامروا الاليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو

يأتى زمان الغفلة لولا ذلك لما امكنه القيام بمصالح معاشه ومهماته * ولاتقاربوهن فى حال كونكم معتكفين مقيمين حاضرين فى مساجد قلوبكم والا تشوش وقتكم بظهورها (ولاتأكلوا اموالكم) معارفكم ومعلوماتكم (بينكم بالباطل) باطل شهوات النفس ولذاتها تحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها (وتدلوابها الى الحكم) وترسلوا الى حكام النفوس الامارة بالسوء (لتأكلوا فريقا من اموال الناس) القوى الروحانية (بالاثم) اى بالظلم لصرفكم اياها فى ملاذ القوى النفسانية (وانتم تعلمون) ان ذلك اثم ووضع للشئ فى غير موضعه (يسئلونك عن الاهلة) اى عن الطوالع القلبية عند اشراق نور الروح عليها (قل هى مواقيت للناس والحج) اى اوقات وجوب المعاملة فى سبيل الله وعزيمة السلوك وطواف بيت القلب والوقوف فى مقام المعرفة (وليس البر بأن تأتوا البيوت) بيوت قلوبكم

بشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ماأتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لايتناول الاعبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من ادلة فعله قول من قال ان اسم الشرك لايتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعني انفع واصلح وافضل (من مشركة) يعني حرة (ولو اعجبتكم) يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال ياخنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده امة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وماهي ياعبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتنكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الآية (ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة اى لاتزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اى اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لايجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعني حرا (ولو اعجبكم) بحسنه وماله وجماله (اولئك يدعون الى النار) يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعني انه تعالى بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) اى بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) اى يوضحه اداءه وحججه في او امره ونواهيه واحكامه (لعلهم يتذكرون) اى فيتعظون ✽ قوله عز وجل (ويسئلونك عن المحيض) (م) عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا مايريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا استقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه (قل هو اذى) اى هو شيء قذر والاذى في اللغة مايكره من كل شيء (فاعتزلوا النساء في المحيض) اى فاجتنبوا مجامعتهن (ولاتقربوهن) يعني بالوطاء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض (حتى يطهرن) يعني من

(من ظهورها) من طرق حواسكم ومعلوماتكم المأخوذة من المشاعر البدنية فان ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن (ولكن البر) بر (من اتقى) شواغل الحواس وهواجس الخيال ووساوس النفس (واتوا البيوت من ابوابها) الباطنة التي تلي الروح والحق فان باب القلب هو الطريق الذي انفتح منه الى الحق (واتقوا الله) في الاشتغال بما يشغلكم عنه (لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) من الشيطان وقوى النفس الامارة (ولا تعتدوا) في قتالها أن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور (ان الله لا يحب المعتدين) لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة الذي هو العدالة (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم ازيلوا حياتهم وامنعوهم عن افعالها بقمع هواها الذي هو روحها حيث كانوا (واخرجوهم) من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل)

الحيض والمعنى ولاتقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) اى اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث امركم الله) قال ابن عباس طؤهن فى الفرج ولاتعتدوا الى غيره فانه هو الذى امر الله به ولاتأتوهن فى غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذى امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لايكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

﴿ فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل ﴾ (المسئلة الاولى) اجمع المسلمون على تحريم الجماع فى زمن الحيض ومستحله كافر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اتى حائضا او امرأة فى دبرها اوكاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذى وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفى وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابى حنيفة والشافعى فى الجديد والقول الثانى انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعى وبه قال احمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرجل يقع على امرأته وهى حائض قال يتصدق بنصف دينار وفى رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذى وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم ﴿ المسئلة الثانية ﴾ اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازار فى فور حيضها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفى رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وانا حائض اخرجاه فى الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ اوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت انا حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل او غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعنى ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة وهى حائض ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو امنت الحائض من التلويث فى عبور المسجد جاز فى احد الوجهين قياسا على الجنب والثانى لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سالت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولاتقضى الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكنى اسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم مالم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت فى النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام

من مكة الصدر عند استيلائها عليها كما اخرجوكم عنها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم عن مقر القلب * وفتنتهم التى هى عبادة هواها واصنام اذاتها اشد من قمع هواها واماتتها الكلية او محنتكم وابتلاؤكم بها عند استيلائها اشد عليكم من القتل الذى هو طمس غرائزكم بالكلية لزيادة الالم هناك (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) الذى هو مقام القلب اى عند الحضور القلبى اذا وقفوكم فى توجهكم فانها اعوانكم على السلوك حينئذ (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم) ويمازعوكم فى مطالبهم ويجروكم عن جناب القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) من تمادهم ودواعيهم وتعبدهم (ويكون الدين لله) بتوجه جميعها الى جناب القدس ومتابعتها للسر فى التوجه الى الحق ليس

عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لايجوز للزوج غشيانها مالم تغتسل من الحيض اوتتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولاتقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطء لايحل قبل الغسل *وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لايعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب * قوله عزوجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود تقول من اتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن اهل الكتاب ان لايأتوا النساء الا على حرف وذلك استر ماتكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابوداود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سرى امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لج في اللمعان عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم في صمام واحد وروى سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبزر والولد كالنبات الخارج (فاتوا حرثكم انى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها اخرجه ابوداود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا

الشيطان والهوى فيه نصيب (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) عليهم الا العادين المجاوزين عن حدودهم (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) اي وقت منعها اياكم عن مقصدكم وديكم هو بعينه وقت منعكم اياها عن حقوقها حتى ترضى بالوقوف على حدودها وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة (وانفقوا في سبيل الله) مامعكم من العلوم بالعمل بها ولاتدخروها لوقت آخر عسى لاتدركونه فلاشئ اضر من التسويف (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة) تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم وانفاقه في مصالح النفس فانه وجب الحرمان (واحسنوا) اي وكونوا في عملكم مشاهدين (ان الله يحب المحسنين) المشاهدين في اعمالهم ربهم مخلصين له فيها (واتموا الحج والعمرة لله)

وان شئتم لاتعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو وروى عنه انه قال تستأمر الحرة فى العزل ولاتستأمر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفى وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت فى رجل اتى امرأته فى دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبدالله بن الحسن انه لقى سالم بن عبدالله بن عمر فقال له ياعم ماحديث يحدثه نافع عن عبدالله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء فى ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبدالله يؤتون فى فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء فى ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج فى حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره ❊ وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعنى الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان يأتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الاتحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعنى قدر مايبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) اى احذروا ان تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه (واعلموا انكم ملاقوه) اى صائرون اليه فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم (وبشر المؤمنين) يعنى بالكرامة من الله تعالى ❊ قوله عزوجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت فى عبدالله ابن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبدالله لايدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لى الا ان تبر يمينى فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق حين حلف ان لاينفق على مسطح حين خاض فى حديث الافك والعرضة مايجعل معرضة للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل مايعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولاتجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه فى ترك البر والاصلاح (ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لاتحلفوا بالله ان لاتبروا ولاتتقوا ولاتصلحوا بين الناس (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لاتكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) اى لحلفكم (عليم) يعنى بنياتكم ❊ قوله عزوجل (لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام ومالا يعتد به وهو الذى يورد لاعن روية وفكر واللغو فى اليمين هو الذى لاعقد معه كقول القائل لاوالله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعى ويعضده ماروى

حم توحيد الذات وعرة توحيد الصفات باتمام جميع المقامات والاحوال بالسلوك الى الله وفى الله (فان احصرتم) بمنع كفار النفس الامارة اياكم عنهما (فما استيسر من الهدى) فجاهدوا فى الله بسوق هدى النفس وذبحها بفناء كعبة القلب اوعرصة ماتمنى منها القلب من المقام وما استيسر اشارة الى ان النفوس مختلفة فى استعدادتها وصفاتها فبعضها موصوف بصفات حيوان ضعيف وبعضها بصفات حيوان قوى ولكل ماتيسر وبعضها بصفات حيوان ذلول سهل الانقياد وبعضها بصفات حيوان صعب عسر الانقياد وربما كان لبعضها صفة لم يتيسر قمعها وان يتيسر قمع سائر صفاتها ومثل هذا الحاج محصر ابدا (ولاتحلقوا رؤسكم) ولاتزيلوا آثار الطبيعة وتختاروا طيب القلب وفراغ الخاطر من الهموم والتعلقات كلها والعادات والعبادات وتقتصروا على صفاء الوقت كما هو مذهب القلندرية (حتى يبلغ الهدى)

عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله اخرجه البخارى موقوفا ورفعه ابوداود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل فى يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل فى معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابوحنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك فى الموطأ احسن ما سمعت فى ذلك اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذى يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضى به احدا ويعتذر لمخلوق اويقطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة و انما الكفارة على من حلف ان لايفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لايفعله مثل ان يحلف لايبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك اويحلف ليضربن غلامه ثم لايضربه وفائدة الخلاف الذى بين الشافعى وابى حنيفة فى لغو اليمين ان الشافعى لايوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن و ابوحنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعى هو قول عائشة والشعبى وعكرمة ومذهب ابى حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة و مكحول وقيل فى معنى اللغو انه اليمين فى الغضب وقيل هو مايقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لايؤاخذكم اى لايعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لايؤاخذكم اى لايلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعنى لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

﴿فصل فى بيان حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ لاتنعقد اليمين الابالله وبأسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذى نفسى بيده والذى اعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة ﴿المسئلة الثانية﴾ لايجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وابى ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لاتنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله اوليصمت اخرجاه فى الصحيحين ﴿المسئلة الثالثة﴾ اذا حلف على امر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن اوعلى انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله مافعلت وقد فعل اولقد فعلت ومافعل فهذه اليمين الغموس وهى من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما اوجاهلا وذهب ابوحنيفة الى انه لاكفارة عليه فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين (والله غفور) يعنى لعباده فيما لغوا من ايمانهم التى اخبر انه لايؤاخذهم عليها ولوشاء اخذهم والزمهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الآجل (حليم) يعنى فى ترك معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمى فى معنى الحليم انه الذى لايحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع

هدى النفس (محله) اى مكانه وهو مذبحه اومنحره الذى يقتضى ان تكون افعالها التى كانت محرمة عند حياتها بهواها تصير حلا عند قتلها لكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها والاتشوش وتكم وتكدر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال اكثر القلندرية اليوم (فمن كان منكم مريضا) اى ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة فى جبلتها او مكتسبة من العادات (اوبه اذى من رأسه ففدية من صيام اوصدقة اونسك) اوممنوعا مبتلى بهموم وتعلقات ورذائل وهيآت ولم يتيسر له السلوك والمجاهدة على ماينبغى واراد ان يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولاينتكس وينحط عن درجته وان لم يترق فعليه فدية من امساك عن بعض لذاته وشواغله النفسانية * اوفعل برا اورياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة لحفظ وقته وليراع صفاءه زهد ما اوعبادة اومخالفة نفس (فاذا امنتم) من العدو

ويبقيه وهو منهمك كما يبقى البر المتقى وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكر فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذى يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون اى يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الالايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا اجامعك اولا اباضعك اولا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى به يعلم ماعند الرجل فى المرأة اربعة اشهر وانزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) اى انتظار (اربعة اشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) اى رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين ﴿فروع﴾ تتعلق بحكم الآية ﴿الفرع الاول﴾ اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا اومدة هى اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفئ وهو الرجوع اوالطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه اوبالقول مع العجز عنه فان لم يفئ ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية ﴿الفرع الثانى﴾ لو حلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿الفرع الثالث﴾ لو حلف ان لا يطأها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفئ اوالطلاق وقد مضت المدة وعند ابى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿الفرع الرابع﴾ مدة الايلاء اربعة اشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق ﴿الفرع الخامس﴾ اذا وطئ خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا

المحصر (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) بذوق تجلى الصفات متوسلا به الى حج تجلى الذات (فما استيسر من الهدى) بحسب حاله (فمن لم يجد) لضعف نفسه وجودها وانقهارها (فصيام ثلاثة ايام) فعليه الامساك عن افعال القوى التى هى الاصول القوية فى وقت التجلى والاستغراق فى الجمع والفناء فى الوحدة فانها لا بد من ان تحجب وتجر الى حضيض النفس والصدر وهى العقل والوهم والمتخيلة (وسبعة اذا رجعتم) الى مقام التفصيل والكثرة وهى الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة ليكون عند الاستقامة فى الاشياء بالله (تلك عشرة كاملة) مذاكة اى تلك الامساكات المذكورة عن افعال هذه القوى والمشاعر جميع التفاصيل الكاملة الموجبة لافاعيل قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال كما قال كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخر الحديث (ذلك) الحكم (لمن لم يكن اهله حاضرى

فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة * قوله (وان عزموا الطلاق) اي تحققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعني لاقوالهم (عليم) يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق مالم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم * قوله عزوجل (والمطلقات) اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي اوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بانفسهن) اي ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرا اي جمع لان في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هي الحيض روى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء هي الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان الاقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك يعني ايام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

فني كل عام انت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها مالم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت مامعنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فاخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن

المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب) من المحبوبين الكاملين الحاضري مقام القلب في الوحدة فانه لاهدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه الى الله بل هو للمحبين (الحج اشهر معلومات) اي وقت الحج ازمنة معلومة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين كما قال في وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك (فمن فرض فيهن الحج) على نفسه بالعزيمة والتزم (فلا رفث) اي فاحشة ظهور القوة الشهوانية (ولا فسوق) اي لاسباب يعني خروج القوة الغضبية عن طاعة القلب (ولا جدال) اي تعدي القوة النطقية بالشيطنة (في الحج) اي في قصديت القلب (وما تفعلوا من خير) من فضيلة من افعال هذه القوى الثلاث بأمر الشرع والعقل دون رذائلها (يعلمه الله) ويثبكم عليه (وتزودوا) من فضائلها التي يلزمها الاجتناب عن رذائلها فان خيرا لزاد التقوى) منها (واتقون) في اعمالكم ونياتكم (يا اولي الالباب)

الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم فى الدعاء رحمك الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

﴿ فصل فى احكام العدة ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء فى ذلك الحرة والامة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ عدة المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسواء فى ذلك الحائض والامة والآيسة ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ عدة المطلقة المدخول بها وهى ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهى ثلاثة اقراء الضرب الثانى الآيسات من الحيض اما الكبرا وتكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيماله نصف وفى الاقراء قرآن لانه لا ينتصف قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين * وقوله تعالى (ولا يحل لهن ان يكتمن ماخلق الله فى ارحامهن) قال ابن عباس يعنى الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ماخلق الله فى رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وايجاب اداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك ادحق ان كنت مؤمنا يعنى ان اداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى والمعنى ينبغى ان يمنعك ايمانك من الظلم وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل مايستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثانى انه لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت فى زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باداء الامانة (وبعولتهن احق بردهن فى ذلك) يعنى ازواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم فى ذلك اى فى حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان ارادوا اصلاحا) يعنى ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعنى وللنساء على الازواج (مثل الذى عليهن) يعنى للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيماله عليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس فى معنى الآية انى احب ان اتزين لامرأتى كما احب ان تتزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله فى النساء فيه الحث

فان قضية اللب اى العقل الخالص من شوب الوهم وقشر المادة اتقائى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) اى لا حرج عليكم عند الرجوع الى الكثرة فى ان تطلبوا رفقا لانفسكم وتمتعوها بحظوظها على مقتضى الشرع باذن الحق فان حظها حينئذ يقويها على موافقة القلب فى مقاصده ولانها غير طاغية لتنورها بنور الحق (فاذا افضتم) اى دفعتم انفسكم من مقام المعرفة التامة الذى هو نهاية مناسك الحج وامها كما قال النبى عليه السلام الحج عرفة (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) اى شاهدوا جمال الله عند السر الروحى المسمى بالخفى فان الذكر فى هذا المقام هو المشاهدة والمشعر هو محل الشعور بالجمال المحرم من ان يصل اليه الغير (واذكروه كما هداكم) الى ذكره فى المراتب فانه تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان وهو ذكر النفس ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال الذى تصدر نعماء الله وآلاؤه منه ثم ذكر

على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانات الله
ويروى بامانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا
ماطاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة
هي كلمة التوحيد وهي لااله الاالله محمد رسول الله اذ لاتحل مسلمة لغير مسلم وقوله لايوطئن فرشكم
احدا تكرهونه معناه ولاياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال
مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولايعدونه ريبة ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس
المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلامعنى لاشتراط الكراهة فيه
ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو
الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة
وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع * وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) اى منزلة ورفعة
قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء
بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج
عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية
فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها (والله عزيز) اى غالب لايمتنع عليه شئ
(حكيم) اى في جميع افعاله واحكامه روى البغوى بسنده عن ابى ظبيان ان معاذ بن جبل
خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احد ان يسجد لاحد لامرت المرأة
ان تسجد لزوجها * قوله عزوجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل
اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل
الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لاآويك الى ولاتحلين
ابدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف اوتسريح باحسان فاستقبل الناس
الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق اولم يطلق اخرجه الترمذى وله عن عائشة قالت
كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي
في العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى قال رجل لامرأته والله لااطلقك فتبيني
مني ولاآويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك
فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف او
تسريح باحسان قالت عائشة فاستانف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية
ان الطلاق الرجعى مرتان ولارجعة بعد الثالثة الاان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول
من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق
الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة
وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الاان اباحنيفة قال يقع الثلاث وان
كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته

(والعدد)

السر وهو معاينة الافعال
ومكاشفة علوم تجليات
الصفات ثم ذكر الروح وهو
مشاهدة انوار تجليات
الصفات مع ملاحظة نور
الذات ثم ذكر الخفى وهو
مشاهدة جمال الذات مع
بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات
وهو الشهود الذاتى بارتفاع
البقية (وان كنتم من قبله)
اى من قبل الوصول الى
عرفات المعرفة والوقوف
بها (لمن الضالين) عن هذه
الاذكار (ثم افيضوا من
حيث افاض الناس) الى
ظواهر العبادات والطاعات
وسائر وظائف الشرعيات
والمعاملات من حيث اى
من مقام افاضة سائر الناس
فيها وكونوا كاحدهم
قيل لجنيد رحمة الله عليه ما
النهاية قال الرجوع الى
البداية (واستغفروا الله
ان الله غفور رحيم) من
ظهور النفس وتبرمها بالحال
وطغيانها قال النبي صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبي
واني لاستغفر الله في اليوم
سبعين مرة وقال اللهم
ثبتني على دينك فقيل له في
ذلك فقال اومايؤمنني ان
مثل القلب كمثل ريشة
بفلاة تقلبها الرياح كيف
شاءت ولماتورمت قدماه

والعددالذى تبين بهزوجته منه والمعنى ان عددالطلاق الذى لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدحولا بهن تطليقتان وانه لارجعةله بعدالتطليقتين ان سرحها وطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعنى بعدالرجعة وذلك انه اذارجعها بعدالتطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ماعرف فى الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (او تسريح باحسان) يعنى انه يتركها بعدالطلاق حتى تنقضى عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولايذكرها بعدالمفارقة بسوء ولاينفرالناس عنها ﴿فروع﴾ تتعلق بالاحكام الطلاق ﴿ الفرع الاول ﴾ صريح اللفظ الذى يقع به الطلاق من غيرنية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابى حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿ الفرع الثانى ﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة اوطلقتين بعدالدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها مادامت فى العدة فاذالم يراجعها حتى انقضت عدتها اوطلقها قبل الدخول بها اوخالعها فلاتحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها ﴿ الفرع الثالث ﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان احدالزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج فى عددالطلاق وبه قال الشافعى ومالك واحد وذهب ابوحنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن) يعنى اعطيتموهن (شيئا) يعنى من مهر اوغيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا ان يخافا ان لايقيما حدود الله) نزلت فى جميلة بنت عبدالله بن ابى ويقال حبيبة بنت سهل الانصارى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت اباها تشكوا اليه زوجها وقالت انه يسب ابى ويضربنى فقال ارجعى الى زوجك فانى اكره للمرأة ان لاتزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رأت اباها لايشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته آثارا بها من ضربه وقالت يارسول الله لاانا ولاهو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذى بعثك بالحق نبيا ماعلى وجه الارض احب الى منها غيرك فقال لها ماتقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يارسول الله ولكنى خشيت ان يهلكنى فاخرجه منه وقالت يارسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكنى ابغضه فلاانا ولاهو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها على واخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ياثابت خذمنها مااعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ثابت بن قيس مااعتب عليه فى خلق ولادين ولكنى اكره الكفر فى الاسلام قال ابوعبدالله يعنى تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها مااعتب عليه يعنى مااجدعليه والعتب الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اى يعلما الزوجات من انفسهما ان لايقيما حدود

فقالت له عائشة رضى الله عنها اماغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وقال امير المؤمنين عليه السلام اعوذ بالله من الضلال بعد الهدى (فاذا قضيتم مناسككم) وفرغتم من الحج (فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا) اى فلاتكونوا كأهل العادة مشغولين بذكر الانساب والمفاخرات وسائر احوال الدنيا فان ذلك يكدر وقتكم ويقسى قلوبكم بل كونوا مشتغلين بأنواع الذكر والمذاكرة مع الاخوان مثل ماكنتم تذكرون احوال الانساب وسائر احوال الدنيا قبل السلوك اوكما يذكر الناس هذه الاحوال بالعادة او ابلغ واقوى واكثر ذكرا منها ليبقى صفاؤكم ويهتدى بكم الناس (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) اى لايطلب الا متاع الدنيا ولايشتغل الابذكرها ولا يعبدالله الالاجلها (وماله فى الآخرة من خلاق) فان توجهه الى الاخس يمنعه عن قبول الاشرف لعدم نهوض همته اليه واكتساب الظلمة

الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصى الله فى امور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تعطه ان يعتدى عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيأ مما اعطاها الا ان يكون النشور من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا اطألك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما بعنى يعلم القاضى والوالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (ان لا يقيما حدود الله) يعنى ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) اى لا جناح على المرأة فى النشور اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها او اعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المرأة طائعة راضية

﴿ فصل فى حكم الخلع وفيه مسائل ﴾ ﴿ الاولى ﴾ قال الزهرى والنخعى وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة فى انه لا يجوز للزوج ان يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة فى انه لا يجوز الاخذ فى غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شئ فاذا بدلت كان ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة امر نفسها اولى واجيب عن الاستثناء المذكور فى هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع ﴿ المسئلة الثانية ﴾ الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول على وبه قال الزهرى والشعبى والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار معين كان للمرأة لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلف العلماء فى الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعى فى القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعى فى الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود والحسن والشعبى والنخعى وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثورى وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة

المنافية للنور (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) اى يطلب خير كل من الدارين ويحترز عن الاحتجاب بالظلمة والتعذب بنيران الطبيعة والحرمان عن انوار الرحمة (اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) من حظوظ الآخرة وانوار دار القرار واللذات الباقية بالاعمال الصالحة بعد المحاسبة وحط بعض الحسنات بالسيئات والتعذيب بحسبها او العفو (واذكروا الله فى ايام معدودات) مراتب معدودة بعد الفراغ من الحج وهو مرتبة الروح والقلب والنفس لان الواصل اذا رجع رجع الى هذه المراتب وعليه فى المراتب الثلاث ان يكون بالله فذلك ذكره (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه) اى فمن تعجل الى حظوظه فى مرتبة الروح والقلب فلا اثم عليه اذ الروح والقلب وحظوظهما لا يحجبان ولا يضران ومعنى التعجل هو ان الحركة اذا كانت بالله كانت اسرع ولا يكون معها لبث ولا وقوف ربما يظهر القلب او الروح

فى البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث ❊ قوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) اى فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) اى يجاوزها فاولئك هم الظالمون ❊ قوله عز وجل (فان طلقها) يعنى الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) اى لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعنى حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد ها الوطء نزلت فى تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاق فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته قولها فبت طلاق اى قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انه حمله على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء مشددة وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجى الاول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابى بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك ❊ قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الزوج الثانى بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعنى على المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعنى بنكاح جديد (ان ظنا) اى علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (ان يقيما حدود الله) يعنى يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل ❊ فرعان ❊ اولا مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويصيبها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثانى اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذى وقال

ويصير حجابا نوريا كما يكون لاصحاب التلوين (ومن تأخر) الى الثالث الذى هو مرتبة النفس (فلا اثم عليه لمن اتقى) اى ذلك الحكم لمن اتقى ان يكون مع حظوظ النفس بالنفس فان النفس الزم لحظها من صاحبيها وحظها اغلظ وابعد من النور من حظوظهما وسريعا ما تظهر للزوم الطيش والحركة اياها بخلاف صاحبيها وحظها ايضا كثيرا ما يحجب واذا حجب كان حجابه غليظا ظلمانيا فالاحتراز هناك والاحتياط واجب واولى من الباقيين لانهما ان ظهر ارق حجابهما وسهل زواله او ذلك التخيير لمن اتقى فى المراتب الثلاث (واتقوا الله) فى المواطن الثلاثة من ظهور الانانية والآنية حتى تكونوا فى الحظوظ به لا بالنفس ولا بالقلب ولا بالروح (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى انكم محشورون معه تحشرون من اسم الى اسم حاضرون بحضرته فانتم على خطر عظيم بخلاف سائر الناس كما ورد فى الحديث المخلصون على خطر عظيم

حديث حسن صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط فى النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان فى عزمهما ذلك وبه قال الشافعى وابو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثة فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما امرهم بها ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت فى ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن اجلهن) اى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها لم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هاهنا مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فأمسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (او سرحوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن انفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدى المرأة منه بمالها (لتعتدوا) اى لتظلموهن بمجاوزتكم فى امورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعنى بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه فى وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فان وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التى تقدم ذكرها فى العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا تتخذها هزوا وفيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذى * وقوله تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم) يعنى بالايمان الذى انعم به الله عليكم فهداكم له وسائر نعمه التى انعم بها عليكم (وما انزل عليكم) اى واذكروا انعمته فيما انزله عليكم (من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة التى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) اى الكتاب الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) نزلت فى معقل بن يسار المزنى عضل اخته جميلة وكانت تحت ابى القداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لى اخت تخطب الى وامنعها من الناس فاتانى ابن عم لى فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى نقضت عدتها فلما خطبت الى اتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس

وعن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بشر المذنبين بانى غفور وانذر الصديقين بانى غيور (ومن الناس من يعجبك) اى يدعى المحبة وهو الد الخصام لكونه فى مقام النفس زنديقا ولهذا قال تعالى (قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام) اذ ليس له قول فى الآخرة بالقلب (واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) لاباحته وتزندقه كما ترى عليه اكثر مدعى المحبة والتوحيد (والله لا يحب الفساد) اى هو مفسد ويدعى محبة الله وكيف تأتى له والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه والله لا يحب ما يفعله فلا يكون صادقا فى دعواه كما قال الشاعر

* تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا قبيح بالفعال بديع *
* لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع *

(واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم) اى حملته الحمية النفسانية حمية الجاهلية على الاثم لجاجا واشر الظهور

(وآثرك)

وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها لك ابدا ففي هذا نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرتجعها فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكنه النائي اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى ✲ وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) اي ذلك الذي ذكر من النهي (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم ازكى لكم واطهر) يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله (والله يعلم) يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير (وانتم لا تعلمون) يعني ذلك ✲ قوله عز وجل (والوالدات) يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن اولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى هذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى له من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن اراد ان يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة

نفسه حينئذ وزعمه انه اعلم بما يفعل من ناصحه (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) اي غايته عمق حضيض رتبته التي هو فيها وظلمتها فان جهنم معناه مهوى بعيد العمق مظلمه (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) ببذل نفسه في سلوك سبيل الله طالبا رضاه (كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) اي في الاستسلام وتسليم الوجوه لله اذ معاداة القوى بعضها بعضا وعدم موافقتها في التسليم لامر الله دليل تتبع الشيطان وهو يريدان تستحقوا اقهر الله بارتكاب الاسرافات المذمومة لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه ناري الخلقة لا يطلب منكم الا ان تكونوا ناريين مثله لا نورانيين فهو عدو في الحقيقة في صورة المحب (فان زللتم) عن مقام التسليم لامر الله (من بعد ما جاءتكم البينات) دلائل تجليات الافعال والصفات (فاعلموا ان الله عزيز) غالب يقهركم

فقدرالله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عندالتنازع قال ابن عباس فىرواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهرارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعه ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعه لتسعة اشهرا رضعته احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال فى رواية الوالبى عنه هوحدلكل مولود اى فى وقت ولد لاينقص رضاعه عن حولين الا بالاتفاق من الابوين فانهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدارا صلاح الطفل ومايعيش به (وعلى المولود له) يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللآباء الابناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) اى طعامهن (وكسوتهن) اى لباسهن (بالمعروف) اى على قدر الميسرة (لاتكلف نفس الاوسعها) يعنى طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف فى الانفاق عليه وعلى امه الاقدر ماتتسع به مقدرته ولايبلغ اسراف القدرة (لاتضار والدة بولدها) يعنى لاينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولايدفع الى غيرها وقيل معناه لاتكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبى لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعنى لاتلقى المراة الولد الى ابيه وقد الفها بضاره بذلك وقيل معناه لايلزم الاب ان يعطى ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لايضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لايضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولاينفق عليه الاب اوينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لاتضار والدة ولدها ولاأب ولدا (وعلى الوارث مثل ذلك) يعنى وعلى وارث ابى الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه فى القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبى الذى لومات الصبى ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابى الصبى فى حال حياته واختلف فى اى وارث هو فقيل هم عصبة الصبى كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبرون على نفقة الصبى كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذارحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبى نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبى فى ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولايجبر على نفقة الصبى غير الابوين وبه قال مالك والشافعى وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان ارادا) يعنى الوالدين (فصالا) يعنى فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) اى على اتفاق من الوالدين فى ذلك (وتشاور) اى يشاورون اهل العلم فى ذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لايضر بالولد والمشاورة استخراج

(حكيم) لايقهر الا على مقتضى الحكمة والحكمة تقتضى قهر المخالف المنازع ليعتبر المطيع الموافق ويزيد فى الطاعة (هل ينظرون) اى هل ينتظرون (الا ان يأتيهم) بتجلى (الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر) صفات الهوية من جملة تجليات الصفات وصور ملائكة القوى السماوية وقضى فى اللوح امر اهلاكهم (والى الله ترجع الامور سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيقابل كل امرئ بجزائه اوتزهق اليه بالفناء (كان الناس امة واحدة) اى على الفطرة ودين الحق كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهو فى عهد الفطرة الاولى على الحقيقة اوفى زمن الطفولة اوفى عهد آدم عليه السلام كان الناس امة واحدة) ثم اختلفوا فى

الرأى بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) اى فلا حرج ولا اثم على الوالدين فى الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) اى لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن او غير ذلك او اردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعنى الى المراضع (ما آتيتم) يعنى لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن (بالمعروف) اى بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) يعنى لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها ❊ قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعنى يموتون (منكم) واصل التوفى اخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض واخذ (ويذرون) اى ويتركون (ازواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) اى ينتظرن (بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا ابهمت فى العدد من الليالى والايام غلبوا الليالى حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالى على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس احداد فشبهها بالليالى على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض فى بطن امه لنصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح ينفخ فى الولد فى هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع فى مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه فى هذه الايام الزائدة

❊ فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد ❊ وفيه مسائل ❊ المسئلة الاولى ❊ عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر او عدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على هذا ماروى عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال مالى اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزويج ان بدالى اخرجاه فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان

النشأة بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات نفوسهم وتفرق اهوائهم فان تضاد اصول بنيتهم ومراكز ابدانهم باختلاف البقاع والاهوية اقتضى ذلك وكذا ما فى طباعهم من جذب النفع الخاص ودفع الضر الخاص لاحتجاب كل بعادة بدنه واقتضاء الحكمة الالهية ذلك لمصلحة النشو والنماء يقتضى التعادى والتخالف (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ليدعوهم من الخلاف الى الوفاق ومن الكثرة الى الوحدة ومن العداوة الى المحبة فتفرقوا وتحزبوا عليهم وتميزوا فاما السفليون الذين رسخت فى طباعهم محبة الباطل وغلب على قلوبهم الرين وطبع عليها وعميت وزال استعدادهم بغلبة هواهم فازدادوا خلافا وعنادا فكانهم ما

كانت فى دمها غير انه لايقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام فى كل من توفى عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴿ المسئلة الثانية ﴾ يجب على من توفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعى تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ماهذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطى بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باى شئ امتشط يارسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك اخرجه ابو داود وللنسائى نحوه قوله فانه يشب الوجه اى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به رأسك اى تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا الطخته بشئ فأكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ماصبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت ابى سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق اوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قال والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا (م) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا (ق) عن ام عطية قالت كنا نهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها فى نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهو شئ معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك فى الموطأ ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلفوا فى هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم مالم تعلم بوفاة زوجها لاتعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لايحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة

اختلفوا الا عند بعثهم واتيانهم بالكتاب الذى هو سبب ظهور الحق والوفاق حسدا بينهم ناشئا من عند انفسهم وغلبة هواهم واحتجابهم واما العلويون الذين بقوا على الصفاء الاصلى والاستعداد الاول فهداهم الله الى الحق الذى اختلفوا فيه بزوال خلافهم وسلكوا الصراط المستقيم (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) جنة تجلى الجمال (ولما يأتكم) حال (الذين) مضوا (من قبلكم مستهم البأساء والضراء) بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار وضراء المجاهدة والرياضة وكسر النفس بالعبادة (وزلزلوا) بدواعى الشوق والمحبة عن مقار نفوسهم ليظهروا مافى استعدادهم بالقوة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) اى حتى تضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد من الفراق وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال وذوق الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلى على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن تحملهم لما يفعل المحبوب ويريد بهم من

اوا كثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لاعلم لها يكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لمابعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم * وقوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال التطيب واحتج اصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلاجناح عليكم خطاب للاولياء ولوصح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن فى انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى انه تعالى لايخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله * قوله عزوجل (ولاجناح) اى لاحرج (عليكم فيما عرضتم به) اى لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه مايصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له اول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك الراغب وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان يقول انى اريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسر لى امرأة صالحة اخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبنى فى العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهى فى عدة زوجها ابى سلمة فذكر لها منزلته من الله عزوجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليهما فما كانت تلك خطبة (او اكننتم) يعنى اضمرتم (فى انفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولايتكلم بشئ والمقصود انه لاحرج عليكم فى التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولافيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله انكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لايخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق اسقط عنه الحرج (ولكن

ابتلائهم بالهجران واذاقتهم طعم الفرقة لاشتداد قوة المحبة فكيف بغيرهم فاجيبوا اذ بلغ جهدهم ونفدت طاقتهم وقيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اى رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال (يسئلونك ماذا ينفقون قل ماانفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم) قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم امر من طعم العلقم واشد من ضم الضيغم (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم) لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية التى تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس الى ذلك الخير الباقى واللذة السرمدية وكذا عكسه (والله يعلم) مافى الامور من الخير والشر (وانتم لاتعلمون) ذلك لاحتجابكم بالعاجل عن الآجل وبالظاهر عن الباطن (يسئلونك عن

لاتواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لاتفوتينى نفسك فانى ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لاتتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبى لاتصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الا زعمت بسباسة القوم اننى * كبرت وان لايحسن السر امثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن لفظ الجماع بالصريح ومعنى الآية لاتواعدوهن مواعدة سرية اولاتواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى اذن فى اول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة (الا ان تقولوا قولا معروفا) يعنى هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المراة انه راغب فى نكاحها (ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله) اى لاتحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا ان الله يعلم مافى انفسكم فاحذروه) اى فخافوه (واعلموا ان الله غفور حليم) لايعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه ※ قوله عز وجل (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن اوتفرضوا لهن فريضة) اى ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعنى ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فاوجه نفى الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وماجاء فى الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لاحرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى اى وقت شئتم حائضا كانت المراة او طاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) اى اعطوهن من مالكم مايتمتعن به والمتعة والمتاع مايتبلغ به من الزاد (على الموسع) اى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) اى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولاحيف (حقا) اى ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او قيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن ﴿فصل فى بيان حكم الآية﴾ وفيه فروع ﴿الفرع الاول﴾ اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولامتعة لها عليه (الفرع الثانى) المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لامتعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر

الشهر الحرام قتال فيه) يسألونك عن جهاد النفس واعوانها والشيطان وجنوده فى وقت التوجه والسلوك الى الحق وجهة الباطن الحرام فيه حركة السر (قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم) الجهاد فى ذلك الوقت امر عظيم شاق وجوهكم عن سبيل الله ومقام السر ومحل الحضور احتجاب عن الحق واخراج اهل القلب الذين هم القوى الروحانية عن مقارهم اعظم واكبر عند الله وفتنة الشرك والكفر وبلاؤهما عليكم اشد من قتلكم اياهم بسيف الرياضة ولاتزال تلك القوى النفسانية والاهواء الشيطانية يقاتلونكم بذنكم عن دينكم ومقصدكم ودعوتكم الى دين الهوى والشيطان (حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه) باتباعهم (فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم)

لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿ الفرع الثالث فى قدر المتعة ﴾ قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية اومقنعة اوشئ من الورق وهومذهب الشافعى لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبدالرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعنى متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن على زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع قليل من حبيب مفارق * وقال ابوحنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لايجاوز وقال احمد فى احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزئ فيه الصلاة وقال فى الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج فى اليسر والعسر وانه منوط الى الاجتهاد لانها كالنفقة التى اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر فى ذلك ﴿ الفرع الرابع ﴾ ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر مثلها صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض ولها عليها مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عزوجل ﴿ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ﴾ يعنى تجامعوهن وهذا فى المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولاعدة عليها وهو قوله تعالى ﴿ وقد فرضتم لهن فريضة ﴾ اى سميتم لهن مهرا ﴿ فنصف مافرضتم ﴾ اى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعى ان الخلوة من غير مسيس لاتوجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة فى المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابوحنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسى ولا شرعى فالحسى نحو الرتق والقرن اويكون معهما ثالث والشرعى نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا اونفلا والآية حجة لمذهب الشافعى قال شريح لم اسمع الله ذكر فى كتابه بابا ولاسترا اذا زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا دخلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر ﴿ فرع ﴾ لومات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت * وقوله تعالى ﴿ الا ان يعفون ﴾ يعنى النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج ﴿ اويعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ فيه قولان احدهما انه الولى وهو قول ابن عباس فى رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبى والنخعى والزهرى والسدى وبه قال الشافعى فى القديم ومالك والقول الثانى انه الزوج وهو قول على وابن عباس فى الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظى وهو قول ابى حنيفة والشافعى فى الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا ان تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة اوغير جائزة التصرف فيجوز عفوو ليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولى بشروط وهى ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولى ابا اوجدا لان غيرهما لايزوج الصغيرة وعلى القول الثانى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبرى والواحدى فيكون معنى الآية اويعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج فيعطى المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف

التى عملوها فى الاستسلام والانقياد ﴿ فى الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار ﴾ نار الحجاب والتعذيب ﴿ هم فيها خالدون ان الذين آمنوا ﴾ يقينا ﴿ وهاجروا ﴾ اوطان النفس ومألوفات الهوى ﴿ وجاهدوا فى سبيل الله ﴾ وجنود الشيطان والنفس الامارة ﴿ اولئك يرجون رحمة الله ﴾ تجليات الصفات وانوار المشاهدة ﴿ والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر ﴾ خمر الهوى وحب الدنيا وميسر احتيال النفس فى جذب الحظ ﴿ قل فيهما اثم كبير ﴾ الحجاب والبعد ﴿ ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولوشاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو

السا قط عنه فحسن للمرأة ان تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيه فى لها المهر كاملا وروى ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيأ فكذلك المهر لانه مال لها (وان تعفوا اقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق (ان الله بما تعملون) يعنى من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) اى لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عزوجل (حافظوا) اى داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات امر الله عزوجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها فى اوقاتها المختصة بها (والصلاة الوسطى) تانيث الاوسط ووسط كل شئ خيره واعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلا

﴿ فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى ﴾ قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد وربيع بن انس وبه قال مالك والشافعى ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان على بن ابى طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك فى الموطاء واخرجه الترمذى عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتى جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا النهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا الليل وصلاتا الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتى فى وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم فى الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال فيها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثانى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابى سعيد الخدرى ورواية عائشة وبه قال عبدالله بن شداد وهو رواية عن ابى حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعائشة قال الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك فى الموطأ عن زيد والترمذى عنهما تعليقا واخرجه ابوداود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتى وسط النهار وفى شدة الحر ولانها تأتى بين البردين يعنى صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول على وابن مسعود وابى ايوب وابى هريرة

(وابن)

اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله

وابن عمر وابن عباس وابى سعيد الخدرى وعائشة وهو قول ابى عبيدة السلمانى والحسن البصرى وابراهيم النخعى وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذى هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردى من اصحابنا هذا مذهب الشافعى لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة فى العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ماروى عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفى رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفى رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد فى اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذى وله عن ابن مسعود مثله قال فى كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن ابى يونس مولى عائشة قال امرتنى عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت على حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتى وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تأتى بين صلاتى نهار وهما الفجر والظهر وصلاتى ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ماروى عن أبى المليح قال كنا مع بريدة فى غزوة فقال فى يوم ذى غيم بكروا بصلاة العصر فان النبى صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخارى قوله بكروا بصلاة العصر أى قدموها فى اول وقتها (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر اهله نقص وسلب اهله وماله فبقى فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتى بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما فى الصبح واقل من اربع ولا تقصر فى السفر وهى وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر اولى الصلاة كانت المغرب هى الوسطى * المذهب الخامس انها صلاة العشاء ولم ينقل عن احد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين وجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هى احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله تعالى امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس فى الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال فى كل واحدة من الصلوات الخمس انها هى الوسطى انما ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام

والیوم الآخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف اوتسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف اوسرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم واذا

ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر فى شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم فى جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم * وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) اى طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فى اركانها وسننها وقيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله فى صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلاة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه فى الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام فى الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء فى الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشئ او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الا ناسيا * قوله عز وجل (فان خفتم فرجالا) اى رجالة (او ركبانا) يعنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبليها وهذا فى حال المقاتلة والمسايفة فى وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون فى حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم فى غير حال القتال وهو المذكور فى سورة النساء فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى فى موضعه فاذا التحم القتال ولم يكن تركه لاحد فمذهب الشافعى انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يؤمنون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلى الماشى بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبى صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به فى ذلك واحتج الشافعى لمذهبه بهذه الآية واجيب عن تأخير النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا فى القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله

طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن

ان يصلى صلاة شدة الخوف بالايماء فى حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الحضر اربعا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصرى وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه قالوا يصلى فى حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعى ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن فى عدد الركعات فان كان الخوف فى الحضر وجب عليه ان يصلى اربع ركعات وان كان فى السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة فى حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى يأتى بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة فى صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فى صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث ❊ وقوله تعالى ﴿ فاذا امنتم ﴾ يعنى من خوفكم ﴿ فاذكروا الله ﴾ اى فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها ﴿ كما علمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك ❊ قوله عز وجل ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ يعنى يا معشر الرجال ﴿ ويذرون ازواجا ﴾ يعنى زوجات ﴿ وصية لازواجهم ﴾ قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية ﴿ متاعا الى الحول ﴾ اى متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه ﴿غير اخراج﴾ اى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية فى رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامرأته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فاعطى النبى صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم فى ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين فى مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت فى بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل ان يوصى بذلك فدلت هذه الآية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثانى ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة فى التلاوة متأخرة فى التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء ❊ وقوله تعالى ﴿ فان خرجن فلا جناح عليكم ﴾ يعنى يا معشر اولياء الميت ﴿فيما فعلن فى انفسهن من معروف﴾ يعنى التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم فى قطع النفقة

لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين

عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثانى لاجناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لان مقامها فى بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم فى بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشرا (والله عزيز) اى غالب قوى فى انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عزوجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان فى تلك الآية بيان حكم غير الممسوسة وفى هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة * وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وكما عرفتكم احكامى والحق الذى يجب لبعضكم على بعض فى هذه الآيات كذلك ابين لكم سائر احكامى فى آياتى التى انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) اى لكى تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اه * قوله عزوجل (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقى بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزمنا رأيا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر انه خرج الى الشأم فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التى تأتيها بها وباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية فى انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فما اتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر اى الم تعلم يا محمد باعلامى اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعانى هو تعجب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما فى القرآن من قوله الم تر ولم يعاينه النبى صلى الله عليه وسلم فهذا معناه * قوله تعالى (وهم الوف) قيل هو من العدد واختلفوا فى مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون

الله لكم آياته لعلكم تعقلون) فى باب المعاش وتحصيل اللذة النفسانية والفرح بالذهول عن الهيآت الردية المشوشة والهموم المكدرة (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف) اى اوطانهم المألوفة ومقار نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدنيا وما ركنوا اليها بدواعى الهوى وهم قوم كثير (حذر الموت) الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقية والوقوع فى المهاوى الطبيعية (فقال لهم الله موتوا) اى امرهم بالموت الارادى او اماتهم عن ذواتهم بالتجلى الذاتى حتى فنوا فى الوحدة (ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) بالحياة الحقيقية العلية او به بالوجود الموهوب الحقانى والبقاء بعد الفناء ولا يبعد ان يريد به ما اراد من قصة عزير اى خرجوا هاربين من الموت الطبيعى فأماتهم الله ثم احياهم بتعلق ارواحهم بابدان من جنس ابدانهم ليحصلوا بها كمالهم (وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل ابن بوذى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمى به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك آية قال نعم يارب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لاقوم لى فاوحى الله اليه انى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لايلبسون ثوبا الاعاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم لتلك الريح فى ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فان قلت كيف اميت هؤلاء مرتين فى الدنيا وقد قال الله تعالى لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبى ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء اى الا الموتة الاولى التى ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفى هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكرى البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق فى خبره انه اماتهم ثم احياهم فى الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة ❊ وقوله تعالى (حذر الموت) اى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم احياهم) يعنى بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ان الله تعالى تفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق فى الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن اكثر الناس لايشكرون) يعنى ان اكثر من انعم الله عليه لايشكره اما الكافر فانه لم يشكره اصلا واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره ❊ قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه

من ذا الذى يقرض الله) النفس والشيطان على الاول والثانى وعلى الثالث لاتخافوا من الموت فى مقاتلة الاعداء فان الهرب منه لاينفع كما لم ينفع اولئك والله يحييكم كما احياهم (قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) هو بذل النفس بالجهاد او بذل المال بالايثار (والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) اى هو مع معاملتكم فى القبض والبسط فانكم بأوصافكم تستنزلون اوصافه ان تبخلوا بما فى ايديكم يضيق عليكم ويقتر وان تجودوا يوسع عليكم بحسب جودكم كما ورد فى الحديث تنزل المعونة على قدر المؤنة (الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم

لاتهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا ان الله سميع) يعنى لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم) بما يضمره * قوله عز وجل (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح اوسيئ قال امية بن ابى الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * او سيئا او مدينا كالذى دانا

واصل القرض فى اللغة القطع سمى به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذى يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى فى استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل فى الآية اختصار تقديره من ذا الذى يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اى يؤذون عباد الله وكما جاء فى الحديث الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى الحديث واختلفوا فى المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق فى سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لايكون الا تبرعا ولما روى الطبرى بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ارنا يدك فناوله يده قال فانى قد اقرضت ربى حائطى حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشى حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه فى عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجى من الحائط فانى قد اقرضته لربى زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابى الدحداح وقيل فى معنى يقرض الله اى ينفق فى طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال فى وجوه البر وقيل هو ان لايمن بالقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولايكون فيه رياء ولاسمعة (فيضاعفه له) يعنى ثواب ما انفق (اضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدى هذا التضعيف لايعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم فى باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لايمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لاتقدر على الانفاق فى الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق فى البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التى

والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) كان رجلا فقيرا لانسب له ولا مال فاقبلوه للملك لان استحقاق الملك والرياسة عند العامة انما هو بالسعادة الخارجية التى هى المال والنسب فنبه نبيهم على ان الاستحقاق انما يكون بالسعادتين الاخريين الروحانية التى هى العلم والبدنية التى هى زيادة القوى وشدة البنية والبسطة بقوله (قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) والله اعلم بمن يستحق الملك فيؤتيه (والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع) كثير العطاء يؤتى المال كما يؤتى الملك (عليم) بمن له الاستحقاق وما يحتاج اليه من المال الذى يعتضد به فيعطيه ثم بين ان استحقاق الملك له علامة اخرى وهى اذعان الخلق له ووقوع هيبته ووقاره فى القلوب وسكون قلوبهم اليه ومحبتهم له وقبولهم امره على الطاعة والانقياد

يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزيكم باعمالكم * قوله عزوجل (ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل) الملأ اشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) اى من بعد موت موسى او من بعد زمنه (اذ قالوا) يعني اولئك الملأ (لنبي لهم) اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقاني قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

* ذكر الاشارة الى القصة *

كان سبب مسئلة اولئك الملأ لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا مانسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلنانا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام سلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه. فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشئ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام قال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه

وهو الذي كان يسميه الاعاجم من قدماء الفرس خوره ومايختص بالملوك كيان خوره ثم من بعدهم سموه فر فقالوا كان فر الملك افريدون وذهب عن كيكاوس فر الملك فطلبوا من له الفر فوجدوا للملك المبارك كيخسرو وسماه التابوت اى ما يرجع اليه من الامور لان التابوت فعلوت من التوب اى يأتيكم من جهته مايرجع في ثبوت ملكه من الاذعان والطاعة والانقياد والمحبة له بالقاء الله له ذلك في قلوبكم كما قال النبي عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر اوما يرجع اليه من الحالة النفسانية والهيئة الشاهدة له على صحة ملكه (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) اى ما تسكن قلوبكم اليه (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) في اولادهم من المعنى المسمى فر وهو نور ملكوتي تستضئ به النفس باتصالها بالملكوت السماوية واستفاضتها ذلك من عالم القدرة مستلزم لحصول

قال وهب فبعث الله اشموئل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) اى فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (ان لا تقاتلوا) يعني لاتفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لاتقول مالك ان لاتفعل كذا ولكن يقول مالك لاتفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك ان لاتكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لاتؤمنون وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه وما لنا لانقاتل في سبيل الله (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اى اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لايظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا * قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) اى اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ماسيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال * قوله عزوجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عزوجل ان يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمى طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن امر الحمير ليرشدنا اوليدعولنا فدخلا عليه فبيناهما عنده يذكر ان له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال فباى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا ايها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ماشان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوى بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن

علم السياسة وتدبير الملك والحكمة المزينة لها (تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) اى ينزل اليكم بتوسط الملائكة السماوية ويمكن انه كانه صندوقا فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطلسمات التي تذكرانها للملك على مايرى من انه كان فيه صورة لها رأس كرأس الآدمي والهر وذنب كذنبه كالذي كان في عهد فريدون المسمى درفش كاويان (فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر) هو منهل الطبيعة الجسمانية (فمن شرب منه فليس مني) اى من كرع فيه مفرطا في الري منه لان اهل الطبيعة وعبدة الشهوات اذل واعجز خلق الله لاقوة لهم بقتال جالوت النفس الامارة ولا بجالوت عدو الدين اذلا حمية لهم ولاتشدد (ومن لم يطعمه فانه مني الامن اغترف غرفة بيده) اى الامن اقتنع منه بقدر الضرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه (فشربوا منه) اى كرعوا فيه وانهمكوا (الا قليلا

يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا انى يكون له الملك علينا) اى من اين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن احق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعنى انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبى (ان الله اصطفاه عليكم) اى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) اى فضيلة وسعة (فى العلم) وذلك انه كان من اعلم بنى اسرائيل وقيل انه اوحى اليه حين اوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه كان اطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد فى فعل فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعنى ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم فى طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى (عليم) يعنى انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه فى تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) وذلك انهم سألوا اشمويل النبى فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت * وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع فى عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فى التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا فى تلك السكينة ما هى فقال على بن ابى طالب هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى

منهم) اذا المتنزهون عن الاقذار الطبيعية المقدسون عن ملابسها المتجردون عن غواشيها قليلون بالنسبة الى من عداهم قال الله تعالى وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور وهم الذين آمنوا معه من اهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم ان الغلبة ليست بالكثرة بل بالنصرة الالهية فصبروا على ما عاينوا بقوة يقينهم فظفروا وقل من جد فى امر يطالبه * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو

فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد ياايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لااله الاهو) في الوجود فكل ماعبد دونه لم تقع العبادة الاله علم اولم يعلم اذلا معبود ولا موجود سواه (الحي) الذي حياته بذاته وكل ماهو حي لم يحي الابحياته (القيوم) الذي يقوم بنفسه ويقوم كل مايقوم به فلولا قيامه ماقام شيء في الوجود (لا تأخذه) غفوة ونعاس كما يعتري الاحياء من غير قصدهم فان ذلك لايكون الا لمن حياته عارضة

روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي رباح هي مايعرفون من الآيات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اى طمانينة من ربكم ففي اى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ماقيل فيه لان كل شيء يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلايجوز تصويب قول وتضعيف آخر ❊ وقوله تعالى (وبقية مماترك آل موسى وآل هرون) يعني موسى وهرون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشيء من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عزوجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث ابناه في القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذي ينوطونه به كلابين فلما اخرجا كانا الكاهن الذي كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى الى اشمويل ان انطلق الى عيلي وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيأ وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فافعل في التابوت قال اخذه العدو وكان عيلي قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فخرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان آية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ماذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم اعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقطعت يد الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لايقوم له شيء فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت مافي جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لاتزالون ترون ماتكرهون

مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت
ثم علقوها فى ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك
يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بنى اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت
فى ارض فيها حصاد لبنى اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم
فكبروا وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت
تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت
مع الملائكة فى السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت
فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته فى دار
طالوت فاصبح فى داره فاقروا بملكه (ان فى ذلك لآية لكم) يعنى قال لهم نبيهم اشمويل ان فى مجئ
التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدق فيما اخبرتكم به ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم
التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا لطاعته وخرجوا معه وذلك
قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) اى خرج واصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره
شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون
الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره
وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا فى النصر فسارعوا الى الخروج فى الجهاد وكان مسيرهم
فى حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله
ان يجرى لنا نهرا ف(قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) اى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو اعلم
بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه
فليس منى) اى فليس من اهل دينى وطاعتى (ومن لم يطعمه) اى لم يذقه يعنى الماء (فانه منى) يعنى
من اهل طاعتى (الا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم
التى تحصل فى الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه)
يعنى من النهر (الا قليلا منهم) قيل هم اربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر
رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ماروى عن البراء بن عازب قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه
معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة اخرجه البخارى قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر
التى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله
تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه
وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر
ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل
الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعنى جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه)
يعنى اولئك القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله تعالى وكانوا اهل شك
ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما راوا

فتغلبه الطبيعة بالحالة
الذاتية طلبا للهدو والراحة
والا بدال عن تحليل
اليقظة فأما من حياته
عين ذاته فلا يمكن له ذلك
وبين كون حياته غير
عارضة بقوله (ولا نوم)
فان النوم ينافى كون
الحياة ذاتية لانه اشبه
شئ بالموت ولهذا قيل
النوم اخو الموت ومن
لا نوم له لذاته لمنافاته كون
الحياة غير ذاته فلا سنة له اذ
السنة من مقدماته وآثاره
كما تقول ليس له ضحك ولا
تبسم وقوله لاتأخذه سنة
ولا نوم بيان لقيوميته (له ما
فى السموات وما فى الارض)
نواصيهم بيده يفعل بهم ما يشاء
(من ذا الذى يشفع عنده الا
باذنه) اذ كلهم له وبه يتكلم
من يتكلم به وبكلامه فكيف
يتكلم بغير اذنه وارادته (يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم)
ما قبلهم وما بعدهم فكيف
بهم وبحالهم اى علمه شامل

العدو قال المنافقون (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين راوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لاطاقة لنا لاقوة لنا اليوم بجالوت وجنودة (قال الذين يظنون) اى يستيقنون ويعلمون (انهم ملاقوا الله) اى ملاقوا ثواب الله ورضوانه فى الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لاواحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) اى بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة * قوله عزوجل (ولما برزوا) يعنى طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ماظهر واستوى منها (قالوا) يعنى المؤمنين اصحاب طالوت (ربنا افرغ) اى اصبب (علينا صبرا وثبت اقدامنا) اى قو قلوبنا لتثبت اقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعنى بقضائه وارادته واصل الهزم فى اللغة الكسر اى كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ماذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود فى ثلاثة عشر ابناله وكان داود اصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمى بقذافتى شيأ الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بنى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجنى فقال له ابوه ابشر يا بنى فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما آخر فقال له يا ابتاه انى لامشى بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معى فقال يا بنى ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل ان ابرز الى وابرز اليك او ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله فى ذلك فدعا الله فاتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على بنيك فاخرج له اثنى عشر رجلا امثال السوارى فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيأ فقال يا ايشا هل بقى لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يارب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبى ان ربى قد كذبك فقال ايشا صدق

للازمنة والاشخاص والاحوال كلها فيعلم المستحق للشفاعة وغير المستحق لها (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) اى بما اقتضت مشيئته ان يعلمهم فعلم كل ذى علم شئ من علمه ظهر على ذلك المظهر كما قالت الملائكة لاعلم لنا الا ما علمتنا (وسع كرسيه السموات والارض) اى علمه اذ الكرسى مكان العلم الذى هو القلب كما قال ابو يزيد البسطامى رحمة الله عليه لو وقع العالم وما فيه الف الف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به لغاية سعته ولهذا قال الحسن كرسيه عرشه مأخوذ من قوله عليه السلام قلب المؤمن عرش الله والكرسى فى اللغة عرش صغير لا ينفصل عن مقعد القاعد شبه القلب به تصويرا وتخييلا لعظمته وسعته واما العرش المجيد الاكبر فهو اللوح الاول وصور تمها

ربى يانبى الله ان لى ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزربية التى يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى واجرى خاتمك فى ملكى قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او الذئب فيأخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها من قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فرداود عليه السلام فى طريقه بحجر فناداه ياداود احملنى فانى حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال ياداود احملنى فانى حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة فى مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرنى ربى لم يغن هذا السلاح عنى شيأ وان نصرنى فلاحاجة لى به فدعنى اقاتل كما اريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب فى قلبه فقال له جالوت وانت تبرزلى قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا ثم واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخرجا لوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجزلى ماوعدتنى فقال له اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ماشرطت على صداقا وليس لى شئ فقال لااكلفك الا ماتطيق انت رجل جرئ وفى حيالنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى بغلفهم زوجتك ابنتى فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته فى خيط حتى نظم مائتى غلفة فجاء بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته واجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت ابى قال وهل

ومثالهما فى الشاهد الفلك الاعظم والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهن (ولايؤده) اى ولايثقله (حفظهما) لانهما غير موجودين بدونه ليثقله حملهما بل العالم المعنوى كله باطنه والصورى ظاهره فلاوجود لهما الابه وليسا غيره (وهو العلى) الشان الذى لايعلو شئ وهو يعلو كل شئ وقهره بالفناء (العظيم) الذى لايتصور كنه عظمته وكل عظمة تتصور لشئ فهى رشحة من عظمته وكل عظيم فبنصيب من عظمته و حصة منها عظيمة فالعظمة مطلقا له دون غيره بل كلها له ليس لغيره فيها نصيب وهى اعظم آية فى القرآن لعظم مدلولها (لااكراه فى الدين) لان الدين فى الحقيقة هو الهدى المستفاد من النور القلبى الفطرة الانسانية المستلزم للايمان اليقينى كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا

اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لايكذب ولاعليك ان تغيب الليلة حتى ننظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ماطلبت لحقيق ان لايدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسته واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولوشاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لوكان دخل ها لخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لاينهاه احد عن قتل داود الاقتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى اتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على مافعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة لااخبرني بها فلما اكثر ذلك منه ناداه مناد من القبور ياطالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة او تعلم في الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق به اليها لاسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك انها اذا راتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخبازيا هذه الست تعلمين حق عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قدجاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت والله ما اعلم له توبة ولكن دلوني على قبرنبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت ياصاحب القبر فخرج ينفض التراب على رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال مالكم اقامت القيامة قالت لاولكن هذا طالوت قدجاء يسألك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت مافعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيأ الا فعلته وجئت اطلب التوبة فقال اشمويل ياطالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة

فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم والاسلام الذي هو ظاهر الدين مبتن عليه وهو امر لامدخل للاكراه فيه والدليل على ان باطن الدين وحقيقته الايمان كما ان ظاهره وصورته الاسلام مابعده (قدتبين) اي تميز (الرشد من الغي) بالدلائل الواضحة لمن له بصيرة وعقل كما قيل قد اضاء الصبح لذي عينين (فمن يكفر بالطاغوت) اي ماسوى الله وينفي وجوده وتأثيره (ويؤمن بالله) ايمانا شهوديا حقيقيا (فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها) اي تمسك بالوحدة الذاتية التي وثوقها واحكامها بنفسها فلا شيء اوثق منها اذ كل وثيق بها وثوق بل كل وجود بها موجود وبنفسه معدوم فاذا اعتبر وجوده فله انفصام بنفسه لان الممكن وثاتته وجوده بالواجب فاذا

الا ان تخلى من ملكك وتخرج انت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لايتابعه بنوه على مايريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تقذوننى منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذى سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا فى سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال قد قتلت عدوك فقال داود ما انت باق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة فاتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبى والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة فى سبط والملك فى سبط وقيل الحكمة هى العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) اى وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة متصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لايحدث فى الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذى عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما اعرف لك عندى وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتى فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة منى ومد يده فتناولها فعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة * قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعنى ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة بعضا وهم اهل الكفر والمعاصى قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والفجار

قطع النظر عنه فقد انقطع وجود ذلك الممكن ولم يكن فى نفسه شيأ ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته اذ ليس فيه تجزؤ واثنينية وفى الانفصام لطيفة وهو انه انكسار بلا انفصال ولما لم ينفصل شئ من الممكنات من ذاته تعالى ولم يخرج منه لانه اما فعله واما صفته فلا انفصال قطعا بل اذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصما اى منقطع الوجود متعلقا وجوده بوجوده تعالى (والله سميع) يسمع قول ذوى دين (عليم) بنياتهم وايمانهم (الله ولى الذين آمنوا) متولى امورهم ومحبتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات صفات النفس وشبه الخيال والوهم الى نور اليقين والهدى وفضاء عالم الروح (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) مايعبدون من دون الله (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من نور

(لفسدت الارض) يعنى لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعنى ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهى التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبى (نتلوها عليك بالحق) اى باليقين الذى لا يشك فيه اهل الكتاب لانه فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعنى حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذى تخبر به وحى من الله تعالى * قوله عز وجل (تلك الرسل) يعنى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم فى هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء فى الفضيلة لاستوائهم فى القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) اى من الرسل (من كلم الله) اى كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتى نبى من الانبياء آية او معجزة الا واوتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره من الانبياء بآيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذى حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التى لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذى عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى من الانبياء الا وقد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلائق كافة وختم بى النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت فى هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذى لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس قال زهير والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه * وقوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعنى الحجج

الاستعداد والهداية الفطرية الى ظلمات صفات النفس والشكوك والشبهات (والئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابرهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها) اى ارايت مثل الذى مر على قرية باد اهلها وسقطت سقوفها وخرت جدرانها عليها فتعجب من احيائها لكونه طالبا سالكا يصل الى مقام اليقين بعد ولم يستعد لقبول نور تجلى اسم المحيى والمشهور انه كان عزيرا (فأماته الله) اى فابقاه على موت الجهل كما قال امتنا اثنتين على قول وقال

والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وايدناه بروح القدس) اى وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتى موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر فى باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق فى الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ولو شاء الله) اى ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة (مااقتتل الذين من بعدهم) يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ماجاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) اى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) اى ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله مااقتتلوا) اى ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل مايريد) يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لااعتراض عليه فى ملكه وفعله سأل رجل على بن ابى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه ❊ قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه الخير (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه) اى لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان يأتى يوم لاتجارة فيه فيكسب الانسان مايفتدى به من العذاب (ولاخلة) اى ولا مودة ولاصداقة (ولاشفاعة) وظاهر هذا يقتضى نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ❊ قوله عزوجل (الله لا اله الا هو الحى القيوم)

❊فصل فى فضل هذه الآية الكريمة❊ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى اخرجه الترمذى قوله ان لكل شئ سناما سنام كل شئ اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل فى قومه والشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله هى سيدة آى القرآن اى افضله (م) عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابا المنذر اتدرى اى آية من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم ياابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان اى آية فى القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجه

وكنتم امواتا فاحياكم (مائة عام) يمكن ان يكون العام فى عهدهم كان مبنيا على دور القمر فيكون ثمانية اعوام واربعة اشهر وان يكون مبنيا على فصول السنة فيكون خمسة وعشرين سنة وان تكون اعمارهم فى ذلك الزمان كانت لطويلة (ثم بعثه) بالحياة الحقيقية وطلب منه الوقوف على مدة اللبث فما ظنه الا يوما اوبعض يوم استصغار المدة اللبث فى موت الجهل المقتضية بالنسبة الى الحياة الابدية ولعدم شعوره بمرور المدة كالنائم الغافل عن الزمان ومروره ثم لما تفكر نبهه الله تعالى على طول مدة الجهل وموت الغفلة بانه مائة عام او اماته بالموت الارادى فى احدى المدد المذكورة فتكون المدة زمان رياضته وسلوكه ومجاهدته فى سبيل الله او اماته حتف انفه بالموت الطبيعى فتعلق روحه

ابوداود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها اعظم آية في القرآن لما جمعت من اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم ابوالحسن الاشعري وابوبكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتاول هؤلاء ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل على بعض الآيات او السور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القارئ اوجزيل ثوابه وقول ان هذه الآية اوهذه السورة اعظم اوافضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفى الالهية عن كل ما سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجود اوبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهر والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان

بدن آخر من جنسه لاكتساب الكمال اما بعد زمان واما في الحال حتى مر عليه احدى المدد الثلاث المذكورة وهو لا يطلع على حاله فيها ولم يشعر بمبدئه ومعاده وكان ميتا ثم بالحياة الحقيقية فاطلع بنور العلم على حاله وعرف مبداه ومعاده وقوله (قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) كقوله تعالى ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار وقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كل ذلك لغفلتهم عن مرور الزمان وكذا مفارق اخا او مصاحبا اوشيأ آخر اذا ادرك الوصال بعد طول مدة الفراق كان تلك المدة احينئذ لم تكن اذلا يحس

ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذى هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه اى يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعنى ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد فى الليل بعد انقضائه فى اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه فى اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء فى آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله فى اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشئ المانع من الرؤية وسمى ذلك الشئ المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك فى العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من فى قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فاوحى الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما فى يديه فى كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابى هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى على المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء انه صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى اعلم ❊ قوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفى ملكه فان قلت لم قال له ما فى السموات ولم يقل من فى السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) اى بأمره وهذا استفهام انكارى والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) يعنى ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هو فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من احوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال احاط بالشئ اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه فى قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء) يعنى ان يطلعهم

بها بعد مضيها وان قاساها قبل الوصال (وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) قيل طعامه التين والعنب وشرابه الخمر واللبن فالتين اشارة الى مدركات الكلية لكونه لبا كله وكون الجزئيات فيها بالقوة كالحبات التى فى التين والعنب اشارة الى الجزئيات لبقاء اللواحق المادية معها فى الادراك كالتجير والعجم واللبن اشارة الى العلم النافع كالشرائع والخمر اشارة الى العشق والارادة وعلوم المعارف والحقائق لم يتسنه اى لم يتغير عما كان فى الازل بحسب الفطرة مودعا فيك فان العلوم مخزونة فى كل نفس بحسب استعدادها كما قال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فان حجبت بالمواد وخفيت مدة ما لتقلب فى البرازخ وطلاتها لم تبطل ولم تتغير عن حالها حتى اذا رفع الحجاب بصفاء القلب ظهرت كما كانت ولهذا قال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن (وانظر الى حمارك) اى بدنك بحاله على الوجه الاول والثانى وكيف نخرت عظامه وبليت على

عليه وهم الانبياء والرسل ليكون مايطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسى فى اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض والكرسى فى العرف اسم لما يقعد عليه سمى به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا فى المراد بالكرسى هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسى هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسى اسم للسرير الذى يصح التمكن عليه القول الثانى ان الكرسى غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض فى جوف الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة والكرسى فى جنب العرش كحلقة فى فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع فى الكرسى كدراهم سبعة القيت فى ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والارض وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابى البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبنى آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسى من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسى هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسى يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسى الملك والسلطان والقدرة لان الكرسى موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز (ولا يؤده) اى لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) اى حفظ السموات والارض (وهو العلى) اى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيما يجب ان يوصف به من معانى الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالى عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو فى صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعا على كل وجه وقيل معناه انه لا يعلو ان يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعنى انه ذو العظمة والكبرياء الذى لا شئ اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كمل فى عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو فى صفة الله ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذى هو من نعوت الاجسام * قوله عز وجل (لا اكراه فى الدين) سبب نزول هذه الآية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهى التى لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته فى اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه فى الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبى

الوجه الثالث (ولنجعلك آية للناس) اى ولنجعلك دليلا للناس على البعث بشأنك (وانظر الى العظام كيف ننشزها) اى نرفعها (ثم نكسوها لحما) على كلا الوجهين ظاهر فانه اذا بعث وعلم حاله وتجرده عن البدن علم تركيب بدنه برفع العظام وجمعها وكسوتها لحما (فلما تبين له) ذلك البعث والنشور (قال اعلم ان الله على كل شئ قدير واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) اى بلغنى الى مقام العيان من مقام العلم الايقانى ولهذا قرر ايمانه بهمزة الاستفهام التقريرية (فقال اولم تؤمن) اى اولم تعلم ذلك يقينا واجاب ابراهيم عليه السلام بقوله (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) اى ليسكن وتحصل طمانينته بالمعاينة فان عين اليقين انما يوجب الطمانينه لا علمه (قال فخذ اربعة من الطير) اى القوى الاربعة التى تمنع عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقية وقيل كانت طاوسا وديكا وغرابا وحمامة وفى رواية بطة فالطاوس هو العجب

صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ابدخل بعضى النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت فى اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل فى اهل الكتاب لا اكراه فى الدين يعنى اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك فى ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهرى سألت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه فى الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لايكره احدا فى الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله فى قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه فى الدين اى دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه (قد تبين الرشد من الغى) يعنى ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعنى الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ماعبد من دون الله تعالى وقيل كل مايطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) اى ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى انه لابد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذى يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) اى لا انقطاع لها حتى تؤدى الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذى هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذى لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعنى انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين (عليم) بما فى قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم ❊ قوله عز وجل (الله ولى الذين آمنوا) اى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولى هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر الى الايمان وكل مافى القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وهى الاسلام نور الوضوح طريقه وبيان ادلته (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) يعنى كعب بن الاشرف وحيى بن اخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) اى من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا فى نور قط قلت هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون فى كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم فى حق جميع الكفار سمى منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتنى من مالك اذا اوصى به لغيره فى حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم (اولئك

والديك الشهوة والغراب الحرص والحمامة حب الدنيا لتألفها وكرها وبرجها والظاهر انها بطة فتكون اشارة الى الشره الغالب عليها (فصرهن اليك) اى املهن واضممهن اليك بضبطها ومنعها عن الخروج الى طلب لذاتها والنزوع الى مألوفاتها وقيل امر بان يذبحها وينتف ريشها ويخلط لحومها ودماءها بالدق ويحفظ رؤسها عنده اى يمنعها عن افعالها ويزيل هيئآتها عن النفس ويقمع دواعيها وطبائعها وعاداتها بالرياضة ويبقى اصولها فيه (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) اى من الجبال التى بحضرتك وهى العناصر الاربعة التى هى اركان بدنه اى اقمعها وامتها حتى لا يبقى الا اصولها المركوزة فى وجودك وموادها المعدة فى طبائع العناصر التى فيك كانت الجبال سبعة فعلى هذا يشير بها الى الاعضاء السبعة التى هى اجزاء البدن (ثم ادعهن) اى انها اذا ماتت حييت بحيوتها كانت غير طبيعية مستولية

اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم * قوله عزوجل (الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه) يعنى هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا فى صنعه والذى حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية (ان اتاه الله الملك) اى لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنات فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا فى وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعونا اليه قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه فى النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار ساله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربى الذى يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود مارآه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بى واتركك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شئ من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكثت فى رأسه اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب اربعمائة سنة مدة ملكها حتى اماته الله عزوجل (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت (قال) يعنى قال نمرود (انا احيي واميت) قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحى من امات ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض اللفظ بمثله ونسى اختلاف الفعلين (قال ابرهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر) يعنى تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم

عليك وحشية ممتنعة عن قبول امرك فاذا قتلتها كنت حيا بالحياة الحقيقية الموهوبة بعد الفناء والمحو فتصير هى حية بحياتك لا بحياتها حياة النفس مطيعة لك منقادة لامرك فاذ دعوتها (ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز) غالب على قهر النفوس (حكيم) لا يقهرها الا بحكمة ويمكن حمله على حشر الوحوش والطيور وعلى هذا فيكون جعل اجزائها على الجبال تغذية الجسم بها ودعاؤه واتيانه اليه ساعية توجهها الى الانسان بعد النشور (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ذكر سبحانه ثلاث انفاقات وفاضل بينها فى الجزاء اولها الانفاق فى سبيل الله وهو انفاق فى عالم الملك عن تجلى الافعال بطلب صاحبه ليثيبه الله تعالى فأثابه سبعمائة اضعاف ما اعطى ثم زاد فى الاضعاف الى مالا يتناهى بحسب المشيئة لان يده تعالى ابسط واطول من يده بما لا يتناهى (والله واسع) كثير العطاء

سل انت ربك حتى يأتى بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لايهدى القوم الظالمين) يعنى لايرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود * قوله عزوجل (او كالذى مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التى قبلها والمعنى الم تر الى الذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذى حاج ابراهيم او الى الذى مر على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد انه كان كافرا شك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لايخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لايستعمل فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارمياء بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لاتعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارمياء وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو امى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى اهلك الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هى دير سابر آباد وقيل سلماباد وقيل هى دير هرقل وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى دير سابر آباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة اوقرية من نواحى جرجان وقيل ايضا من نواحى همدان ودير هرقل بكسر اوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم لحز قيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عندها احيا الله حمار عزير (وهى خاوية على عروشها) اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (انى يحيى هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف اجرى حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لاعلى سبيل الانكار لقدرة الله تعالى اوكان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى ومعنى انى يحيى هذه الله من اين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية فى نفسه وفى احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ماروى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارمياء الى ناشية بن اموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فاوحى الله تعالى الى ارمياء ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك فقام ارمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة

لايتقدر باعطينا عطاؤه (عليم الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) بنيات المعطين واعتقاداتهم انه من فضل الله تعالى فيثيبهم على حسب ذلك وثانيها الانفاق عن مقام مشاهدة الصفات على ماسيأتى وهو الانفاق لطلب رضاء الله كما ان الاولى هو الانفاق لطلب عطاء الله وثالثها الانفاق بالله وهو عن مقام شهود الذات (ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) نبه على ان الانفاق يبطله المن والاذى لان الانفاق انما يكون محمودا لثلاثة اوجه كونه موافقا للامر بالنسبة الى الله تعالى وكونه مزيلا لرذيلة البخل بالنسبة الى نفس المنفق وكونه نافعا مريحا بالنسبة الى المستحق فاذا من صاحبه فقد خالف امر الله لانه نهى وظهرت نفسه بالاستطالة والاعتداد بالنعمة والعجب والاحتجاب بفعلها ورؤية النعمة منها لامن الله وكلها رذائل اردأ من البخل لازمة له

بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عزوجل انى احلف
بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من
صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اليه انى مهلك بنى اسرائيل بيافث
ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ
الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه ياارمياء اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم
يارب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل مالا اسربه فقال الله عزوجل وعزتى وجلالى
لااهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبل ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه
وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك
وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم
انهم مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر نقل الوحى
وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر
البابلى فخرج فى ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا واتى الخبر الى ملك بنى
اسرائيل قال لارمياء اين مازعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لايخلف الميعاد وانا به
واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل
فقال له ارمياء من انت قال انا رجل من بنى اسرائيل اتيتك استفتيك فى اهل رحمى وصلت
ارحامهم ولم آت اليهم الاحسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا لى فافتنى فيهم فقال ارمياء احسن
فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه فى صورة ذلك الرجل
فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت قال انا الرجل الذى اتيتك استفتيك فى شأن اهلى فقال له ارمياء
اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم فقال يانبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة يأتيها احد من
الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارمياء ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى
يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس
ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يانبى الله اين ماوعدك الله فقال انى بربى واثق ثم اقبل
ذلك الملك الى ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى
وعده فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت قال انا الذى جئتك فى شأن اهلى مرتين فقال ارمياء
اما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبى الله ان كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت
اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له ارمياء على اى عمل رايتهم قال على عمل عظيم
يسخط الله تعالى فغضب الله عزوجل فاتيتك لاخبرك وانا اسألك بالله الذى بعثك بالحق ان تدعو الله
عليهم ليهلكوا فقال ارمياء ثم يامالك السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق
وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله
عزوجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه
فلما راى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يامالك السموات والارض اين ميعادك
الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم مااصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارمياء انها فتياه
وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر

(وجنوده)

ولو لم يكن له الا رؤية
نفسه بالفضيلة لكفاه
مبطلا واما الوجه الثالث
الذى هو بالنسبة الى
المستحق فيبطله الاذى
المنافى للراحة والنفع والمن
ايضا مبطل له لاقتضائه
الترفع واظهار الاصطناع
واثبات حق عليه ثم قال
(قول معروف ومغفرة
خير من صدقة يتبعها اذى)
اذ القول الجميل وان كان
بالرد يفرح قلبه ويروح
روحه والصدقة انما تنفع
جسده ولا تفرح القلب
الا بالتبعية وتصور النفع
فاذا قارن ما ينفع الجسد
ما يؤذى الروح تكدر
النفع وتنغص ولم يقع فى
مقابلة الترح الحاصل من
القول الجميل ولو لم يكن
مع التنغيص ايضا لان
الروحانيات اشرف
واحسن واوقع فى النفوس
(والله غنى) عن الصدقة
المقرونة بالاذى فيعطى
المستحق من خزائن غيبه
(حليم) لايعاجل بالعقوبة
(يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى
كالذى ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر فمثله كمثل

وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وكان فى اولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التى انزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارمياء على حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا وهى ارض بيت المقدس فلما راى خرابها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما حرب بيت المقدس قدم بسبايا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ولما راى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لاشكا فى البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارمياء ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وامات الله حماره وبقى عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونه واهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يامرك ان تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يامرك ان تحيى فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارمياء فهو يدور فى الفلوات فذلك قوله تعالى (فاماته الله مائة عام) اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم فى جميع بروجها (ثم بعثه) اى ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى اماته ضحى فى اول النهار واحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال (او بعض يوم قال) يعنى قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين الذى كان معه قبل موته (وشرابك) يعنى العصير كانه قد عصر من ساعته يعنى العصير (لم يتسنه) يعنى لم تغيره السنون التى اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) اى وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب

صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله) هذا هو القسم الثانى من الانفاق فضله على الاول بتشبيه بالجنة فان الجنة مع ايتاء اكلها تبقى بحالها بخلاف الحبة فأشار بها انه ملك لهم كأنه صفة ذاتية ولهذا قال (وتثبيتا من انفسهم) اى توطينا لها على الجود الذى هو صفة ربانية وقوله (بربوة) اشارة الى ارتفاع رتبة هذا الانفاق وارتقائه عن درجة الاول (اصابها وابل) اى حظ كثير من صفة الرحمة الرحمانية ومدد وافر من فيض جوده لانها ملكة الاتصال بالله تعالى بمناسبة الوصف واستعداد قبوله والاتصاف به (فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) اى حظ كثير فحظ قليل (والله بما تعملون بصير) بأعمالكم يرى انها من اى القبيل (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب

الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس)
قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا مافعلنا
من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله
اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب اسود الراس واللحية واولاده واولاد
اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها
لحما) قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه وقرئ بالزاي ومعناه
كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ
رفعه وازعاجه يقال نشزته فنشز اى رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الآية فقال الاكثرون
انه اراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى احيا عزيرا او ارمياء على اختلاف القولين فيه ثم قال له
انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل
وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها
فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق
والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر
الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا
الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر
فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة
لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فرأى
سائر جسده ميتا وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف
ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعدما
اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكرهو الناس وانكر
منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون
وكانت امة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته
فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رأيت احدا يذكر عزيرا
منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة
ولم نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله تعالى اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا كان
رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصري
حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها
قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت
الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو
بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد
على بصري واطلق رجلي وزعم ان الله تعالى قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال
ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه
عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين

تجرى من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات
واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء فأصابها اعصار فيه
نار فاحترقت كذلك يبين
الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون) تمثيل لحال من
عمل صالحا انفاقا كان او غيره
متقربا به الى الله مبتغيا
رضاه كما في هذا القسم من
الانفاق ثم ظهرت نفسه
فيه وتحركت فكانت
حركاتها المتخالفة بحركة
الروح ودواعيها المتفاوتة
المضادة لداعية القلب
اعصارا فافترص الشيطان
حركتها واتخذها مجالا له
بالوسوسة فنفث فيها
رؤية عملها اورياء فكان
ذلك النفث نارا احرقت
عملها احوج مايكون اليه
كما قال امير المؤمنين على
عليه السلام اللهم اغفرلي
ماتقربت به اليك ثم خالفه
قلبي (يا ايها الذين آمنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما اخرجنا لكم من
الارض) امر بالقسم
الثالث من الانفاق من
طيبات ما كسبتم اذ المختار
الله يختار الاشرف من
كل شئ للمناسبة كما قال
امير المؤمنين على عليه

الخلائق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة في صدره
فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير
وقد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل
الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة
التوبة انشاء الله تعالى * وقوله تعالى (فلما تبين له) يعني فلما اتضح له عيانا ما كان يستنكره من احياء
القرية ورآه عيانا في نفسه (قال اعلم) قرئ مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم
وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذي قال اني يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى
فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال اعلم (ان الله على كل شئ قدير) يعني الاماتة والاحياء * قوله
عز وجل (واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى) اختلفوا في سبب هذا السؤال من
ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل
كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر
جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت
الطير فاكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب اني قد علمت انك لتجمعها من بطون
السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله
تعالى (قال اولم تؤمن) يعني اولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي)
اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس
كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع
ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام
شاكا في احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان
يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسالونه في
دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل
كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد
الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى
ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي
فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه
ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم
من اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له
من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له
من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له
ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابرهيم رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك
وتعطيني اذا سألتك (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك

السلام ان الله جميل يحب
الجمال ومن كان في انفاقه
بالنفس لا يقدر على انفاق
الاشرف لغش النفس
ومحبتها اياه واستئثارها
به عن تخصيصه بالله فما
كان بالنفس ليس ببر اصلا
لقوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون
(ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون) تخصونه بالانفاق
كعادة المنفقين بالنفس
والطبيعة (ولستم بآخذيه
الا ان تغمضوا فيه) لمحبتكم
الاطيب من المال لانفسكم
لاختصاص محبتكم بالذات
اياها ولهذا لا تؤثرون
الله بالمال عليها فتنفقوا
الطيب له (واعلموا ان الله
غني) فاتصفوا بغناه
واستفيضوا به عن المال
ومحبته (حميد) لا يفعل
الا الفعل المحمود فاقتدوا به
(الشيطان يعدكم الفقر
ويأمركم بالفحشاء) اي
الخصلة القبيحة التي هي
البخل فتعوذوا منه بالله
فانه (والله يعدكم مغفرة
منه) اي ستر الصفات
نفوسكم بنوره (وفضلا)
وموهبة من مواهب
صفاته لكم وتجلياتها
كالغنى المطلق فلا يبقى فيكم

من ابرهيم اذقال رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطالقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى ﴿القول على معنى الحديث ومايتعلق به﴾ اختلف العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم على اقوال كثيرة فأحسنها واصحها مانقل المزنى وغيره من العلماء ان الشك مستحيل فى حق ابرهيم فان الشك فى احياء الموتى لوكان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به من ابرهيم ولقد علمتم انى لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قديسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابى ليس فى قوله نحن احق بالشك امن ابرهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابرهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا فى قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى وفيه الاعلام بان المسئله من ابرهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم ومعناه ان هذا الذى تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابرهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا اوقيل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم واما تفسير الآية فقوله تعالى واذقال ابرهيم اى واذكر يا محمد اذقال ابرهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه والتقدير الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الم تر اذقال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال يعنى قال الله لابرهيم اولم تؤمن الالف فى اولم تؤمن الف اثبات وايجاب كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * اى الستم كذلك والمعنى اولست قد آمنت وصدقت انى احيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعنى سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من آياتك واعلم انك قد اجبتنى (قال فخذ اربعة من الطير) قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابرهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففى الطاوس اشارة الى مافى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص ففى هذه الطيور مشابهة لما فى الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق اعلى الدرجات فى الجنة وفاز بنيل السعادات (فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن (اليك) ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزأ واختلفوا فى عدد الاجزاء

خوف الفقر (والله واسع) يسع ذواتكم وصفاتكم وعطاؤكم لايضيق وعاء جوده بالعطاء ولا ينفد عطاياه (عليم) بمواقع تجلياته واستعدادها واستحقاقها (يؤتى الحكمة من يشاء) لاخلاصه فى الانفاق وكونه فيه بالله فيعطيه حكمة الانفاق لينفقوا من الحكمة الالهية لكونه متصفا بصفاته (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) لانها اخص صفات الله (ومايذكر) ان الحكمة اشرف الاشياء واخص الصفات (الا اولوا الالباب) الذين نور الله عقولهم بنور الهداية فصفاها عن شوائب الوهم وقشور الرسوم والعادات وهو النفس فجزاء الانفاق الاول هو الاضعاف فجزا الثانى هو الجنة الصفاتية المثمرة للاضعاف وجزاء الثالث هو الحكمة اللازمة للوجود والموهوب فانظروكم بينها من التفاوت (وما انفقتم من نفقة اونذرتم من نذر فان الله يعلمه) من اى القبول هو فيجازيكم بحسبه (وما للظالمين) اى المنفقين رياء الناس الواضعين الانفاق فى غير موضعه اوالناقصين

والجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امر ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر مال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعي وقيل السعي هو الحركة الشديدة (واعلم ان الله عزيز) يعني انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شئ (حكيم) يعني في جميع اموره * قوله عز وجل (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) اى كمثل زارع حبة (انبتت) يعني اخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله (والله واسع) اى غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة على الجود والافضال (عليم) يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقدار الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف

حقوقهم برؤية انفاقهم اوضم المن والاذى اليه اوبالانفاق من الخبيث (من انصار) يحفظونهم من بأس الله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيآتكم والله بما تعملون خبير) لبعدها عن الرؤياء وكونها اقرب الى الاخلاص (ليس عليك هداهم) الى الانفاقات الثلاثة المذكورة المبرأة عن المن والاذى والرياء ورؤية الانفاق وكونه من الخبيث اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين انما عليك تبليغ الهداية (ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم) فلم تمنون به على الناس وتؤذونهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) فما لكم تستطيلون به على الناس وكيف تراؤن فيه (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون) ليس لغيركم فيه نصيب فلا تنفقوا الا على انفسكم في الحقيقة لا على غيركم فلا ينقص به شئ منكم فلكم تقصدون الخبيث بالانفاق منه فثلاثتها مصروفة

اخرجتها لربى عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم (ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولااذى) اى لايتبع نفقته التى انفقها بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحنى الله منك وامثال ذلك والمن فى اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

فمنى علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ماهو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان ابى يقول اذا اعطيت رجلا شيأ ورأيت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم فى المدح بترك المن

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تأته * وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

اتيت قليلا ثم اسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

واما الاذى فهو مايصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب مااعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان فى صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم فجميع ماهم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما * وقوله تعالى (لهم اجرهم) يعنى ثوابهم (عند ربهم) يعنى فى الآخرة (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولاهم يحزنون) يعنى على ماخلفوا من الدنيا (قول معروف) اى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظهر الغيب (ومغفرة) اى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تدفعها الى الفقير (يتبعها اذى) وهو ان يعطى الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقوله او يؤذيه بفعل (والله غنى) اى مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لايحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعنى انه تعالى حليم لايعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذى بصدقته * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم) يعنى اجور صدقاتكم (بالمن والاذى) يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذى) اى كابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس) اى مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخى كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء

الى الاقسام الثلاثة المذكورة من الانفاق للتحذير عن آفاتها بتصوير غاياتها (للفقراء) اى اقصدوا بصدقاتكم الفقراء (الذين احصروا) احصرهم الجاهدة (فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض) للتجارة والكسب لاشتغالهم بالله واستغراقهم فى الاحوال وصرف اوقاتهم فى العبادات (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) عن السؤال والاستغناء عن الناس (تعرفهم بسيماهم) من صفرة وجوههم ونور جباههم وهيئة سحناتهم انهم عرفاء فقراء اهل الله لا يعرفهم الا الله ومن هو منهم (لايسئلون الناس الحافا) اى الحاحا والمراد نفى مسئلة الناس بالكلية كقوله * على لاحب لايهتدى بمناره * والمراد نفى المنار والاهتداء جميعا اونفى الحاف واثبات التعطف فى المسئلة (وما تنفقوا من خير) على اى من انفقتم غنيا كان او فقيرا (فان الله به عليم) اى بان ذلك الانفاق له اولغيره فيجازى بحسبه (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم

من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) اى مثل هذا المرائى بصدقته وسائر اعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى (عليه تراب) اى على ذلك الصفوان تراب (فاصابه وابل) يعنى المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعنى ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لاشئ عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائى والمؤمن المنان بصدقته يؤذى الناس يرى الناس ان لهؤلاء اعمالا فى الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر اذهبه وازاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لايقدرون على شئ مما كسبوا) اى لايقدرون على ثواب شئ مما عملوا فى الدنيا (والله لايهدى القوم الكافرين) يعنى الذين سبق فى علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوى بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله واما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه * قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله) اى طلب رضا الله (وتثبيتا من انفسهم) يعنى على الانفاق فى طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احسانا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم فى سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك اورياء امسك (كمثل جنة) اى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها (اصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت اكلها ضعفين) اى فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت فى سنة من الريع ما يحمله غيرها فى سنتين وقيل اضعف فحملت فى السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فذلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لاتنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فى انفاقه وسائر اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة

ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) عم الانفاق اولا وثانيا بحسب الاوقات والاحوال ليعلم انه لايتفاوت بهابل بالقصد والنية (الذين يأكلون الربوا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) اكل الربا اسوا حالا من جميع مرتكبى الكبائر فان كل مكتسب له توكل ما فى كسبه قليلا كان اوكثيرا كالتاجر والزراع والمحترف اذلم يعينوا ارزاقهم بعقولهم ولم تتعين لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم فى الحقيقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق المؤمن الامن حيث لايعلم واما آكل الربا فقد عين على آخذه مكسبه ورزقه سواء ربح الآخذ اوخسر فهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه لاتوكل له اصلا فوكله الله تعالى الى نفسه وعقله واخرجه من حفظه وكلاءته فاختطفه الجن وخلته فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله كسائر الناس المرتبطين به بالتوكل فيكون كالمصروع الذى مسه الشيطان فتخبطه

تربع وتزكو فى كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته او كثرت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لا يمن بها ولا يؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى * قوله عز وجل (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعنى ايحب احدكم ان تكون له جنة اى بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجرى من تحتها الانهار) يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (واصابه الكبر) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعنى له اولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فاصابها) يعنى اصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيحبطها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا امير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعنى كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) اى فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا واقبال الآخرة * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) اى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذى المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على

لا يهتدى الى مقصد (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) اى ذلك بسبب احتجاجهم بقياسهم واول من قاس ابليس فيكونون من اصحابه مطرودين مثله (يمحق الله الربوا ويربى الصدقات) وان كان زيادة فى الظاهر (ويربى الصدقات) وان كان نقصانا فى الشاهد لان الزيادة والنقصان انما يكونان باعتبار العاقبة والنفع فى الدارين والمال الحاصل من الربا لا بركة له لانه حصل من مخالفة الحق فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصى اذ كل طعام يولد فى آكله دواعى وافعالا من جنسه فان كان حراما يدعوه الى افعال محرمة وان كان مكروها فالى افعال مكروهة وان كان مباحا فالى مباحة وان كان من طعام الفضل فالى

الناس زمان لايبالى المرءمااخذمنه من حلال ام من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماا كل احد طعاما قط خيرا من ان يأ كل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأ كل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ماا كلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا فى المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جيعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لاتجب الزكاة بحكم التجارة فى العروض الا ان ينوى به التجارة فى حال تملكه ودليل الجمهور ماروى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع اخرجه ابوداود وعن ابى عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقى ادمة احملها فقال عمر الاتؤدى زكاتك ياحماس فقلت مالى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول عن عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا اوماتى درهم اخرج منه ربع العشر ﴿ المسئلة الثانية ﴾ فى قوله تعالى (ومما اخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابوحنيفة الزكاة فى كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضروات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ماروى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ اخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند اهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبدالله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبدالله بن المغيرة ان يأخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب فى الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح اوسانية ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون

مندوبات وكان فى افعاله متبرعا متفضلا وان كان بقدر الواجب من الحقوق فافعاله تكون واجبة ضرورية وان كان من الفضول والحظوظ فافعاله تكون كذلك فعليه اثم الربا وآثار افعاله المحرمة المتولدة من اكله على ماورد فى الحديث الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الاول فتزداد عقوباته وآثامه ابدا ويتلف الله ماله فى الدنيا فلاينتفع به اعقابه واولاده فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو المحق الكلى واما المتصدق فلكون ماله مزكى تبارك الله فى تثميره مع حفظ الاصل وآكاله لايكون الامطيعا فى افعاله ويبقى ماله فى اعقابه واولاده منتفعا به وذلك هو الزيادة فى الحقيقة ولو لم تكن زيادته الاما صرف فى طاعة الله لكفى به زيادة واى زيادة افضل مما تبقى عند الله ولو لم يكن نقصان الربا الا حصوله من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نقصانا واى نقصان اخس مما يكون سبب حجاب

اوكان عثريا العشر وماسقى بالنضح نصف العشر اخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون اوكان بعلا العشر وماسقى بالسوانى والنضح نصف العشر قال ابوداود البعل ماشرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه وقال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء قوله اوكان عثريا اراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يسقى عليها سواء كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابوحنيفة يجب العشر فى كل قليل اوكثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بما روى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفى رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر او حب صدقة اخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) اى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردئ من اموالكم (منه تنفقون) اى من الخبيث عن البراء بن عازب فى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب فى الخير يأتى بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدى اليه مثل ما اعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتى احدنا بصالح ماعنده اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعنى الردىء منه تنفقون يعنى تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعنى ذلك الشئ الخبيث الردىء (الا ان تغمضوا فيه) الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو اهدى ذلك ما اخذتموه الا استحياء من صاحبه وغيظا فكيف ترضون لى مالا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردىء لان اهل السهمان شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردئ (واعلموا ان الله غنى) يعنى عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) اى محمود فى افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اى اجركم على ما تفعلونه من الخير * قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) اى يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر قيل فى الخير وعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان

(يخوفكم)

صاحبه وعذابه ونقصان حظه عند الله (والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين

يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء)
يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن
فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم
يتوصل بهذا التخويف الى ان يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخل على صفة مذمومة
عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر
فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة
لذنوبكم وسترا لكم (وفضلا) يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى
الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان
بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان
للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة التي
تقع في القلب من فعل خير او شر او العزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى
(والله واسع) اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقون (عليم) يعني بما تنفقونه لا تخفى
عليه خافية (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد
الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق)
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك
وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات
والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق)
عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي
عليك ولا توعي فيوعى عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي فيشح الله عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك
ولا يخاف عليه ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي * قوله عز وجل
(يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه
ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن
القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام
لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كاهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من
القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال
وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل
هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم
والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر
* ابني حنيفة احكموا سفهاءكم * اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة الورع في دين الله لان
الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعني
ومن يؤته الله الحكمة (فقد اوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد اوتي اي خير كثير (وما يذكر

فرجل وامراتان ممن
ترضون من الشهداء ان
تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا
ولا تسأموا ان تكتبوه
صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم
اقسط عند الله واقوم
للشهادة وادنى الا ترتابوا
الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح الا تكتبوها
واشهدوا اذا تبايعتم
ولا يضار كاتب ولا شهيد
وان تفعلوا فانه فسوق
بكم واتقوا الله ويعلمكم
الله والله بكل شيء عليم
وان كنتم على سفر ولم
تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة
فان امن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن امانته
وليتق الله ربه ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه
آثم قلبه والله بما تعملون
عليم) اي آكل الربا كفار
اثيم بفعله والله لا يحب
من كان كذلك (لله ما في
السموات) اي في العالم
الروحاني كله بواطنه
وصفاته واسرار غيوبه
ودقائق جوده (وما في
الارض) اي في العالم
الجسماني كله ظواهره

الا اولوا الالباب) اى ومايتعظ بمواعظ الله الاذووا العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه ❊ قوله عزوجل (وماانفقتم من نفقة) يعنى فيمافرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (اونذرتم من نذر) يعنى به ماأوجبتموه على انفسكم فى طاعة الله فوفيتم به والنذران يوجب الانسان على نفسه شيأليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انمايعقد على نفسه النذر من خوف التقصير فى الامر المهم والنذر فى الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم اوحج اوعتق او صدقة فيلزمه الوفاء به ولايجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لاافعل كذا ثم يفعله او يقول لله على نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لايطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه فليف به اخرجه ابوداود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانذر فى معصية ولافيما لايملك ابن آدم اخرجه النسائى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لايأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لايقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب النهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا فيأتى به تكلفا من غير نشاط او يكون سببه كونه يأتى به على سبيل المعاوضة عن الامر الذى طلبه فينقص اجره وشأن العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهى لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله فى بعض روايات الحديث انه لايأتى بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لايأتى بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتى بها فى مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضى فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم ❊ وقوله تعالى (فان الله يعلمه) اى يعلم ماانفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على مافى قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وماانزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعنى الواضعين الصدقة فى غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من انصار) اى من اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم ❊ قوله عزوجل (ان تبدوا الصدقات) اى تظهروا الصدقات والصدقة مايخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعماهى) اى فنعمت الخصلة هى وقيل فنعم الشئ هى وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات (وان تخفوها) اى تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) اى وتعطوها

(الفقراء)

واسماؤه وافعاله تشهد العالمين وهو على كل شئ شهيد (وان تبدوا ما فى انفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله) يشهده بأسمائه وظواهره فيعلمه ويحاسبكم به وان تخفوه يشهده بصفاته وبواطنه فيعلمه ويحاسبكم به (فيغفر لمن يشاء) لتوحيده وقوة يقينه وعروض سيأته وعدم رسوخها فى ذاته فان مشيئته مبنية على حكمته ويعذب من يشاء) لفساد اعتقاده ووجود شكه اورسوخ سيآته فى نفسه (والله على كل شئ قدير) فيقدر على المغفرة والتعذيب جميعا (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة كان خلقه القرآن والترقى بمعانيه والتحقق (والمؤمنون كل آمن بالله) وحده جميعا (وملائكته وكتبه ورسله) اى وحده تفصيلا عند الاستقامة مشاهد الوحدة فى صورة تلك الكثرة معطيا لكل تجل من تجلياته فى مظهر من مظاهره حكمه (لانفرق بين احد من رسله) اى يقولون لانفرق بينهم

الفقراء في السر (فهو خير لكم) يعني اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الرياء واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ وهي انه اذا اعطى في السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطى في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه اخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد امن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله او يكون ممن يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الآية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لايظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لايساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها * وقوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيآتكم قال ابن عباس جميع سيآتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولايتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيآتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من اظهار الصدقة واخفائها * قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية اعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) اي من مال (فلانفسكم) اي ماتفعلوا وتنفقوا به انفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولاتنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم ان مرادهم بنفقتهم ماعنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله

برد بعض وقبول بعض ولانشك في كونهم على الحق وبالحق لشهود التوحيد ومشاهدة الحق فيهم بالحق (وقالوا سمعنا واطعنا) اي اجبنا ربنا في كتبه ورسله ونزول ملائكته واستقمنا في سيرنا (غفرانك ربنا) اي اغفر لنا وجوداتنا وصفاتنا وامحها بوجودك ووجود صفاتك (واليك المصير) بالفناء فيك (لايكلف الله نفسا الا وسعها) لايحملها الاما يسعها ولايضيق به طوقها واستعدادها من التجليات فان حظ كل احد من الكشوف والتجليات مايطيق به وعاء استعداده الموهوب له في الازل من الفيض الاقدس ولا يضيق عليه (لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) من الخيرات والعلوم والكمالات والكشوف على اي وجه سواء كانت بقصدها اولابقصدها فانها من عالم النور فالخيرات كلها ذاتية لها ترجع فائدتها اليها دون الشرور من الجهالات والرذائل والمعاصي والنقائص فانها امور ظلمانية غريبة عن

وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسدخلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا تجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) اى يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وانتم لا تظلمون) اى لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم *قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى *وقوله (الذين احصروا في سبيل الله) يعنى هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعنى لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) اى يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهى ترك الشئ والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة (تعرفهم بسيماهم) السيماء والسيمياء والسمة العلامة التى يعرف بها الشئ واختلفوا في معناها فقيل هى الخضوع والتواضع وقيل هى اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هى صفرة الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس الحافا) يعنى الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

جوهرها فلا تصرها ولا تلحق تبعتها بها الا اذا كانت منجذبة اليها متوجهة بالقصد والاعتمال لتكسبها ولهذا ورد في الحديث ان صاحب اليمين يكتب كل حسنة تصدر عن صاحبها في الحال وصاحب الشمال لا يكتب حتى تمضى عليه ست ساعات فان استغفر فيها او تاب او ندم لم يكتب وان اصر كتب والمراد بالنفس ههنا الذات والا لكان الامر بالعكس فيكون حينئذ معناه لا يكلفها الا ما يسعها ويتيسر لها من الاعمال دون مدى الجهد والطاقة وذكر الكسب في موضع الخير لكونها غير معتنية به معتملة له والاكتساب في موضع الشر لكونها منجذبة اليه معتملة له بالقصد لكونها مأوى الشر (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) عهدك (او اخطأنا) في العمل لسوء الحال واقران على ورثتك محتجبين عنك فانا غرباء بعداء طال العهد بنا مسافرين عنك محتضين في الظلمات بأنواع البلاء ولا قدر ولا مقدار لنا في حضرتك حتى تؤاخذنا بذنوبنا (ربنا ولا تحمل علينا

لان يأخذ احدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خيرله من ان يسأل الناس اعطوه ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله مايغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش اوخدوش اوكدوح وقيل يارسول الله مايغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابوداود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله اوقية اوعدلها فقد سأل الحافا عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائي (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل اوليستكثر وقوله تعالى (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) يعني ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليها وفيه حث على الصدقة الانفاق والطاعة * قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبدالرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن ابي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبدالرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الآية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات (فلهم اجرهم عند ربهم) اي جزاء اعمالهم (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (الذين يأكلون الربوا) اي يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة في المال (لايقومون) يعني من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطأ وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء الرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك

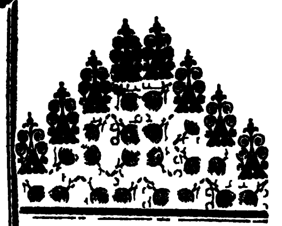
اصرا) في ذاتنا وصفاتنا وافعالنا فتأصرنا وتحبسها في مكاننا محجورين عنك فانه لاثقل اثقل منها (كما حملته على الذين من قبلنا) من المحجبين بظواهر الافعال وبواطن الصفات (ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به) من ثقل الهجران والحرمان عن وصالك ومشاهدة جمالك بحجب جلالك (واعف عنا) سيآت افعالنا وصفاتنا فانها كلها سيآت تحجبنا عنك وحرمتنا برد قبولك وبرد رضوانك (واغفر لنا) ذنوب وجوداتنا فانها اكبر الكبائر كما قيل

اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة
وجودك ذنب لايقاس به ذنب

(وارحمنا) بالوجود الموهوب بعد الفناء (انت مولانا) ناصرنا ومتولي امورنا (فانصرنا) فان من حق الولي ان ينصر من يتولاه اوسيدنا ومن حق السيد ان ينصر عبده (على القوم الكافرين) من قوى نفوسنا الامارة وصفاتها وجنود شياطين اوهامنا وخيالاتنا المحجوبين عنك الحاجبين ايانا بكفرها وظلمتها

علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لايسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة ابدا قال يوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة لهم بالتحريك افراط في الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال فتفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (واحل الله البيع وحرم الربوا) يعني واحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه في شئ مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيأ بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولايمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿فصل في حكم الربا﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لانعلم وجه الحكمة في ذلك ﴿المسئلة الثانية﴾ اعلم ان



﴿سورة آل عمران﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) من تأويله (نزل عليك الكتاب بالحق) اي رقاك رتبة ودرجة فدرجة بتنزيل الكتاب عليك منجما الى العلم التوحيدي الذي هو الحق باعتبار الجمع المسمى بالعقل القرآني (مصدقا لمابين يديه) من التوحيد الازلي السابق المعلوم في العهد الاول المخزون في غيب الاستعداد (وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) كذلك (وانزل الفرقان) اي التوحيد التفصيلي الذي هو الحق باعتبار الفرق المسمى بالعقل الفرقاني وهو منشأ استقامة وهذا الدعوة (ان الذين كفروا بآيات الله) اي احتجبوا عن هدين التوحيدين بالمظاهر الاكوان التي هي آيات التوحيد في الحقيقة (لهم عذاب شديد)

الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء والبر بالبر ربا الاهاء وهاء والشعير بالشعير ربا الاهاء وهاء والتمر بالتمر ربا الاهاء وهاء وفى رواية الورق بالورق ربا الاهاء وهاء والذهب بالذهب ربا الاهاء وهاء (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد اربى وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الا ما اختلفت الوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة اشياء وهو النقدان واربعة اصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى فى جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى اشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الرأى الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة اشياء المطعومة فذهب اصحاب الرأى الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا فى جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان اوغير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل اوموزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت اوموزونة لما روى عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فانى كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى اخاف ان يضارع اخرجه مسلم لجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا او مطعوما ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط فى بيعه بجنسه المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه

فى البعد والحرمان (والله عزيز) اى قاهر (ذو انتقام) لا يقدر وصفه ولا يبلغ كنهه ولا يقدر على مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذى انزل عليك الكتاب) فى العالمين فيعلم مواقع الانتقام (منه آيات محكمات) سمت من ان يتطرق اليها الاحتمال والاشتباه لا تحتمل معنى واحدا (هن ام) اى اصل (الكتاب واخر متشابهات) تحتمل معنيين صاعدا ويشتبه فيها الحق والباطل وذلك ان الحق تعالى له وجه هو الوجه المطلق الباقى بعد فناء الخلق لا يحتمل التكثر والتعدد وله وجوه متكثرة اضافية متعددة بحسب مرائى المظاهر وهى ما يظهر بحسب استعداد كل مظهر فيه من ذلك الوجه الواحد يلتبس فيها الحق بالباطل فورد التنزيل كذلك لتصرف المتشابهات الى وجوه الاستعدادات فيتعلق كل بما يناسبه ويظهر الابتلاء

كالوباعه تغير مال الربا فان باعه بما يوافقه فى الوصف لا فى الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او
باع الحنطة بالشعير اوكان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه
متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط فى بيعه التقابض فى المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم
الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض فى المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه
وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله
صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل
عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض فى المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا
بيد والله اعلم ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ فى القرض وهو من اقرض شيأ وشرط عليه ان يرد عليه افضل
منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ماروى عن مالك قال بلغنى
رجلا اتى ابن عمر فقال انى اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله بن عمر
فذلك الربا اخرجه مالك فى الموطا قال فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فرد المستقرض افضل
مما اخذ جاز ويدل على ذلك ماروى عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى
ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة اخرجه مالك
فى الموطا * وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه
غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانتهى) اى عن اكل الربا
(فله ماسلف) اى مامضى من ذنبه قبل النهى مغفور له (وامره الى الله) يعنى بعد النهى ان شاء عصمه
حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه
ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم اكل الربا ثم ياكله
فامره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعنى الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له
(فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله عز وجل (يمحق الله الربوا) اى ينقصه
ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربى
الصدقات) اى يزيدها وينميها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف اجرها فى الآخرة (ق) عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله
الا الطيب اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من
الجبل كما يربى احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم والبخارى من تصدق بعدل تمرة من
كسب طيب ولا يصعد الى الله وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها
لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعنى كل مصر على كفره
مقيم عليه مستحل لاكل الربا (اثيم) يعنى متماديا فى الاثم وفيه نهى عنه وان من اكل الربا لا ينزجر
عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله
مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعنى
صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعنى التى امرهم الله بها (واقاموا الصلاة) يعنى المفروضة
باركانها وحدودها فى اوقاتها (وآتوا الزكاة) يعنى المفروضة عليهم فى اموالهم (لهم اجرهم
عند ربهم) اى لهم ثواب اعمالهم فى الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى يوم القيامة

(قوله)

والامتحان فاما العالمون المحققون الذين يعرفون الوجه الباقى فى اية صورة واى شكل كان فيعرفون الوجه الحق من الوجوه التى تحتملها المتشابهات فيردونها الى المحكمات متمثلين بمثل قول الشاعر
وما الوجه الا واحد غير انه اذا انت اعددت المزايا تعددا
* واما المحجوبون (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) عن الحق (فيتبعون ماتشابه منه) الاحتجابهم بالكثرة عن الوحدة كما ان المحققين يتبعون المحكم ويتبعونه المتشابه فيختارون من الوجوه المحتملة ما يناسب دينهم ومذهبهم (ابتغاء الفتنة) اى لطلب الضلال والاضلال الذى هم بسبيله (وابتغاء تأويله) بما يناسب حالهم وطريقتهم اذا اعوج سكين فموج قرابه فهم كما لا يعرفون الوجه الباقى فى الوجوه لرمان لا يعرفوا المعنى الحق من المعانى فيزداد حجابهم وينظلوا ليستحقوا به العذاب (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) العالمون يعلمون بعلمه اى انما يعلمه الله جميعا وتفصيلا

* قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا) قيل نزلت فى العباس ابن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا فى التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لى مايكفى عيالى فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله هذه الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقيل نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة فى الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت فى اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمر والثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطى الربا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى خافوا الله فيما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا اى واتركوا مابقى من الربا والمعنى واتركوا طلب مابقى لكم مافضل على رؤس اموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) اى لم تتركوا مابقى من الربا بعد تحريمه (فاذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا فى معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لاينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اى تاب والاضرب عنقه (وان تبتم) اى ان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى لاتظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لايدان لنا يعنى لاقوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الثلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عزوجل (وان كان ذو

(يقولون آمنا به) يصدقون علم الله به فهم يعلمون بالنور الايمانى (كل من عند ربنا) لان الكل عندهم معنى واحد غير مختلف (ومايذكر الا اولوا الالباب) بذلك العلم الوحد المنفصل فى التفاصيل المتشابهة المتكثرة الا الذين صفت عقولهم بنور الهداية وجردت عن قشر الهوى والعادة (ربنا لاتزغ قلوبنا) عن التوجه الى جنابك والسعى فى طلب لقائك والوقوف ببابك بالافتتان بحب الدنيا وغلبة الهوى والميل الى النفس وصفاتها والوقوف مع حظوظها ولذاتها (بعد اذ هديتنا) بنورك الى صراطك المستقيم والدين القويم وبسبحات وجهك الى جنابك الكريم (وهب لنا من لدنك رحمة) رحيمية تمحو صفاتنا بصفاتك وظلماتنا بأنوارك (انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لايخلف الميعاد) اى يجمعهم ليوم الجمع الذى هو الوصول الى مقام الوحدة الجامعة للخلائق اجمعين الاولين

والآخرين فلا يبقى لهم شك فى مشهدهم ذلك (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) بل هى سبب حجابهم وبعدهم من الله وتعذيبهم بعذابه لشدة تعلقهم بهم ومحبتهم اياهم (واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية) يامعشر السالكين دالة على كمالكم وبلوغكم الى التوحيد (فى فئتين التقتا فئة) القوى الروحانية الذين هم اهل الله وجنوده (تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين) هى جنود النفس واعوان الشياطين محجوبة عن الحق ترى الفئة الاولى مع قلة عددهم مثليهم عند التقائهما فى معركة البدن لتأيد الفئة الاولى بنور الله وتوفيقه وتخذلان الفئة الثانية وذلهم وعجزهم وضعفهم وانقطاعهم عن عالم الايد والقدرة فغلبت

عسرة) يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد مايؤديه فى دينه (فنظرة) اى فامهال وتأخير (الى ميسرة) اى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى يؤديه فى دينه واختلفوا فى حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا ام هو عام فى كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدى ان الآية فى الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام فى كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما فى جميع المعسرين (وان تصدقوا خير لكم) يعنى وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعنى ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

﴿فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه﴾ (م) عن ابى قتادة انه طلب غريماله فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال الله قال الله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر اويضع عنه (م) عن ابى اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا اووضع عنه اظله الله فى ظله يوم لاظل الاظله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لايدع له قضاء اخرجه ابو داود (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم زاد فى رواية واذا اتبع احدكم على ملئ فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابى حدرد دينا كان له فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يارسول الله فاشار بيده ان دع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يارسول الله قال قم فاقضه (ق) عن ابى هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الاسنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتنى وفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفى رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه

فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه (م) عن ابى قتادة الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يارسول الله ارأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت فى سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارأيت ان قتلت فى سبيل الله اتكفر عنى خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لى ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يارسول الله ماهذا التشديد الذى نزل فقال والذى نفسى بيده لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم احيى ثم قتل ثم احيى وعليه دين مادخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائى * قوله عز وجل (واتقوا) اى وخافوا (يوما ترجعون فيه الى الله) قرئ بفتح التاء اى تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اى تردون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير اوشر (وهم لا يظلمون) اى فى ذلك اليوم وفى هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول فى يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله فى كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اى تعاملتم بالدين اوداين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى اجل مسمى) يعنى الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لوقال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم فى الثمن فى البيع وفى السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف فى تمر ففى كيل معلوم اووزن معلوم الى اجل معلوم * وقوله تعالى (فاكتبوه) اى اكتبوا الدين الذى تداينتم به بيعا كان ذلك اوسلما اوقرضا واختلفوا فى هذه الكتابة فقيل هى واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعى واختاره محمد بن جرير الطبرى وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤدى الذى اؤتمن امانته وهو قول

الاولى السانية وقهروهم بتأييد الله ونصره وصرفوا اموالهم التى هى مدركاتهم ومعلوماتهم فى سبيل معرفة الله وتوحيده (والله يؤيد بنصره من يشاء) من اهل عنايته المستعدين للقائه (ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) اى اعتبارا اوامرا يعتبر به فى الوصول الى الحقيقة للمتبصرين الذين انفتحت اعين بصائرهم واكتحلت بنور الايقان العلى من اهل الطريقة يعتبرون به احوالهم فى النهاية (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا) لان الانسان مركب من العالم العلوى والسفلى ومن نشأته وولادته تحجبت فطرته وخمدت نار غريزته وانطفأ نور بصيرته بالغشاوات الطبيعية والغواشى البدنية والماء الاجاج من اللذات الحسية والرياح العواصف من الشهوات الحيوانية فبقى مهجورا من الحق فى اوطان الغربة وديار الظلمة يساربه مبلوا بأنواع النصب والتعب فاذا هو بشعشعة نور من التميز

الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) اى ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) اى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة امر الله تعالى بها (ولا يأب) اى ولا يمتنع (كاتب ان يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) اى كما شرعه الله وامر به (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التى يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذى عليه الحق) يعني ان المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعني المملي (ولا يبخس) اى ولا ينقص (منه) اى من الحق الذى وجب (شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها) اى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (او ضعيفا) يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون (او لا يستطيع ان يمل هو) يعني لخرس او عمى او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلابد من ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذى عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه (بالعدل) اى بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعني واشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادة معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) اى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل

ولمعان برق من عالم العقل وداع يناديه من الهوى والشيطان فتبعه فصادف منزلا نزها وروضة انيقة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فاستوطنه وشكر سعيه ورضيه مسكنا وقال عند الصباح يحمد القوم السرى * والداعي قد هيئ له القرى فذلك حب الشهوات اى المشتهيات المذكورة وتزيينها له وهو تمتع له بحسب ما فيه من العالم السفلي وكمال حياته يحجب به من تمتع الحياة الاخرى وكمالها بحسب ما فيه من العالم العلوى ولم يتنبه على انها ابهى والذو اصفى مع ذلك وابقى وهو معنى قوله (والله عنده حسن المآب) فان ادركه التوفيق الالهي والتنبيه السري وقارنه الانباء النبوي كما قال (قل اؤنبئكم بخير من ذلكم) انبعث من باطنه شوق وعشق لحركة العلوى الى مركزه واشتعلت ناره التى قد خمدت وتتابع عليه لوامع الانوار الالهية وطوالع الاشراقات القدسية فاستنار نور بصيرته الذى قد انطفأ ورقت الحجب التى منعت فطرته عن طلب المقر والمأوى وتنغص عيشه الذى هو فيه فتكدر ما هو

وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة فى الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا فى غير الاموال فذهب سفيان الثورى واصحاب الرأى الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال فى سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة فى العقوبات والحدود * وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعنى من كان مرضيا عندكم فى دينه وامانته والشرائط المعتبرة فى العدالة وقبول الشهادة عشرة وهى الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروأة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذى يكذب على الله اولى بان ترد شهادته وجوز بعض اهل الرأى شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهى ما تتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهى حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر فى نفسه شيأ مما يستحى امثاله من اظهاره فى الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم فى حق عدوه لا فى حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين فى ولاء ولا قرابة قال الفزارى القانع التابع اخرجه الترمذى قوله لا تجوز شهادة خائن اراد بالخيانة الخيانة فى الدين والمال والامانة فان من ضيع شيأ من اوامر الله او ارتكب شيأ مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة فى جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم * وقوله تعالى (ان تضل احداهما) اى تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اى تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعنى اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير فى جميع الاحوال وقال بعضهم هذا فى اقامة

عليه واستظل ما كان قد استصفاه من الحياة الدنيا وسكنت فى نفسه سورة الهوى بغلبة الجزء الروحانى على الجسمانى وذاق طعم ماء فرات الحياة الحقيقية فلم يصبر على الملح الاجاج وباشر قلبه خطرات اليقين بجريعات شربها من الماء المعين فعلم انه كان اكمن فى سرب من الارض فاستطلع ضوء الكواكب ليلا وطلبه نهارا فخرج فاذا هو ببرية فيها ماء زعاق وانواع من الحشائش كالحنظل والجرجير ونحوها فظنها رياحين وثمارا فحبس بما وجد عن ضياء الشمس والوان الطيب والفواكه فعزم على رحيل الاوبة وغشيته وحشة الغربة فاتق ما استطاب واستحلى ثم سار وخلى حتى اذا اضاء نور صبح عين اليقين وحان وقت طلوع شمس الوحدة رأى جنة تحير فيها بصره ودهش فى وصفها عقله وكان ما كان مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا افاق وقد طلعت الشمس وجد فيها الالف واحبابا وعرف انه كان له مثوى ومآبا ورجع اليه الانس ونزل محلة القدس

الشهادة واداؤها ومعنى الآية ولاياب الشهداء اذا مادعوا لاداء الشهادة التى تحملوها وقيل الآية فى الامرين جميعا يعنى فى التحمل والاداء والاقامة فاذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار مالم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء ﴿ ولاتسأموا ﴾ اى ولاتملوا ولا تضجروا ﴿ان تكتبوه﴾ الضمير راجع الى الحق او الدين ﴿صغيرا﴾ كان ﴿ او كبيرا ﴾ يعنى قليلا كان الحق او الدين او كثيرا ﴿ الى اجله ﴾ يعنى الى محل الحق والدين ﴿ ذلكم ﴾ يعنى ذلك الكتاب ﴿ اقسط عندالله﴾ يعنى اعدل عندالله لانه امربه واتباع امره اعدل من تركه ﴿واقوم للشهادة﴾ يعنى ان الكتابة تذكر الشهود ﴿ وادنى الاترتابوا ﴾ يعنى واحرى واقرب الى ان لاتشكوا فى الشهادة ﴿ الا ان تكون تجارة حاضرة ﴾ اى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد ﴿تديرونها بينكم﴾ اى فيما بينكم ليس فيها اجل ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ اى لاضرر عليكم ﴿ ان لاتكتبوها﴾ يعنى التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى فى الكتابة والاشهاد فى هذا النوع من التجارة لكثرة مايجرى بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه فى ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلاحاجة الى الكتابة والاشهاد ﴿ واشهدوا اذاتبايعتم ﴾ يعنى فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا فى هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد فى صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو امر ندب استحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته * وقوله تعالى ﴿ ولايضار كاتب ولاشهيد ﴾ هذا نهى عن المضارة واصله يضارر بكسر الراء الاولى معناه لايضار الكاتب فيأبى ان يكتب والشاهد فيأبى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ماامل عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذلك الشاهد قيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما ﴿وان تفعلوا﴾ يعنى مانهيتم عنه من الضرار ﴿فانه فسوق بكم﴾ اى معصية وخروج عن الامر ﴿واتقوا الله﴾ اى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ﴿ويعلمكم الله﴾ يعنى مايكون ارشادا لكم فى امر الدنيا كما يعلمكم مايكون ارشادا لكم فى امر الدين ﴿والله بكل شئ عليم﴾ يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لايخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل ﴿وان كنتم على سفر﴾ اى فى سفر ﴿ولم تجدوا كاتبا﴾ يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة ﴿فرهن﴾ جمع رهن وقرئ فرهان ﴿مقبوضة﴾ يعنى فارتهنوا ممن تدينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ماوضع عند الانسان ممانيوب مناب مااخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان فى السفر مع عدم الكاتب ولايختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابى الشحم اليهودى على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك فى سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال والمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق

بدار القرار فى جوار الملك الغفار واشرقت عليه سبحات وجهه الكريم وحل بقلبه روح الرضا العميم وذلك معنى قوله ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ فالجنات جنات الافعال والازواج اصناف روحانيات عالم القدس والرضوان جنات الصفات ﴿ الذين يقولون ربنا اننا آمنا ﴾ بانوار افعالك وصفاتك ﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾ اى ذنوب وجوداتنا بذاتك ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ اى نار الهجران ووجود البقية ﴿ الصابرين ﴾ على غصص المجاهدة والرياضة ﴿ والصادقين ﴾ فى المحبة والارادة ﴿ والقانتين ﴾ فى السلوك اليه وفيه ﴿ والمنفقين ﴾ ماعداه من اموالهم وافعالهم وصفاتهم ونفوسهم وذواتهم ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾ عن ذنوب تلويناتهم وبقياتهم فى اسحار ايام التجليات النورية عند طلوع طوالع الانوار وظهور تباشير صبح يوم القيامة الكبرى بالافق

العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لايجوز الافى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية واجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لاعلى سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لايتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لايتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لايجوز له ان يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا * قوله تعالى (فان امن بعضكم بعضا) يعنى فان كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى اؤتمن امانته) يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان امينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق امانته يعنى حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تاكيدا بقوله (وليتق الله ربه) اى المديون فى اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعنى اذا دعيتم الى اقامتها وادائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ فى الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعنى الشهادة (فانه آثم قلبه) اى فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث فى القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب قيل ما اوعد الله على شئ كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل (لله مافى السموات ومافى الارض) ملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف مالايطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثانى ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا فى وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة بالآية التى قبلها وانما نزلت فى كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا مافى انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اى تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام ان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اى تظهروا مافى انفسكم يعنى من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله مافى السموات ومافى الارض وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا

الاعلى فأجابهم وقت طلوع شمس الذات من مغرب وجودهم فلم يبق مغربا بقوله (شهد الله انه لااله الا هو) طلع الوجه الباقى فشهد بذاته فى مقام الجمع على وحدانيته اذلم يبق شاهد ولا مشهود غيره ثم رجع الى مقام التفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيته فى ذلك المشهد فقال (والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط) اى مقيما للعدل فى تفاصيل مظاهره وصور كثرتها الذى هو ظل الوحدة فى عين الجمع باعطاء كل ذى حق بحسب استعداده واستحقاقه حقه من جوده وكماله وتجليه فيه على قدر سعة وغائه (لااله الاهو) فى المشهدين (العزيز) القاهر الذى يقهر كل شئ باعتبار الجمع فلا يصل اليه احد (الحكيم) الذى يدبر بحكمة كل شئ فيعطيه مايليق به باعتبار التفصيل (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) هو هذا التوحيد

على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله تعالى فى اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت به انفسها مالم يعملوا به او يتكلموا به وفى رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهى ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا فى تأويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون فى معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم فى الدنيا من النوائب والمصائب والامور التى يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألنى عنها احد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها فى يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم فى معنى الآية وان تبدوا ما فى انفسكم يعنى مما عزمتم عليه او تخفوه اى ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما فى الضمائر والسرائر مما ظهر او خفى ومعنى الآية وان تبدوا ما فى انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اى يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ما روى عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرنى

الذى قرره بنفسه فان دينه دين اسلام الوجود كما قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم اسلمت وجهى لله اى نفسى وجملتى وانخلعت عن انيتى ففنيت فيه وامر الله تعالى حبيبه عليه الصلاة والسلام فيما بعد بقوله (فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن * وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله) اى المحجوبين عن الدين (ويقتلون النبيين بغير حق) لكونهم محجوبين بدينهم لا يقبلون الاما هم عليه من التقيد والتقليد والانبياء دعوهم الى التوحيد ومنعوهم عن التقيد فقتلوهم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) من اتباعهم اذ العدل ظل التوحيد فمن لم يكمل له لا يمكنه العدل وهم قد حجبوا بتقييدهم بدينهم فقد حجبوا بظلمهم عن العدل فخالفوهم وقتلوهم (اولئك الذين حبطت اعمالهم

ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه واما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا * قوله عزوجل (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها مااكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قدفعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قدفعلت ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قدفعلت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص الانبياء وماذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة مافيه من الشرائع والاحكام منزل من عندالله عزوجل (والمؤمنون) اى وصدق المؤمنون بذلك ايضا (كل) اى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو ان يؤمن بان الله واحد احد لاشريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ واما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عندالله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عندالله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لانفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لانفرق بين احد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار

فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) التى علوها على دين نبيهم لانهم كانوا بتقليد نبيهم ناجين بالمتابعة وانبياؤهم كانوا شفاءهم بتوسطهم بينهم وبين الله فى وصول الفيض اليهم فاذا انكروا النبيين واتباعهم العادلين فقد خالفوا نبيهم لان الانبياء كلهم على ملة واحدة فى الحقيقة هى ملة التوحيد لانفرق بين احد منهم فى كونهم على الحق فمن خالف واحدا فقد خالف الكل وكذا من خالف اهل العدل من اتباع النبيين فقد ظلم ومن ظلم فقد خرج بظلمه عن المتابعة وايضا فمنكر الاتباع منكر المتبوعين ومنكر الظل منكر الذات

تقديره وقالوا يعني المؤمنين لانفرق بين احد من رسله (وقالوا سمعنا واطعنا) يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امر نابه واطعناه فيما الزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمناله فيما امرنابه ونهانا عنه (غفرانك ربنا) اى نسألك غفرانك ربنا اويكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (واليك المصير) يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفرلنا ذنوبنا روى البغوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير * قوله عزوجل (لايكلف الله نفسا الاوسعها) قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لايكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا مافى انفسكم اوتخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يارسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لاتستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مالم تطيقوه وقال ابن عباس فى رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وماجعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لايكلف الله نفسا الاوسعها قال الايسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع مادون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لايكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لاتطيق (لها ما كسبت) يعني للنفس ماعملت من الخير فلها اجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لايؤاخذ احدا بذنب غيره * قوله عزوجل (ربنا لاتؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لاتؤاخذنا اى لاتعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسئ قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه اعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (ان نسينا او اخطأنا) فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فامعنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو وارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل

حارج عن نورها واذا خالفوا نبيهم لم يبق بينهم وبينه من الوصلة والمناسبة ما تمكن به الاستفاضة من نوره فحجبوا عن نوره وكانت اعمالهم منورة بنوره لاجل المتابعة لانور ذاتى لها اذلم تكن صادرة عن يقين فاذا زال نورها العارضى باحتجابهم عن نبيهم فقد اظلمت وصارت كسائر السيأت من صفات النفس الامارة وفيه ماسمعت غيره مرة من قتل كفار قوى النفس الامارة انبياء القلوب والآمرين بالقسط من القوى الروحانية (قل اللهم مالك الملك) تملك ملك عالم الاجسام مطلقا تتصرف فيه لا مالك ولا متصرف ولامؤثر فيه غيرك (تؤتى الملك من تشاء) تجعله متصرفا فى بعضه (وتنزع الملك ممن تشاء) بجعل التصرف فى يد غيره ولاغيرثمة بل تقلبه من يد الى يد فأنت المتصرف فيه على كل حال بحسب اختلاف المظاهر (وتعز من تشاء) بالقاء نور من انوار عزتك عليه فان العزة لله جميعا (وتذل من تشاء) بسلب لباس عزتك عنه

فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفو له عن ذلك واما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيان وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم مالا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ فى قوله او اخطأنا فعلى وجهين ايضا * احدهما ان يأتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه * الوجه الثانى ان يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا تستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة من اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال مالا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف مالا يطاق على وجهين * احدهما ماليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لا يكلف الله به عبده بحال * الوجه الثانى من تكليف مالا يطاق هو ما فى قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان فى ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذى سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم مالا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف مالا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل فى قوله ولا تحملنا مالا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) اى تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا (واغفر لنا) اى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) اى تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب

فيبقى ذليلا (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) كله وانت القادر مطلقا تعطى على حسب مشيئتك تتجلى تارة على بعض المظاهر بصفة العزو الكبرياء فتكسوه لباس العز والبهاء وتارة بصفة القهر والاذلال فتكسوه لباس الهوان والصغار وتارة بصفة المعز فتكون مذلا وتارة بصفة المذل فتكون معزا وتارة بصفة الغنى فتعطى المال وتارة بصفة المغنى فتفقره اى تجعله مستغنيا عن المال فقيرا لا يحتاج الى شئ (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) تدخل ظلمة النفس فى نور القلب فيظلم وتدخل نور القلب فى ظلمة النفس فتستنير بخلطهما معا مع بعد المناسبة بينهما (وتخرج الحى) اى حى القلب (من الميت وتخرج الميت من الحى) اى من ميت النفس وميت النفس من حى القلب بل تخرج حى العلم والمعرفة من ميت الجهل وتخرج ميت الجهل من حى العلم بحجبه عن النور كبلعم بن باعورا (وترزق من تشاء) من النعمة الظاهرة والباطنة جميعا اومن

منك العفو واذا عفوت عنى فاستره على فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التى هى الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب (انت مولانا) اى ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعنى الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفى قوله لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال لااؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لااحمل عليكم ولاتحملنا مالاطاقة لنابه قال لااحملكم واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبدالله بن مسعود قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لايشرك بالله من امته شيأ المقحمات المقحمات الذنوب العظام التى تولج مرتكبها النار واصل الاقحام الولوج (ق) عن ابى مسعود الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل مايحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا ان يخلق السموات والارض بالفى عام انزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولايقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان اخرجه الترمذى وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾

مدنية وهى مائتا آية وثلاثة آلاف وار بعمائة وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (الم الله لااله الا هو الحى القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤل امرهم وهم العاقب واسمه عبدالمسيح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذى لايصدرون الاعن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم عالهم وصاحب رحلهم الذى يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لمابلغهم عن علمه واجتهاده فى دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية يقول من رآهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مارأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله

احداهما (بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) اذ لامناسبة بينهم فى الحقيقة والولاية لاتكون الا بالجنسية والمناسبة فحينئذ لا يمكن ان تكون المحبة بينهم ذاتية بل مجعولة مصنوعة بالتصنع والرياء والنفاق وهى خصال مبعدة عن الحق اذ كلها حجب ظلمانية ولو لم يكن فيهم ظلمة تناسبت حال الكفرة ماقدروا على مخالطتهم ومصاحبتهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) اى من ولاية الله فى شئ معتد به اذ ليس فيهم نورية صافية يناسبون بها الحضرة الالهية (الا ان تتقوا منهم تقاة) اى الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب ان يتقى فتوالوهم ظاهرا ليس فى قلوبكم شئ من محبتهم وذلك ايضا لايكون الا لضعف اليقين اذ لو باشر قلوبهم اليقين لماخافوا الا الله تعالى وشاهدوا معنى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاخافوا غيره ولم يرجوا غيره ولذلك عقبه بقوله (ويحذركم الله نفسه)

صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا جحودا فأنزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعنى ان كانت منازعتكم يا معشر النصارى فى معرفة الاله فهو الله الذى لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم اما الحى فى صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (بالحق) اى بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وانزل التوراة والانجيل من قبل) اى من قبل القرآن فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما مفصلا فى اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعنى ان انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن فى اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وانزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القرآن وانما اعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى فى امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق

اى يدعوكم الى التوحيد العيانى كيلا يكون حذركم من غيره بل من نفسه (والى الله المصير) فلا تحذروا الا اياه فانه المطلع على اسراركم وعلانياتكم القادر على مجازاتكم ان توالوا اعداءه او تخافوهم سرا اوجهرا (قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) كل ما يعمله الانسان او يقوله يحصل منه اثر فى نفسه وتنتقش نفسه به واذا تكرر صار النقش ملكة راسخة وكذا ينتقش فى صحائف النفوس السماوية لكنه مشغول عن هيئات نفسه ونقوشها بالشواغل الحسية والادراكات الوهمية والخيالية لا يفرغ اليها فاذا فارقت نفسه جسدها ولم يبق ما يشغلها عن هيئاتها ونقوشها وجدت ما عملت من خيرا وشر محضرا فان كان شرا تمنى بعدما بينها وبين ذلك اليوم اوذلك العمل لتعذيبها به فتصير تلك

والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل ارادبهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لايمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) اي غالب لايغلب (ذوانتقام) يعني ممن كفربه والانتقام المبالغة في العقوبة * قوله عزوجل (ان الله لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) اي لايخفى عليه شيء من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذي يصوركم في الارحام) التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا او انثى ابيض اواسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام صورا مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي اوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لااله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب له ذلك في بطن امه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت في دارك كذا وصنعت كذا وانه احيا الموتى وابرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ماقدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه مالايخفى على الله عزوجل (لااله الاهو العزيز الحكيم) وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في الرحم * قوله عزوجل (هو الذي انزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آيات محكمات) يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن ام الكتاب) يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية يعني ان كل واحد منهما آية (واخر) جمع اخرى (متشابهات) يعني ان لفظه يشبه

الهيئات والنقوش صورتها ان كانت راسخة والا وجدت جزاءها بحسبها وتكرر (ويحذركم الله نفسه) تأكيد لئلا يعملوا مايستحقون به عقابه (والله رؤف بالعباد) فلهذا يحذرهم عن السيآت تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) لما كان عليه الصلاة حبيبه فكل من يدعي المحبة لزمه اتباعه لان محبوب المحبوب محبوب فتجب محبة النبي ومحبته انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولاتمشي دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهره وطريقته طلسم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة ان يكون لهذا التابع قسط من محبة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة فيلقي الله تعالى محبته عليه ويسري

يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله فى موضع آخر كله محكما فقال فى اول هود الر كتاب احكمت آياته وجعله فى موضع آخر كله متشابها فقال تعالى فى الزمر الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا واما حيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التى فى آخر سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم ونظيرها فى بنى اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هى الناسخ والمتشابهات هى الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدى وقيل ان المحكمات مافيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ماسوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات مااطلع الله عباده على معناه والمتشابه مااستأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مايحتمل اوجها وروى ذلك عن الشافعى وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هى الحروف المقطعة فى اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له حيى بلغنا انك انزل عليك الم فانشدك الله انزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فانى اعلم مدة ملك امتك هى احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه اكثر هى احد وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه اكثر هى مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هى مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا فلا ندرى ابكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه وقيل ان المحكم مالم تتكرر الفاظه والمتشابه ماتكررت الفاظه وقيل ان المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه مااحتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهى والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القرآن البيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القرآن انزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعانى وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع فى كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا انزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثانى ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى ان يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض

من باطن روح النبى نور تلك المحبة عليه فيكون محبوبا لله محبا له ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النبى فيبعد عن وصف المحبوبية وزالت المحبة عن قلبه اسرع مايكون اذ لو لم يحبه الله تعالى لم يكن محبا له (ويغفر لكم ذنوبكم) كما غفر لحبيبه حيث قال ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وذنبه المتقدم ذاته والمتأخر صفاته فكذا ذنوب المتابعين كما قال تعالى لا يزال العبد يتقرب الى الى آخر الحديث (والله غفور) يمحو ذنوب صفاتكم وذواتكم (رحيم) يهب لكم وجودا وصفات حقانية خيرا منها ثم نزل عن هذا المقام لانه اعز من الكبريت الاحمر ودعاهم الى ماهو اعم من مقام المحبة وهو مقام الارادة فقال (قل اطيعوا الله والرسول) اى ان لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبى فلا اقل من ان تكونوا مريدين مطيعين لما امرتم به فان المريد يلزمه متابعة الامر وامتثال المأمور به (فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) اى ان اعرضوا عن ذلك ايضا فهم

تقع الحاجة الى الفكرة والحلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان متعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه فى كتابه مخبرا نه عباده ليقف المؤمن عنده ويرده الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده * وقوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) اى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى اوائل السور وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم تكونوا الحرورية والسبئية فلا ادرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم * وقوله تعالى (ابتغاء الفتنه) اى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) اى تفسيره واصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله اى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لايعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وابى بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول ثم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتداء فقال عز من قائل (والراسخون فى العلم) اى الثابتون فى العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لايدخل فى علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمناه وما لم نعلم ونحن معتمدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته

كفار منكرون محجوبون والله لايحب من كان كافرا فبترك الطاعة يلزم الكفر وبترك المتابعة لايلزم لان تارك المتابعة يمكن ان يكون مطيعا بمتابعة الامر ومعنى اطيعوا الله والرسول اطيعوا برسول الله لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل وآل عمران على العالمين) الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فاخص المراتب هو المحبة واشار اليه بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمدا صلى الله عليه وسلم ثم الخلة التى هى صفة ابراهيم عليه السلام واعمها الاصطفاء اى صفة آدم عليه السلام (ذرية بعضها من بعض) فى الدين والحقيقة اذ الولاية قسمان صورية ومعنوية وكل نبى تبع نبيا آخر فى التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن من اصول الدين فهو ولده كاولاد المشايخ فى زماننا هذا وكما قيل الآباء

الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على اربعة اوجه فمنه تفسير لايسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لايعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول انا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينتفع به عباده ولايجوز ان يكون فى القرآن شئ لايعرفه احد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان احدهما انهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل انس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر الا اولوا الالباب) اى وما يتعظ بما فى القرآن الا ذووا العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا * قوله عز وجل (ربنا لاتزغ قلوبنا) اى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لاتزغ قلوبنا اى لاتملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) اى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) اى اعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك انت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه تعالى يعطى كل احد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولاتكييف ولالمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب مايليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لانه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لايمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما اراد منها كما لايمتنع على الانسان مابين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب مااعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله اعلم * قوله عز وجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه) اى ليوم

ثلاثة ابو لدك وابو ربك وابو علمك فكما ان وجود البدن فى الولادة الصورية يتولد فى رحم امه من نطفة ابيه فكذلك وجود القلب فى الولادة الحقيقية يظهر فى رحم استعداد النفس من نفحة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة اشار عيسى عليه عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين واعلم ان الولادة المعنوية اكثرها يتبع الصورية فى التناسل ولذلك كان الانبياء فى الظاهر ايضا نسلا ثم ثمر شجرة واحدة فان عمران بن يصهر اباموسى وهرون كان من اسباط لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعمران بن ماثان ابا مريم ام عيسى كان من اسباط يهوذا بن يعقوب وكون محمد عليه الصلاة والسلام من اسباط اسمعيل بن ابراهيم مشهور وكذا كون ابراهيم من نوح عليه السلام وسببه ان الروح فى الصفاء والكدورة يناسب المزاج فى الاعتدال وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل بحسب المناسبه وتفاوت الارواح

القضاء وقيل اللام بمعنى فى اى فى يوم لاريب فيه اى لاشك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لايخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لاتخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد * قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغنى) اى لن تنفع ولن تدفع (عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) اى من عذاب الله شيأ وقيل من بمعنى عند اى عند الله شيأ (واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعنى لما جاءتهم بها الرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) اى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل فى معنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم * قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل اراد بالذين كفروا مشركى قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون فى الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان اباسفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت فى اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشر به موسى لاترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لاتعجلوا حتى ننظر وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يامعشر اليهود احذروا من القدر مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لايغرنك انك لقيت قوما اغمارا لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون اى ستهزمون وتحشرون يعنى فى الآخرة الى جهنم (وبئس المهاد) اى الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم فى النار * قوله عز وجل (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن

فى الازل بحسب صنوفها ومراتبها فى القرب والبعد فتتفاوت الامزجة بحسبها فى الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة فى الامزجة على الاكثر اللهم الا لامور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة فى الرتبة متناسبة فى الصفة وهذا مما يقوى ان المهدى عليه السلام من نسل محمد صلى الله عليه وسلم (والله سميع) حين قالت امراة عمران رب انى نذرت لقومها (عليم اذ قالت امرات عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى) بنيتها كما شهدت بقولها (انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب) واعلم ان النيات وهيئات النفس مؤثرة فى نفس الولد كما ان

مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كل ماليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ماجاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية اى عبرة ودلالة على صدق مااقول انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين واصلها فى الحرب لان بعضهم يفئ الى بعض اى يرجع التقتا يعنى يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانيه سيوف * وقوله تعالى (واخرى كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرئ بالتاء يعنى ترون اهل مكة ضعفى المسلمين يامعشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان احدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو الاصح قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال احداهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ماهم عليه ثم قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية اخرى عنه قال لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى اعين المشركين فى اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى ان المشركين لما

الاغذية مؤثرة فى بدنه فمن كان غذاؤه حلالا طيبا وهيئات نفسه نورية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا اووليا اونبيا ومن كان غذاؤه حراما وهيئات نفسه ظلمانية خبيثة ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقا او كافرا خبيثا اذ النطفة التى يتكون الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة بتلك النفس فتناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد سرابيه فكان صدق مريم ونبوة عيسى بركة صدق ابيها (وجد عند رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يجوز ان يراد به الرزق الروحانى من المعارف والحقائق والعلوم والحكم الفائضة عليها من عند الله اذا لاختصاص بالعندية يدل على كونها من الارزاق اللدنية (هنالك دعا زكريا ربه) كان زكريا شيخا هرما وكان مقدما للناس اماما طلب من ربه ولدا حقيقيا يقوم مقامه فى تربية الناس وهدايتهم كما اشار اليه

اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ماكنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وماذلك الا اظهارا القدرة التامة وقوله تعالى (رأى العين) اى في رأى العين (والله يؤيد) اى يقوى (بنصره من يشاء ان في ذلك) يعني الذى ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) اى لآية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر * قوله عز وجل (زين للناس) قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاى على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين له هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء فى معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابى على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ماذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له فى ملكه * وقوله تعالى (حب الشهوات) يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى فى قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا فى القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا فى حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه انه اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدى هو اربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن ابى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال مافيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة

في سورة كهيعص فوهب له يحيى من صلبه بالقدرة بعدما امر باعتكاف ثلاثة ايام ولك التأويل بالتطبيق على احوالك وتفاصيل وجودك كما علمت وهو ان الطبيعة الجسمانية اى القوة البدنية امرأة عمران الروح نذرت مافى قوتها من النفس المطمئنة لله تعالى بانقيادها لامر ومطاوعتها له فوضعت انثى النفس فكفلها الله زكريا الفكر بعدما تقبلها لكونها زكية قدسية فكلما دخل عليها زكريا الفكر محراب الدماغ وجد عندها رزقا من المعانى الحدسية التى انكشفت عليها بصفائها من غير امتياز الفكر اياها فهنالك دعا زكريا الفكر تركيب تلك المعانى واستوهب من الله ولدا طيبا مقدسا عن لوث الطبيعة فسمع الله دعاءه اى اجاب فنادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم بامره فى تركيب المعلومات يناجى ربه باستنزال الانوار ويتقرب اليه بالتوجه الى عالم القدس فى محراب الدماغ قال رب هب لى من لدنك

والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان تكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدا بهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اى تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) اى الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) اى المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى * قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) اى اخبركم (بخير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا لحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازى كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات * قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) اى صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) اى استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * قوله عز وجل (الصابرين) يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما اصابهم (والصادقين) يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم

ذرية طيبة انك سميع الدعا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) العقل بالفعل (مصدقا بكلمة من الله) بعيسى القلب مؤمنا به وهو كلمة من الله لتقدسه عن الاجرام والتولد عن المواد (وسيدا) لجميع اصناف القوى (وحصورا) مانعا نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية (ونبيا) بالاخبار عن المعارف والحقائق الكلية وتعليم الاخلاق الجميلة والتدابير السديدة بأمر الحق (من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) من جملة المفارقات والمجردات التي تصلح بافعالها ان تكون من مقربي حضرة الله تعالى بعد ان بلغ الفكر كبر منتهى طوره ولم يكن منتهيا الى ادراك الحقائق القدسية والمعارف الكلية وكانت

الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق فى النية العزم على الفعل حتى يلغه (والقانتين) يعنى المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعنى اموالهم فى طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة فى جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعنى المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم فى ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يانافع اسحرنا فاقول لافيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلى الصبح (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وفى لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وله فى رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية عنه والمذهب الثانى هو مذهب من يتأول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابى انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على مايشاهده من النزول الذى هو تدل من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فامانزول من لاتستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم مغفرته لهم يفعل مايشاء لايتوجه على صفاته كيفية ولاعلى افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يابنى لاتكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل (شهد الله انه لااله الاهو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه مااشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قال وانت احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شئ فان انت اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألانى قالا فاخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت فى نصارى نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لااله الاهو وذلك بيان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بمابين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ماالدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة امايدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد

امرائه التى هى طبيعة الروح النفسانية لانها محل تصرف الفكر عافرا بالنور المجرد * وعلامة ذلك اى علامة حصول النور المجرد وظهوره من النفس الزكية امساكه عن مكالمة القوى البدنية فى تحصيل مطالبهم ومآربهم ومخالطتهم فى فضول لذاتهم وشهواتهم ثلاثة ايام كل يوم عقد تام من الموار عمره عشر سنين الان يرمز اليهم باشارة خفية ويأمرهم بتسبيحهم المخصوص بكل واحد منهم من غير ان يدنو منهم فى مقاصدهم وان يشتغل فى الايام الثلاثة التى مداها ثلاثون سنة من ابتداء سن التميز الذى هو العشر الاول بذكر ربه فى محراب الدماغ والتسبيح المخصوص به دائما وكذا قالت ملائكة القوى الروحانية لمريم النفس الزكية الطاهرة (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك) للتنزهك عن الشهوات (وطهرك) عن رذائل الاخلاق والصفات المذمومة (واصطفاك على نساء العالمين) نفوس

بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو (والملائكة) اى شهد الملائكة بمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان نكل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما (واولوا العلم) اى وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا فى اولى العلم فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبد الله ابن سلام واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) اى بالعدل نصب على الحال والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعنى انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان اى انه مجازله فالله مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجازلهم باعمالهم (لا اله الا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثانى رسم تعليم اى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات (العزيز) اى الغالب الذى لا يقهر (الحكيم) يعنى فى جميع افعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى بسند الثعلبى عن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك فيها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة * قوله عز وجل (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى بأن نعته وصفته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة

الشهوانية الملونة بالافعال الذميمة والملكات الرديئة (يا مريم اقنتى لربك) اطيعى لربك بوظائف الطاعات والعبادات (واسجدى) فى مقام الانكسار والذل والافتقار والعجز والاستغفار (واركعى مع الراكعين) فى مقام الخضوع والخشوع مع الخاضعين (ذلك من انباء الغيب) اى احوال غيب وجودك (نوحيه اليك) يا نبى الروح (وما كنت لديهم) لدى القوى الروحانية والنفسانية اى فى رتبتهم ومقامهم (اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم) اى يتسابقون فى سهامهم ويتبادرون فى حظوظهم ايهم يدبر مريم النفس ويكفلها بحسب رأيه ومقتضى طبعه يترأس عليها ويأمرها بما يراه من مصلحة امره (وما كنت لديهم) فى مقام الصدور الذى هو محل نزاع القوى الروحانية والنفسانية ومحل نزاعهم الذى هو الصدر (اذ يختصمون) يتنازعون ويتجاذبون فى طلب الرياسة عند ظهوره قبل الرياضة وفى حالها اذ غلبت ملائكة القوى

والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من ابناء الملوك السبعين حتى اهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعدما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوارة من الاحكام (بغيا بينهم) اى طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الامن بعدما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ❁ قوله عز وجل (فان حاجوك) اى خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل اسلمت وجهي لله) اى انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اى اخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله (ومن اتبعن) يعني ومن اسلم كما اسلمت انا (وقل للذين اوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والاميين) يعني مشركي العرب (ءاسلمتم) لفظه استفهام ومعناه امر اى اسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) يعني الى الفوز والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقال معاذ الله ان يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعني انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ❁ قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات الله) يعني يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس) كان انبياء بني اسرائيل يأتيهم الوحي ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوى بسند الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا اورجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم ونهوهم بالمعروف عن المنكر فقتلوهم جميعا من

لروحانية بتوفيق الحق بعد الرياضة وقالت لمريم النفس (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة) القلب موهوبا (منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) لانه يمسحك بالنور (وجيها في الدنيا) لادراكه الجزئيات وتدبير مصالح المعاش اجود واصفى واصوب ما يكون فيطيعه ويذعن له ويحتشمه ويعظمه انس القوى الظاهرة وجن القوى الباطنة (و) في (الآخرة من المقربين) لادراكه المعاني الكلية والمعارف القدسية وقيامه بتدبير المعاد والهداية الى الحق فنعطيه ملكوت سماء الروح ونكرمه ومن جملة مقربي حضرة الحق قابلا لتجلياته ومكاشفاته (ويكلم الناس في المهد) في مهد البدن (وكهلا) بالغا الى قرب طور شيخ الروح غالبا عليه بياض نوره (ومن الصالحين) لمقام المعرفة (قالت رب انى يكون لى ولد) تعجب النفس من حملها وولادتها من غير ان يمسها بشر اى من غير تربية شيخ وتعليم معلم بشرى وهو معنى بكارتها (قال كذلك

آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وانزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب اليم) انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه فى معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفى هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (اولئك الذين حبطت) اى بطلت (اعمالهم فى الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هوان لايقبل فى الدنيا ولايجازى عليه فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) يعنى يمنعونهم من العذاب * قوله عزوجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) انزلت فى اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعنى القرآن وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عزوجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اى دين انت يامحمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه ايضا ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يامحمد وليس عليهم الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة فقالوا رجل اعور يقال له عبدالله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ مابعدها فقال عبدالله بن سلام يارسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع مافى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عزوجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى علمهم الذى علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعنى القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) اى ليقضى بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) يعنى الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعنى عن الحق وقيل الذى تولواهم العلماء والذين اعرضواهم الاتباع (ذلك بانهم) يعنى ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات) تقدم تفسيره فى سورة البقرة (وغرهم) اى واطمعهم (فى دينهم ماكانوا يفترون) اى يحلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل (فكيف

الله يخلق مايشاء) اى يصطفى من يشاء بالجذب والكشف ويهب له مقام القلب من غير تربية وتعليم كما هو حال المحبوبين وبعض المحبين (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) بالتعليم الربانى كتاب العلوم المعقولة وحكم الشرائع ومعارف الكتب الالهية من التوراة والانجيل اى معارف الظاهر والباطن (ورسولا الى بنى اسرائل) الى المستعدين الروحانيين من اسباط يعقوب الروح (انى قد جئتكم بآية من من ربكم) تدل على انى آتيكم من عنده (انى اخلق لكم من الطين) بالتربية والتزكية والحكمة العملية من طين نفوس المستعدين الناقصين (كهيئة الطير) الطائر الى جناب القدس من شدة الشوق (فأنفخ فيه) من نفث العلم الالهى ونفس الحياة الحقيقية بتأثير الصحبة والتربية (فيكون طيرا باذن الله) اى نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة الى جناب الحق (وابرئ الاكمه)

اذا جمعناهم) اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (ليوم) اى فى يوم (لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) اى لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما اعد لهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لاحيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لايكون ولايحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لايظلمون) اى لاينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولايزاد على سيآتهم * قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لانطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه ياالله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو ياالله امنا بخير اى اقصدنا مالك الملك اى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لايدعى الملك احد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلاتشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الاعلى ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لانبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته احد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من ابى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا واصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى اباجهل واضرابه حين قتلوا والقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه

المحجوب عن نور الحق الذى لم تنفتح عين بصيرته قط ولم تبصر شمس وجه الحق ولا نوره ولم يعرف اهله بكحل نور الهداية (والابرص) المعيوب نفسه بمرض الرذائل والعقائد الفاسدة ومحبة الدنيا ولوث الشهوات بطيب النفوس (واحيي الموتى) موتى الجهل بحياة العلم (باذن الله وانبئكم بما تأكلون) تتناولون من مباشرة الشهوات واللذات (وماتدخرون فى بيوتكم) اى فى بيوت غيوبكم من الدواعى والنيات (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة) اى من توراة علم الظاهر (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) من انوار الباطن (وجئتكم بآية) بدليل (من ربكم) هو التوحيد الذى لم يخالفنى فيه نبى قط (فاتقوا الله) مخالفتى فانى على الحق (واطيعون) فى دعوتكم الى التوحيد (ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم) القلب من

اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لاينافى ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ماسواه الا انه خص الخير بالذكر لان المنتفع به والمرغوب فيه (انك على كل شئ قدير) يعنى من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله تعالى (تولج الليل فى النهار) الآية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفى ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل فى النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية لطوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى يأتى بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتى بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة فى النهار وبالعكس وهو معنى الولوج (وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) وهو انه تعالى يخرج الانسان الحى من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حى من البيضة وهى ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حى الفؤاد والكافر ميته (وترزق من تشاء بغير حساب) يعنى من غير تضييق ولاتقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه * قوله عز وجل (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابى الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لايفتنونكم عن دينكم فأبى اولئك النفر الا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت فى عبدالله بن ابى واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يارسول الله ان معى خمسمائة من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء يعنى انصارا واعوانا من دون المؤمنين يعنى من غير المؤمنين والمعنى لايجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان (ومن يفعل ذلك) يعنى موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم (فليس من الله فى شئ) اى فليس من دين الله فى شئ وقيل معناه فليس من ولاية الله فى شئ وهذا امر معقول من ان ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة

القوى النفسانية (الكفر) الاحتجاب والانكار والمخالفة (قال من انصارى الى الله) اى اقتضى من القوة الروحانية نصرته عليهم فى التوجه الى الله (قال الحواريون) اى صفوته وخالصته من الروحانيات المذكورة (نحن انصار الله آمنا بالله) بالاستدلال وبالتنور بنور الروح (واشهد بأنا مسلمون) مذعنون منقادون (ربنا امنا بما انزلت) من علم التوحيد وفيض النور (واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الحاضرين لك المراقبين لامرك او من الشاهدين على وحدانيتك (ومكروا) اى الاوهام والخيالات فى اغتيال القلب واهلاكه بانواع التسويلات (ومكر الله) بتغليب الحجج العقلية والبراهين القاطعة عن تخيلاتها وتشكيكاتها ورفع عيسى القلب الى سماء الروح والقى شبهه على النفس ليقع اغتيالهم (والله خير الماكرين) اذ غلبت مكره قال لعيسى (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك) اى قابضك الى من بينهم (ورافعك الى)

الكفار ضدان لايجتمعان (الا ان تتقوا منهم تقاة) اى الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله
نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين
اويكون المؤمن فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غيران
يستحل دما حراما اومالا حراما اوغيرذلك من المحرمات اويظهر الكفار على عورة المسلمين
والتقية لاتكون الامع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الامن اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلوصبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم
وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين
فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت
لسعيد بن جبير فى ايام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى
الامان تقية انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر
الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) اى ويخوفكم الله ان تعصوه
بان ترتكبوا النهى اوتخالفوا المأموربه اوتوالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى
الله المصير) يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة ❊ قوله عزوجل (قل ان تخفوا
مافى صدوركم) يعنى مافى قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب
(او تبدوه) يعنى تبدوا مودة الكفا وقولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما فى قلوبكم من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اى تظهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) اى يحفظه عليكم
ويجازيكم به (ويعلم مافى السموات ومافى الارض) يعنى انه تعالى اذا كان لايخفى عليه شئ
فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم
(والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) يعنى تجد كل نفس جزاء
ماعملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ (وماعملت من سوء) اى تجد ماعملت من الخير
محضرا فتسر به وماعملت من سوء (تود) اى تتمنى (لوان بينها وبينه) اى وبين ماعملت من
السوء (امدا بعيدا) اى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل
معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد
(والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه
وانه يمهل ولايهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل
انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم
العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه ❊ قوله عزوجل (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت
هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض
النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم
ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل
ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله قل يامحمد
ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل

اى الى سماء الروح فى
جوارى (ومطهرك من)
رجز جوار (الذين
كفروا) من القوى الخبيثة
ومكرهم وخبث صحبتهم
(وجاعل الذين اتبعوك)
من الروحانيين (فوق
الذين كفروا) من
النفسانيات الى يوم القيامة
الكبرى والوصول الى
مقام الوحدة (ثم) يومئذ
(الى مرجعكم فأحكم
بينكم) بالحق (فيما كنتم
فيه تختلفون) قبل الوحدة
من التجاذب والتنازع
الواقع من القوى فأقر
كلا فى مقره هناك واعطيه
مايليق به من عدى فيرتفع
التخالف والتنازع (فاما
الذين كفروا فأعذبهم
عذابا شديدا) بالحرمان
عن مقام القلب والاحتجاب
بهيئات اعمالهم (فى الدنيا
والآخرة ومالهم من
ناصرين واما الذين آمنوا)
من الروحانيات (وعملوا
الصالحات) من انواع التزكية
والتحلية والتصفية فى اعانة
القلب على النفس ومتابعته
فى التوجه الى الحق (فيوفيهم
اجورهم) من الانوار
القدسية والاشراقات
الروحية عليهم (والله لايحب
الظالمين) الذين ينقصون

الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعنى ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن ابى بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عزوجل (قل اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله معلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لاتتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر اونهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به فى كتابه اونهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم محمدصلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لايحب الكافرين) اى لايرضى فعلهم ولايغفر لهم (خ) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الامن ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعصى الامير فقد عصانى * قوله عزوجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يامعشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل شئ آدم هو ابو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى سليمان الدمشقى ان اسم نوح السكن وانما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابرهيم) قيل اراد بآل ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم اصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل فى هذا الاصطفاء وجعل اسحق اصلا لبنى اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا فى عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون اونفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل بن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) اى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) اى اصطفى ذرية واصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمى الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذرء الله تعالى اى خلقه.

الاجور (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) من الحقوق واما التأويل بغير التطبيق فهو انهم مكروا بعث من يقتال عيسى عليه السلام فشبه لهم صورة جسدانية هى مظهر عيسى روح الله عليه السلام بصورة حقيقة عيسى فظنوها عيسى فقتلوها وصلبوها والله رفع عيسى عليه السلام الى السماء الرابعة لكون روحه عليه السلام فائضا من روحانية الشمس ولم يعلموا لجهالتهم ان روح الله لايمكن قتله ولما تيقن حاله قبل الرفع قال لاصحابه انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى اى اتطهر من عالم الرجس واتصل بروح القدس الواهب الصور المفيض للارواح والكمالات المربى للناس بالنفث فى الروح فامدكم من فيضه وكان اذ ذاك لاتقبل دعوته ولايتبع مثله فامر الحواريين بالتفرق بعده فى البلاد والدعوة الى الحق فقالوا كيف ذاك اذا لم تكن معنا والآن انت بين اظهرنا ولاتجاب دعوتنا قال علامة امدادى اياكم قبول الخلق دعوتكم بعدى فلما رفع لم يدع

(بعضها من بعض) اى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعنى ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا * قوله عز وجل (اذ قالت امرأت عمران) هى حنة بنت فاقوذا ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان بينهما الفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) اى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا اى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشئ من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبياء بنى اسرائيل ومن علمائهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا اخت ايشاع عند عمران وهى ام مريم وكان قد امسك عنه حنة الولد حتى ايست وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما فى بطنك انثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم شديد من اجل ذلك فمات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل اخذ الشئ على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته (انك انت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم) يعنى بنيتى وما فى ضميرى * قوله عز وجل (فلما وضعتها) اى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها انثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قبل ان تضعه (والله اعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشئ الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب انى وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة لله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة لله تعالى وكانت مريم

اصحابه احدا الا اجابهم وظهر لهم القبول فى الخلق وعلت كلمتهم وانتشر دينهم فى اقطار الارض ولما لم يصل الى السماء السابعة التى عرج بمحمد صلى الله عليه وسلم اليها المعبر عنها بسدرة المنتهى اعنى مقام النهاية فى الكمال ولم ينل درجة المحبة لم يكن له بد من النزول مرة اخرى فى صورة جسمانية يتبع الملة المحمدية لنيل درجتها والله اعلم بحقائق الامور (ان مثل عيسى عند الله) اى ان صفته عند الله فى انشائه بالقدرة من غير اب (كمثل آدم خلقه من تراب) فى انشائه من غير ابوين واعلم ان عجائب القدرة لا تنقضى ولا قياس ثمة على ان تكون الانسان من غير الابوين نظيرا من عالم الحكمة فان كثيرا من الحيوانات الناقصة القريبة الخلقة تتولد خلقا فى ساعة ثم تتناسل وتتوالد فكذا الانسان يمكن حدوثه بالتولد فى دور من الادوار ثم بالتولد وكذا ان يكون من غير اب فان منى الرجل احر كثيرا من منى المرأة وفيه القوة العاقدة

من اجل النساء وافضلهن فى وقتها (وانى سميتها مريم) يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وارادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا (وانى اعيذها بك وذريتها) اى امنعها واجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما قالتها كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هى انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابوهريرة اقرؤا ان شئتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن آدم ليطعن الشيطان فى جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب * قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشئ ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وانبتها نباتا حسنا) معناه وانبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اى سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام (وكفلها زكريا) قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ماتلى الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم فى الماء على ان من ثبت قلمه فى الماء وسعد فهو اولى بها من غيره وكان كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التى كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جرى الماء الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا وقرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعنى فاكهة فى غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف

اقوى كما فى الانفحة بالنسبة الى الجبن والمنعقدة فى منى المرأة اقوى كما فى اللبن فاذا اجتمعا تم العقد وانعقد وتكون الجنين فيمكن وجود مزاج اناثى قوى يناسب المزاج الذكورى كما يشاهد فى كثير من النسوان فيكون المتولد فى كليتها اليمنى بمثابة منى الذكر لفرط حرارته بمجاورة الكبد لمن مزاج كبدها صحيح قوى الحرارة والمتولد فى كليتها اليسرى بمثابة منى الانثى فاذا احتملت المرأة لاستيلاء صورة ذكورية على خيالها فى النوم واليقظة بسبب اتصال روحها روح القدس وبملك آخر ومحاكاة الخيال ذلك كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا سبق الميان من الجانبين الى الرحم فتكون فى المنصب من الجانب الايمن قوة العقد وفى المنصب من الجانب الايسر قوة الانعقاد فيتكون الجنين ويتعلق به الروح وقوله (ثم قال له كن فيكون) اشارة الى نفخ الروح وكونه من عالم الامر ليس مسبوقا بمادة ومدة كخلق الجسد فيناسب آدم وعيسى بما ذكر فى اشتراكهما فى خرق العادة وبكون جسديهما

وفاكهة الصيف في الشتاء (قال) يعني زكريا (يامريم انى لك هذا) اى من اين لك هذه الفاكهة (قال) يعني مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يامريم انى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل فقال يابني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ماترى فدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يايوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يامريم انى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) يعني انه قال يارب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) اى سامعه ومجيبه * قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل ان يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلي في المحراب) اى في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان يأذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يازكريا (ان الله يبشرك بيحيى) اى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيا به عقر امه وقيل لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعني عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى اول من

مخلوقين من تراب العناصر مسبوقين بمادة ومدة وكون روحهما مبدعا من عالم الامر ليس مسبوقا بمادة ومدة (الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه) اى في عيسى (من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق) ان لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله في العالم العنصري فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه كالغضب والحزن والفكر في احوال المعشوق وغير ذلك من تحرك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس البشرية منه كانفعال حواسنا وسائر قوانا من هيئات ارواحنا فاذا اتصل نفس قدسي به او ببعض ارواح اجرام السماوية والنفوس الملكوتية كان تأثيرها في العالم عند التوجه الاتصال تأثير

بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شيء وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يابني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واى داء ادواء من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز ايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص او آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعني انه من اولاد الانبياء الصالحين * قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب) اى يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اى ياسيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (انى يكون لى غلام) يعني من اين يكون وكيف يكون لى غلام (وقد بلغني الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به أكان شاكا في وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اى جهة يكون لى الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي على او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته

ما يتصل به فتنفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية منه بما اراد الم تركيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف واحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية (وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة) اى ليس عيسى من الالهية في شيء فلا يستحق العبادة بمجرد تجرد ذاته فان عالم الملكوت والجبروت كله كذلك (سواء بيننا وبينكم) اى لم يختلف في كلمة التوحيد نبي ولا كتاب قط (الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان

من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ياهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ياهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل مااوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) اى عقيم لاتلد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل مايشاء لايعجزه شئ * قوله عزوجل (قال) يعنى زكريا (رب اجعل لى آية) اى علامة اعلم بها وقت حمل امرأتى فازيد فى العبادة والشكر لك (قال آيتك) اى علامتك على الذى طلبت معرفته (ان لاتكلم الناس) اى لاتقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام) اى مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال فى آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك من صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولايشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام (الا رمزا) يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لاتمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسبح) اى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشى والابكار) فاما العشى فهو مابين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو مابين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عزوجل (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام (يامريم ان الله اصطفاك) اى اختارك (وطهرك) يعنى من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لاتحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) اى واختارك (على نساء العالمين) اى عالمى زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن ابى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيى الدين النووى والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض فى عصرها واما التفضيل بينهما فسكوت عنه (ق) عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل من الرجال كثير ولم يكمل

من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من
مرقه بلا ثريد وثريد مالا لحم فيه افضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة
فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها
على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيه امرأة فرعون اخرجه الترمذى
* قوله عز وجل (يا مريم اقنتى لربك) اى قالت الملائكة لها شفاها اطيعى ربك وقيل معناه
اطيلى القيام فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها
وسالت دما وقيحا وحكى عن مجاهد نحوه (واسجدى واركعى مع الراكعين) انما قدم السجود
على الركوع لان الواو لاتقتضى الترتيب انما هى للجمع كانه قيل لها افعلى الركوع والسجود وقيل
انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى امرها امرا عاما
وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملى السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرد تقديم السجود
على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل
مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل
واتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة اى صلى مع المصلين فى
جماعة * قوله عز وجل (ذلك من انباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم
ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب
(نوحيه اليك) اى نلقيه اليك يا محمد لانه لايمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحى منا اليك
وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يا محمد (لديهم)
هنالك عندهم (اذ يلقون اقلامهم) يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع (ايهم يكفل
مريم) يعنى يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها
كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت
لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها (وما كنت لديهم اذ
يختصمون) يعنى فى كفالتها وتربيتها * قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل
عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة
من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الى فلان كلمة سرنى بها واخبرنى خبرا
فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده
وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال
قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة
التى هى كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر
عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام انما سمى كلمة لانه وجد عن
الكلمة التى هى كن فان قلت ان كل مخلوق انما وجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم خص عيسى

بلى من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين ان
الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك
لاخلاق لهم فى الآخرة
ولا يكلمهم الله ولا ينظر
اليهم يوم القيامة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
وان منهم لفريقا يلوون
السنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو
من عند الله وما هو من
عند الله ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لى من
دون الله) الاستثناء لايكون
الا بعد مرتبة الولاية
والفناء فى التوحيد
ما ينبغى لبشر محا الله
بشريته بافنائه عن نفسه
واثباته وجودا نورانيا
حقانيا قابلا للكتاب
والحكمة الالهية ثم يدعوا
الخلق الى نفسه اذ الداعى
الى نفسه يكون محجوبا
بالنفس كفرعون
واضرابه من الذين علوا
التوحيد وما وجدوه
حالا وذوقا ولم يصلوا
الى العيان ونفوسهم باقية

عليه السلام بهذا الاسم وسمى كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلاجرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير فى قوله اسمه عائد الى الكلمة وهى مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير فى قوله اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذى يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمى عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمى عيسى مسيحا لانه مامسح ذاعاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لان مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لايكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح فى الارض ولايقيم بمكان فكأنه يمسح الارض اى يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين لااخمص له وسمى الدجال مسيحا لان ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمى عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد * وقوله تعالى (وجيها) اى شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (فى الدنيا والآخرة) اما وجاهته فى الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى واما وجاهته فى الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس فى المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو فى المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به هو ماذكره الله عنه فى سورة مريم وهو قوله انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وتكلم ببراءة امه مما رماها به اهل الفرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح وهو فى بطنى وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق (وكهلا) يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو فى المهد ببراءة امه وهى معجزة عظيمة ويكلم الناس فى حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه

ماذاقت طعم الصفاء فاحتجبوا بها فدعوا الخلق الى نفوسهم وهم ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حى (ولكن) يقول (كونوا ربانيين) منسوبين الى الرب لاستيلاء الربوبية عليهم وطمس البشرية بسبب كونهم عالمين عاملين معلمين تالين لكتب الله اى كونوا عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات حتى تصيروا ربانيين بغلبة النور على الظلمة (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم) بتعبد معين والتقيد بصورة فانه حجاب وكفر ولا يأمر النبى بالاحتجاب بعد اسلامكم الوجود لله (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين

اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات واشرف المقامات * قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقول الله عز وجل (انى يكون لى ولد) اى من اين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) اى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم يكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب (قال كذلك الله يخلق مايشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق مايشاء ويصنع مايريد وهو قوله (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد (ويعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة واحكام الشرائع (والتوراة) يعنى التى انزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ماهو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل) اى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ماهذه الآية قال (انى اخلق) اى اصور واقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته واصلحته (فانفخ فيه) اى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ماانفخ فيه طائرا اوما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطالبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى اعمل هذا التصوير انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام

ان بين النبيين تعارفا ازليا بسبب كونهم اهل الصف الاول عرفاء بالله وكل عارف يعرف مقام سائر العرفاء ومتعهدهم من الله بعهد التوحيد عام لبنى آدم كما ذكر وعهد النبيين خاص بهم وبمن يعرفهم بحق المتابعة فقد اخذ الله من النبيين عهدين احدهما ماذكر فى قوله واذ اخذ ربك من بنى آدم الى آخره وثانيهما ماذكر فى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو عهد التعارف بينهم واقامة الدين وعدم التفرق به بتصديق بعضهم بعضا ودعوة الحق الى التوحيد وتخصيص العبادة بالله تعالى وطاعة النبى وتعريف بعضهم بعضا الى اممهم وخصوصه بسبب ان معرفة الله تعالى فى صورة التفاصيل وحجب الصفات وتكثر المظاهر ادق واخفى من معرفته فى عين الجمع وهم من رزق حق المتابعة عارفون بذلك وباحكام تجليات الصفات التى هى

(وابرئ الاكمه والابرص) اى واشفى الاكمه والابرص واصحهما واختلفوا فى الاكمه فقال
ابن عباس هو الذى ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعشى وهو الذى
يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه
السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص
فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى
فى اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام
اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (واحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس
قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام
بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك
عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قدمات منذ ثلاثة
ايام فقال لاخته انطلق بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا
باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مربه وهو ميت على
عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال
ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ابوها يأخذ العشور من الناس وماتت
بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره
ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون
فى ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال
مت فقال له بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل (وانبئكم)
يعنى واخبركم (بما تأكلون) اى بما لم اعاينه (وما تدخرون فى بيوتكم) اى وما ترفعونه فتخبؤنه
فى بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما يأكله
اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان فى الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام
انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبى فيبكى على اهله حتى يعطوه ذلك
الشئ فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع ذلك الساحر
وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما فى البيت قالوا خنازير فقال كذلك
يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك فى بنى اسرائيل وظهر فهموا به فخافت
عليه امه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا فى نزول المائدة
وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا
وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير
وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهى اخباره عن المغيبات مع
ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره
عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت
قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لابد لكل واحد منهما
من مقدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة

الشرائع خاصة دون من
عداهم (فمن تولى بعد ذلك)
اى بعد ما علم عهد الله مع
النبيين وتبليغ الانبياء
اليهم ما عهد الله اليهم (فأولئك
هم الفاسقون) الخارجون
عن دين الله ولا دين غيره
معتد به فى الحقيقة الا توهما
(افغير دين الله يبغون وله
اسلم من فى السموات
والارض) وكل من فى
السموات والارض يدين
بدينه (طوعا) كما عدا الانسان
والشيطان (وكرها)
كالانسان والشيطان
اذ الكفر لا يسع موجودا
سواهما فكلهم ممتثلون
لما امرهم الله طائعون
والانسان لاحتجابه بارادته
ونسيانه عهد الله وقبوله
لدعوة الشيطان لمناسبته اياه
بالظلمة النفسانية لا يؤمن
ولا ينقاد الا كرها اللهم الا
من عصمه الله واجتباه
والشيطان لاحتجابه بحجبه
وانيته فى قوله انا خير منه
وابائه واستكباره كفر
وهو مع ذلك يعلم عصيانه
يؤمن كرها ويتحقق ان
كفره بارادته تعالى وذلك
بين الايمان كما قال تعالى
كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر

الكواكب وامتزاجاتها او بواسطة حساب الرمل او نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برائد من الجن وقد يخطئ ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) اي لعبرة ودلالة على صدق اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحدا منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة رفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه (واطيعون) يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قولي (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخباري له عن عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد * قوله عز وجل (فلما احس عيسى منهم الكفر) اي وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله * ذكر سبب القصة * قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل

قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وقال اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وفي موضع اخر وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل فهذه لآيات دالة على ايمانه ولكن حين لا ينفعه (واليه ترجعون) في العاقبة فلا يبقى دين غير دين الله بل الكل عند الرجوع يدين بدينه

كل يدين بدين الحق لو فطنوا
وليس دين لغير الحق مشروع

(قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير

على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولى له لايهتم لذلك فانا آمر ابنى ان يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لاتبالى فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هى من ارض اخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندى غلاما لايسأل الله شيأ الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فى ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لاتفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لاابالى اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركنى انا وأمى نذهب حيث نراه قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا فى اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من انصارى الى الله) اى مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى فى اى فى ذات الله وسبيله وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لى (قال الحواريون نحن انصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح فى الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ماتصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به فانطلقوا معه واختلف فى الحواريين فقيل كان يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحوارى والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى مافعلت قال قد فرغت

الاسلام دينا) المراد من الاسلام ههنا التوحيد الذى هو دين الله فى قوله اسلمت وجهى لله وهو المذكور فى الآية التى قبلها وما وصف بشموله لجميع الاديان ويلزمه الانقياد التام الطوعى المذكور فى فاصلة الآية بقوله ونحن له مسلمون (فلن يقبل منه) لعدم وصول دينه الى الحق تعالى لمكان الحجاب (وهو فى الآخرة من الخاسرين) الذين خسروا باشترائهم انفسهم وماجبوا به بالحق (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات) انكر هدايته تعالى لقوم قد هداهم اولا بالنور الاستعدادى الى الايمان ثم بالنور الايمانى الى ان عاينوا حقية الرسول وايقنوا بحيث لم يبق لهم شك وانضم اليه الاستدلال العقلى بالبينات ثم ظهرت نفوسهم بعد هذه الشواهد كلها بالعناد واللجاج وحجبت انوار قلوبهم وعقولهم وارواحهم الشاهدة ثلاثتها الحق للحق لشؤم ظلمهم وقوة استيلاء نفوسهم الامارة عليهم الذى هو غاية الظلم فقال (والله لايهدى القوم

منها قال واين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحوارى فجعل الحوار يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين الصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبدالله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحوارى الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله واعوانه (آمنا بالله) اى صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعني انت ياعيسى (بأنا مسلمون) قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما انزلت) يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين الذين سال الحواريون ان يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اى مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته ﴿ قوله عز وجل (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من اخلاق الخبيث والخديعة والحيلة (ومكر الله) اى جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما راى ذلك يهوذا راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهوذا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت

الظالمين) لغلظ حجابهم وتعمقهم في البعد عن الحق وقبول النور وهم قسمان قسم رسخت هيئة استيلاء النفوس الامارة على قلوبهم فيهم وتمكنت وتاهوا في الغي والاستشراء وتمادوا في البعد والعناد حتى صار ذلك ملكة لا تزول وقسم لم يرسخ ذلك فيهم بعد ولم تصر على قلوبهم رينا ويبقى من وراء حجاب النفس مسكة من نور استعدادهم عسى ان تداركهم رحمة من الله وتوفيق فيندموا ويستحيوا بحكم غريزة العقول فاشار الى القسم الاول بقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم الى آخره والى الثاني بقوله (اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون) بالمواظبة على الاعمال والرياضات ما افسدوا (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض

الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعونى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ماتجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه فرفع الله عيسى عليه السلام واخذ الذى دل عليه فقال انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذى القى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعنى ولم يصبنى الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبعثهم فى الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة فى الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعنى وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدى ان اليهود حبست عيسى عليه السلام فى بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقى عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبى الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عز وجل (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى) اختلفوا فى معنى التوفى هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا فى معناها وجوها الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى متوفيك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حقيقة الموت قال ابن عباس معناه انى مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم احياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو فى قوله ورافعك الى لا تفيد الترتيب والآية تدل على ان الله تعالى يفعل به ماذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت فى الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابوبكر الواسطى معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما

ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين) اذ لا تقبل هناك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هى عالم النور والبقاء فلا وقع ولا خطر للامور الظلمانية فيها الفانية وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه الفواسق الفانية فكيف تكون سبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وندبتهم وهى بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) كل فعل يقرب صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى عما سواه فمن احب شيأ فقد حجب عن الله تعالى به واشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وآثر نفسه به على الله فقد بعد من الله بثلاثة اوجه وهى محبة غير الحق والشرك وايثار النفس على الحق فان آثر الله به على نفسه وتصدق به واخرجه من يده فقد زال البعد وحصل القرب والا بقى محجوبا وان

رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة فى زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفى اخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى فى الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله انى متوفيك ورافعك الى فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا تقديره انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض فى القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفى رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذؤيب تدرى ما امكم منكم قلت فاخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفى افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هم كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبينه يعنى عيسى نبى وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل فى زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعنى مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعنى وجاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى من الحق فى امر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فاما الذين كفروا) يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى (فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى والذلة واخذ الجزية ثم

انفق من غيره اضعافه فانال برا لعلمه تعالى بما ينفق وباحتجابه بغيره (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل) اى العقلاء بحكم الاصل اذ العقل يحكم بان الاشياء خلقت لمنافع العباد مطلقا فما يكون من جملة المطعومات خلقت لتناولها (الا ما حرم اسرائيل) الروح (على نفسه) بالنظر العقلى عند التجربة والقياس ومعرفة مضارها ومنافعها على التفصيل بعد الحكم الاجمالى بحلها فان العقل يحكم بحرمة ما يضر او بذلك (من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) اى من قبل نزول الحكم الشرعى بالتوراة وسائر الكتب الالهية وذلك ان الناس اختلفوا بعدما كانوا امة واحدة على دين الحق كما ذكر فبعث الله النبيين لهدايتهم واصلاح احوال معاشهم ومعادهم وردهم الى الحق والاتفاق فما اقتضت الحكمة الالهية بحسب احوالهم المختلفة وطباع قلوبهم المحرفة ونفوسهم المريضة حرمته من المألوفات والاشياء الصارفة عن الحق الحاجبة

(والآخرة) اى واعذبهم فى الآخرة بالنار (ومالهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من عذابنا (واما الذين آمنوا) يعنى بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبدالله ورسوله وكلته (وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهم اجورهم) يعنى جزاء اعمالهم لاينقص منه شئ (والله لايحب الظالمين) اى لايحب من ظلم غيره حقاله اووضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لايرحمهم ولايثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذين ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) اى نخبرك به يامحمد على لسان جبريل وانما اضاف ماينلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه (من الآيات) يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يامحمد لانها اخبار لايعلمها الامن يقرا ويكتب او نبى يوحى اليه وانت امى لاتقرا ولاتكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى انزل عليك (والذكر الحكيم) اى الحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش * قوله عزوجل (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية اجمع اهل التفسير ان هذه الآية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماشأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبدالله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انه عبدالله فقالوا له فهل رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبدالله ورسوله وكلته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يامحمد هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله تعالى ان مثل عيسى عندالله اى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير اب كمثل آدم فى كونه خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة آدم فى كونه خلقه من تراب لامن اب وام فمن اقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو ابلغ فى القدرة فلم لايقر بان الله خلق عيسى ابن مريم من غير اب بل الشأن فى خلق آدم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم فى كونه خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) اى انشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر بانه خلقه من تراب لامن ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا آخر فقال انى اخبركم ايضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال فى الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير اب ولاام قلت هو مثله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة

بينهم وبين الله والهيبة للهوى والشهوات وسائر المفاسد والفتن المانعة اياهم عن كمالهم واهتدائهم حرم عليهم (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين ان اول بيت وضع للناس) قيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض تحته فالبيت اشارة الى القلب الحقيقى وظهوره على وجه الماء تعلقه بالنطفة عند سماء الروح الحيوانى وارض البدن وخلقه قبل الارض اشارة الى قدمه وحدوث البدن وتعيينه بألفى عام اشارة الى تقدمه على البدن بطورين طور النفس وطور القلب تقدما بالرتبة اذا الالف رتبة تامة كما سبقت الاشارة اليه وكونه زبدة بيضاء اشارة الى صفاء جوهره ودحو الارض تحته اشارة الى تكون البدن من تأثير وكون

مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب فى العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغرب به وحكى ان بعض العلماء اسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما ❁ وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى اخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) اى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ❁ قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) اى فمن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) اى هلموا والمراد منه المجئ واصله من العلو بالراى والعزم كما تقول تعالى نتفكر هذه المسئلة (ندع ابناءنا وابناءكم) اى يدع كل منا ومنكم ابناءه (ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال انى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى

اشكاله وتخطيطاته وصور اعضائه تابعة لهيآته فهذا تأويل الحكاية واعلم ان محل تعلق الروح بالبدن واتصال القلب الحقيقى به اولا هو القلب الصورى وهو اول ما يتكون من الاعضاء واول عضو يتحرك وآخر عضو يسكن فيكون اول بيت وضع للناس (للذى ببكة) الصدور صورة او اول متعبد ومسجد وضع للناس للقلب الحقيقى الذى ببكة الصدور المعنوى وذلك الصدور اشرف مقام من النفس وموضع ازدحامات القوى المتوجهة اليه (مباركا) ذا بركة الهية من الفيض المتصل منه بجميع الوجود والقوة والحياة فان جميع القوى التى فى الاعضاء تسرى منه اولا اليها (وهدى للعالمين) سبب هداية ونور يهتدى به الى الله (فيه آيات بينات) من العلوم والمعارف والحكم والحقائق (مقام ابراهيم) اى العقل الذى هو موضع قدم ابراهيم الروح يعنى محل اتصال نوره من القلب (ومن دخله) من السالكين والمتحيرين فى بيداء الجهالات (كان آمنا) من اغوا سعالى المتخيلة وعفاريت احاديث

كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فامعنى ضم الابناء والنساء المباهلة قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته ومايدل عليها كتبهم * قوله تعالى (ان هذا) يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله (لهو القصص الحق) واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني (ومامن اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له في الالهية (وان الله لهو العزيز) اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عزوجل (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ماتريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ماتريد الا ان نقول فيك ماقالت اليهود في عزير فانزل الله عزوجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة دعي فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او قصيدة لها اول وآخر وشرح كلمة سواء اي عدل لا نختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في معصية الله (فان تولوا) يعني فان اعرضوا

النفس واختطاف شياطين الوهم وجن الخيالات واغتيال سباع القوى الفسانية وصفاتها (ولله على الناس حج) هذا (البيت) والطواف به (من استطاع اليه سبيلا) من السالكين المستعدين الصادقين في الارادة القادرين على زاد التقوى وراحلة قوة العزم دون من عداهم من الضعاف في الاستعداد القاعدين من الضعف والمرض وسائر الموانع الخلقية او العارضة النفسانية او البدنية (ومن كفر) اي حجب استعداده مع القدرة واعرض عنه بهوى النفس (فان الله غني) عنه و(عن العالمين) كلهم اي لا يلتفت اليه لبعده وكونه غير قابل لرحمته في ذل الحجاب وهو ان الحرمان مخذولا مردودا (قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم

عما امرتهم به (فقولوا) انتم لهؤلاء (اشهدوا بانامسلمون) اى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان اباسفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها اباسفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراءه فاذافيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى امابعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسين وياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الاالله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانامسلمون لفظ الحديث احد روايات البخارى وقد اخرجه بالطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفى رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبدالله بن اريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى اتباع عبدالله بن اروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك ❊ قوله عزوجل (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ماكان ابراهيم الايهوديا وقالت النصارى ماكان ابراهيم الانصرانيا فانزل الله فيهم ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (وماانزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لمااختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأالله عزوجل ابراهيم ممادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمأة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وستمأة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابرهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واورد على هذا التأويل ان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ماادعيتم فى ابراهيم انه كان حنيفامسلما واجيب عنه بان الله عزوجل اخبر فى القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا اونصرانيا فصح وثبت ماادعاه المسلمون وبطل ماادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (افلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يامعشر اليهود والنصارى حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها انتم هؤلاء) ها التنبيه وهو موضع النداء يعنى ياهؤلاء والمراد بهم اهل الكتابين يعنى يامعشر اليهود والنصارى (حاججتم) اى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم)يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وانزل عليكم بيانه فى امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه

آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) بالانقطاع عماسواه والتمسك بالتوحيد الحقيقى (فقد هدى الى صراط مستقيم) اذالصراط المستقيم هو طريق الحق تعالى كما قال ان ربى على صراط مستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) فى بقايا وجودكم فان حق اتقائه هو ان يتقى كما يجب ويحق وهو الفناء فيه اى اجعلوه وقاية لكم فى الحذر عن بقايا ذواتكم وصفاتكم فان فى الله خلفا عن كل مافات (ولاتموتن الا وانتم مسلمون) الاعلى حال اسلام الوجوه له اى ليكن موتكم هو الفناء فى التوحيد (واعتصموا بحبل الله جميعا) اى بعهده فى قوله الست بربكم مجتمعين على التوحيد (ولا تفرقوا) باختلاف الاهواء فان التفرق عن الحق انما يكون باختلاف المبادئ واتباع الهوى وتجاذب القوى والموحد عنها بمعزل اذ نور قلبه بنور الحق واستنارت

ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا اونصرانيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم عليه من الدين (وانتم لاتعلمون) يعنى ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم برئ من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا) يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحدو يختتن ويضحى ويستقبل الكعبة فى صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل (وماكان من المشركين) يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له * قوله عز وجل (ان اولى الناس بابراهيم) يعنى اخصهم به واقربهم منه (للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا فى زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى هذه الامة الاسلامية (والله ولى المؤمنين) يعنى بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى ابى وخليل ربى ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين اخرجه الترمذى وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابى طالب واناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لايدخل عليهم احد ولايخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قال وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لايسجدون لك ولايحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالا فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك خرب الله تعالى فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال الاتسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الاترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشى مامنعكم ان تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من اتانى من الآفاق قالوا نسجد الله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد

نفسه من فيض القلب فتسالمت القوى وتصادقت (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى التوحيد المفيد للمحبة فى القلوب (اذ كنتم اعداء) لاحتجابكم بالحجب النفسانية والغواشى الطبيعية بعداء عن النور والمقاصد الكلية التى تقبل الشركة وتزال بالاتفاق فى مهوى الظلمة (فألف بين قلوبكم) بالتحاب فى الله لتنور بنوره (فأصبحتم بنعمته اخوانا) فى الدين اصدقاء فى الله (وكنتم على شفا حفرة من النار) هى مهوى الطبيعة الفاسقة ومحل الحرمان والتعذيب (فأنقذكم منها) بالتواصل الحقيقى بينكم الى سدرة مقام الروح وروح جنة الذات (كذلك يبين الله لكم آياته) بتجليات الصفات اللطيفة والاشراقات النورية (لعلكم تهتدون) الى جماله وتجلى ذاته (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اى ليكن من جملتكم جماعة عالمون عاملون عارفون اولو استقامة

الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا قد ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي ياجعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر مايقذي العين وقال والله مازاد المسيح على ماتقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم اوآذاكم غرم ثم قال ابشروا ولاتخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم فقال عمرو يانجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وانزل الله عزوجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله تعالى (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود

في الدين كشيوخ الطريقة يدعون الى الخير فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يمكن للانسان بحسب النوع من معرفة الحق تعالى والوصول اليه والاضا في مايتوصل به الى المطلق او الكمال المخصوص بكل احد على حسب اقتضاء استعداده الخاص فالخير المدعو اليه اما الحق تعالى واما طريق الوصول * والمعروف كل امر واجب اومندوب في الدين يتقرب به الى الله تعالى والمنكر كل محرم او مكروه يبعد عن الله تعالى ويجعل فاعله عاصيا او مقصرا مذموما فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة ولا مقام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان غير الموحد ربما يدعو الى طاعة غير الله وغير المستقيم في الدين وان كان موحدا ربما امر بما هو معروف عنده منكر في نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف في نفس الامر لكن بلغ مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما كبعض

لو يضلونكم يعني من دينكم ويردونكم الى الكفر (ومايضلون الاانفسهم) لان المؤمنين لايقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (ومايشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم (ياأهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم مافيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وانتم تشهدون) يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لايقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريم التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لاينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وانتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ماتستحقون على كتمان الحق من العقاب * قوله عز وجل (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شئ لانه اول مايواجه منه وانشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

* وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه اي انا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم

المنكرات والتصرف في اموال الناس ويحرم حلالا بل مندوبا كتواضع الخلق ومكافاة الاحسان وامثال ذلك (واولئك هم المفلحون) الاخصاء بالفلاح الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في ارضه (ولاتكونوا) ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعكم على طريقة واحدة (كالذين تفرقوا) واتبعوا الاهواء والبدع (واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) الحجج العقلية والشرعية الموجبة لاتحاد الوجهة واتفاق الكلمة للناس فان للناس طبائع وغرائز مختلفة واهواء متفرقة وعادات وسيرا متفاوتة مستفادة من امزجتهم واهويتهم ويترتب على ذلك فهوم متباينة واخلاق متعادية فان لم يكن لهم مقتدى وامام يحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق نياتهم وعاداتهم واهواؤهم بمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرائس الشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال

يحصل لها اثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك فى قلوب بعض من كان فى ايمانه ضعف * قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اى ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اى وافق ملتكم التى انتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم اى ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) اى الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال فى اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد اى ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى (او يحاجوكم عند ربكم) يعنى الا ان يحاجوكم اى اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اى عند فعل ربكم وقيل او فى قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع احدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله عز وجل لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء)

امير المؤمنين عليه السلام لابد للناس من امام بر او فاجر ولم يرسل نبى الله صلى الله عليه وسلم رجلين فصاعدا الثانى الا وامر احدهما على الآخر وامر الآخر بطاعته ومتابعته ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطراب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة وقال الله مع الجماعة الا ترى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو اليه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ابيضاض الوجه عبارة عن نور وجه

يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل فى اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) اى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) اى بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل (يختص برحمته) يعنى بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعنى من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم)* قوله عز وجل (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية نزلت فى اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الآية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتى اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم فى الدين واخذ ماله باى طريق كان (الا ما دمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الامدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه اودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال وانت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك (ذلك) اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى اخذها منهم باى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعنى اليهود (وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) اى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفى ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من اوفى اى ولكن (من اوفى بعهده) اى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى انزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء

القلب بنور الحق التوجه اليه والاعراض عن الجهة السفلية النفسانية المظلمة وذلك لا يكون الا بالتوحيد والاستقامة فيه بتنور النفس ايضا بنور القلب فتكون الجملة متنورة بنور الله واسوداده ظلمة وجه القلب بالاقبال على النفس الطالبة حظوظها والاعراض عن الجهة النورية الحقية لمصادقة النفس ومتابعة الهوى فى تحصيل لذاتها وذلك انما يكون باتباع السبل المتفرقة الشيطانية (فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم) اى احتجبتم عن نور الحق بصفات النفس الظلمانية وسكنتم فى ظلماتها بعد هدايتكم وتنوركم بنور الاستعداد وصفاء الفطرة وهداية العقل (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) عذاب الحرمان باحتجابكم عن الحق (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) التى هى روح الوصال ونور القدس وشهود الجمال (هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله

فى قوله بعهده راجعة الى الموفى (واتقى) يعنى الكفر و الخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية فى احبار اليهود ورؤسائهم ابى رافع وكنانة بن ابى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيى بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت فى الاشعث ابن قيس وخصم له (ق) عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان قال عبدالله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفى رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندى فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فى نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية واخرجه الترمذى وابو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبدالله بن ابى اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما امر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وايمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى شيأ يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشترى يأخذ شيأ ويعطى شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لا خلاق لهم فى الآخرة) اى لا نصيب لهم فى الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعنى كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) اى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من الذنوب ولا تثنى عليهم بجميل (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس) لكونكم موحدين قائمين بالعدل الذى هو ظله (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) اذ لا يقدر على ذلك الا الموحد العادل لعلمه بالمعروف والمنكر كما مر فى تأويل قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا قال امير المؤمنين عليه السلام نحن النمرقة الوسطى بنا يلحق التأويل والينا يرجع الغالى فيأمرون المقصر بالمعروف الذى يوصله الى مقام التوحيد وينهون الغالى المحجوب بالجمع عن التفصيل وبالوحدة عن الكثرة (وتؤمنون بالله) اى تثبتون فى مقام التوحيد الذى هو الوسط وكذا فى كل تفريط وافراط واعتدال فى باب الاخلاق (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) لكانوا مثلكم (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) لكونهم منقطعين عن اصل القوى والقدر كائنين فى الاشياء بالنفس التى هى محل العجز والشر وانتم معتصمون

ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم امنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال المسبل المنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان الذى لا يعطى شيأ الا منه والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار فقالوا يارسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك * قوله عز وجل (وان منهم) يعنى من اليهود (لفريقا) يعنى طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون) اى يعطفون ويميلون واصل اللى الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (السنتهم بالكتاب) يعنى بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف تلوى لسانه من سنن الصواب بما يأتى به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا ذلك فى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبى صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعنى لتظنوا ان الذى حرفوه وبدلوه من الكتاب الذى انزله الله على انبيائه (وما هو من الكتاب) يعنى ذلك الذى يزعمون انه من الكتاب ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعنى الذى يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا فى كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعنى عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس فى قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك امرنى الله وما بذلك بعثنى فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر اى ما ينبغى لبشر وهو جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الوحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعنى المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لى من دون الله وكيف يدعو الناس

بالله معتصمون به كائنون فى الاشياء بالحق الذى هو منبع القهر فقدرتهم لا تبلغ الاحد الطعن باللسان والخبث والايذاء الذى هو حد قدرة النفس ونهايتها وقدرتكم تفوق كل قدرة بالقهر والاستئصال لاتصافكم بصفات الله تعالى فلا جرم ينهزمون منكم عند المقاتلة ولا ينصرون (ضربت عليهم الذلة) لان العزة لله جميعا فلا نصيب فيها لاحد الا لمن تخلق بصفاته بمحو صفات البشرية كالرسول والمؤمنين الذين هم مظاهر عزته كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن خالفهم فهو معاند لصفة العزة مباين للاعزاء فتلزمه الذلة وتشمله على اى حال تكون الا برابطة ما بينه وبين اهل العزة كقوله (الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذمة وعهد وذلك يكون امرا

الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام مايدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم ربان وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم وينصحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير * وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه * قوله عز وجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ماقالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله * قوله عز وجل (واذ اخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ماوثقوا به على انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه مأخوذ من الانبياء والثاني انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الآية

عارضيا لا اصل له مرتبطا برابطة مجعولة فلا تقابل صفتهم الذاتية اللازمة لهم التي هي الذلة الناشئة من اصل نفوسهم * واستحقوا غضبا شديدا من عند الله لبعدهم واعراضهم عن الحق ولزمتهم المسكنة لانقطاعهم عن الله الى نفوسهم فوكلهم الى انفسهم (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين) اي بالله ثم وصفهم باحوال اهل الاستقامة اي منهم اهل التوحيد والاستقامة (وما تفعلوا من خير فلن يكفروه) اي كل ما يصدر منكم مما يقربكم عند الله يتصل به جزاؤه منه لن تحرموا شيأ منه قال الله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتاني مشيا اتيته هرولة الحديث وقال انا جليس من ذكرني وانيس من شكرني ومطيع من اطاعني اي كما اطاعتموه بتصفية الاستعداد والتوجه نحوه

فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين فى امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم فا كتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال على بن ابى طالب مابعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين ❊ وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف فى القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة لتؤمنن به للذى عندكم فى التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذا استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه ❊ وقوله (ثم جاءكم رسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه فى كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما فى كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوى قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق فى امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى الآية وقال الامام فخر الدين الرازى يحتمل ان يكون هذا الميثاق ماقرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل فى عقولهم لهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعنى قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين قال معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبى لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه

اطاعكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم (والله عليم بالمتقين) بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فيتجلى لهم بقدر زوال الحجاب (مثل ماينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) الفانية ولذاتها السريعة الزوال طلبا للشهوات اورياء اوسمعة فى المفاخر وطلب محمدة الناس لايطلبون به وجه الله وماتهلكه وتفنيه بالكلية من ريح هوى النفس التى فيها بردنيا تكم الفاسدة واغراضكم الباطلة كالرياء ونحوه (كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالشرك والكفر (فأهلكته) عقوبة من الله لظلمهم (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن انفسهم يظلمون) لانه مسبب عن ظلمهم كما قيل مهلا ميداك وكتا وفوك نفخ (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم) بطانة الرجل صفيه وخليصه الذى يبطنه ويطلع عليه اسراره ولا يمكن وجود مثل هذا الصديق الا اذا اتحدا فى المقصد واتفقا فى الدين والصفة متحابين فى الله

وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء باتوافق اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد (واخذتم على ذلكم اصري) اى عهدي والاصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد (قالوا اقررنا) اى قال النبيون اقررنا عا الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان (وانا معكم من الشاهدين) يعني قال الله يامعشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم اوقال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) اى اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فاولئك هم الفاسقون) اى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل (افغير دين الله يبغون) وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر اى فغير دين الله تطلبون يامعشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون (وله اسلم) اى خضع وانقاد (من في السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لاسبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره اونهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع مايقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا * قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين في هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لايبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يامحمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولارب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما انزل علينا) يعني وقل يامحمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره

لا نغرض كما قيل في الا صدقاء نفس واحدة في ابدان متفرقة فاذا كان من غير اهل الايمان فبأن تكون كاشحا احرى ثم بين معاقه واستبطانه العداوة بقوله (لا يألونكم خبالا) الى آخره اذ المحبة الحقيقية الخالصة لا تكون الا بين الموحدين لكونهما ظل الوحدة فلا تكون بين المحجوبين لكونهم في عالم التضاد والظلمة فاين الصفاء والوفاق في عالمهم بل ربما تألفهم الجنسية العامة الانسانية لاشتراكهم في النوع والمنافع والملاذ واحتياجهم الى التعاون فيها فاذا لم تحصل اغراضهم من النفع واللذة تما رشوا وتباغضوا وبطلت الالفة التي كانت بينهم لكونها مسندة عن امر قد تغير اذ النفس منشأ التغير والمنافع الدنيوية لاتبقى بحالها واللذات النفسانية سريعة الانقضاء فلا تدوم المحبة عليها بخلاف المحبة الاولى فانها مستندة الى امر لاتغير فيه اصلا هذا اذا كانت فيما بينهم فكيف اذا كانت بينهم وبين من يخالفهم في الاصل

حرف وبدل (وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) اى وما اوتى النبيون (من ربهم لانفرق بين احد منهم) وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدى انزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها فى البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) اى موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتنا * قوله عزوجل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) يعنى ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) يعنى الذين وقعوا فى الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبرى عن عكرمة فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عزوجل (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت فى اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصارى وطعمة بن ابيرق وحوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبى مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا ان الرسول حق) يعنى وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعنى الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التى بمثلها ثبتت النبوة (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لايوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لايهديهم فى الآخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال فى اول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا قال فى آخرها والله لايهدى القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عم ذلك الحكم فى آخر الآية فقال والله لايهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها (اولئك جزاؤهم) يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم (ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها) اى فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين

والوصف وانى يتجانس النور والظلمة ومن اين يتوافق العلو والسفل فبينهما عداوة حقيقية وتخالف ذاتى لاتخفى آثاره كما بين الله تعالى بقوله (ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم) لامتناع اختفاء الوصف الذاتى قال النبى عليه الصلاة والسلام ما اضمر احد شيأ الا واظهره الله فى فلتات لسانه وصفحات وجهه (وماتخفى صدورهم اكبر) لانه نار وهذا شرار ذاك الاصل وهذا فرعه (قد بينا لكم الآيات) دلائل المحبة والعداوة واسبابهما (ان كنتم تعقلون) اى تفهمون من فحوى الكلام (هاانتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم) بمقتضى التوحيد اذ الموحد يحب الناس كلهم بالحق للحق ويراهم متصلين بنفسه اتصال الاحياء والاقرباء بل اتصال الاجزاء فينظر اليهم بنظر الرحمة الالهية والرأفة الربانية ويعطف عليهم ترحما اذ يراهم اهل الرحمة شغلوا بالباطل وابتلوا بالقدر ولايحبونكم

تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصارى لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية فبعثها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه (واصلحوا) اى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفى حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) اى غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت فى اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعنى باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت فى احد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل فى الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون فى معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدى لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن فان الذى يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال ان اليهود او الكفار او المرتد الذين فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر فى ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها فى حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم فى حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذ ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبرى معنى لن تقبل توبتهم اى مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم على ان المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذى لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى (واولئك هم الضالون) يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا

بمقتضى الحجاب والبقاء فى ظلمة النفس وتضاد الطبع (وتؤمنون بالكتاب) اى بجنس الكتاب (كله) لشمول علمكم التوحيدى ولا يؤمنون للتقيدى بدينهم والاحتجاب بما هم عليه (واذا لقوكم قالوا آمنا) لنفاقهم المستجلب لاغراضهم العاجلة (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) لحقدهم الذاتى وبغضهم الكامن والباقى ظاهر قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا) على ما يبتليكم الله به من الشدائد والمحن والمصائب وتثبتوا على مقتضى التوحيد والطاعة (وتتقوا) استعانة بهم فى اموركم والالتجاء الى ولايتهم (لا يضركم كيدهم شيأ) لان المتوكل على الله الصابر على بلائه المستعين به غيره ظافر فى بغيته غالب على خصمه محفوظ بحسن كلاءة ربه والمستعين بغيره مخذول موكول الى نفسه محروم عن نصرة

هم الذين ضلوا على سبيل الحق واخطؤا منهاجه * قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحرث بن سويد حيا فى الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة فى جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا) اى قدر ما يملاء الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقدمات على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد فى التغليظ لانه تصريح بنفى القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيأ فى الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان الكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله فى تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شئ من ذلك وفيه معناه لو ان الكافر انفق فى الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (اولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فابيت الا الشرك لفظ مسلم * قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعنى الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع فى فعل الخير يقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل فى الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعنى من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا فى هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى

(تخرجوا)

ربه كما قال الشاعر
من استعان بغير الله فى طلب
فان ناصره عجز وخذلان
(ان الله بما تعملون) من المكايد (محيط) فيبطلها ويهلكها وقد قيل اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك فالصبر والتقوى من اجل الفضائل ان لزمتموهما تظفروا على عدوكم (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) الصبر على مضض الجهاد وبذل النفس فى طاعة الله وتحمل المكروه طلبا لرضا الله يكون الا عند التقوى يؤيد الحق وسوره بنور اليقين وثباته بنزول

تخرجوا جواز كاة اموالكم فعلى هذاالقول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعدلانه ترغيب فى اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شئ انفقه المسلم من ماله مما يبتغى به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا وكان احب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تعالى يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالى الى بيرحا وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح او قال ذلك مال رايح ارى ان تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحة افعل يارسول الله فقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى عمه قوله بخ بخ هى كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهى مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح اى ذو ربح وفى الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابى طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب ابى موسى الاشعرى ان يبتاع له جارية من سبى جلولاء يوم فتحت فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبدالله بن عمر ان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت مااعطانى الله تعالى فما كان شئ احب الى من فلانة فقلت هى حرة لوجه الله تعالى قال ولولا انى لااعود فى شئ جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يارسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد بن حارثة فقال يارسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفى رواية كأن زيدا وجد فى نفسه فلما رأى ذلك منه النبى صلى الله عليه وسلم قال اما ان الله قد قبلها وروى ان اباذر نزل به ضيف فقال للراعى ائتنى بخير ابلى فجاء بناقة مهزولة فقال للراعى خنتنى فقال الراعى وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتى اليه ليوم اوضع فى حفرتى وقوله تعالى (وما تنفقوا من شئ) يعنى من اى شئ كان من طيب تحبونه او من خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) اى يعلمه ويجازيكم به * قوله عز وجل (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ماتحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلالا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة

السكينة والطمأنينة عليه والتقوى فى مخالفة امر الحق والميل الى النفع والغنيمة وخوف تلف النفس لاتكون الا عند انكسار النفس تحت قهر سلطان القلب والروح اذ الثبات والوقار صفه الروح والطيش والاضطراب صفة النفس فاذا استولى سلطان الروح على القلب واخذ مملكته عصمه من استيلاء صفات النفس وجنودها عليه فيعشقه القلب ويسكن اليه لنورانيته المحبوبة لذاتها ويتقوى به على النفس وقواها فيهزمها ويكسرها ويدفع غلبتها وظلمتها عن نفسه ويجعلها ذلولا مطيعة مطمئنة اليه فيزول عنها الاضطراب وتتنور بنوره وعند ذلك تنزل الرحمة ويناسب القلب ملكوت السماء فى نورانيتها وقهرها لما تحتها ومحبتها وشوقها لمافوقها وبذلك التناسب يصل بها ويستنزل قواها واوصافها فى افعاله خصوصا عند اهتياجه وانقلاعه عن الجهة السفلية وانقطاعه بقوة اليقين والتوكل الى الجهة العلوية ويستمد من

يعنى ليس الامر على ماتدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذى حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ماليس فيها وابطال قولهم بان النسخ غير جائز ولا هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما فى التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس فى التوراة علم ان الذى اخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعنى كل انواع الطعام اوسائر المطعومات كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرئيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا فى الذى حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هى العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النساء وكان اصل وجعه فيما روى عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفى رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انى لو شئت ان اصرعك فعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى ما قال له الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس فى آخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فى صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقى منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زغاء اى صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون

قوى قهرها على من يغضب عليه فذلك نزول الملائكة واذ اجزع وهلع وتغير وخاف اومال الى الدنيا غلبة النفس وقهرته واستولت عليه وحجبته بظلمة صفاتها عن النور فلم تبق تلك المناسبة فانقطع المدد ولم تنزل الملائكة (وما جعله الله الا بشرى لكم) اى ما جعل الامداد بالملائكة الا لتستبشروا به فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ونجدتكم ونشاطكم فى التوجه الى الحق والتجريد للسلوك (ولتطمئن قلوبكم) فتتحقق الفيض بقدر التصفية والخلف بقدر الترك (وما النصر الا من عند الله) لامن الملائكة ولا من غيرهم فلا تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة ولا بالخلق عن الحق فانها مظاهر لا حقيقة لها ولا تأثير (العزيز) القوى الغالب بقهره (الحكيم) الذى ستر قهره ونصرته بصور الملائكة بحكمته (ليقطع طرفا من الذين كفروا) يقتل بعضهم تقوية للمؤمنين (او يكبتهم) يخزيهم ويذلهم بالهزيمة اعزازا للمؤمنين (فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم) بالاسلام تكثيرا

لسواد المؤمنين (او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) بسبب ظلمهم واصرارهم على الكفر تفريحا للمؤمنين واوقع بين المعطوف والمعطوف عليه فى اثناء الكلام قوله ليس لك من الامر شئ اعتراضا لئلا يغفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى لنفسه تأثيرا فى بعض هذه الامور فيحتجب عن التوحيد ولا يزول وتغير شهوده فى الاقسام كلها اى ليس لك من امرهم شئ كيفما كان انت الا بشر مأمور بالانذار ان عليك الا البلاغ انما امرهم الى الله (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون وتقوا النار التى اعدت للكافرين واطيعوا الله الرسول لعلكم ترحمون) اى توكلوا على الله فى طلب الرزق فلا تكسبوه بالربا فانه عليكم كما يجب عليكم التوكل لديه فى طلب الفتح وجهاد العدو لئلا تحجبوا بكلاءة الله وحفظه واعلموا ان جزاء المرابى هو جزاء الكافر

العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء ان يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل ثم استثنى ماحرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما على بنى اسرائيل اماقوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام حلالا لبنى اسرائيل على نفسه اما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا فى حال هذا الطعام المحرم على بنى اسرائيل بعد نزول التوراة فقال الذى حرم الله عليهم فى التوراة ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافانى الله تعالى لا يأكله ولد ولم يكن ذلك محرما عليهم فى التوراة وقال الكلبى لم يحرمه الله فى التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله فى التوراة وانما حرموا على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة) يعنى قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة (فاتلوها) اى فاقروها ومافيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فرى الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له الوجود (من بعد ذلك) اى من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فاولئك هم الظالمون) اى هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما بقى عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التى كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعنى قل صدق الله يا محمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله فى قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بنى اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله فى ان سائر الاطعمة كانت محللة على بنى اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهى الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذى عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) اى لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه * قوله عز وجل (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون

بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم
اكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال
تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة
ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليتفرع عليها ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس
الاول هو الفرد السابق المتقدم على ماسواه وقيل هو اسم للشئ الذي يوجد ابتداء سواء حصل
عقيبه شئ آخر اولم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع للناس اى وضعه الله موضعا للطاعات
والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه
وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف
اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه للناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته
الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واضافته الى الناس فلأنه يشترك فيه
جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين
الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما
انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير
سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اى يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن على الباقر
ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها ولم يقصدها جبار
بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبدالله بن الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول
العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا مص كل مافيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اى
تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها اولان
الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت
الارض واختلف العلماء في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول
في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارضين وفي رواية
عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيأ من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على
وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه
الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو اول بيت بنى
على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضي الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش
بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا
في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به
كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام وكانوا
يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن
عباس هو اول بيت بناه آدم في الارض قيل ان آدم لما اهبط الارض استوحش وشكا الوحشة
فامره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان
الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت اكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه
السلام فامره ببنائه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا

(وهدى)

فاحذروه لكونه محجوبا عن
افعاله تعالى كما ان الكافر
محجوب عن صفاته وذاته
والمحجوب غير قابل للرحمة
وان اتسعت فارفعوا الحجاب
بالطاعة وترك المخالفة كي
تدرككم رحمة الله (وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض)
ستر افعالكم التي هي حجابكم
عن مشاهدة افعال الحق
بافعاله تعالى فانما حرمتم عن
التوكل وجنة عالم الملك التي
هي تجلى الافعال برؤية
افعالكم اى الى مايوجب ستر
افعالكم بافعاله وجنة الافعال
من الطاعات بعد كما ورد اعوذ
بعفوك من عقابك ولان
المراد بالجنة هاهنا جنة الافعال
وصف عرضها بمساواة
عرض السموات والارض
اذ توحيد الافعال هو توحيد
عالم الملك وانما قدر طولها
لان الافعال باعتبار السلسلة
العرضية وهي توقف كل فعل
على فعل آخر تنحصر في عالم
الملك الذي يتقدره الناس
واما باعتبار الطول فلا
تنحصر فيه ولا يقدرها اذ
الفعل مظهر الوصف
والوصف مظهر الذات فلا
نهاية له ولا حدة فالمحجوبون
عن الذات والصفات

ويدل عليه سياق الآية وهوقوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى ان رجلا قام الى على بن ابى طالب فقال الاتخبرنى عن البيت اهو اول بيت وضع فى الارض قال لاقد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو اول مسجد عبدالله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة واصل البركة النمو والزياد وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعنى انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته ❊ قوله تعالى (فيه آيات بينات) اى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا فى تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى مايدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة فى الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لاتؤذى بعضها فى الحرم حتى الكلاب لاتهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وماقصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التى فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التى فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والبانى هو ابرهيم الخليل والمساعد فى بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت ❊ قوله تعالى (مقام ابرهيم) يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من ان يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل فى معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابوحنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق

رون الاعرض هذه الجنة واما البارزون لله الواحد القهار فعرض جنتهم عين طولها ولاحد لطولها فلا يقدر قدرها طولا ولا عرضا (اعدت للمتقين) الذين يتقون حجب افعالهم وشرك نسبة الافعال الى غير الحق (الذين ينفقون فى السراء والضراء) لانعدام الاحوال المضادة عن الانفاق لصحة توكلهم على الله برؤية جميع الافعال منه (والكاظمين الغيظ) لذلك ايضا اذ يرون الجناية عليهم فعل الله فلا يعترضون ولو لم يغيظوا لكانوا فى مقام الرضا وجنة الصفات (والعافين عن الناس) لما ذكرنا ولتعودهم بعفوه تعالى عن عقابه (والله يحب المحسنين) الذين يشاهدون تجليات افعاله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة) كبيرة من الكبائر وبرؤية افعالهم صادرة عن قدرتهم (او ظلموا انفسهم) نقصوا حقوقها بارتكاب الصغائر وظهور انفسهم فيها (ذكروا الله) فى صدور افعالهم برؤيتها واقعة بقدرة الله وتبرأوا عنها اليه لرؤيتهم ابتلاءه

عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه فى الحرم واجمعوا على انه لو قتل فى الحرم اوسرق اوزنى فانه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الآية ومن دخله معظماله متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك ❊ قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) اى ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

﴿ فصل ﴾ فى فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاء تا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان النبى عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل فى كل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزى المكى قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفى لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذى وقال غفر له ماتقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة ومامن مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن

ايام بها (فاستغفروا لذنوبهم) طلبوا ستر افعالهم التى هى ذنوبهم بأفعاله بالتبرى عن الحول والقوة اليه (ومن يغفر الذنوب) اى وجودات الافعال (الا الله) اى علموا ان لا فاعل الا هو (ولم يصروا على ما فعلوا) فى غفلتهم وحالة ظهور انفسهم بل تابوا ورجعوا اليه فى افعالهم (وهم يعلمون) ان لا فعل الا الله (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) بمقتضى توحيد الافعال (قد خلت من قبلكم سنن) بطشات ووقائع بما سمه الله فى افعاله بالذين كذبوا بالانبياء فى توحيد الافعال (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فى آثارها فتعلموا كيف كان عاقبتهم (هذا) الذى ذكر (بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) من علم توحيد الافعال وتفصيل المتقين الذين هم اهل التمكين فى ذلك والتائبين الذين هم اهل التلوين والمصرين

مسلم يلبي الالبي ماعن يمينه وشماله من حجر او شجر اومدر حتى تنقطع الارض من هها وهها وقال الترمذى هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذى هذا حديث غريب

﴿ فصل ﴾ فى احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والآخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر فى الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع مارواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء فى قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثنى من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باى وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج وتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثانى لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون فى وقت جرت العادة بخروج اهل البلد فى ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم اوكافر اورصدى يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او غارت مياها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي اولم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك

المحجوبين عنه المكذبين به وزيادة هدى وكشف عيان وتثبت واتعاظ للذين اتقوا رؤية اعمالهم او هدى لهم الى توحيد الصفات والذات (ولا تهنوا) فى الجهاد عند استيلاء الكفار (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الفتح وما جرح واستشهد من اخوانكم (وانتم الاعلون) فى الرتبة لقربكم من الله وعلو درجتكم بكونكم اهل الله (ان كنتم مؤمنين) موحدين لان الموحد يرى ما يجرى عليه من البلاء من الله فأقل درجاته الصبر ان لم يكن رضا بتقوى به فلا يحزن ولا يهن (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا) الوقائع وكل ما يحدث من الامور العظيمة سمى يوما واياما كما قال تعالى وذكرهم بايام الله وقدمر تفسير ليعلم الله من ظهور العلم التفصيلى التابع لوقوع المعلوم (ويتخذ منكم شهداء) الذين يشهدون الحق فيذهلون عن انفسهم اى نداول الوقائع بين

واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ماروى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين ❊قوله تعالى (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غنى عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ❊ قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجا) يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء (وانتم شهداء) قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله

الناس لامور شتى وحكم كثيرة غير مذكورة من خروج ما في استعدادهم الى الفعل من الصبر والجلد وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها وقمعها وغير ذلك ولهذين العلتين المذكورتين ولتخليص المؤمنين من الذنوب والغواشي التي تبعدهم من الله بالعقوبة والبلية اذا كانت عليهم ومحق الكافرين وقهرهم وتدميرهم اذا كانت لهم وقد اعترض بين العلل قول (والله لا يحب الظالمين) ليعلم ان من ليس على صفة الايمان والشهادة وتمحيص الذنوب وقوة الثبات لكمال اليقين بل حضر القتال لطلب الغنيمة او لغرض آخر فهو ظالم والله لا يحبه (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) كل من لم يكن يقينه ملكة بل كان خطرات فهو في بعض احواله يتمنى امورا ويدعى

والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قبطي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقوله (ومن يعتصم بالله) اي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدي الى صراط مستقيم) اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة * قوله عز وجل

احوالا بحسب نفسه دائما وكذلك حال غير اليقين وعند اقبال القلب هو صادق مادام موصوفا بحاله اما في غير تلك الحالة وعند الادبار فلا يبقى من ذلك اثر وكذا كل من لم يشاهد حالا ولم يمارسه ربما تماه لتصوره في نفسه وعدم تضرره به حال التصور اما في حال وقوعه وابتلائه فلا يطيق تحمل شدائده كما حكي عن سمنون المحب رحمه الله لما قال في ابياته * فكيفما شئت فاختبرني * فابتلي بالاسر فلم يطق فكان يتردد في الطريق ويرضخ الى الصبيان ما يلعبون به كالجوز ويقول ادعوا على عمكم الكذاب وفي هذا المعنى قال الشاعر

واذا ما خلا الجبان بارض
طلب الطعن وحده والنزالا

فلا يلتفت بحال الا اذا صار مقاما ولا يعتبر مقاما الا اذا امتحن في مواطنه فاذا خلص من الامتحان فقد صح وهذا احد فوائد مداولة الايام بينهم ليتمرنوا بالموت ويتقوى يقينهم ويتوفر صبرهم ويتحقق

(ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة فى الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت افلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه فى بنى قريظة وقال الخزرجى منا اربعة احكموا القرآن ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبى صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذكم فى الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم عن انس قال لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعنى واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء فى هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى فى سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى والقول الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك الحال مرفوع عنه كذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما انعم الله به عليه بالبال واما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على اسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا فى الحقيقة نهى عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم تحسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل (واعتصموا

مقامهم بالمشاهدة كما قال (فقد رأيتموه) من قتل اخوانكم بين ايديكم (وانتم تنظرون) تشاهدون ذلك وفيه توبيخ لهم على ان يقينهم كان حالا لا مقاما ففشلوا فى المواطن (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) اى انه رسول بشر سيموت او يقتل كحال الانبياء قبله فمن كان على يقين من دينه فبصيرة من ربه لا يرتد بموت الرسول وقتله ولا يفتر عما كان عليه لانه يجاهد لربه لا للرسول كأصحاب الانبياء السالفين وكما قال انس عم انس بن مالك يوم احد حين ارجف بقتل رسول الله عليه السلام وشاع الخبر وانهزم المسلمون وبلغ اليه تقاول بعضهم ليت فلانا يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقول المنافقين لو كان نبيا ما قتل ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء

بحبل الله جميعا) اى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه وفى افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا وانى تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى امر به وان ماتكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا مايكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى انتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لايكون الا واحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوى بسنده عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت آخى بنى عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له الى حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن وما معى افضل من هذا قرآن انزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيس انس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله قد بعثنى الله الى العباد ادعوهم الى ان لايشركوا بالله شيأ وانزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اى

ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) انما اضر نفسه بنفاقه وضعف يقينه (وسيجزى الله الشاكرين) لنعمة الاسلام كأنس ابن النضر واضرابه من الموقنين (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) فمن كان موقنا شاهد هذا المعنى وكان من اشجع الناس كما حكى حاتم بن الاصم عن نفسه انه شهد مع الشقيق البلخى رحمهما الله بعض غزوات خراسان قال فلقينى شقيق وقد حمى الحرب فقال كيف تجد قلبك ياحاتم قلت كما كان ليلة الزفاف بين الحالين فوضع سلاحه وقال اما انا فهكذا ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمعت غطيطه وهذا غاية فى سكون القلب الى الله ووثوقه به لقوة اليقين (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا

قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابوالحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عزوجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالى اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عزوجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عزوجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبدالقيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبه وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهو العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لايشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولايعصينك فى معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عزوجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفهمهم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد ابن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبدالاشهل وهما بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما

على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله موليكم وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) جعل القاء الرعب فى قلوب الكفار مسببا عن شركهم لان الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات فى قوى النفس من وقوع ظل الوحدة عليها عند تنورها بنور القلب المنور بنور الوحدة فلا تكون تامة حقيقة الا للموحد الموقن فى توحيده واما المشرك فلانه محجوب عن منبع القوة والقدرة بما اشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم لامكانه الخفى الوجود الضعيف الذى لم يكن له بحسب نفسه قوة ولا وجود ولاذات فى الحقيقة ولم ينزل الله بوجوده حجة لوجوده اصلا لتحقق عدمه بحسب ذاته فليس له الا العجز والجبن وجميع

جالسان فى الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى انفسكما حاجة قال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال مااحسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله مارايت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ماأراك اغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليه متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ماكان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ذلك انه كان فيهم ابوقيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهو بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا

الرذائل اذ لا يكون اقوى من معبوده وان اتفقت له دولة او صولة او شوكة فشئ لا اصل له ولا ثبات ولا بقاء كنار العرفج مثلا كانت دولة المشركين (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) اى وعدكم النصر ان تصبروا وتتقوا فما دمتم على حالكم من قوة الصبر على الجهاد

نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعونا الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني النجار واسما بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناهما كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم والهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل ترون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول

وتيقن النصر والثبات على اليقين واتفاق الكلمة بالتوجه الى الحق والاتقاء عن مخالفة الرسول وميل النفوس الى زخرف الدنيا والاعراض عن الحق مجاهدين لله لا للدنيا كان الله معكم بالنصر وانجاز الوعد وكنتم تقطعونهم باذنه وتهزمونهم (حتى اذا فشلتم) اي جبنتم بدخول

الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ماحى من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ماكان من هذا شئ وماعلماه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كانى اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوه اباجابر امايستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الى قال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لاارددهما قال والله ياابا صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعنى يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم اعداء يعنى قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا يعنى فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يامعشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار الا ان تموتوا على كفركم (فانقذكم منها) اى فخلصكم بالايمان من الوقوع فى النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام فى قوله ولتكن لام الامر اى لتكن منكم امة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر امابيده او بلسانه او بقلبه (م) عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان فى الامة من لايقدر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجز اوضعف فحسن ادخال لفظ من فى قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وقيل ان الامر

الضعف فى يقينكم وفساد استعدادكم فى حق نفسه بتجويز غلوله فى الغنيمة (وتنازعتم) فى امر الحرب بعد الاتفاق وما صبرتم عن حظ الدنيا وعصيتم الرسول بترك ما امركم به من ملازمة المركز وملتم الى زخرف الدنيا (فى الامر وعصيتم من بعدما اراكم ماتحبون)

بالمعروف والنهى عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذى فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا اهلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا والخير المذكور فى الآية هو كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن فى الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب فى فعل ماينبغى وهو الامر بالمعروف والثانى الترغيب فى ترك مالا ينبغى وهو النهى عن المنكر فذكر الحسن اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة فى البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ماعرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (واولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره * قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعنى ولا تكونوا يامعشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فى قول اكثر المفسرين واختلفوا فى دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا فى دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع فى هذه الآية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا او يختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبدالله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت اديم السماء وخير قتيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدى وقال ان بارضى منهم كثيرا وفى رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذى عن ابى غالب قال راى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابى امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الامرة اومرتين او ثلاث مرات اواربع مرات حتى عد سبعا ماحدثكموه وقال فيه هذا حسن * وقوله تعالى (من بعد ماجاءهم البينات) يعنى الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل فى التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (واولئك لهم عذاب عظيم) يعنى لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم فى الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصله ان الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحد من العرا ربقة وروى البغوى بسنده عن

من الفتح والغنيمة وحان زمان شكركم لله وشدة اقبالكم عليه فذهلتم عنه فكان اشرفكم يريد الآخرة والباقون يريدون الدنيا ولم يبق فيكم من يريد الله منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم) بما فعلتم

عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد
* قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ماقدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ماقدم من قبيح عمل وسيآت حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكدرته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب يعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجود وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا اسوداد وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن ابي ابن كعب انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهم اهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لانالهم اختلجوا دوني فاقول اى رب اصحابي فيقال انك لاتدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دوني فلأقولن اى رب اصحابي اصحابي فيقال لى لاتدرى مااحدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابي اوقال من امتي فيحلون عن الحوض فاقول يارب اصحابي فيقول انه لاعلم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن

فكان الابتلاء لطفا بكم وفضلا (والله ذوا فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم) في الاحوال كلها اما بالنصرة واما بالابتلاء فان الابتلاء فضل ولطف خفي اعلموا ان احوال العباد جالبة لظهور اوصاف الحق عليهم فما

ابى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على لما ساروا الى الخوارج فقال على ايها الناس انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفى رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الخوارج شيأ قال سمعته يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم فى الاعتقاد (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فايؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فايعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرا يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة * وقوله تعالى (واما الذين ابيضت وجوههم) يعنى المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففى رحمة الله) يعنى ففى جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لايدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل انما كرر كلمة فى لان فى كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم فى رحمة الله وانهم فى الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعنى القرآن وقيل هذه الآيات التى تقدمت (نتلوها عليك بالحق) اى بالمعنى الحق لان المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى لايعاقب احدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة فى قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اخبر انهم وانما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لايظلم احدا من خلقه (ولله ما فى السموات وما فى الارض) لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لاحاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا او عزا او سلطانا او ليتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له ما فى السموات وما فى الارض وان جميع ما فيهما ملكه واهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفى قبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يعنى واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصى فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم * قوله عز وجل (كنتم خير امة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبدالله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم

اعدوا له نفوسهم موهوب لهم من عندالله كما مر فى قوله مطيع من اطاعنى كما يكونون مع الله يكون الله معهم ولئلا يسأموا الى الاحوال دون المسالكات وليقرنوا بالصبر على الشدائد والثبات فى المواطن ويتمكنوا فى اليقين ويجعلوه ملكاتهم ومقاما ويتحققوا ان الله لايغير

ودينا خير من دينكم الذى تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف فى لفظة كان فقيل هى بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة وهى عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم فى علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين فى الامم الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم فى اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم منذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم فى دنياكم خير امة فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم اى صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس فى قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال انتم فكنا كلنا ولكن فى خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادرى اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد فى رواية ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرنى يعنى اصحابى والقرن اهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذى يقترن فيه اهل ذلك الزمان فى اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس فى رواية عطاء فى قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام فى كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام فى حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع

ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولا يميلوا الى الدنيا وزخرفها ولا يذهلوا عن الحق ولا يبيعوه بالدنيا والآخرة وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحصوا عن ذنوبهم وينالوا درجة الشهادة برفع الحجب خصوصا حجاب محبة النفس فيلقوا الله طاهرين ولهذا قال ولقد عفا عنكم اذ الابتلاء

امتى اوقال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار اخرجه الترمذى عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتى امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتى كمثل المطر لايدرى آخره خير ام اوله اخرجه الترمذى وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا انهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابى بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفا اوسبعمائة الف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى ان يدخل من امتى الجنة سبعون الفا لاحساب عليهم ولاعذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربى اخرجه الترمذى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى * وقوله تعالى (اخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير امة اخرجت (خ) عن ابى هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى اعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) اى وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر فى هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط فى هذا الحكم لانه مالم يوجد الايمان لم يصر شئ من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا

كان سبب العفو (فأثابكم غما بغم) اى صرفكم عنهم فجازاكم غما بسبب غم لحق رسول الله من جهتكم بعصيانكم اياه وفشلكم وتنازعكم او غما بعد غم اى غما مضاعفا لتتمرنوا بالصبر على الشدائد والثبات فيها وتتعودوا رؤية الغلبة والظفر والغنيمة وجميع الاشياء من الله لامن انفسكم فلا (لكى لا تحزنوا على ما

السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ذكر الايمان * وقوله تعالى
(ولو آمن اهل الكتاب) يعنى ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين
الذى جاء به (لكان خيرا لهم) يعنى مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك
حب الرياسة واستتباع العوام ولو انهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة فى الدنيا والثواب العظيم
فى الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعنى من اهل الكتاب (المؤمنون) يعنى عبد الله
بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشى واصحابه الذين اسلموا من النصارى (واكثرهم
الفاسقون) اى المتمردون فى الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا فى دينه وهؤلاء مع كفرهم
فاسقون * قوله عز وجل (لن يضروكم الا اذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود
عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن
يضروكم الا اذى يعنى لن يضركم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعنى باللسان من طعنهم
فى دينكم او تهديد او القاء شبهة وتشكيك فى القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم (وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار) يعنى منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعنى لا يكون لهم النصر عليكم
بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم
ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر
ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل وقال تعالى (ضربت عليهم الذلة)
يعنى جعلت الذلة ملصقة بهم كالشئ يضرب على الشئ فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم
وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى فى اليهود
ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون فى جميع البلاد (اينما ثقفوا) اى حيثما وجدوا
وصودفوا (الا بحبل من الله) يعنى الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل
من الناس) يعنى المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه
الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب
يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعنى رجعوا بغضب من الله واستوجبوه
وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا فى غضب من الله وحلوا فيه (وضربت
عليهم المسكنة) يعنى كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون فى المسكنة غير خارجين منها
قال الحسن المسكنة هى الجزية وذلك لان الله تعالى اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على
انها باقية عليهم والباقى عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هى الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو
ان اليهودى يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من
ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب اى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك الذى نزل بهم بسبب عصيانهم الله
عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل * قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس
لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا
ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفى قوله ليسوا سواء قولان

فاتكم) من الحظوظ والمنافع
(ولا ما اصابكم والله خبير
بما تعملون) من الغموم
والمضار (ثم انزل عليكم من
بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة
منكم وطائفة) خلى عنكم الغم
بالامن والقاء النعاس على
الطائفة الصادقين دون
المنافقين الذين (قد اهمتهم
انفسهم يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية يقولون هل

احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لايستوى اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثانى ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه * وقوله (من اهل الكتاب امة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغنى عن ذكر الآخر قال ابو ذؤيب

دعانى اليها القلب انى امرؤلها * مطيع فلا ادرى ارشد طلابها

اراد ان غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لاحاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اى مهدية قائمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عزوجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) اى يقرؤن كتاب الله عزوجل (آناء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لاتكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لايصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عزوجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت فى اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير مايصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لايحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفته محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخيرات) اى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب فى امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (واولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) اى من جملة الصالحين الذين صلحت

لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك يقولون لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قل لوكنتم فى بيوتكم) لانفس الرسول ولا الذين وافقوا علامة للعفو (لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) لقوله ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا

احوالهم عندالله عزوجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضدالفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات وا كمل المقامات وقيل يحتمل ان يراد بالصالحون المسلمون والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين * قوله عزوجل (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبدالله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فاخبرالله تعالى انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل الخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وماتفعلوا من خير ايها المؤمنون فلن تكفروه اى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لايفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى * قوله عزوجل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) قال ابن عباس يريد بنى قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عزوجل لن تغنى عنهم اموالهم وقيل نزلت فى مشركى قريش فان اباجهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابوسفيان مالا كثيرا فى يومى بدر واحد على المشركين وقيل ان الآية عامة فى جميع الكفار لان اللفظ عام ولادليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى اى تدفع عنهم اموالهم بالفدية او افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لاينفعه شئ من ذلك فى الآخرة ولامخلص له من عذاب الله وهو قوله (واولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) لايخرجون منها ولايفارقونها قوله عزوجل (مثل ماينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) قيل اراد نفقة ابى سفيان واصحابه ببدر واحد فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم فى الدنيا وقيل اراد نفقة المرائى الذى لايريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا اولمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق فى الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لايريد بما انفق وجه الله تعالى فانه لاينتفع بنفقته فى الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد والوجه الثانى ان الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانبارى من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والقصور منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهى مهلكة اوحر فهى مهلكة ايضا (اصابت) يعنى الريح التى فيها صر (حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا انفسهم) يعنى بالكفر والمعاصى

فى كتاب من قبل ان نبراها (وليبتلى الله مافى صدوركم) اى وليمتحن مافى استعدادكم من الصدق والاخلاص واليقين والصبر والتوكل والتجرد وجميع الاخلاق والمقامات ويخرجها من القوة الى الفعل (وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) اى وليخلص ما برز منها من مكمن الصدر

ومنع حق الله فيه (فاهلكته) يعنى فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار فى ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض تشبيه ماانفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذى هلك بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ماحصلت فيه المشابهة بين ماهو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ماحصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر فى اهلاك ماينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثانى مثل ماينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ماينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعنى بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن انفسهم يظلمون) يعنى انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عزوجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر فى سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لاتتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعارى ودثارى والشعار الذى يلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على مالا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لاتتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اى لاتتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لاتتخذوا اولياء ولا اصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهى عن مباطنتهم فقال تعالى (لايألونكم خبالا) يعنى لايقصرون ولايتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ماعنتم) اى يودون عنتكم وهو مايشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من افواههم) اى ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار المؤمنين (وماتخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيظ (اكبر) اى اعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون)

الى مخزن القلب من عثرات وساوس الشيطان ودناءة الاحوال وخواطر النفس فعل ذلك فان البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده اليه بتصفيتهم عن صفات نفوسهم واظهار مافيهم من الكمالات وانقطاعهم عنده من الخلق ومن النفس الى الحق ولهذا كان متوكلا بالانبياء ثم الاولياء وقال

مابين لكم فتتعظون به * قوله تعالى (هاانتم) ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور (اولاء) اسم للمشار اليهم فى قوله (تحبونهم) والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولايحبونكم) يعنى اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولايحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لاتعلمون مافى قلوبهم ولايحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولايحبونكم اى لايفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى وهم لايؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقوله كثر الدرهم فى ايدى الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لايؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعنى ان الذين وصفهم فى هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) اى خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع انملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله ومالهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل مايحصل فى قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو يسرونه فى قلوبهم * قوله عز وجل (ان تمسسكم) اى تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل مايصل الى شئ ماساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اى اصابه (حسنة) المراد بالحسنة ههنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) اى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) اى مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم اوغدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) اى بما اصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله ومانالكم فيها من شدة (وتتقوا) اى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا مانهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لايضركم) اى لاينقصكم (كيدهم) اى عداوتهم ومكرهم (شيأ) اى لانكم فى عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) اى عالم بجميع ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لفضله ما اوذى نبى مثل مااوذيت كانه قال ماصفى نبى مثل ماصفيت ولقد احسن من قال
لله در النائبات فانها * صدا اللئام وصيقل الاحرار *
اذ لايظهر على كل منهم الاما فى مكمن استعداده كما قيل عند الامتحان يكرم الرجل او يهان (ان الذين تولوا منكم

حافظ لايعزب عنه شئ منه * قوله عز وجل (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين ان هذا كان فى يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبدالله بن ابى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبدالله بن ابى واكثر الانصار يارسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يارسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض اصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا انا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولتها هزيمة ورأيت انى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ماصنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يارسول الله اصنع ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله فى جانب الوادى وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبدالله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينوكم وولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبدالله بن ابى ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ماقاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبدالله بن ابى ابن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقى مع رسول الله صلى الله

يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان) اى طلب منهم الزلة ودعاهم اليها وهى الزلة التولى (ببعض ما كسبوا) من الذنوب فان الشيطان انما يقدر على وسوسة الناس وانفاذ امره اذا كان له مجال بسبب ادنى ظلمة فى القلب حادثة من ذنب وحركة من النفس كما قيل الذنب بعد الذنب

عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى
المؤمنون انهزام المشركين طمعوا فى ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله ان يقطعهم عن هذ الفعل لئلا يقدموا على مثله
من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله
وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين
فانهزم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلى
والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان
من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك اى واذكر اذ غدوت من اهلك
يعنى من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضى الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على
انها من اهله تبوئ المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواضع ومواطن للقتال وقيل
تتخذ عسكرا للقتال (والله سميع) يعنى لاقوالكم (عليم) يعنى بنياتكم ومافى ضمائركم * قوله
عزوجل (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) اى تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف
رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابى
لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا (والله وليهما)
اى ناصرهما وحافظهما ومتولى امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشئ
والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف
مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس هنا اولى
والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله
لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق)
عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما اخرجتهم من ولاية الله
تعالى * وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا
اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض
الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا
امرهم الا اليه * قوله عزوجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة
معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين
منته عليهم بالنصر يوم بدر (وانتم اذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين

الاول (ولقد عفا الله عنهم)
بالاعتذار والندم (ان الله
غفور حليم يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا فى الارض
او كانوا غزى لو كانوا
عندنا ما ماتو وما قتلوا
ليجعل الله ذلك حسرة
فى قلبهم) اى يجعل ذلك
القول والاعتقاد ضيقا

كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعني بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته * قوله عز وجل (اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف كما ذكرها (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا اومددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف رده للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة آلاف وكانوا قد امدوا بالف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني ان هذا الوعد بانزال الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل اتاه به فنثره وقال ارم اباسحق ارم اباسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وايضا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن احتجاج

وضنكا وغما في قلوبهم لرؤيتهم القتل والموت مسببا عن فعل ولو كانوا موقنين موحدين لرأوا انه من الله فكانوا منشرحي الصدور (والله يحيي) من يشاء في السفر والجهاد وغيره (ويميت) من يشاء في الحضر وغيره (والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة

الاول لهذا القول بان الله تعالى امدهم يوم بدر بالف كما ذكر فى سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثانى وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفى يوم احد كانوا ثلاثة آلاف فانزل الله ثلاثة آلاف بان هذا تقريب حسن والله ان يزيد ماشاء فى اى وقت شاء ولهذا قال عكرمة فى قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ويتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال ههنا واشار الى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن انس رضى الله عنه قال كانى انظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عبد الله بن ابى اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال او ضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبرى واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة فى الآية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة فى ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما فى سورة الانفال واما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ماتيل منهم فان قلت قد صح بحديث سعد بن ابى وقاص المتقدم فى يوم احد وانه رأى ملكين عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولا ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر ان ينصركم فى سائر المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له امده امداد او ما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد فى الشر والامداد فى الخير بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على اثبات بلى تصديق لو عد الله اى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما

من الله ورحمة) اى لنعيمكم الاخروى من رحمة الافعال ورحمة الصفات خير لكم من الدنيوى لكونكم عاملين للآخرة و (خير مما يجمعون ولئن متم اوقتلتم لالى الله تحشرون) لكان توحيدكم لخالكم بما بعد الموت احسن من حالكم قبله (فبما رحمة من الله) اى فبما تعاملك برحمة

بعد ان يعني يكفكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اى على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يجئ للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير الف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جُبير بن مطعم عن على بن ابى طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى الفين من الملائكه وكانوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف فى سورة الانفال وذكرهنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسومين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفونى اننى انا ذلكم * شاكى سلاح فى الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا فى تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال على وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبى كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ فى نواصى خيلهم واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوى بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال * قوله تعالى (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدد (الا بشرى لكم) يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) اى ولتسكن (قلوبكم به) اى فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض

رحيمة اى رحمة تامة كاملة وافرة هى صفة من جملة صفات الله تابعة لوجودك الموهوب الالهى لا الوجود البشرى (لنت لهم ولو كنت فظا) موصوفا بصفات النفس التى منها الفظاظة والغلظ (غليظ القلب لانفضوا من حولك) لان الرحمة الالهية الموجبة لمحبتهم اياك تجمعهم (فاعف

من الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اى ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (او يكبتهم) اصل الكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) اى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى املوه من الظفر بكم ❊ قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن ابى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة اراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من امر مصالح عبادى شئ الا ما اوحى اليك فان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك

عنهم) فيما يتعلق بك من جناياتهم لرؤيتك اياه من الله بنظر التوحيد وعلو مقامك من التأذى بفعل البشر والغيظ من افعالهم وتشفى الغيظ بالانتقام منهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحق الله لمكان غفلتهم وندامتهم واعتذارهم (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله

مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شئ الا ماوافق امرى انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله اويتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا اويكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر امرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم اويسولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وماسبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله اويعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله مافى السموات ومافى الارض) هذا تأكيد لماقبله من قوله ليس لك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له مافى السموات ومافى الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بمايشاء لامانع له فى حكمه ولامعارض له فى فعله (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لاعلى سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لوادخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولوادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) اراد به ماكانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون مايؤدى قال له صاحب الدين زدنى فى المال حتى اريدك فى الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عزوجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعنى فى اكل الربا فلاتأكلوه (لعلكم تفلحون) اى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكبائر ولهذا عقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) يعنى واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ماحرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية اخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به اونهاكم عنه من اكل الربا وغيره (والرسول) اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين

ان الله يحب المتوكلين) فى امر الحرب وغيره مراعاة لهم واحتراما ولكن اذا عزمت ففوض الامر الى الله بالتوكل عليه ورؤية جميع الافعال والفتح والنصر والعلم بالاصلح والارشاد منه لامنك ولا تشاوره ثم حقق معنى التوكل والتوحيد فى الافعال بقوله (ان ينصركم

غصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولا تعذبوا انه المتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعار بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) اى عرض الجنة (السموات والارض) كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون اكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه فقالوا ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا ان لمثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى ان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذى وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء هى ام فى الارض فقال اى ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه

الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وماكان لنبى ان يغل) لبعد مقام النبوة وعصمة الانبياء عن جميع الرذائل وامتناع صدور ذلك منهم مع كونهم منسلخين عن صفات البشرية معصومين عن تأثير دواعى النفس

وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين ان باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والارض (اعدت للمتقين) اى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عز وجل (الذين ينفقون في السراء والضراء) يعنى في العسر واليسر لايتركون الانفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولافي حال فرح وسرور ولافي حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم في عرس اوحبس فانهم لايدعون الاحسان الى الناس فاول ماذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى احب الى الله تعالى من عابد بخيل اخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلاينفق الاسبغت اووفت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو اثره واما البخيل فلايريدان ينفق شيأالا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلاتتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح العباد فيه الاملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اى فل هلم فقال ابو بكر يارسول الله ذاك الذى لاتوى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكون منهم قوله اى فل يعنى يافلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لاهلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هوان يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولايظهره بقول ولافعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن انس الجهنى عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اى الحور شاء اخرجه الترمذى وابو داود (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ماتركت لذى غيظ شفاه (والعافين عن الناس) يعنى اذاجنى عليهم احدلم يواخذوه فتكون الآية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك السوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون ظلمهم واساء اليهم وهوقريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون اشارة الى المذكورين في الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرعنه وقيل الاحسان ان تحسن

والشيطان فيهم قائمين بالله متصفين بصفاته (ومن يغلل يأت بما غل) كن باء بسخط من الله اى يظهر على صورة غلوله بما غل بعينه (افمن اتبع رضوان الله) اى النبى فى مقام الرضوان التى هى جنة الصفات لاتصافه بصفات الله والغال فى مقام السخط لاحتجابه بصفات نفسه

لمن اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذى يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك فى كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة فى هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب * قوله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضى الله عنه قال المؤمنون للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت فى تيهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفى رواية ابى صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين احدهما انصارى والآخر ثقفى فخرج الثقفى فى غزوة واستخلف اخاه الانصارى على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا كثر الله فى الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصارى يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده فاتى به الى ابى بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازى مالا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ماعظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (اوظلموا انفسهم) ظلم النفس هو مادون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة وقيل الفاحشة مايكون فعله كاملا فى القبح وظلم النفس هو اى ذنب كان (ذكروا الله) يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب * وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لايعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لاذنب له وانه لامفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لايطلب المغفرة الا منه وانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لايجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على مافعلوا) يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا وقيل الاصرار وهو ترك الاستغفار * عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مااصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين

(ومأواه جهنم وبئس
المصير) اسفل حضيض
النفس المظلمة فهل يتشابها
(هم درجات) اى كل م
اهل الرضا واهل السخ
ذوو درجات متفاوتات
اذهم مختلفون اختلاف
الدرجات (قل هو من
عندانفسكم) لاينا فى قول
قل كل من عندالله لا
السبب الفاعلى فى الجمي

المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) اى اذا كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب المسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد (فقد مس القوم) يعني الكفار (قرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل لقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشئ من واحد الى آخر يقال تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هى دول بين الناس فيوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افى القوم ابن ابى قحافة ثلاث مرات ثم قال افى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان * ان لنا العزى ولا عزى لكم * فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا * الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون

وبذل النفس طلبا لرضاء الله او بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة (امواتا بل احياء عند ربهم) بالحياة الحقيقية مجردين عن دنس الطبائع مقربين في حضرة القدس (يرزقون) من الارزاق المعنوية اى المعارف والحقائق واستشراق الانوار او يرزقون في الجنة الصورية

فكانت يوم احد الكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اى ليعرفهم باعيانهم الاان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لايحصل الابعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد وقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لاتشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لايحب الظالمين) يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لايحب من لايكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) اى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص فى اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) اى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستئصالهم ❊ قوله عز وجل (ام حسبتم) اى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لاتحسبوا ايها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتى وثوابى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفاء جهاد لوكان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى اوجب عليكم فجرى النفى على العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذا المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به (ويعلم الصابرين) يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفى هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين

كما يرزق سائر الاحياء فان للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل من المعنوية والصورية درجات على حسب الاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها على حسب تفاضل درجات اهل الجبروت والملكوت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها على حسب

قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) قال ابن عباس لما اخبرالله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من يشاء الله منهم فانزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اى تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه اى من قبل ان تلقوا يوم احد (فقد رأيتموه) يعنى رأيتم ما كنتم تمنون والهاء فى رأيتموه عائدة على الموت اى رأيتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم (وانتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وانتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس فى عينك علة اى رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم * قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال اهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن ابى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فأخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله

تفاوت درجات عالم الملك من السموات العلى وجنات الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر تدور فى انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فالطير الخضر اشارة الى الاجرام السماوية

ابن قيئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا
وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى
كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ
قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن
خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة
ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول
قتلنى محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر
لقتلتهم اليس قال لى انا اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما
حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على من قتله نبى فى سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبى الله قالوا
وفشا فى الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله
بن ابى فيأخذ لنا امانا من ابى سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين
ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين
وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه تزهر ان تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين
ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان اسكت فانحازت اليه طائفة من
اصحابه فلامهم النبى صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا
اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم
بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض
من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهرانى قومه ومحمد اسم علم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذى كثرت خصاله المحمودة

والقناديل هى الكواكب
اى تعلقت بالسيرات من
الاجرام السماوية لنزاهتها
وانهار الجنة منابع العلوم
ومشارعها وثمارها الاحوال
والمعارف والانهار والثمار
الصورية على حسب جنتهم
المعنوية او الصورية فان كل
ما وجد فى الدنيا من المطاعم
والمشارب والمناكح والملابس
وسائر الملاذ والمشتهيات

والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل فى نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى واجد * اغر عليه بالنبوة خاتم
من الله مشهور يلوح ويشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن ابى موسى الاشعرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة قوله المقفى هو آخر الانبياء الذى لا نبى بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) يعنى انقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراء ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم اوقتله لا يوجب ضعفا فى دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعنى فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعنى بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غنى عن العالمين وانما يضر المرتد الكافر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) يعنى الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جرير عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى قوله وسيجزى الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابابكر واصحابه وكان على يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احبار الله وكان اشكرهم واحبهم الى الله تعالى * قوله عز وجل (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) اى بامر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وامره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة فى الخوف والجبن وفى الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا) يعنى موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعنى من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها مايكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها مانشاء على ما قدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعنى من يرد

موجود فى الآخرة وفى طبقات السماء الدواصفى مما فى الدنيا (فرحين بما آتاهم الله من فضله) من الكرامة والنعمة والقرب عند الله (ويستبشرون) بحال اخوانهم (الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) ولم يسالوا درجاتهم بعد من خلفهم لاستسعادهم عن قريب بقتلهم ولحوقهم بهم (الا خوف

بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت فى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الآية وان نزلت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان الاصل فى ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفى رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها وفى رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوى بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله * وقوله تعالى (وسنجزى الشاكرين) يعنى المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل (وكأين من نبى) اى وكم من نبى (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل راجعا على النبى وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا فى دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغى لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثانى ان القتل نال النبى ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبى قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغى لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيين لا النبى والمعنى وكأين من نبى قاتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبى قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذى اصابهم انما هو فى سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغى لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ما روى عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل فى القتال * وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل الف وقيل ربيون يعنى فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) اى فما جبنوا عن الجهاد فى سبيل الله (لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا) يعنى عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعنى وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابى فى طلب الامان من ابى سفيان

عليهم ولاهم يحزنون) بدل اشتمال من الذين اى يستبشرون بانهم آمنوا لا خوف عليهم ولاهم يحزنون (يستبشرون بنعمة من الله) اى انهم بنعمة عظيمة لا يعلم كنهها هى جنة الصفات بحصول مقام الرضوان المذكورة بعدها (وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) وزيادة عليها هى جنة الذات والامن الكلى من بقية الوجود وذلك كمال كونهم شهداء لله ومع ذلك فان الله لا يضيع اجر ايمانهم الذى هو جنة الافعال وثواب

والمقصود من الآية حكاية ماجرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدى هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى فى الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد فى طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه * ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الربيين (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جمع الصغائر والكبائر (واسرافنا فى امرنا) يعنى ما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشئ ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت اقدامنا) لكى لا تزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لايكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقتدى بهم فى هذه الطريقة الحسنه امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل مافعلوا وقلتم مثل ماقالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنه ومافيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع مايشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل مافعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على اعقابكم) يعنى يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعنى مغبونين فى الدنيا والآخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) اى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عزوجل (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان اباسفيان ومن معه ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ماصنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله فى قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك

(بفضله)

الاعمال (الذين استجابوا لله) بالفناء فى الوحدة الذاتية (والرسول) بالمقام بحق الاستقامة (من بعد ما اصابهم القرح) اى كسر النفس (للذين احسنوا منهم) اى ثبتوا فى مقام المشاهدة (الذين قال لهم الناس) قبل الوصول الى المشاهدة (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) اى اعتبروا بوجودكم واعتدوا بكم فاعتدوا بهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانا) اى يقينا وتوحيدا بنفى الغير وعدم المبالاة به وتوصلوا بنفى ماسوا الله تعالى اثباته بقولهم

بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (بما اشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار اي مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) اي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المقام والمعنى وبئس مقام الظالمين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها * قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعني بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز (من بعد ما اراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعني يا معشر المسلمين يعني عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم ايها المخالفون امر رسول الله

(حسبنا الله) فشاهدوه ثم رجعوا الى تفاصيل الصفات بالاستقامة فقالوا (ونعم الوكيل) وهي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فصارت بردا وسلاما عليه (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) اي رجعوا بالوجود الحقاني في جنة الصفات والذات كما من آنفا (لم يمسسهم سوء) البقية ورؤية الغير (و) هم

صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك * قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لابد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو مابينه بقوله اذ تصعدون يعنى هاربين فى الجبل وقيل هو ابتداء كلام لاتعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب فى الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه للمفسرين فى معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم فى الجبل عند الهزيمة والثانى انه الابعاد فى الارض فى حال الهزيمة ووقت الهرب (ولا تلوون على احد) اى لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوكم فى اخراكم) اى فى آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر اى رجع فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعنى فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التى عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل فى الاغلب الا فى الخير وقد يجوز استعماله فى الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل مايعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز وهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاؤه * اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هى القيود الثقال والمحدرجة هى السياط والباء فى قوله غما بغم بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا فى معنى الغمين فقيل الغم الاول هو مافاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثانى هو مانالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثانى هو ماسمعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثانى حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك ان اباسفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك * قوله تعالى (لكيلا) فى لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفى فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأثابكم غما انساكم الحزن على مافاتكم ولا ما اصابكم وقد روى

(اتبعوا رضوان الله) الذى هو جنة الصفات فى حال ساوكهم حين لم يعلموا مااخفى لهم من قرة اعين وهى جنة الذات المشار اليها بقوله (والله ذو فضل عظيم) فان الفضل هو المزيد على الرضوان (انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه) المحجوبين بأنفسهم مثله من الناس او يخوفكم اولياءه (فلا تخافوهم) ولا تعتدوا

انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون) اي هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها * قوله عز وجل (ثم انزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) اذي اصابكم (امنة نعاسا) يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكره نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت اراهم وما منهم يومئذ احد الا يميد تحت جحفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين (وطائفة قد اهمتهم انفسهم) يعني المنافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) اي كظن اهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) اي ما لنا (من الامر من شيء) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين في هذه الواقعة واشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شيء وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف احب (يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال

بوجودهم (وخافون ان كنتم مؤمنين) موحدين اي لا تخافوا غيري لعدم عينه واثره (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) لخباثتهم الاصلي وظلمتهم الذاتية خوف ان يضروك (انهم لن يضروا الله شيئا) املاء الكفار وطول حياتهم سبب لشدة عذابهم وغاية هوانهم وصغارهم لازديادهم بطول عمرهم حجابا على حجاب وبعدا على بعد وكلما ازدادوا بعدا

الحق ماقتلناهنا وعن ابن عباس فى قوله تعالى اهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون كنا على الحق يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لوكان لنا من الامر شئ ماقتلناههنا قيل ان الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبدالله بن ابى ابن سلول المنافق والذى قال لوكان لنا من الامر شئ هو معتب ابن قشير (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء المنافقين (لوكنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) اى قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لاينفع مع القدر والتدبير لايقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لابد وان يقتلوا والمعنى لوجلستم فى بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليبتلى الله مافى صدوركم) اى وليختبر مافى صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبالان المجازاة انما تقع على ماعلمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ابتلى اولياءالله مافى صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيم الشان اوليائه المؤمنين (وليمحص مافى قلوبكم) قال قتادة اى يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر مافى قلوبكم يعنى من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عزوجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) اى انهزموا وهربوا منكم يامعشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبى صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) اى طلب زلتهم كما يقال استعجله اى طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهى الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة فى قلوبهم لانه امرهم بها (ببعض ماكسبوا) يعنى بمعصية النبى صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الاعلى حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعنى ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب فى هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعنى لمن تاب واناب (حليم) لايعجل بالعقوبة وما يستأصلهم بالقتل * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا فى الارض) يعنى اذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها (اوكانوا

عن الحق الذى هو منبع العزة ازدادوا هوانا (يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ماكان الله ليذر المؤمنين على ماانتم عليه) من ظاهر الاسلام وتصديق اللسان (حتى يميز الخبيث من الطيب) من صفات النفس وشكوك الوهم

غزا) جمع غازاى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا فى الارض فماتوا اوكانوا غزا فقتلوا (لوكانوا عندنا) يعنى مقيمين (ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة فى قلوبهم) يعنى غما وتأسفا (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لوكانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيى والمميت هو الله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس فى البنت فى البيت وهل يحمى احد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ماتعملون من خيراو شرفيجازيكم به فاتقوه ولاتكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هو المحيى المميت فمن قدرله البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدرله الموت لم يبق وان اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لاتخرج فتقتل فلأن يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت فى بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم لمغفرة من الله ورحمة) يعنى فى العاقبة (خير مما يجمعون) يعنى من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ماتخافونه من القتل فى سبيل الله او الهلاك بالموت فان ماتنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى لا الى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره امنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته اناله مايرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لايريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فى دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون ❁ قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ماكان يوم احد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى فى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعنى جافيا (غليظ القلب) يعنى قاسى القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) اى لنفروا عنك وتفرقوا حتى لايبقى منهم احد عندك (فاعف عنهم) اى تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم احد (واستغفر لهم) اى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ماعندهم واختلف العلماء فى المعنى الذى من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك فى امر الحرب ونحوه

وحظوظ الشيطان ودواعى الهوى من طيبات صفات القلب كالاخلاص واليقين والمكاشفة ومشاهدات الروح ومناغيات السر ومسامراته وتخلص المعرفة والمحبة لله بالابتلاء ووقوع الفتن والمصائب بينكم (وما كان الله ليطلعكم على) غيب وجودكم من الحقائق والاحوال الكامنة فيكم بلا واسطة الرسول لبعد ما بينكم وبينه وعدم المناسبة وانتفاء استعداد التلقى منه

من امور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا فى الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان مابه الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا وروى البغوى بسنده عن عائشة انها قالت مارأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل مانزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم فى امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فى شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى اسارى بدر وهو من امر الدين قال على بن ابى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء مااستنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب فى قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم فى مدح المشاورة

وشاور اذا اوردت كل مهذب * لبيب اخى حزم لترشد فى الامر * ولاتك ممن يستبد برأيه
فتعجز اولاتستريح من الفكر * الم تر ان الله قال لعبده * وشاورهم فى الامر حتما بلانكر *

* قوله تعالى (فاذا عزمت) يعنى على المشاورة (فتوكل على الله) اى فاستعن بالله فى امورك كلها وثق به ولا تعتمد الاعليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شئ الا على الله تعالى فى جميع اموره وان المشاورة لاتنافى التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعنى المتوكلين عليه فى جميع امورهم * قوله عزوجل (ان ينصركم الله) يعنى ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعنى من الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) اى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لاعلى غيره لان الامر كله لله ولاراد لقضائه ولادافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد فى كل الامور على الله تعالى لاعلى غيره وقيل التوكل ان لاتعصى الله من اجل رزقك ولاتطلب لنفسك ناصرا غيره ولالعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين لايكتوون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم فقام آخر فقال يانبى الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا

(ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) فيطلعه على اسراره وحقائقه بالكشف ليهديكم الى ماغاب عنكم من كنوز وجودكم واسراره الجنسية النفسانية التى بينه وبينكم الموجبة لامكان اهتدائكم به (فآمنوا بالله ورسله) بالتصديق القلبى والارادة والتمسك بالشريعة ليمكنكم التلقى والقبول منهم (وان تؤمنوا) بعد ذلك الايمان

وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (وما كان لنبى ان يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبى ان يغل فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبى ان يغل وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس فى قوله تعالى وما كان لنبى ان يغل يقول ماكان لنبى ان يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجوز فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ماكان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبى استنوا به وقال مقاتل والكلبى نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبى صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له وان لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا فى الغنائم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت فى طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله تعالى ما كان لنبى ان يغل يعنى فيعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظى ومحمد بن اسحق بن يسار هذا فى شأن الوحى يقول وما كان لنبى ان يكتم شيأ من الوحى رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشئ فى خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين اى وما كان لنبى اى يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا تليق به الخيانة لانها فى نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخن امته فى شئ لا من الغنائم ولا من الوحى وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبى صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبى ليغل على نفى الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبى الغلول اى ما غل نبى قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبى الغلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة انهم نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول فى بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبى ان يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبى ان يخان اى تخونه امته والثانى ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبى ان يخون اى ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بالشئ الذى بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ فى النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ فى النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ماشاء الله وقيل معناه انه يأتى باثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزى به يوم القيامة

بالتحقيق والسلوك الى اليقين والمتابعة فى الطريقة (وتتقوا) الحجب النفسانية وموانع السلوك (فلكم اجر عظيم) من كشف الحقيقة ماآتاهم الله من فضله من المال والعلم والقدرة والنفس ولا ينفقونه فى سبيل الله على المستحقين والمستعدين والانبياء والصديقين فى الذب عنهم

وهو فى جزاء عمله (وهم لايظلمون) يعنى بل يعدل بينهم يوم القيامة فى الجزاء فيجازى كل على عمله

﴿ فصل فى ذكر احاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال ﴾ وقد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ الشئ فى خفية وانه الخيانة الا انه قد صار فى العرف مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن ابى هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيا قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادى يعنى وادى القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بنى الضبيب فلما نزلنا الوادى قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيأ له الشهادة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفى رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بنى الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذى يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذى لايدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهنى ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لايساوى درهمين اخرجه ابو داود والنسائى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر احرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود * قوله تعالى (افمن اتبع رضوان الله) يعنى فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) اى رجع (بسخط من الله) يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المقضى للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه

او الفناء فى الله (ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) اى يجعل غل اعناقهم وسبب تقيدهم وحرمانهم عن روح الله ورحمته وموجب هوانهم وحجابهم عن نور جماله لمحبتهم له وتعلقهم به (ولله ميراث السموات والارض) من

يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعني الغال او المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه ❊ قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقية لايكون الامن الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الاوقد ولدوه وله فيهم نسب الابني تغلب فانهم كانوا نصارى وقد تبرؤا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بني آدم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى مايخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابوطالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوهاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لايوزن به فتى الارجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلوا عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحي السماوي (ويزكيهم) اى ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على

النفوس وصفاتها كالقوى والقدر والعلوم والاموال وكل ما ينطبق عليه اسم الوجود فمالهم يبخلون بماله عنه (والله بما تعملون خبير قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت

لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كانوا من قبل ﴾ يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ لفى ضلال مبين ﴾ يعني لفى جهالة وحيرة عن الهدى عيا لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فهدا هم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿ اولما اصابتكم مصيبة ﴾ يعني ما اصابهم يوم احد ﴿ قد اصبتم مثليها ﴾ يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم فى اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة ﴿ قلتم انى هذا ﴾ اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار ﴿قل هو من عند انفسكم﴾ يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة فى المدينة على الخروج الى العدو واختار وهم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة فى الموضع الذى عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلمانى عن على بن ابى طالب قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ماصنع قومك فى اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخبرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر لم يسنده البغوى واسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة * قوله عز وجل ﴿ وما اصابكم ﴾ يعني من القتل والجراح والهزيمة ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك ماحد يوم احد ﴿ فباذن الله ﴾ يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولاتقع التسلية الااذا علموا الان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم ﴿ وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا ﴾ اى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على مانالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على مانزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما من الآخر والمنافق هو الذى اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا فى الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من ايهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامى لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا ﴾ المقول له عبدالله بن ابى ابن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد فى الف رجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخزل عبدالله بن ابى ابن سلول بثلث الناس وقال ماندرى علام نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم

ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم) (ان كنتم صادقين) روى ان انبياء بنى اسرائيل كانت معجزتهم ان يأتوا بقربان

جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الانصارى اخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اى لاجل دين الله وطاعته اوادفعوا يعنى عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سوادالمسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعنى المنافقين (لو نعلم قتالالاتبعناكم) اى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ماتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالالاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ اقرب منهم للايمان) اى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا مااظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يعنى يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لاصفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطاة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله اعلم بمايكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبدالله بن ابى المنافق واصحابه وفى المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم فى النسب لافى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لواطاعونا ماقتلوا لانهم بعد ان قتلوا لايخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبدالله بن ابى واصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لواطاعونا) يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانصراف عنه (ماقتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعنى قل لهم يامحمد (فادرؤا) اى فادفعوا (عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى ان الحذر لاينفع من القدر وفى الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافالمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت فى شهداء احد ويدل على ذلك ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر تردانهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقه فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء فى الجنة لئلا يزهدوا فى الجنة ولاينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية آخرجه ابوداود (م) عن مسروق قال سألنا عبدالله عن هذه الآية ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعه فقال هل تشتهون شيأ قالوا اى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما

فيدعوا الله فتاتى نار من السماء تأكله وتأويله ان يأتوا بنفوسهم يتقربون بها الى الله ويدعون الله بالزهد والعبادة لتأتى نارا لعشق من سماء الروح تأكله وتفنيه فى الوحدة فبعد ذلك صحت نبوتهم وظهرت فسمع به عوام بنى اسرائيل فاعتقدوا ظاهره

رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا واجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا * ذكر مايتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبدالله كذا جاء عبدالله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبدالله بن عمرو قد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبدالله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لاتفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر اى يجعل الله ارواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوى الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ماجاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث مارد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالي اراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ماكلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال ياعبدي تمن على اعطيك قال رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق من انهم لايرجعون فنزلت ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال انى لااقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة ابن اسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي

وان كان ممكنا من عالم القدرة فاقترحوا على كل نبي تلك الآية كانوا هموا من اقراض الله الذي هو بذل المال في سبيل الله بالانفاق لاستيفاء

ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لا نخفر ابا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن امية الضمرى ورجل من الانصار احد بنى عمرو بن عوف فلم نعلها بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصارى لكنى لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية الضمرى اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابى براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اباه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان ممن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابى براء ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزرى فى كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسماء فى ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج فى اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بنى سليم الى بنى عامر فى سبعين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخا لام سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالى اتقدمكم فان امنونى حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه آخر معه فاخبر جبريل

الثواب وبذل الافعال والصفات بالمحو فى السلوك لاستبدال صفات الحق وافعاله وتحصيل مقام الابدال فقر الحق وغناهم او كابروا الانبياء فى الموضعين بعدما فهموا (ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر

عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم قال فكنا نقرأ ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروابهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ماتقدم وقيل ان اولياء الشهداء واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اي ولاتظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لايظنن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله اموات يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله (بل احياء) اي بل هم احياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون احياء في الآخرة او يكون المراد انهم احياء في الحال وعلى تقدير انهم احياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم احياء في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم احياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل احياء يعني في حال مايقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لايبلى في قبره وتأكله الارض كغيره وروي انه لما اراد معاوية ان يجري الماء على قبور الشهداء امر ان ينادي من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لايسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه ❊ وقوله تعالى (عند ربهم)

والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن

يعنى فى محل كرامته وفضله (يرزقون) يعنى من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال فى دار النعيم (ويستبشرون) اى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعنى من اخوانهم الذين تركوهم احياء فى الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا فى الجهاد فاخبرهم الله عز وجل انى قد انزلت على نبى محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ان لا خوف عليهم) يعنى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر انهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الثانى لانفسهم خاصة (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) يعنى كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع اجر المؤمنين

﴿فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله﴾ (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذى عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل فى سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا فى سبيل الله او نكب نكبة فانها تجئ يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون زعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابو داود والنسائى واخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين (ق) عن ابى سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس

الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون

فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شئ الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذى والنسائى نحوه عن ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من اهل بيته اخرجه ابوداود * قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجراح والقرح الذى اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبدالله فقال يا رسول الله ان ابى كان خلفنى على اخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى اوثرك على نفسى بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان فى سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال (ق) عن عائشة فى قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختى كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد وانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب فى اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولو ددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا

بما اتوا) اى يعجبوا بما فعلوا من طاعة وايثار وكل حسنة من الحسنات ويحبون رؤيته (ويحبون ان يحمدوا) اى يحمدهم الناس فهم محجوبون بعرض الحمد والثناء من الناس او ان يكونوا محمودين فى نفس الامر عندالله (بما لم

وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ماتقول قال والله ماارى ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله انى انهاك عن ذلك فوالله لقد حلني مارأيت على ان قلت ابياتا قال وماقلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذسالت الارض بالجرد الابابيل
تردى باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكمو * اذ تغطمطت البطحاء بالخيل
انى نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وحش بقابله * وليس يوصف ماانذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك ابو سفيان ومن معه ومر ركب من عبدالقيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة واحمل لكم آبالكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان اباسفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يامحمد موعد ماببننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابوسفيان فى اهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يانعيم انى قد واعدت محمد او اصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولايصلحنا الاعام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدالى ان لااخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولااخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الى من ان يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا فى جمع كثير لاطاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل اضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم ياابا يزيدا تضمن لى هذه القلائص وانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابى سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم اتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لايفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق

يفعلوا) بل فعله الله على ايديهم اذلا فعل الا الله والله خلقكم وما تعملون (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فائزين من عذاب الحرمان (ولهم عذاب اليم) لمكان استعداد هم واحتجابهم بافعالهم وكان من حقهم ان ينسبوا الفضيلة والفعل الجميل الى الله ويبرءوا من حولهم وقوتهم اليه ولا يحتجبوا برؤية الفعل

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا الله واطاعوه فى جميع او امره واطاعوا الرسول ايضا (من بعد ما اصابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من الم الجراح (للذين احسنوا منهم واتقوا) يعنى احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصية والتخلف عنه (اجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفى المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعى فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا اوقال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثانى ان المراد بالناس الركب مع عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابى سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم فى دياركم فقتلوا الا كثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم (ان الناس) يعنى اباسفيان واصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعنى الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) اى فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافينا الله هو الذى يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع ورى * اى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به الوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بامورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم * قوله تعالى (فانقلبوا) اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) اى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) اى تجارة وربح وهو ما اصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) اى لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا * قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان القى ذلك فى افواههم ليرهبوا المؤمنين

من انفسهم ولا يتوقوا به المدح والثناء (ولله ملك السموات والارض) ليس لاحد فيها شئ حتى يعطى غيره فيعجب بعطائه (والله على كل شئ قدير) لا يقدر غيره على فعل ما حتى يعجب برؤيته فيفرح به فرح اعجاب (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله)

ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله اولياءه يعنى الشيطان يخوفكم يامعشر المؤمنين باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره واولياء الله هم المؤمنون الذين لايخافون الشيطان اذا خوفهم ولايطيعونه اذا امرهم (فلاتخافوهم) يعنى فلاتخافوا اولياء الشيطان ولاتقعدوا من قتالهم ولاتجبنوا عنهم (وخافون) اى فجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فانى وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بوعدى انى متكفل لكم بالنصر والظفر * قوله تعالى (ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قيل هم كفار قريش هم وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولايحزنك يامحمد من يسارع فى الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لايحصل لهم وقيل مسارعتهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلايحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيأ) يعنى بمسارعتهم فى الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيأ (يريد الله الايجعل) بمسارعتهم (لهم حظا فى الآخرة) يعنى لايجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعنى المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر كما يفعل المشترى من اعطاء شئ واخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيأ) يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (ولاتحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرأ بالتاء فمعناه ولاتحسبن يامحمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء فالمعناه ولاتحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت فى مشركى مكة وقيل نزلت فى يهود بنى قريظة والنضير (انما نملى لهم) الاملاء الامهال والتأخير واصله من الملاوة وهى المدة من الزمان والمعنى ولايظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء فى الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) يعنى انما نمهلهم ونؤخر فى آجالهم ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة روى البغوى بسنده عن عبدالرحمن بن ابى بكر عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبدالله مامن نفس برة ولافاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولاتحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عندالله وماعندالله خير للابرار وقال ابن الانبارى قال جماعة من اهل العلم انزل الله عز وجل هذه الآية فى قوم يعاندون الحق سبق فى علمه انهم لايؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله خالقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لايؤمنون ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويملى لهم ليزدادوا كفرا واثما وبغيا * قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين

فى جميع الاحوال وعلى جميع الهيئات (قياما) فى مقام الروح بالمشاهدة (وقعودا) فى محل القلب بالمكاشفة (وعلى جنوبهم) اى تقلباتهم فى مكان النفس بالمجاهدة (ويتفكرون) بالبابهم اى عقولهم الخالصة عن شوب الوهم (فى خلق السموات والارض) عالم الارواح والاجساد يقولون عند الشهود (ربنا

على ماانتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يامحمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لايؤمن بك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه ومايعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال مابال اقوام طعنوا في علمي لاتسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبدالله بن حذافة السهمي فقال من ابي يارسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ماكان الله ليذر المؤمنين على ماانتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماكان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ماانتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن الخاص فميز الله المؤمنين من المنافق يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا اظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ماكان الله ليذر المؤمنين في اصلاب الرجال المشركين وارحام النساء المشركات والمعنى ماكان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يامحمد اخبرنا عمن يؤمن بك ومن لايؤمن والمعنى وماكان الله ليبين لكم ايها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر ومنافق لانه لايعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية انه لايطلع على غيبه آحاد الناس فلاسبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وماكان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء ويطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعني انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ما خلقت هذا) الخلق (باطلا) اى شيأ غيرك فان غير الحق هو الباطل بل جعلته اسمائك ومظاهر صفاتك (سبحانك) ننزهك ان يوجد غيرك اى يقارن شئ فردانيتك اوينافي وحدانيتك (فقنا عذاب النار) نار الاحتجاب بالاكوان عن افعالك وبالافعال عن صفاتك وبالصفات عن ذاتك وقاية

(وانما)

وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ولانه اذا اقر بجميع الرسول كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعنى وان تصدقوا من اجتبيته برسالتى واطلعته على ماشاء من غيبى واعلمه بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه (فلكم اجر عظيم) يعنى فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة ❁ قوله عز وجل (ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرالهم) يعنى ولايحسبن الذين يبخلون البخل خيرالهم (بل هو) يعنى البخل (شرلهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لايستحق حبسها عنه والبخيل هو الذى يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبدالله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابوداود وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لاتجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبدالله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس فى رواية ابى صالح عنه والشعبى ومجاهد نزلت هذه الآية فى الذين يبخلون ان يؤدوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لايكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد فى سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون مابخلوا به وهذا لايكون الا فى ترك الواجب لافى التطوع وقال ابن عباس فى رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت فى اخبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبرى القول الاول واختاره ❁ وقوله (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) اى سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكوة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل مامنعه من الزكاة حية تطوق فى عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية اخرجه البخارى قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السود اوان فوق عينى الحية وقيل هما نقطتان تكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان فى شدقيها وقد جاء فى الحديث تفسير لهزميته بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان فى اصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن ابى ذر وقال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يارسول الله فداك ابى وامى من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولابقر ولاغنم لايؤدى زكاتها الاجاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفذت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ

مطلقة تامة كافية (ربنا انك من تدخل النار) بالحرمان (فقد اخزيته) بوجود البقية التى كلها ذل وعار وشار (وماللظالمين) الذين اشركوا برؤية الغير مطلقا اوالبقية (من انصار ربنا اننا سمعنا) باسماع قلوبنا (مناديا) من اسرارنا التى هى شاطئ وادى الروح الايمن (ينادى للايمان) الى الايمان

مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في اعناقهم الطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم * قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله مافيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بما له ولا ينفقونه في سبيله (والله بما تعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات هي ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين * قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اسيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنياء فغضب ابوبكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول او قالوها استهزاء وايهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله (سنكتب ما قالوا) يعني قولهم ان الله

العياني (ان آمنوا بربكم فآمنا) اي شاهدوا ربكم فشاهدنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) ذنوب صفاتنا بصفاتك (وكفر عنا سيئاتنا) سيئات افعالنا رؤية افعالك (وتوفنا مع الابرار) عن ذواتنا في صحبة الابرار من الابدال الذين تتوفاهم بذاتك عن ذواتهم لا الابرار الباقين على حالهم في مقام محو الصفات غير المتوفين

فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ماقالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ماقال هؤلاء اليهود ونكتب مافعله اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ماقالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ماوصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ماارتكبوه من العظائم انهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لايبعد منه الاجتراء بمثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) اي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت ايديكم) انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لااليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن * قوله عزوجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب من اليهود اتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لانؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه (ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاي معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل مايتقرب به العبد الى الله عزوجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله عزوجل وكانت القرابين والغنائم لاتحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول

بالكلية (ربنا وآتنا ماوعدتنا على) اتباع (رسلك) او محمولا على رسلك من البقاء بعد الفناء والاستقامة بالوجود الموهوب بعد التوحيد (ولاتخزنا يوم القيامة) الكبرى ووقت بروز الخلائق لله الواحد القهار بالاحتجاب بالوحدة عن الكثرة وبالجمع عن التفصيل (انك لاتخلف

واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل ناروقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عزوجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولادخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عزوجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يامحمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم يعني يامعشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ماطلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يامحمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) اى الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اى يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) اى الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل * قوله عزوجل (كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولابد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يارسول الله انما نزلت في بني آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عزوجل مما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها مااخذ منها فما احد يموت الاويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لاتذوق الموت فاحكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لاتقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون اجوركم) يعني توفون جزاء اعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور) يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل مااستمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوها والغرور مايغر الانسان ممالايدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله مااستطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فامامن اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ماهو خير منها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل اعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلاتعلم نفس مااخفي لهم من قرة

الميعاد) فنبقى مقاما وراء مالم نصل اليه (فاستجاب لهم ربهم انى لااضيع عمل عامل منكم من ذكر) القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والكشف (او انثى) النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات (بعضكم من بعض) يجمعكم اصل واحد

اعين زاد الترمذى وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردى، وذلك فى وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار فى وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر (فى اموالكم) يعنى بالابتلاء فى الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق (وانفسكم) يعنى بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) قال عكرمة نزلت فى ابى بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابابكر الى فنحاص سيد بنى قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابى بكر لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فجاء ابوبكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهرى نزلت هذه الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودى وذلك انه كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم فى شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لى فلا قل قال فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن ان ندعه حتى ننظر الى اى شئ يصير امره قال وقد اردت ان تسلفنى سلفا قال فما ترهننى اترهننى نساءكم قال انت اجمل العرب انرهنك نساءنا فقال له ترهنون اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن فى وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحرث وابى عبس بن جبر وعبادة بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته انى لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعى ابو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد انى اذا جاء فسوف امد يدى الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتى فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لى ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتأذن لى ان اعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد فى رواية ثم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازى فاختلف عليه اسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفى فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا واوقدت عليه نار قال فوضعته فى ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحرث بن اوس بجرح فى رأسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا واصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من

وحقيقة واحدهى الروح الانسانية اى بعضكم منشأ من بعض فلا اثيب بعضكم واحرم بعضا (فالذين هاجروا) عن اوطان مألوفات النفس (واخرجوا من ديارهم) ديار صفاتها اوهاجروا من احوالهم التى التذوا بها واخرجوا من مقاماتهم التى يسكنون اليها (واوذوا فى سبيلى)

رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل فى شأن كعب بن الاشرف اليهودى لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعنى مشركى العرب اذى كثيرا يعنى بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وما اشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى (فان ذلك من عزم الامور) اى من صواب التدبير الذى لاشك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اى الزمتك ان تفعله لامحالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اى الزمتم الاخذ به * قوله تعالى (واذ اخذ الله) اى واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعنى لتبين ما فى الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما فى هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتمونه) يعنى ولا يخفون ذلك على الناس (فنبذوه) يعنى الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) اى فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعنى المآكل والرشا التى كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذى ولابى داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهرى بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت اريد ان تحدثنى فقال اما علمت انى قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثنى واما ان احدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثنى اربعين حديثا * قوله عز وجل (لا تحسبين الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب اى لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيالهم من العذاب نزلت هذه الآية فى المنافقين (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الآية وقيل نزلت فى اليهود (ق) عن

اى ابتلوا فى سبيل سلوك افعالى بالبلايا والمحن والشدائد والفتن ليتمرنوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل فى سبيل سلوك صفاتى بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى الرضا (وقاتلوا) البقية بالجهاد فى (وقتلوا) وافنوا فى ما لكلية (لاكفرن عنهم سيآتهم) كلها من الصغائر

حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ
منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون قال ابن عباس مالكم ولهذه الآية انما
نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
الآية وتلا ابن عباس لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس
سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد
اخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما اتوا) يعنى
يفرحون بما فعلوا (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) اى ويحبون ان يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه
قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن
عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعنى فنحاص واشيع واشباههما
من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما
لم يفعلوا اى يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد
صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود فى
الارض كلها ان محمدا ليس بنبى فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل
الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان
يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك
ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك فى قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبى
صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) اى فلا تظننهم بمنجاة من
العذاب الذى اعده الله لهم فى الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب
اليم) يعنى فى الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت فى اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام فى كل
من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك * قوله عز وجل
(ولله ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب
لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ
كيف يكون فقيرا (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك
القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم * قوله عز وجل (ان فى خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبى
صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما
خلقته وانشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار
واختلافهما فى الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكى تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون
ارزاقكم فى النهار وتسكنون فى الليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولى الالباب يعنى ياذوى
العقول الصافية يعنى الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليه نظر البهائم
غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس انه بات عند ميمونة ام المؤمنين
وهى خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وسادة فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله فى
طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ

والكبائر اى سيآت بقاياهم (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) الجنات الثلاثة المذكورة (ثوابا) اى عوضا لما اخذت منهم من الوجودات الثلاثة (والله عنده حسن الثواب) اى لا يكون عند غيره الثواب المطلق الذى لا يبقى منه شئ ولهذا قال والله لانه الاسم الجامع لجميع الصفات

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي واخذ باذني ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وذكره * قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب اخرجه الترمذي وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب ان يصلي على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الآية وهو قوله تعالى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هي هنا التبعة * وقوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض) اصل الفكر اعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما ابدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظيم آثاره وافعاله تدل على عظيم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء الزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) اي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن ان تخلق شيأ عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار

فلم يحسن ان يقول والرحمن في هذا الموضع او اسم آخر غير اسم الذات (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) اي تجبروا عن التوحيد الذي هو دين الحق في المقامات والاحوال (متاع قليل) اي هو يعني الاحتجاب بالمقامات والتقلب فيها تمتع قليل (ثم مأواهم جهنم) الحرمان (وبئس المهاد لكن الذين

تعليم عباده كيفية الدعاء فمن اراد ان يدعو فليقدم الثناء على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) اى اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت فى اذائه والخزى ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا اذا اخبر الله انه لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمؤمن لا يخزى قلت قد ذكر العلماء فى الجواب وجوها احدها ما روى عن انس فى تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من يخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هى خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار واما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد فى النار فهو داخل فى قوله تعالى فقد اخزيته الوجه الثانى فى الجواب ان المدخل فى النار مخزى فى حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه انا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبرى لان من ادخل النار فقد اخزى بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك الخزى هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانبارى حمل الآية على العموم اولى من نقلها الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث فى الجواب ما قاله اهل المعانى وهو ان الخزى يحتمل معانى منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزى خزاية اذا استحيى واذا عمل يستحيى منه ويخجل فيكون خزى المؤمن الذى يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزى الكافر الهلاك بالخلود فى النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله فى طرف النفى والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع فى الجواب وهو الذى اختاره الفخر الرازى وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضى نفى الاخزاء مطلقا وانما يقتضى ان لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفى لا يناقضه اثبات الاخزاء فى الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات فى وقت آخر والله اعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها (من انصار) يعنى ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظى المنادى هو القرآن قال اذ ليس كل احد لقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعى اليها واللام فى للايمان بمعنى الى يعنى ينادى الى الايمان (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائر ذنوبنا (وكفر عنا سيآتنا) اى صغائر ذنوبنا وقيل وان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح فى الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا فى المستقبل وقيل يريد بالغفران

اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) من المؤمنين اى تجردوا عن الوجود ذات الثلاثة لهم الجنات الثلاث (نزلا) معدا (من عند الله وما عند الله خير للابرار * وان من اهل الكتاب) اى المحجوبين عن التوحيد المذكورين بصفة التقلب فى الاحوال والمقامات (لمن يؤمن بالله) اى يتحقق

مايزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير مايكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنامع الابرار) يعني في جملتهم وزمرتهم والابرارهم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامه وقيل توفنافي جملة اتباعهم واشياعهم (ربناوآتناماوعدتناعلى رسلك) يعني على السنة رسلك وقيل معناه وآتناماوعدتناعلى تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ماوعدوا الله لايخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ماوعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انماسألوه تعجيل ماوعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لاتخلف الميعاد ولكن لاصبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرناعليهم (ولاتخزنا يوم القيامة) يعني ولاتهلكنا ولاتفضحنا ولاتهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتناماوعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لامحالة فمامعنى قوله ولاتخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذ وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ولايحتمل ان يكون قوله ولاتخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير مايظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولاتخزنا يوم القيامة (انك لاتخلف الميعاد) * قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعني اجاب دعاءهم واعطاهم ماسالوه (اني) اي وقال لهم اني (لااضيع عمل عامل منكم) يعني لااحبط عمل عامل منكم ايها المؤمنون بل اثيبكم عليه (من ذكر او انثى) يعني لااضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يارسول الله مااسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فانزل الله تعالى اني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وغيره * وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي) يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار (لاكفرن عنهم سيآتهم) يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم (ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعني ذلك الذي اعطاهم من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول

بالتوحيد الذاتي (وماانزل اليكم) من علم التوحيد والاستقامة (وماانزل اليهم) من علم المبدا والمعاد (خاشعين لله) قابلين لتجلي الذات لايشترون بايات الله ثمنا قليلا) التي هي تجليات صفاته وثمن لبقية الموصوف بالقلة اولئك لهم اجرهم عند ربهم) من الجنان المذكورة (ان الله سريع الحساب)

الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا واوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى واوذوا فى سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم فى هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) اى ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعنى مصيرهم فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) اى وبئس الفراش هى * قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب مانهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) اى جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذى لا ينقطع (خير للابرار) يعنى ذلك الفضل والنعمة التى اعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه اهب معلقة فرأيت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يارسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخارى المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالى * قوله عز وجل (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم) قال ابن عباس نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى

يحاسبهم ويجازيهم فيعاقب على بقايا من بقى منهم شئ او يثيب بنفى البقايا على حسب درجاتهم فى المواطن الثلاثة (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) لله (وصابروا) مع الله (ورابطوا) بالله اى اصبروا فى مقام النفس بالمجاهدة وصابروا فى مقام القلب مع سطوات تجليات صفات الجلال بالمكاشفة ورابطوا

الله عليه وسلم وقيل نزلت فى جميع مؤمنى اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعنى بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعنى من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعنى ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعنى القرآن وما انزل اليهم يعنى من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعنى خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعنى لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعل غيرهم من رؤساء اليهود (اولئك) اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب (لهم اجرهم عند ربهم) يعنى لهم ثواب اعمالهم التى عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من اعمال عباده فيجازى كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب ❊ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) يعنى على دينكم الذى انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعانى قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل فى معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على اداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعنى الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعنى داوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا القتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط اخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظى يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتمونى وقال اهل المعانى فى معنى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى ورابطوا على مجاهدة اعدائى واتقوا محبة سوائى لعلكم تفلحون بلقائى وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا فى دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لكم تفلحون غدا فى دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

فى مقام الروح ذواتكم بالمشاهدة حتى لا يغلبكم فترة اوغفلة اوغيبة بالتلوينات (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فى مقام الصبر عن المخالفة والرياء وفى المصابرة عن الاعتراض والامتلاء وفى المرابطة عن البقية والجفاء لكى تفلحوا الفلاح الحقيق السرمدى الذى لا فلاح وراءه ان شاء الله

* (تفسير سورة النساء وهى مدنية) *

وهى مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (يا ايها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بنى آدم (اتقوا ربكم) اى احذروا امر ربكم ان تخالفوه فيما امركم به اونهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم * ابوك خليفة ولدته اخرى * وانت خليفة ذاك الكمال * فانما قال ولدته اخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعنى حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من انت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الىّ قال الها والفها لانها خلقت منه واختلفوا فى اى وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب ابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت فى الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعنى نشر واظهر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذى تساءلون به) انما كرر ذكرى التقوى للتأكيد وانه اهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك اسألك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفى الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة فى ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسأ فى اثره فليصل رحمه قوله ينسأ فى اثره اى يؤخره فى اجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى * قوله عز وجل (وآتوا اليتامى اموالهم) نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا

(سورة النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس اتقوا ربكم) احذروه فى احتجاب صفته عند صدور الخيرات منكم واتخذوا الصفة وقاية لكم فى صدور ماصدر منكم من الخير وقولوا صدر عن القادر المطلق (الذى خلقكم من نفس واحدة) هى النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم وهو آدم الحقيقى (وجعل منها زوجها) اى النفس الحيوانية الناشئة منها وقيل انها خلقت من ضلعه الايسر من الجهة التى تلى عالم الكون فانها اضعف من الجهة التى تلى الحق ولولا زوجها لما اهبط الى الدنيا كما اشتهر ان ابليس سوّل لها اولا فتوسل باغوائها الى اغواء آدم ولا شك فى ان التعلق البدنى لا يتهيأ الا بواسطتها (وبث منهما رجالا كثيرا) اى اصحاب قلوب ينزعون الى ابيهم (ونساء) اصحاب نفوس وطبائع ينزعون الى امهم (واتقوا الله) فى ذاته عن اثبات وجودكم واجعلوه وقاية لكم عند ظهور البقية منكم فى الفناء فى التوحيد حتى لا تحتجبوا برؤية الفناء (الذى تساءلون به) لا بكم (والارحام)

الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يُوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على ابيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار مايحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لايجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولاتتبدلوا) اي ولاتستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لايعلم به بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لايورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل اموالهم فنهوا عن ذلك (ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم) يعني مع اموالكم وقيل معناه ولاتضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعني ان اكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم * قوله عز وجل (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى) يعني وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لاتعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان تقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لاتعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم

أي احذروا الارحام الحقيقية اي اقربة المبادي العالية من المفارقات وارواح الانبياء والاولياء في قطعها بعدم المحبة واجعلوها وقاية لكم في حصول سعاداتكم وكمالاتكم فانّ قطع الرحم بفقد المحبة توجه عن الاتصال والوحدة الى الانفصال والكثرة وهو المقت الحقيقيّ والبعد الكلي عن جناب الحق تعالى ولهذا قال عليه الصلاة والسلام صلة الرحم تزيد في العمر اي توجب دوام البقاء واعلم انّ الرحم من الظاهر صورة الاتصال الحقيقيّ في الباطن وحكم الظاهر في التوحيد كحكم الباطن فمن لايقدر على مراعاة الظاهر فهو احرى بأن لايقدر على مراعاة الباطن (ان الله كان عليكم رقيبا) يرقبكم لئلا تحتجبوا عنه بظهور صفة من صفاتكم او بقية من بقاياكم فتتعذبوا (وآتوا اليتامى) يتامى قواكم الروحانية المنقطعين عن تربية الروح القدسيّ الذي هو ابوهم (اموالهم) اي معلوماتهم وكمالاتهم وربوهم بها (ولاتتبدّلوا الخبيث) من المحسوسات والخياليات والوساوس ودواعي الوهم وسائر قوى النفس التي هي

اموالها (بالطيب) من اموالهم (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) اى لاتخلطوها بها فيشتبه الحق بالباطل وتستعملوها فى تحصيل لذاتكم الحسية وكمالاتكم المعنوية فتنتفعوا بها فى مطالبكم الخسيسة الدنيوية وتجعلوها غذاء نفوسكم (انه كان حوبا كبيرا) حجبة وحرمانا (وان خفتم الاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الاتعدلوا فواحدة اوما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الاتعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيأ مريئا ولاتؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولاتأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء

يسئ صحبتها ويتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الآية وقال عكرمة فى رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء او اكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذى فى حجره فانفقه فقيل لهم لاتزيدوا على اربع حتى لايحوجكم الى اخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون من اموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوجون ماشاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى فى اموال اليتامى. وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء ان لاتعدلوا فيهن فلاتتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى فى نكاح اربع فقال تعالى (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) يعنى ماحل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم فى هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولامندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو بمعنى او فى هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه يضم عددا واجمعت الامة على انه لايجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لايشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جائزة وانها حرام ماروى عن الحرث بن قيس اوقيس بن الحرث قال اسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابوداود * عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفى اسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فاسلمن معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذى قال العلماء فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولايجوز للعبد ان ينكح اكثر من امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك فى احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية واجاب الشافعى بان هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة اوما ملكت ايمانكم والعبد لايملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم (الا تعدلوا) يعنى بين الازواج الاربع (فواحدة) يعنى فانكحوا واحدة (اوماملكت ايمانكم) يعنى وماملكتم من السرارى لانه لايلزم فيهن من الحقوق مثل مايلزم فى الحرائر ولاقسم لهن (ذلك ادنى) اى اقرب (الاتعولوا) معناه اقرب من ان لاتعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لاتعولوا اى لاتميلوا

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اوكثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها اودين آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن

ولاتجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لاتجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لاتضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه ان لاتكثر عيالكم وقد انكر على الشافعى من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعى لانه انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعى وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله الاتعولوا اى لاتكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهرى وهذا يقوى قول الشافعى لان الكسائى لايحكى عن العرب الاماحفظه وضبطه وقول الشافعى نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطاه عجل ولم يتثبت فيما قال ولاينبغى للحضرى ان يعجل الى انكار مالايحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهرى وبسط الامام فخر الدين الرازى فى هذا الموضع من تفسيره ورد على ابى بكر الرازى ثم قال الطعن لايصدر الاعن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن ابى حاتم قال كان الشافعى اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف الاتعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعى (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبى وجماعة هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة كان اذا زوجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمى كان اولياء النساء يعطى هذا اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله تعالى بايتاء نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعنى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى اخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لايجب فى مقابلة غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعنى النساء المتزوجات (لكم) يعنى للازواج (عن شئ منه) يعنى من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لاللتبعيض لانها لووهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التميز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعنى ماوهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعنى طيبا سائغا وقيل الهنئ الطيب المساغ الذى لاينغصه شئ والمرئ المحمود العاقبة وفى الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولا حق للولى فيه * قوله تعالى (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم

سوا كن ازواجا اوبنات اوامهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لاتعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لاتعمد الى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغى له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاتؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تميزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق اموالكم (التى جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولا تؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمى به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) اى اطعموهم (واكسوهم) يعنى لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه امر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد جعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر فى القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء اى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولى لليتيم السفيه مالك عندى وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق من العلم والعمل * قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) اى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) اى ابصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

* (فصل) * فى احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * الابتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء فى الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لا يتصرف فى الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه فى احوال داره وتختبر المرأة فى امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم

الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم

وحسن تصرفه فى الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله
وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد * (المسئلة الثانية) * قال الامام ابو حنيفة
تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولى صحيحة وقال الشافعى هى غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله
بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضى ان هذا الابتلاء انما يحصل
قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله فى جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى
امر للاولياء بالاذن لهم فى البيع والشراء قبل البلوغ اجاب الشافعى بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا
اليتامى الاذن لهم فى التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم اموالهم)
وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال
الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف
حاله فى معرفة المصالح والمفاسد * (المسئلة الثالثة) * فى بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك
فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء اما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن
فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ماروى عن ابن
عمر عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت
عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازنى اخرجاه فى الصحيحين وهذا قول
اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام
باستكمال ثمانى عشرة سنة والثانى الاحتلام وهو انزال المنى الدافق سواء انزل
باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر
الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ فى اولاد المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت
من سبى قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون
ذلك علامة على البلوغ فى اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما فى اولاد المشركين
والثانى لا يكون ذلك بلوغا فى حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين
بالرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل فى ذلك قول آبائهم
لكفرهم فجعل الانبات الذى هو امارة البلوغ بلوغا فى حقهم واما الذى يختص بالنساء فهو الحيض والحبل
فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع
بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل * (المسئلة الرابعة) * فى بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا فى دينه وماله
فالصلاح فى الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصى التى تسقط بها العدالة والصلاح فى المال
هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن
التصرف فيغبن فى البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر
ولا ينفذ تصرفه فى ماله وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر
وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة عشرين سنة
غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعى فى استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون

عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن الا ان
يأتين بفاحشة مبينة
وعاشروهن بالمعروف فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيأ ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وآتيتم
احداهن قنطارا فلا تأخذوا
منه شيا اتأخذونه بهتانا واثما
مبينا وكيف تأخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض
واخذن منكم ميثاقا غليظا
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء الا ما قد سلف
انه كان فاحشة ومقتا وساء
سبيلا حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم
وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت وامهاتكم
اللاتى ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتى
فى حجوركم من نسائكم اللاتى
دخلتم بهن فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم
وحلائل ابنائكم الذين من
اصلابكم وان تجمعوا بين
الاختين الا ما قد سلف
ان الله كان غفورا رحيما
والمحصنات من النساء الا
ما ملكت ايمانكم كتاب الله

رشيداوبعدبلوغه حسا وعشرين سنة وهومفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لايجوز دفع المال اليه كماقبل بلوغ هذا السن * (المسئلة الخامسة) * اذابلغ الصبي اوالجارية وانس الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج اولم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لايدفع اليها المال مالم تتزوج فاذاتزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الاباذن الزوج مالم تكبر وتجرب * (المسئلة السادسة) * اذابلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر فلوعاد سفيها نظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذابلغ وهو بهذه الصفة والثاني لايحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعندابي حنيفة لاحجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ماروى عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبدالله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه * وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعني يامعشر الاولياء لاتاكلوا اموال اليتامى بغير حق (وبدارا ان يكبروا) يعني لاتبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم * ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) اى فليمتنع من اكل مال اليتيم ولايرزؤه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى ابوداود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شئ ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولامبذر ولامتأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمرو بن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض اى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولاقضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لايأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولايسرف ولايكتسي منه ولايلبس الكتان ولاالحلل لكن يأكل مايسد به الجوع ويلبس مايستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولاقضاء عليه فأما الذهب والفضة فلايأخذ منه شيأ فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيأ وروى ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولاناهك في الحلب

عليكم واحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ياايها الذين امنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما

وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولاقضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى (فاذادفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعى عدم القبض وتظهر بذلك امانة الوصى وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا وشاهدا به ❊ قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية فى اوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأته ويقال لها ام كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابناعم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لايعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كحة امرأة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندى ماانفق عليهن وقدترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته منه شيا وهن فى حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو امر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث (وللنساء نصيب) يعنى وللاناث من اولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر) يعنى من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعنى معلوما والفرض مافرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لاتفرقا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ماينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقى المال ❊ قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (اولوا القربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) اى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابى موسى الاشعرى والحسن وابى العالية والشعبى وعطاء بن ابى رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعى والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب اوندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر ماتطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولى ان يعتذر اليهم ويقول انى لاأملك هذا المال وهو

فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) من اثبات الغير فى الوجود الذى هو الشرك ذاتا وصفة وفعلا فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير وجوده تعالى كما قيل ❊ وجودك ذنب لايقاس به ذنب ❊ ثم اثبات الانئية فى الذات باثبات زيادة الصفات عليها كما قال امير المؤمنين عليه السلام وكما قال الاخلاص له نفى الصفات عنه (نكفر عنكم سيآتكم) بظهور النفس والقلب بصفة من صفاتها احيانا فانها بعد ظهور نور التوحيد لاتثبت (وندخلكم مدخلا كريما) اى حضرة عين الجمع لاكرم الافيها (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) من الكمالات المرتبة بحسب الاستعدادات الاولية فان كل استعداد يقتضى بهويته فى الازل كمالا وسعادة تناسبه وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر بلفظ التمنى الذى هو طلب مايمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه (للرجال) اى الافراد الواصلين (نصيب مما اكتسبوا) بنور استعدادهم الاصلى (وللنساء) اى

لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولى اوالوصي انى لاأملك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هدا حق واجب فى مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم اموال ايتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعى هدا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحيى من قسمته والقول الثانى ان هذا الامر ندب واستحباب لاعلى سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كا بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علما ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الوصى ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى * قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعنى اولادا صغارا (خافوا عليهم) يعنى الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لايغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هدا الكلام كما انك لاترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك اموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل ان تكون خطابا لمن حضر اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصى بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم اوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تدرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه اووصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد

الناقصين القاصرين عن الوصول (نصيب مما اكتسبن) بقدر استعدادهن (واسألوا الله من فضله) اى اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لا يحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتعذبوا بنيران الحرمان منه (ان الله كان بكل شئ) مما يخفى عليكم كامنا فى استعدادكم بالقوة (عليما) فيجيبكم بما يليق بكم كما قال وآتاكم من كل ما سألتموه اى بلسان الاستعداد الذى مادعاه احد به الا اجاب كما قال ادعونى استجب لكم (ولكل جعلنا موالى مما ترك الولدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله)

من الجالسين عند المريض هو ان يأمره ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان
لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولاده
ولا يؤذوهم بقول ولا فعل * قوله عز وجل (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) قال
مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم
ابن اخيه فأكله فانزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق
(انما يأكلون في بطونهم نارا) يعني سيأكلون يوم القيامة فسمى الذين يأكلون نارا بما يؤول
اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج
من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد
الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخراء من نار يخرج من
اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل
مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات
وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك
بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني
(وسيصلون سعيرا) يعني بأكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت
هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى
فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية
وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا
لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح
في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب * قوله تعالى (يوصيكم الله في اولادكم للذكر
مثل حظ الانثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فاتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما يمشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله
كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت
لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في
اولادكم وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه
البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كحة امرأة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء
نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك بنتين وامرأة واخا (ق) عن جابر رضي الله
عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما
فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه

(الترمذي)

خصصوه بالتوجه اليه والفناء
فيه الذي هو غاية التذلل
(ولا تشركوا به شيأ) باثبات
وجوده (وبالوالدين
احسانا) واحسنوا بالروح
والنفس اللذين تولد القلب
منهما وهو حقيقتكم لستم
الا اياه ووفوا حقوقهما
وراعوهما حق المراعاة
بالاستفاضة من الاول
والتوجه اليه بالتسليم والتعظيم
وتزكية الثانية وحفظها
من ادناس محبة الدنيا
والتذلل بالحرص والشره
وامثالهما ومن شر الشيطان
وعداوته اياها واعينوها
بالرأفة والحمية بتوفير حقوقها
عليها ومنع الحظوظ عنها
(وبذي القربى) الذي
يناسبكم في الحقيقة بحسب
القرب في الاستعداد الاصلي
والمشاكلة الروحانية
(واليتامى) المستعدين
المنقطعين عن نور الروح
القدسي الذي هو الاب
الحقيقي بالاحتجاب عنه
(والمساكين) العاملين
الذين لا مال لهم اي لا حظ
من العلوم والمعارف
والحقائق فسكنوا ولم يقدروا
على المسير وهم السعداء
الصالحون الذين مآلهم
الى جنة الافعال (والجار
ذي القربى) الذي هو في

الترمذى وقال السدى كان اهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبدالرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة واخذوا ماله فشكت امرأته الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع فى تفسير هذه الاية نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض واصول قواعدها

* (فصل فى الحث على تعليم الفرائض) * اعلم ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهى ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا فى فروعها واصولها ويكفى فى فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها فى كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض اخرجه الترمذى وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فانى امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجد ان احدا يخبرهما عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى وهو اول شئ ينزع من امتى اخرجه ابن ماجه والدار قطنى

* (فصل فى بيان احكام الفرائض) * اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام اوللاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقى بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض

* (فصل) * واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصابته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه فى الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودى

مقام من مقامات السلوك قريب من مقامك (والجار الجنب) الذى هو فى مقامه بعيد من مقامك (والصاحب بالجنب) والرفيق الذى هو فى عين مقامكم ورافقكم فى سيركم (وابن السبيل) اى السالك فى طريق الحق الداخل فى الغربة عن مأوى النفس الذى لم يصل الى مقام من مقامات اهل الله (وما ملكت ايمانكم) من اهل ارادتكم ومحبتكم الذين هم عبيدكم كلا بما يناسبه ويليق به من انواع الاحسان وان شئت اولت ذى القربى بما يتصل به من الملكوت العالية من المجردات واليتامى بالقوى الروحانية كالفكر والمساكين بالقوى النفسانية من الحواس الظاهرة وغيرها والجار ذى القربى بالعقل والجار الجنب بالوهم والصاحب بالجنب بالشوق اوالارادة وابن السبيل بالفكر والمماليك بالملكات المكتسبة التى هى مصادر الافعال الجميلة (ان الله لا يحب من كان مختالا) يسعى فى السلوك بنفسه لا بالله معجبا باعماله (فخورا) مبتهجا باحواله ومقاماته وكمالاته محتجبا برؤيتها ورؤية اتصافه بها

من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتوارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابوداود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطأ لما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته * (فصل) * والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احداهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم واناثهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فابقى فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

(فصل)

روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم واناثهم كاناثهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان لابنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب

(الذين يبخلون) اولا بامساك كمالاتهم وعلومهم في مكامن قرائحهم ومطامير غرائزهم لا يظهرونها بالعمل بها في وقتها ثم بالامتناع عن توفير حقوق ذوي الحقوق عليهم لا يبذلون صفاتهم وذواتهم بالفناء في الله لمحبتهم لها ولا ينفقون اموال علومهم واخلاقهم وكمالاتهم على ما ذكرنا من المستحقين (ويأمرون الناس بالبخل) يحملونهم على مثل حالهم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من التوحيد والمعارف والاخلاق والحقائق في كتم الاستعداد وظلمة القوة كأنها معدومة (واعتدنا للكافرين) المحجوبين عن الحق (عذابا مهينا) في ذل وجوههم وشين صفاتهم (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) اي يبرزون كمالاتهم من كتم العدم ويخرجونها الى الفعل محجوبين برؤيتها لانفسهم يراؤن الناس بانها لهم (ولا يؤمنون بالله) الايمان الحقيقي فيعلمون ان الكمال المطلق ليس الا له ومن اين لغيره وجود حتى يكون له فيتخلصون عن حجاب رؤية الكمال لانفسهم وينجون عن اثم

نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثانى وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابى الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام اوللاب يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام اولاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت اوعن اخ واخت لاب وام اولاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن اواسفل منها ابن ابن كان الباقى بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام اوللاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقى وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقى للاخت ويدل على ذلك ماروى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابوموسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابى موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما انا من المهتدين ثم قال اقضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين ومابقى فللاخت فاخبر ابوموسى بقول ابن مسعود فقال لاتسألونى مادام هذا الحبر فيكم اخرجه البخارى وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اى يعهد اليكم ويفرض عليكم فى اولادكم يعنى فى امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعنى ان الولد الذكر له من الميراث ضعفا سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم ومابقى بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعنى المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعنى

العجب (ولا باليوم الآخر اى الفناء فى الله والبرو[ز] للواحد القهار فيتبرؤو[ن] من ذنب الشرك وذلك لمقارنة شيطان الوهم اياه[م] (ومن يكن الشيطان له قري[نا] فساء قرينا) لانه يضله عن الهدى ويحجبه عن الحق (وماذا عليهم لو آمنوا بالله) اى لو صدقوا الله بالتوحيد والفناء فيه ومحو كمالاتهم التى رزقهم الله باضافتها الى الله (واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) يجازيهم بالبقاء بعد الفناء وكونهم مع تلك الصفات والكمالات بالله لا بانفسهم (ان الله يظلم)اى لا ينقص من تلك الكمالات بالفناء فيه (مثقال ذرة) بل يضاعفها بالتأييد الحقانى (وان تك حسنة يضاعفها) ولا تكون حسنة الا اذا كانت له (ويؤت من لدنه اجرا عظيما) هو ما اخفى له من قرة اعين اى الشهود الذاتى الذى لا حجبة معه عن تفاصيل الصفات (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) الشهيد والشاهد ما يحضر كل احد مما بلغه من الدرجة فى العرفان وهو الغالب عليه فهو يكشف

بنتين فصاعدا (فلهن ثلثاما ترك) واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثاما ترك فجعل الثلثين للنساء از ازدن على اثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعني البنت واحدة (فلها النصف) يعني فرضها لها (ولابويه) يعني ابوى الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعني ان للاب والام مع وجود الولد او ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعني للميت (وورثه ابواه فلامه الثلث) يعني ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة (فان كان له) يعني للميت (اخوة) يعني ذكورا أو اناثا (فلامه السدس) يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بني

عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان او صفة من صفات الحق او ذاتا فلكل امة شهيد بحسب ما دام هم اليه نبيهم وعرّفه لهم وما دعاهم الا الى ما وصل اليه من مقامه في المعرفة ولا يبعث نبيّ الا بحسب استعداد امته فهم يعرفون الله بنور استعدادهم في صورة كمال نبيهم ولهذا ورد في الحديث انّ الله يتجلى لعباده في صورة معتقدهم فيعرفه كلّ واحد من الملل والمذاهب ثم يتحوّل عن تلك الصورة فيبرز في صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الداخلون في حضرة الاحدية من كلّ باب وكانّ لكلّ امة شهيدا فكذلك لكلّ اهل مذهب شهيد ولكلّ واحد شهيد يكشف عن حال مشهوده واما المحمديون فشهيدهم الله المحبوب الموصول بجميع الصفات لمكان كمال نبيهم وكونه حبيبا مؤتى جوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلا جرم يعرفونه عند التحول في جميع الصور اذ انا بعوا نبيهم حق المتابعة وكانوا اوحديين محبوبين كنبيهم (يومئذ يود الذين كفروا) بالاحتجاب عن الحق

ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قدكان قبلى وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا فى اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضى ابى بكر الباقلانى ووجه هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شئ الى شئ وقال ابن الانبارى التثنية عند العرب اوّل الجمع ومشهور فى كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلباكما والقول الثانى ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز فى اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقى كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقى وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقى بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصى بها اودين) يعنى ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت فى ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين فى اللفظ لا فى الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هى لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر قال على رضى الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة ❊ قوله تعالى (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام فى قول ابن عباس ان الله عزوجل يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له فى الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وابناؤكم يعنى الذين يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون ايهم انفع لكم فى الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله هو الذى دبّر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعنى ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثانى حكى الزجاج

(وعصوا الرسول) بالاحتجاب عن الدين (لو تسوّى بهم الارض) ارض الاستعداد فتنطمس نفوسهم او تصير ساذجة لا نقش فيها من العقائد الفاسدة والرذائل الموبقة (ولا يكتمون الله حديثا) اى لا يقدرون على كتم حديث من تلك النقوش حتى لا يتعذبون بعقابه (يا أيها الذين آمنوا) بالايمان العلمى فانّ المؤمن بالايمان العينىّ لا يكون فى صلاته غافلا (لا تقربوا الصلوة) اى لا تقربوا مقام الحضور والمناجاة مع الله فى حال كونكم (وانتم سكارى) من نوم الغفلة او من خمور الهوى ومحبة الدنيا (حتى تعلموا ما تقولون) فى مناجاتكم ولا تشتغل قلوبكم بأشغال الدنيا ووساوسها فتذهلوا عنه ولا فى حال كونكم بعداء عن الحق بشدة الميل الى النفس ومباشرة لذاتها وشهواتها وحظوظها والركون اليها (ولا جنبا الا عابرى سبيل) اى مارّين عليها سالكى طريق من طرق تمتعاتها بقدر الضرورة والمصلحة كعبور طريق الاغتذاء بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء لدفع الحر والبرد

عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب * قوله عز وجل (ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعنى الزوجات (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين) لما جعل الله فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله فى الموجب السببى للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحد من النساء لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن فى الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت فى ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها * قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة او امرأة) تقدير الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبى قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال انى لاستحى من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة فى اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشئ الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد الآية التى نزلت فى آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول على بن ابى طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى من الورثة وهو قول ابى بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثنى كلالة اى يرثنى ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد به غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذى لا ولد له ولا والد والحى والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسألنى عن الكلالة وما

وصفتها والمباشرة لحفظ النسل لا منجذبين اليها بالكلية بمجرد الهوى فتنطبع فيكم فلا يمكن زوالها او يتعذر (حتى تغتسلوا) اى تتطهروا من تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب الى الجهة السفلية بماء التوبة والاستغفار وعيون التنصل والاعتذار (وان كنتم مرضى) القلوب فاقدى سلامتها بامراض العقائد الفاسدة والرذائل المهلكة (او على سفر) فى تيه الجهل والحيرة لطلب لذة النفس ومادة الرجس بالحرص (او جاء احد منكم من الغائط) من الاشتغال بلوث المال وكسب الحطام ملوثا بهيئة محبته وميله راسخة فيه تلك الهيئة (او لامستم النساء) لازمتم النفوس وباشرتموها فى لذاتها وشهواتها (فلم تجدوا ماء) علما يهديكم الى التفصى منها ويهذبكم بالتطهر عنها (فتيمموا صعيدا طيبا) فتوجهوا صعيد استعدادكم الطيب واقصدوه وارجعوا الى اصل الاستعداد الفطرى (فامسحوا) من نوره (بوجوهكم وايديكم) اى ذواتكم الموجودة وصفاتكم بالزوال ومحو هيئات التعلق بها والتصرف فيها فان ذلك التراب يمحو آثارها صافية

وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شئ ما اعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيأ اهم عندي من الكلالة ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شئ ماراجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شئ ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال ياعمر الايكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لايقرأ القرآن لفظ مسلم قوله الايكفيك آية الصيف اراد ان الله عزوجل انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ماليس في آية الشتاء فلذلك احاله عليها * قوله تعالى (وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس) اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافوا احدهما الى الآخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا (فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث)وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في اول سورة النساء من شأن الفرائض انزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اولى الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها او دين) تقدم تفسيره وبقي شئ من الاحكام نذكرها وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الآية ماروى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه وفي رواية له شئ يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين فني ظاهر الآية والحديث مايدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة مايدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لاتجوز باكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولاتجوز الوصية لوارث ويدل عليه ماروى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله

كما كانت (ان الله كان عفوا) يعفو عن تلك الهيئات المظلمة ورسوخ تلك الملكات الحاجبة بتركها والاعراض عنها فيزيلها بالكلية فيصفو استعدادكم وتسعدوا بلقائه (غفورا) بستر صفاتكم وذواتكم بصفاته وذاته (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) اي بعضا هو اعترافهم بالحق مع احتجابهم عن الدين (يشترون الضلالة) يستبدلون الاحتجاب عن الدين هو طريق الحق بنور هداية استعدادهم ويريدون لكم ذلك ايضا وهم اعداؤكم علم الله عداوتهم اياكم اذا (ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) يلي امركم بالتوفيق لطريق التوحيد ونصيرا ينصركم على اعدائكم بالقمع من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب) كتاب الاستعداد (آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) ايمانا حقيقيا عيانيا

اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابوداود * وقوله تعالى (غير مضار) يعنى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية وهو ان يوصى باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبى ويترك ورثته عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله وذلك الفوز العظيم اخرجه ابوداود والترمذى وقال قتادة كره الله تعالى الضرار فى الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار فى الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار فى الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت فى قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفى الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابى وقاص انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وان كان فى المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القلة والكثرة * وقوله تعالى (وصية من الله) اى فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعنى انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور فى وصيته وبمن لا يجور (حليم) يعنى انه تعالى ذو حلم ودواناة فى ترك العقوبة عمن جار فى وصيته وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعنى الاحكام التى تقدم ذكرها فى هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حده الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ورضى بما قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعنى ويتجاوز ما امر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع للعاصى بالخلود فى النار فى هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون فى النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس فى معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبى يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار فى الخلود فى النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا فى النار بكفره فلا دليل فى الآية للمعتزلة والله اعلم * قوله تعالى (واللاتى) هو جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعنى يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة فى اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم قبحه فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة حتى يبلغ الغاية فى جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة ههنا هى الزنا وانما سمى الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم)

(قبل)

باخراج ما فى كتاب استعداد كم الى الفعل من توحيد الذات (من قبل ان نطمس وجوها) من قبل ان نطمس وجوها بازالة استعدادها ومحوه (فنردها على ادبارها) التى هى اسفل سافلى عالم الجسم الذى هو خلف كل عالم (او نلعنهم كما لعنا) نعذبهم بالمسخ كما مسخنا (اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا) اى مقضيا الى الابد لا يغيره احد ولا ينقضه (ان الله لا يغفر ان يشرك به) اشارة الى ان الشقاوة العلمية الاعتقادية مخلدة لا تتدارك ابدا دون العملية اى لا يستر بوجوده ولا يفنى بذاته من يثبت غيره فى الوجود وكيف وانه يناوبه بوجوده (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم) اى يربلون صفات نفوسهم بنفوسهم وذلك غير ممكن كما لا يمكن لاحد ان يحل نفسه اذ هى لوازم النفس باقية لازمة لها ولهذا قال تعالى من يوق شح نفسه اذ الرذائل معجونة فيها باقية ببقائها وقال عليه الصلاة والسلام شر

قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج اى اطلبوا اربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اى استمعوا اشهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا يسترّكم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعني الشهود بالزنا (فامسكوهن في البيوت) اى فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعني تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء اجالهن (او يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فبقي كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب جلد مائة والرجم

(فصل) اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود واهل الظاهر وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي بل احد الا ان رآه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء وروي مثله عن علي قال لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا جلد عليه * قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذي (يأتيانها) يعني يأتيان الفاحشة (منكم) يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية

الناس من قامت عليه القيامة وهو حي اى يقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى تحيي بالله فانه حينئذ زنديق قائل بالاباحة في الاشياء (بل الله يزكي من يشاء) بمحو صفاته وازالتها بصفاته تعالى (ولا يظلمون فتيلا) اى لا ينقصون شيأ حقيرا من صفاتهم وحقوقها فان الله لا يأخذ شيأ منها مع ضعفها وسرعة انقضائها حتى يعطي بدله من صفاته مع قوتها ودوامها (انظر كيف يفترون على الله الكذب) مادام تزكية نفوسهم من صفاتها او ما تزكت او باتصال صفات الله الى انفسهم لوجود نفوسهم (وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) لاثباتهم وجود الغير وذلك اضلالهم عن الدين الذي هو طريق التوحيد (ويقولون للذين كفروا) لاجل الذين حجبوا عن الحق (هؤلاء اهدى من الذين آمنوا) من الموحدين (سبيلا) لموافقتهم في الشرك دون المؤمنين فانهم يخالفونهم في الطريق والمقصد اذ المعترفون بالتوحيد لما ضلوا السبيل لم يصلوا الى المقصد الذي اعترفوا به فلزمهم شرك خفي قريب من حال

الاولى وقيل المراد بمن ذكر فى الاولى النساء وهذه الرجال لان الله تعالى حكم فى الآية الاولى
بالحبس فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا
حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج
فى اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزانى الاذية بالقول والفعل
(فآذوهما) يعنى عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حين زنيت
وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفى رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب
بالنعال (فان تابا) يعنى من الفاحشة (واصلحا) يعنى العمل فيما يأتى (فاعرضوا عنهما) اى اتركوهما
ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعنى انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا
تاب اليه وهذا الحكم كان فى ابتداء الاسلام كان حد الزانى الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان
فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الآية فثبت
الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن وسواء فى هذا الحكم المسلم
واليهودى لانه ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال
ابو حنيفة لا رجم على اليهودى لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان المراد بهذا
الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعنى التوبة
التى يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اى من الله وقال اهل المعانى ان الله
تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ انجز
ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى
يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعنى الذنوب والمعاصى سميت سوء لسوء عاقبتها اذا
لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى
الله به فهو جهالة عمدا كان اوغيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء
فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمى جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمى
من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل مامعه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك
سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتى الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه
يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون
من قريب) يعنى يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يبعد فى زمرة المصرين
وقيل القريب ان يتوب فى صحته قبل مرض موته وقيل موته وقيل معاينة ملك الموت
ومعاينة اهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ماهو آت قريب وفيه تنبيه
على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع فى كل ساعة ولحظة نزول الموت
به عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه
الترمذى الغرغرة ان يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه لا يقدر
على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوى بسنده عن ابى سعيد الخدرى ان

المحجوبين عن الحق الذين
شركوا شركا جليا فناسبوهم
وصوبوهم وزعموا انهم
اهدى الموحدين على مارى
عليه بعض الظاهريين من
الاسلاميين (اولئك الذين
لعنهم الله) بمسخ الاستعداد
ومن طرده الله فلا يمكن لاحد
نصرته بالهداية والتقريب
والانجاء (ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا ام لهم
نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا ام يحسدون
على ما آتاهم الله من فضله
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم ملكا
عظيما فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم
سعيرا ان الذين كفروا
بآياتنا) اى حجبوا عن تجليات
صفاتنا وافعالنا اذ مطلع
الآية كونه متجليا بالعلم
والحكمة والملك فى آل
ابرهيم (سوف نصليهم نارا)
نار شوق الكمال لاقتضاء
غرائزهم وطبائعهم بحسب
استعدادهم ذلك مع رسوخ
الحجاب ولزومه او نار قهر
من تجليات صفات قهره
تناسب احوالهم او نار
شره نفوسهم وحدة شوقها
وطلبها لما ضريت بها من
كمالات صفاتها وشهواتها
مع حرمانها عنها (كلما نضجت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا ابرح اغوى عبادك مادامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا ازال اغفر لهم مااستغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فاولئك يتوب الله عليهم) يعنى يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم مافى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما اتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب * قوله عزوجل (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الاترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر احدهم الموت) يعنى وقع النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال انى تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنواسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهملوا امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ما ذ عموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارجأ اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة فى حق المؤمنين * وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف فى الآخرة ومعاينة ماوعد وابه من العقاب (اولئك اعتدنا لهم) اى هيأنا لهم (عذابا اليما) * قوله عزوجل (ياايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) نزلت فى اهل المدينة وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها اوقريبه من ذوى عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة وعلى خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها

جلودهم) رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنها (بدلناهم جلودا) حجبا غيرها جديدة (ليذوقوا العذاب) نيران الحرمان (ان الله كان عزيزا) قويا يقهرهم ويذلهم بذل صفات نفوسهم ويحرقهم بنيران توقانها الى كمالاتهم مع حرمانهم ابدا (حكيما) يجازيهم بما يناسبهم من العذاب الذى اختاروه لانفسهم بدواعيهم الغضبية والشهوية وغيرها وميولهم الى الملاذ الجسمانية فلذلك بدلوا حجبا ظلمانية بعد حجب (الذين آمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا الصالحات) مايصلحهم لقبول تجلياتها (سندخلهم جنات) الاتصاف بها ومقاماتها (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة) اى انهار علوم تجلياتها من علوم القلب والازواج ههنا الارواح المقدسة التى هى مظاهر الصفات الآلهية المطهرة بالهيئات البدنية (وندخلهم ظلا ظليلا) اى ظل الصفات الآلهية الدائم روحها بمحو الصفات البشرية (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا

وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدى منه بما ورثت من الميت اوتموت هى فيرثها فان ذهبت المراة اهلها قبل ان يلقى عليها ولى زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفى ابوقيس بن الاسلت الانصارى وترك امراته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابى قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان اباقيس توفى وورث نكاحى ابنه فلاهو ينفق على ولاهو يدخل بى ولا يخلى سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى امر الله فيك فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها يعنى ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعنى وهن كارهات (ولاتعضلوهن) اى ولاتمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) يعنى لتضجر فتفتدى ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ماساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المراة ثم قال تعالى (الاان يأتين بفاحشة مبينة) يعنى فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة المبينة فقيل هى النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وقيل الفاحشة هى الزنا يعنى ان المراة اذا نشزت اوزنت حل للزوج ان يسألها الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ماساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذى قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال فى القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعنى فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل فى الآية ندب الى امساك المراة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وقيل فى معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فربما جعل الله فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه * قوله عزوجل (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله فى الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهى اما النشوز او الزنا بين فى هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل المرأة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفى الآية دليل على جواز المغالاة فى المهور روى ان عمر قال على المنبر الالاتغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت ياابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس افقه منك ياعمر وفى رواية امرأة اصابت واميراخطأ ورجع عن كراهة

حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به) اى حق كل ذى حق اليه بتوفيه حق الاستعداد اولا ثم بتوفيه حقوق القوى كلها من كمالاتها التى تقتضيها ثم بتوفيه حق الله تعالى من اداء الصفات اليه ثم اداء الوجود فتكونوا فانين فى التوحيد فاذا رجعتم الى البقاء بعد الفناء وحكمتم بين الناس كنتم قائمين فى الاشياء بالله قوامين بالقسط متصفين بعدل الله بحيث لايمكن صدور الجور منكم واقل الدرجات فى العدل هو الحوفى الصفات اذالقائم بالنفس لايقدر على العدل ابدا (ان الله كان سميعا) باقوالكم فيما بين الناس من المحاكمات هل هى صائبة بالحق ام فاسدة بالنفس (بصيرا) باعمالكم هل تصدر من صفات نفوسكم او من صفات الحق (ياايها الذين آمنوا) بتوحيد الصفات (اطيعوا الله) بتوحيد الذات والفناء فى الجمع (واطيعوا الرسول) بمراعاة حقوق التفصيل فى عين الجمع وملاحظة ترتيب الصفات بعد الفناء فى الذات (واولى الامر منكم) من

المغالاة وقدتغالى الناس فى صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها (فلا تأخذوا منه شيأ) يعنى من القنطار الذى آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المرأة فلا يحل له ان يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جازله ذلك (أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعنى ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعنى اتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه فى الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فى ذلك فقال تعالى (وقد افضى بعضكم الى بعض) اصل الافضاء فى اللغة الوصول يقال افضى اليه اى وصل اليه ثم للمفسرين فى معنى الافضاء فى هذه الآية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثانى فى معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبى الافضاء ان يكون معها فى لحاف واحد جامعها اولم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هى كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التى تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى (ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفى ابوقيس وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اتخذتك ولدا وانت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء (الا ماقد سلف) يعنى الا مامضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصى (ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية الخزى والخسارة (وساء سبيلا) اى وبئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة ابيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وابومعيط ابن ابى عمرو بن امية روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مربى خالى ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه * قوله عز وجل (حرمت عليكم امهاتكم) بين الله عز وجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب اونسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم امهاتكم الآية بجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات

استحق الولاية والرياسة كمامر فى حكاية طالوت (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا الم تر) اى تعجب (من الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك)من علم التوحيد(وما انزل من قبلك) من علم المبدا والمعاد(يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) وهو ينافى ماادعوه اذلو كان ايمانهم صحيحا لماابتغوا غيرا حتى يكون له حكم فانهم بحكم الايمان الحقيقى مأمورون بالكفر بغيره ومن لم ينسلخ عن صفاته وافعاله ولم تنطمس ذاته فى الله تعالى فهو غيره ومن توجه الى الغير فقد اطاع الشيطان ولايريد الشيطان بهم الا الضلال البعيد الذى هو الانحراف عن الحق بالشرك اذ الزيغ عن الدين هو الضلال المبين (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون

امات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات بانات كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (واخواتكم) جمع اخت وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في اصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم) جمع عمة وهي كل امرأة شاركت اباك في اصله وهن جميع اخوات الاب واخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام (وخالاتكم) جمع خالة وهي كل امرأة شاركت الام في اصلها فيدخل فيه جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهي عبارة عن كل امرأة لاخيك او لاختك عليها ولادة ورجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه * الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وانها ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطأ باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان

بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) الفرق بين الرسول والنبي هو ان الرسالة باعتبار تبليغ الاحكام بالبها الرسول بلغ والنبوة باعتبار الاخبار عن المعارف والحقائق التي تتعلق بتفاصيل الصفات والافعال فان النبوة تظاهرا الولاية التي هي الاستغراق في عين الجمع والفناء في الذات فعلها علم توحيد الذات ومحو الافعال والصفات فكل رسول نبي وكل نبي ولي وليس كل ولي نبيا ولا كل نبي مرسلا وان كانت رتبة الولاية اشرف من النبوة والنبوة من الرسالة كما قيل مقام النبوة في برزخ * دوين الولي وفوق الرسول فلا يرسل الرسول الا ليطاعة اذ حكمه حكم الله باعتبار التبليغ فيجب ان يطاع الا بلاذنه فان من حجب عنه بقصور الاستعداد كالكافر الاصلي الشقي الحقيقي او بالرين ومحو الاستعداد كالمنافق ليس بمأذون له في الطاعة في الحقيقة (ولو انهم اذ ظلموا

يوجد خمس رضعات متفرقات* روى ذلك عن عائشة* وبه قال عبدالله بن الزبير* واليه ذهب الشافعى* ويدل على ذلك ماروى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم (م) عن ام الفضل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة قال يانبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن (قولها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لايتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقى حكمه* وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد فى احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعى* واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا* واجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وامهات نسائكم) يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع ايضا (وذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها اولم يدخل بها (وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس* والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور (ويدل على ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امرأة فلايحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذى وقوله تعالى (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهى بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها فى حجر الرجل* وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها اوماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولايجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل ابنائكم) يعنى ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه. وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه فى ازار واحد. وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء* وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من اصلابكم) انما قال من اصلابكم احترازا من التبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لاتحرم على الرجل الذى تبناه لانه كان فى صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد ابن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى* وماجعل

انفسهم) بمنعها عن حقوقها التى هى كمالاتها الثابتة فيها بالقوة وتكدير الاستعداد بالتوجه الى طلب اللذات الحسية والاغراض الفانية (جاؤك) بالارادة التى هى مقتضى استعدادهم (فاستغفروا الله) طلبوا من الله ستر صفات نفوسهم التى هى مصادر تلك الافعال الحاجبة لما فى استعدادهم بنور صفاته (واستغفر لهم الرسول) بامدادهم بنور صفاته التى هى صفات الله عزوجل لرابطة الجنسية التى بينهم وبين نفسه ومكان الارادة والمحبة التى تستلزم قربهم منه وامتزاجهم به (لوجدوا الله توابا) مطهرا مصفيا لاستعدادهم بنوره اذ قبول التوبة هو القاء نور الصفات عليهم وتنوير بواطنهم بهيئة نورية تعصمهم من الخطا فى الافعال لبعد النور عن الظلمة (رحيما) بفيض عليهم رحمة الكمال اللائق بهم من الايقان العلمى او العينى او الحقى (فلا وربك لايؤمنون) الايمان الحقيقى التوحيدى (حتى يحكموك)لكون حكمك حكم الله وانما حجبت الذات بالصفات

ادعياءكم ابناءكم* وقال تعالى* لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم * وقوله تعالى (وان تجمعوا بين الاختين) يعنى لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب اورضاع (والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه (احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لايصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جازله نكاح اختها (الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هوان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوزله ان يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع اوهبة اوعتق اوكتابة (الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هوان يتزوج احداهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين* فذهب بعض العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه * وذهب بعضهم الى جوازه * والقول الاول اصح واولى لماروى قبيصة ابن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية فأما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لى من الامر شئ لم اجد احدا فعل ذلك الاجعلته نكالا قال ابن شهاب اراه على بن ابى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطأ * وقوله تعالى (الاماقدسلف) يعنى لكن ماقد مضى فانه معفوعنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان انكحة الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت ويدل على ذلك ماروى عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يارسول الله انى اسلمت وتحتى اختان قال طلق ايتهما شئت اخرجه ابوداود * (فروع) * تتعلق بحكم الآية* الاول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها اخرجاه في الصحيحين* قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة اولبن لوكان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما* الفرع الثانى المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ماتقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المرأة وحليلة الابن وزجة الاب وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين *الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه امها ولا بنتها لواراد ان يتزوج بهن وكذلك لاتحرم المزنى بها على آباء الزانى ولا ابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح اوبنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد* وهذا قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى* واليه ذهب مالك والشافعى وفقهاء الحجاز* وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة* يروى ذلك عن عمر ان بن حصين وابى هريرة * وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق (ولولمس امرأة اجنبية بشهوة

والصفات بالافعال فاذا تشاجروا وقفوا مع صفاتهم محجوبين عن صفات الحق اومع افعالهم محجوبين عن افعال الحق فلم يؤمنوا حقيقة فاذا حكموك انسلخوا عن افعالهم واذالم يجدوا في انفسهم حرجا من قضائك انسلخوا عن اراداتهم فصاروا الى مقام الرضا وعن علمهم وقدرتهم فصاروا الى مقام التسليم فلم يبق لهم حجاب من صفاتهم واتصفوا بصفات الحق فانكشف لهم في صورة الصفات فعلوا انك هو قائم به لا بنفسك عادل بالحقيقة بعدله فتحقق ايمانهم بالله (فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا) اى فرضنا (عليهم ان اقتلوا انفسكم) بقمع الهوى الذى هو حيواتها وافناء صفاتها (اواخرجوا من دياركم) مقاماتكم التى هى الصبر والتوكل والرضا وامثالها لكونها حاجبة عن التوحيد كما قال الحسين بن منصور قدس الله روحه لابرهيم بن ادهم رحمه الله لماسأله عن حاله واجابه بقوله ادور في الصحارى والطوف في البرارى حيث

او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول فى اثبات تحريم المصاهرة. وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء فى تحريم الربيبة) فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثانى لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة * قوله تعالى (والمحصنات) يعنى وحرمت المحصنات (من النساء) واصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة * والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب (قال ابو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ما ملكت ايمانكم) يعنى السبايا التى سبين ولهن ازواج فى دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبى يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها (قال ابو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية (وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها (وقال عطاء اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته فى نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه (وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم فى الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعنى حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا (وقيل معناه الزموا كتاب الله (وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (واحل لكم ما وراء ذلكم) يعنى واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذى ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضى حل ما سوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر * فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها * ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره * ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضى عدتها * ومن ذلك ان من كان فى نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة * ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة * ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد * فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر فى الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (ان تبتغوا بأموالكم) فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اى تطلبوا باموالكم اى تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن * وفى الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشىء فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم (محصنين) يعنى متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعنى غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمى الزنا سفاحا لان الزانى لا غرض له الا صب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان

لا ماء ولا شجر ولا روض ولا مطر هل يصح حالى فى التوكل ام لا فقال اذا افنيت عمرك فى عمران بطنك فاين الفناء فى التوحيد (ما فعلوه الا قليل منهم) وهم المحبون المستعد دون للفنائه الاكثرون قدرا الاقلون عددا كما قال تعالى وقليل ما هم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم) بحسب كمالهم الحاصل لهم عند رفع حجب صفات النفس بالاتصاف بصفات الحق او بالوصول الى عين الجمع (واشد تثبيتا) بالاستقامة فى الدين عند البقاء بعد الفناء (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) من تجليات الصفات عند قتل النفس (ولهديناهم صراطا مستقيما) عند الخروج عن الديار اى منازل النفس والمقامات وهو طريق الوحدة والاستقامة فى التوحيد (ومن يطع الله) بسلوك طرق التوحيد والجمع (والرسول) بمراعاة التفصيل (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) بالهداية (من النبيين والصديقين) الذين صدقوا بنسبة الافعال والصفات الى الله بالانخلاع عن صفاتهم والاتصاف بصفاته

ولوظهروابصفات نفوسهم
لكانوا كاذبين(والشهداء)
اى اهل الحضور
(والصالحين) اى اهل
الاستقامة فى الدين(وحسن
اولئك رفيقاذلك الفضل
من الله وكفى بالله عليما)
اى التوفيق لتحصيل
الكمال الذى ناسبوابه
النبيين ومن معهم فرافقوهم
(وكفى بالله عليما) يعلم
مافى استعدادهم من الكمال
فيظهره عليهم (ياايها الذين
آمنوا خذوا حذركم) اى
ماتحذرون من القاء الشيطان
ووساوسه واهلاكه اياكم
بالاغواء ومن ظهور
صفات نفوسكم واستيلائها
عليكم فانها اعدى عدوكم
(فانفروا ثبات) اسلكوا
فى سبيل الله جماعات كل
فرقة على طريقة شيخ كامل
عالم (اوانفروا جميعا)
فى طريق التوحيد والاسلام
على متابعة النبى (وان منكم
لمن ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة قال قد انعم الله على
اذلم اكن معهم شهيد اولئن
اصابكم فضل من الله ليقولن
كأن لم تكن بينكم وبينه
مودة ياليتنى كنت معهم
فأفوز فوزا عظيما فليقاتل
فى سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالآخرة ومن

اصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ماانتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعنى مهورهن
وانما سمى المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمى بدل منافع الدار والدابة
اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم
فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا
فى ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن
معبد الجهنى انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس انى كنت اذنت
لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ
فليخل سبيله ولاتأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن
بعدهم اى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ماتقدم
من حديث سبرة الجهنى (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول
ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى ان السنة لاتنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ
هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
اوماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين
واختلفت الروايات عن ابن عباس فى المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص
فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هى ام نكاح فقال لاسفاح ولانكاح قلت فما هى
قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان
قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله انا ماافتيت
باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له* وروى انه رجع عنه وقال
بتحريمها* وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت
منسوخة بقوله ياايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن* وروى سالم بن عبدالله بن
عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال مابال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لااجد رجلا نكحها الارجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح
والطلاق والعدة والميراث* قال الشافعى لااعلم فى الاسلام شيأ احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة
* وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة
هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراى وانه لارخصة
فيها لمضطر ولالغيره قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا
المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة
النساء وهذا تكلف لايحتاج اليه لان النبى صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها فحرمها
فكان قوله منسوخا بقوله واما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح* قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به
منهن فما نكحتموه على الشرائط التى جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اى عاقدين التزويج
وقال ابن جرير الطبرى اولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه

منهن بجامعتموهن فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن اجورهن يعنى مهورهن (فريضة) يعنى لازمة وواجبة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه *فمن حمل ماقبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذاعقدا عقدا الى اجل على مال فاذاتم الاجل فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقدتقدم انذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم *ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به يعنى من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض * وقال الزجاج معناه لاجناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التى لم يدخل بها نصف المهر الذى لايجب عليه (ان الله عليما) يعنى بما يصلحكم ايها الناس فى مناكحكم وغيرها من سائر اموركم (حكيما) يعنى فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولايدخل حكمه خلل ولازلل * (فصل فى قدر الصداق ومايستحب منه) * اعلم انه لاتقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ والمستحب ان لايغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الالاتغالوا فى صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ماعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولاانكح شيأ من بناته على اكثر من اثنى عشر اوقية اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (م) عن ابى سلمة قال سألت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتى عشرة اوقية ونشا قالت اتدرى ماالنش قلت لاقالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم (واختلف العلماء فى اقل الصداق . فذهب جماعة الى انه لاتقدير لاقله بل كل ماجاز ان يكون مبيعا اوثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثورى والشافعى واحمد واسحق . وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابى حنيفة غيران نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعندابى حنيفة عشرة دراهم (والدليل على ان الصداق لايتقدر ماروى عن سهل بن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قدوهبت نفسى لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيأ جلست فقام رجل من اصحابه فقال يارسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شئ فقال لاوالله يارسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيأ فذهب ثم رجع فقال لاوالله ماوجدت شيأ فقال رسول صلى الله عليه وسلم انظر ولوخاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لاوالله يارسول الله ولاخاتما من حديد ولكن ازارى هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شئ وان لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبى صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعى له فلما جاء قال ماذامعك من القرآن قال معى سورة كذا وسورة كذاعددها قال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد

يقاتل فى سبيل الله فيقتل اويغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعلنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله اواشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) اثبت انهم قدريون يضيفون الخيرات الى الله والشرور الى الناس يتشبهون بالمجوس فى اثبات مؤثرين مستقلين

ملكتكها بما معك من القرآن وفى رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفى رواية فقد انكحنا كها بما معك من القرآن اخرجاه فى الصحيحين وهذا لفظ الحميدى * ففى هذا الحديث دليل على انه لاتقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيأ فهذا يدل على جواز اى شئ كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه * وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى ومنعه اصحاب الرأى * عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل أخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر * قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد مالا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة (ان ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات فما ملكت ايمانكم) يعنى جارية اخيك المؤمن فان الانسان لايجوز له ان يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة (والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى * وفى الآية دليل على انه لايجوز للحر نكاح الامة الابشرطين احدهما ان لايجد مهر حرة لانه جرت العادة فى الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى واحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابى حنيفة الا ان يكون فى نكاحه حرة * والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الاعند خوف العنت ان الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار * ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند ابى حنيفة لايجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر * وفى الآية دليل على انه لايجوز للمسلم حرا كان اوعبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعى وقال ابو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين * وقوله تعالى (والله اعلم بايمانكم) قال الزجاج اى اعملوا على الظاهر فى الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لاتتعرضوا للباطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعنى انكم كلكم من نفس واحدة

فى الوجود واضافتهم الشرور الى الرسول لا الى انفسهم كانت لانه باعثهم ومحرضهم على مايلقون بسببه الشر عندهم فأمر الرسول بدعوتهم الى توحيد الافعال ونفى التأثير عن الاغيار والاقرار بكونه فاعل الخير والشر بقوله (قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) لاحتجابهم بصفات النفوس وارتجاج آذان قلوبهم التى هى اوعية السماع والوعى ثم بين ان الله فضلا وعدلا فالخيرات والكمالات كلها من فضله والشرور من عدله اى يقدرها علينا ويفعلها بنا لاستعداد واستحقاق فينا يقتضى ذلك وذلك الاستحقاق انما يحدث من ظهور النفس بصفاتها وارتكابها المعاصى والذنوب الموجبة للعقاب لابفعل آخر كما نسبوا مااصابهم من الشر الى الرسول لان الاستحقاق مرتب على الاستعداد ولايعرض مايقتضيه استعداد احد لغيره كما قال تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى فكذبهم وخطأهم فى قدريتهم باثبات ان السبب

فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة * وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فأعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون فى النسب الى آدم * وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جازله ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المؤمنين بعضهم اكفاء بعض (فانكحوهن باذن اهلهن) يعنى اخطبوا الاماء الى ساداتهن * واتفق العلماء ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا فى جواز نكاح الامة (وآتوهن اجورهن) يعنى مهورهن (بالمعروف) يعنى من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهور امثالهن * واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعنى عفائف (غير مسافحات) يعنى غير زانيات (ولا متخذات اخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك فى كل امر ظاهر وباطن واكثر مايستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعنى حبها الذى يزنى بها فى السر (قال الحسن المسافحة هى التى كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هى التى تختص بواحد ولا تزنى مع غيره وكانت العرب فى الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فاذا احصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن (فان اتين بفاحشة) يعنى بزنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعنى فعلى الاماء اللاتى زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه * هذا قول اكثر العلماء وروى عن ابن عباس * وقال طاوس انه لاحد على من لم يتزوج من المماليك اذا ازنى لان الله تعالى قال فاذا احصن والذى لم يتزوج ليس بمحصن * واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيانه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ماروى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه فى الصحيحين (قوله ولا يثرب عليها اى لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء فى اللوم قال الشيخ محيى الدين النواوى وهذا البيع المأمور به فى الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب * وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب (فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم (فالجواب لعلها تستعف عند المشترى بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشى العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان

الفاعل للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب القابلى فهو وان كان ايضا منه فى الحقيقة الا ان قابلية الخير هو من الاستعداد الاصلى الذى هو من الفيض الاقدس الذى لا مدخل لفعلنا واختيارنا فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بصفات والافعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهره حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والمصائب والبلايا والنوائب لامن قبل الرسول او غيره (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذا عوابه ولو ردوه الى الرسول والى

تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا * وانما سمى الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وان تصبروا) يعنى عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه * قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام فى قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) اى ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) اى شرائع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم (وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته (وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيما دبر من امورهم (والله يريد ان يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى * وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم * وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى * وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال * وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية * وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم (ان تميلوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله ان يخفف عنكم) يعنى ليسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة * وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) يعنى بالحرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه فى المعاصى واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه

اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها اوردوها ان الله كان على كل شئ حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم

وقيل يدخل فى اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة * وقوله تعالى (الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال
بالباطل فكان الا ههنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم
وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار مالم يتفرقا لما
روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما
بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الآخر فان خير احدهما الآخر فتبايعا على ذلك
فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه
فى الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) اى لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال انفسكم
لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى حجة الوداع
الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهى للانسان عن قتل نفسه
(ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو
فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار
جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم
خالدا مخلدا فيها ابدا * قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال الى اسفل * قوله يتوجأ يقال
جأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اى يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرنى عبدى بنفسه
حرمت عليه الجنة وفى رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها
يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة * وقيل فى معنى
قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل
نفسه * وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل * وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان
تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعنى انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل
شئ تستوجبون به مشقة او محنة * وقيل انه تعالى امر بنى اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم
وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعنى
ماسبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات (وقيل انه يعود
الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى آية واحدة (وقيل انه يعود الى كل مانهى الله
عنه من اول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعنى يتجاوز الحد فيضع الشئ فى غير موضعه فلذلك
قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق
فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا)
اى ندخله فى الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) اى هينا لانه تعالى قادر على
مايريد * قوله عزوجل (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اجتناب الشئ المباعدة عنه وتركه
جانبا * والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث
الواردة فى الكبائر * فمن ذلك ماروى عن ابى بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة

ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم والقوا اليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم
كلما ردوا الى الفتنة اركسوا
فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا
اليكم السلم ويكفوا ايديهم
فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا وماكان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة ودية مسلمة
الى اهله الا ان يصدقوا فان
كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين توبة من الله وكان الله
عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم فى
سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا تبتغون عرض الحيوة
الدنيا فعند الله مغانم كثيرة
كذلك كنتم من قبل فمن الله

الزور اوقول الزور وكان متكئا فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه فى الصحيحين (ق) عن انس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور اوقال شهادة الزور (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل اوامه فيسب اباه اوامه وفى رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبدالله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبعمائة اقرب وفى رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة * مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر * وقال على بن ابى طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة * وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى * وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيآت ذنوب اهل السنة * وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيآت الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة * وقال السدى الكبائر مانهى الله عنه من الذنوب والسيآت مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم * وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيآت فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه هى كل ذنب عظم

عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة) التوفى هو استيفاء الروح من البدن بقبضها عنه وهو على ثلاثة اوجه توفى الملائكة وتوفى ملك الموت وتوفى الله اماتوفى الملائكة فهو لاصحاب النفوس وهم اماسعداء اهل الخير والصفات الحميدة والاخلاق الحسنة من الصالحين المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فمعادهم الى جنة الافعال واما اشقياء اهل الشر والصفات الرديئة والاخلاق السيئة فلا يقبض ارواحهم الا القوى الملكوتية التى هى للعالم بمثابة قواهم التى هم فى مقامها محتجبون بصفات النفس ولذات القوى الخيالية والوهمية والسبعية

قصد وعظمت عقوبته اما فى الدنيا بالحدود واما فى الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعنى نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولاتكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد فى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لمابينهن زاد فى رواية ما لم تغش الكبائر وزاد فى رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لمابينهن اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم * وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه * قوله عز وجل (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) اصل التمنى ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لايكون * وقيل التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية واكثر التمنى تصور مالاحقيقة له * وقيل التمنى عبارة عن ارادة مايعلم او يظن انه لايكون * عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يارسول الله يغزو الرجال ولاتغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث مرسل * وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية * وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء فى الحسنات فى الآخرة فيكون لنا اجرنا على ضعف اجر النساء كما فضلنا عليهن فى الميراث وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية * والتمنى على قسمين * احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد فى نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم * القسم الثانى ان يتمنى مثل مال غيره ولايحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين او الدنيا قال الحسن لاتتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدرى لعل هلاكك فى ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطنى مايكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى * وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعنى مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين * وقيل هذا الاكتساب فى الاجر يعنى ان الرجال والنساء فى الاجر فى الآخرة سواء لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها يستوى فى ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال فى الدنيا على النساء * وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعنى من طاعة الازواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعنى من رزقه * وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل

والبهيمة من الكافرين الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فمعادهم الى النار واما توفى ملك الموت فهو لارباب القلوب الذين برزوا عن حجاب النفس الى مقام القلب ورجعوا الى الفطرة فتنوروا بنورها فتقبض ارواحهم النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم باتصالهم بها هذا اذا قبض ارواحهم ملك الموت بنفسه اما اذا قبض بأعوانه وقواهم فهم الفريق الاول وقد يقبض بنفسه ويذرهم فى ملكوت العذاب حتى يحاسبوا ويعاقبوا بحسب رذائلهم ويتخلصوا وذلك للكمال العلمى كما خلص من الجهل والشرك وتحلى بالعلم والتوحيد ولكن تراكمت على قلبه الهيئات المظلمة والملكات الرديئة بسبب الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة والعلم بالتوحيد والجهل بالمعاد كالموحد المنكر للجزاء فينهمك فى المعاصى كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم واما توفى الله تعالى فهو للموحدين الذين عرجوا عن مقام القلب الى محل الشهود فلم يبق بينهم وبين ربهم حجاب فهو يتولى قبض ارواحهم بنفسه ويحشرهم الى نفسه يوم

لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لايعين شيأ فى الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله مايكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته * وقيل لما تمنى النساء ان يكن رجالا وان يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسألوه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده (ان الله كان بكل شئ عليما) يعنى انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل فى الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحهم فلا يتمنى غير الذى قدر له * قوله تعالى (ولكل) يعنى من الرجال والنساء (جعلنا موالى) يعنى ورثة من بنى عم واخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعنى يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الموروثون * وقيل معناه ولكل جعلنا موالى اى ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعنى من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه * والقول الاول اصح لانه مروى عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت ايمانكم) وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف * والمعاقدة المحالفة والمعاهدة * والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم او اليد او هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل فى الجاهلية ويعاقده فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وارثك وتطلب بى واطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس فى مال الآخر وكان الحكم ثابتا فى الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعنى اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله * وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبنى بهذه الآية ثم نسخ ذلك * وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعنى من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك * فعلى هذا لاتكون منسوخة * وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة فى حجر ابى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لاتقرؤا والذين عاقدت ايمانكم انما نزلت فى ابى بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لايورثه فلما اسلم امره الله ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصرة لاغير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحلف فى الاسلام وايما حلف كان فى الجاهلية

نحشر المتقين الى الرحمن وفدا كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها (ظالمى انفسهم) بمنعها عن حقوقها التى اقتضتها استعداداتهم من الكمالات المودعة فيها (فيم كنتم) حيث قصرتم فى السعى لاقدرتم وفرطتم فى جنب الله وقصرتم عن بلوغ كمالكم الذى هيئ لكم وندبتم اليه (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) فى ارض الاستعداد الذى جبلنا عليه باستيلاء قوى النفس الامارة وغلبة سلطان الهوى بشيطان الوهم اسرونا فى قيودهم وجبرونا على دينهم واكرهونا على كفرهم (قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الم تكن سعة استعدادكم بحيث تهاجروا فيها من مبدا فطرتكم خطوات يسيرة بحيث اذا ارتفعت عنكم بعض الحجب انطلقتم عن اسر القوى وتخلصتم عن قيود الهوى وتقويتم بامداد اعوانكم القوى الروحانية ونصرتم بأنوار القلب فخرجتم عن القرية الظالم اهلها التى هى مدينة النفس الى بلد القلب الطيبة فتداركتم رحمة ربكم الغفور (فأولئك مأواهم جهنم) نفوسهم الشديدة التوقان مع حصول الحرمان

لم يزده الاسلام الاشدة اخرجه مسلم * وقوله تعالى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ماخلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء * وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ماعملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين * قوله عزوجل (الرجال قوّامون على النساء) نزلت فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتى فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتانى فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها فى طاعة الله * والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بامر المرأة ويجتهد فى حفظها * ولما اثبت القيام للرجال على النساء بين السبب فى ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعنى ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولايجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب فى الميراث والتعصيب فى الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء * ثم قال تعالى (وبما نفقوا من اموالهم) يعنى وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوكنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذى (فالصالحات) يعنى المحسنات العاملات بالخير (قانتات) اى مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن فى غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذى هو من غيره * وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله ومايجب على المرأة من حفظ متاع البيت فى غيبة زوجها عن ابى هريرة قال قيل يارسول الله اىّ النساء خير قال التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولاتخالفه فى نفسها ولامالها بمايكره اخرجه النسائى ورواه البغوى بسند الثعلبى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية * وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعنى بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج مافى الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء * وقيل فى معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب * وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف اوتسريحهن باحسان (واللاتى تخافون) اى تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) اى غرورهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها الزوج وجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه * وقيل دلالات النشوز

(وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال) اى اقوياء الاستعداد الذين قويت قواهم الشهوية والغضبية مع قوّة استعدادهم فلم يقدروا على قمعها فى سلوك طريق الحق ولم يذهبوا لقواهم الوهمية والخيالية فيبطلوا استعداداتهم بالعقائد الفاسدة فبقوا فى اسر قواهم البدنية مع تنوّر استعدادهم بنور العلم وعجزهم عن السلوك برفع القيود (والنساء) اى القاصرى الاستعداد عن درك الكمال العلمىّ وسلوك طريق التحقيق الضعفاء القوى والاحلام الذين قال فى حقهم اكثر اهل الجنة البله (والولدان) اى الناقصين القاصرين عن بلوغ درجة الكمال لغيره اللحقهم من قبل صفات النفس (لايستطيعون حيلة) لعدم قدرتهم وعجزهم عن كسر صفات النفس وقمع الهوى بالرياضة (ولايهتدون سبيلا) لعدم علمهم بكيفية السلوك وحرمانهم عن نور الهداية الشرعية (فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم) بمحو تلك الهيئات المظلمة لعدم رسوخها وسلامة عقائدهم (وكان الله عفوّا) العفو عن الذنوب مادامت الفطرة لم تتغير (غفورا) يستر بنور

قدتكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت
تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها
عليه اولم تجبه اذا دعاها اولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن)
يعنى اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقى الله وخافيه
فان لى عليك حقا وارجعى عما انت عليه واعلمى ان طاعتى فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت
على ذلك هجرها فى المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن فى المضاجع) يعنى ان لم ينزعن عن ذلك
بالقول فاهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس هوان يوليها ظهره فى الفراش ولا يكلمها * وقيل
هوان يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعنى ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعنى
ضربا غير مبرح ولا شائن * قيل هوان يضربها بالسواك ونحوه * وقال الشافعى الضرب مباح وتركه
افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول بعد ان
حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر فى الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا
فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن
فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه
الترمذى بزيادة فيه * قوله عوان جمع عانية اى اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها
بالاسير * والضرب المبرح الشديد الشاق * وقوله (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اى لا تطلبوا
عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم * عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت
يارسول الله ماحق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت اخرجه ابوداود * قوله ولا تقبح اى لا تقل قبحك الله
(ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امرأته جلد
العبد ثم لعله يجامعها اوقال يضاجعها من آخر اليوم * عن اياس بن عبد الله بن ابى ذباب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
زبرت النساء على ازواجهن فرخص فى ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير
يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن
ليس اولئك بخياركم اخرجه ابوداود * اياس بن عبد الله هذا قد اختلف فى صحبته وقال البخارى لا يعرف
له صحبة * قوله زبرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه * واطاف بالشئ احاط به * ففى هذه
الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا
شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع
المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط * وقيل ينبغى ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب
بالسوط والعصا * وبالجملة فالتخفيف بابلغ شئ اولى فى هذا الباب * واختلف العلماء فقال بعضهم حكم
الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب * قال
على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها
فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز

صفاته صفات نفوسهم
(ومن يهاجر فى سبيل الله)
اى مقار النفس المألوفة
فى سبيل طريق الحق بالعزيمة
(يجد فى الارض مراغما كثيرا)
فى ارض استعداده مهاجر
ومساكن ومنازل كثيرة
فيها رغم أنوف قوى نفسه
الوهمية والخيالية والبهيمية
والسبعية واذلالها (وسعة)
وانشراحا فى الصدر عند
الخلاص من ضيق صفات
النفس وأسر الهوى (ومن
يخرج) من المقام الذى هو
فيه سواء كان مقر استعداده
الذى جبل عليه أو منزلا
من منازل النفس أو مقاما
من مقامات القلب (مهاجرا
الى الله) بالتوجه الى توحيد
الذات (ورسوله) بالتوجه
الى طلب الاستقامة فى توحيد
الصفات (ثم يدركه الموت)
الانقطاع قبل الوصول
(فقد وقع أجره على الله)
بحسب ماتوجه اليه فان
المتوجه الى السلوك له أجر
المنزل الذى وصل اليه
أى المرتبة من الكمال الذى
حصل له ان كان واجر المقام
الذى وقع نظر عليه وقصده
فان ذالك الكمال وان لم
يحصل بحسب السلك
والقدم لكنه اشتاق اليه
بحسب القصد والنظر فهى

اما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل * وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها او ان يهجرها او يضربها * عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجه ابوداود (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملئكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع * عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي * اوله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا * وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة * وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء * وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب * وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلي في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين * العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح * والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته تعالى * والمعنى ان الله متعال من ان يكلف عباده مالا يطيقونه * وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال * وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فأنتم احق بالعفو عمن جنى عليكم * قوله تعالى (وان خفتم) يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اي ظننتم (شقاق بينهما) يعني بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين مايشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا الى مالا يحل قولا وفعلا * وقوله تعالى (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين * فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امر الآحاد الامة سواء وجد الامام اولم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به * وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل

ان يؤيده التوفيق بعد ارتفاع الحجب بالوصول اليه (وكان الله غفورا) يغفر له ما يمنعه عن قصده من الموانع (رحيما) يرحمه بان يهب له الكمال الذي توجه اليه ووقع نظره عليه * (واذا ضربتم في الارض) واذا سافرتم في ارض الاستعداد بالطريق العلمي لطلب اليقين (فليس عليكم جناح ان تقصروا) من الصلاة اي تنقصوا من الاعمال البدنية واداء حقوق العبودية من الشكر والحضور لقوله عليه الصلاة والسلام من أوتي حظه من اليقين فلا يبالي بما انقص من صلاته وصومه (ان خفتم ان يفتنكم) اي يغويكم ويضلكم (الذين كفروا) اي حجبوا من قوى الوهم والتخيل وشياطين الانس الضالين المضلين لما علم من قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى

بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها (ان يريدا اصلاحا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعى بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ماعليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل اما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعى والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته فى الاقامة على النكاح او فى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ماهو الصواب من اتفاق او طلاق او خلع * والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما فى ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدى حكم المرأة بشئ من مالها *فللشافعى فى ذلك قولان* احدهما انه لايجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يختلع بشئ من مالها الا باذنها وهو مذهب ابى حنيفة واحد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول على للزوج كذبت اى لست بمنصف فى دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها* والقول الثانى انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فى ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما فى كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعنى ليست الفرقة فى كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة فى كتاب الله بل هى فى كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حالهما فى الوصلة * وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعنى ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عزوجل (واعبدوا الله) يعنى وحدوه واطيعوا وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتى به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولاتشركوا به شيأ) يعنى واخلصوا له فى العبادة ولاتجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله فقد اشرك به ولايكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير او اسمه يعفور فقال يامعاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولايشركوا به شيأ

لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولاجناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) لتحكم بين الناس اى على تفاصيل الصفات واحكام تجلياتها بالحق ملتبسا بالعدل والصدق او قائما بالحق لابنفسك لتكون حاكما بين الخلق (بما اراك الله) من عدله (ولاتكن للخائنين) الذين لايؤدون امانة الله التى اودعها عندهم فى الازل بما ركز فى استعدادهم من امكان كمال معرفته وخانوا انفسهم وغيرهم بنهب حقوقهم وصرفها فى غير

وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يارسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا * قوله هل تدرى ماحق الله على عباده معناه مايستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ * وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيأ ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب اى متأكد قيامى به * وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة * وقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعنى برأ بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد * واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ابوك وفى رواية قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك * قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم برأباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه قيل من يارسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر اواحدهما ثم لم يدخل الجنة * قوله تعالى (وبذى القربى) اى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذو رحمه من قبل ابيه وامه (ق) عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى اثره فليصل رحمه * قوله ينسأ له فى اثره يعنى يؤخر له فى اجله وعمره * وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) اى واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم لا يفطر * وقوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) اى واحسنوا الى الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما بابا منك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه * ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه * البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله

وجهها (خصيما) يدفع عنهم العذاب وتسليط الله الخلق عليهم بالايذاء ويحتج عنهم على غيرهم او على الله بالاعتراض بأنه لم خذلهم وقهرهم فانهم الظالمون لا حجة لهم بل الحجة عليهم (واستغفر الله) لنفسك بترك الاعتراض والاحتجاج عنهم لنغفر لك ذنبك الذى

صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشئ الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليصمت * وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر* وقيل هى المرأة تكون معك الى جنبك * وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك * عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عندالله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عندالله تعالى خيرهم لجاره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر المجتاز بك الذين قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن ابى شريح خويلد بن عمرو العدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليصمت زاد فى رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولاشئ عنده يقريه به* قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية اى يقرى الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه مايجوز به من منهل الى منهل* وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه مايكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر * وقوله ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه اى يوقعه فى الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك * وقوله تعالى (وماملكت ايمانكم) يعنى المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لايكلفهم ما لايطيقون ولايؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة مايحتاجون اليه بقدر الكفاية * عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة سيئ الملكة اخرجه الترمذى* عن رافع بن مكيث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابوداود* وله عن على بن ابى طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت اباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولاتكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه * وقوله تعالى (ان الله لايحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لايقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذى يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه* وقيل هو الذى يفتخر على عبادالله بما اعطاه الله من نعمه ولايشكره عليها* وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولايلوى بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله

ظهر عليك بوجود قلبك وبصفاته (ان الله كان غفورا رحيما ولاتجادل) لهر تأويله من هذا (عن الذين يختانون انفسهم ان الله لايحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس) بكتمان رذائلهم وصفات نفوسهم التى هى معايبهم عنهم (ولايستخفون من الله

صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال فى مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء فى الفدادين من اهل الوبر والسكينة فى اهل الغنم * الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما * قوله عزوجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت فى اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها * وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم * وقال ابن عباس نزلت فى كردم بن زيد وحيى بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن ابى نافع ويحيى بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون مايكون فانزل الله عزوجل هذه الآية * وقيل يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل فى كلام العرب منع السائل من فضل ماليديه وامساك المقتنيات * وفى الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعنى اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم * وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال (واعتدنا للكافرين) يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعنى فى الآخرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله عزوجل (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) يعنى للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معى فيه غيرى تركته وشركه * نزلت هذه الآية فى اليهود * وقيل فى المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق * وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعنى ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال انه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان * والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان فبئس العمل عمله * وقيل هذا فى الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم فى النار يقرن مع كل كافر شيطان فى سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وغيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعنى واى شئ عليهم واى وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) اى اى وبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعنى لا يخفى عليه شئ من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله عزوجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرة)

وهو معهم) بازائها وقلبها وهو شاهدهم يعلم بواطنهم (اذ يبيتون) اى يقدرون فى عالم ظلمة النفس والطبيعة (ما لا يرضى من القول) من الوهميات والتخيلات الفاسدة التى يلفقونها فى تحصيل اغراضهم من حطام الدنيا ولذاتها (وكان الله بما يعملون محيطا)

نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا قال الله لايظلم ولايبخس ولاينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرّة يعني وزن ذرّة وقال ابن عباس الذرّة رأس نملة حمراء وقيل الذرّة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوّة اذا كان فيها ضوء الشمس لاوزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لايظلم احدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شئ يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرّة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيآتي بمثقال ذرّة احب اليّ من الدنيا ومافيها (م) عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لايظلم مثقال ذرّة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيأ اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لايارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولاثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذي (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده مامن احد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيام لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر مايكون الى الشمس اصيفر واخيضر ومايكون منها الى الظل

يجازيهم بحسب صفاتهم واعمالهم (هاانتم هؤلاء) ظاهر عامّ (جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ) بظهور صفة من صفات نفسه (او يظلم نفسه ثم يستغفر الله) بنقص شئ من كمالاته التي هي مقتضى استعداده

يكون ابيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا مالم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون ربنا اى شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم بعده ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث * وقال بعضهم هذه الآية واردة فى الخصوم ويدل عليه ماروى عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك فى كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول اى رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا فى اعماله الصالحات فأعطوهم منها وان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذى حق حقه وبقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدى وادخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك فى كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل ينيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة (ويؤت من لدنه) يعنى من عنده (اجرا عظيما) يعنى الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعنى عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره * قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبى كل امة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا مادمت فيهم اوقال ماكنت فيهم شك احد رواته * وقوله تعالى (يومئذ) يعنى يوم القيامة (يود) اى يتمنى (الذين كفروا) يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعنى فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعنى لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا ان لن يبعثوا لانهم انما كانوا فى الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبى يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس

بتقصير فيه وارتكاب عمل ينافيه ثم يطلب من الله ستر تلك الصفة والهيئة الساترة لكماله بالتوجه اليه والتنصل عن الذنب (يجد الله غفورا) يستر ذلك السوء والهيئة المظلمة بنور صفته (رحيما) يهب ما يقتضيه استعداده (ومن يكسب خطيئة) بظهور

في رواية عطاء ودّوا لو تسوّى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال اني اجد في القرآن اشياء تختلف عليّ قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمهم عليّ في المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز * واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا جنبا) يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى

نفسه (او اثما) يمحو ما في استعداده وكسب هيئة منافية لكماله (ثم يرم به بريئا) بان قال حملني على ذلك فلان ومنعني عن طلب الحق فلان وهذا جريمة فلان كما هو عادة المتعللين بالاعذار (فقد احتمل بهتانا) بنسبة فعله الى الغير اذ لو لم يكن في نفسه ميل

المصدر الذى هو الاجناب واصل الجنابة البعد سمى الذى اصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة
والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الاعابرى سبيل) العابرهنا فاعل من العبور وهو
قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر * واختلف العلماء فى معنى قوله الاعابرى سبيل على
قولين * احدهما ان المراد بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم
فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا
القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لاتقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه
اما للخروج منه اوللدخول فيه مثل ان يكون قدنام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج منه اويكون
الماء فى المسجد فيدخل اليه اويكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس
بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراسانى والنخعى والزهرى
واليه ذهب الشافعى واحمد * القول الثانى ان المراد من قوله الاعابرى سبيل المسافرون والمعنى
لاتقربوا الصلاة وأنتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة
حتى يغتسل الا ان يكون فى سفر ولاماء معه فيتيمم ويصلى الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علىّ
وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابرى السبيل المسافرين منع الجنب من
العبور فى المسجد وهو مذهب ابى حنيفة وصحح ابن جرير الطبرى والواحدى القول الاول * ويدل
على صحته وجهان * احدهما ان المسافر الجنب لاتصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا
فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لايحتاج الى اضمار شئ * الوجه
الثانى ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يجعل هذا على حكم
معاد فى الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى
الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال
* (فصل فى أحكام تتعلق بالآية) * اختلف العلماء فى العبور فى المسجد فاباحه قوم على الاطلاق
وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الرأى
وقال قوم يتيمم للعبور فى المسجد * واختلف العلماء فى المكث فى المسجد أيضا للجنب فمنعه اكثر اهل
العلم وقالوا لايجوز للجنب المكث فى المسجد بحال لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة فى المسجد فقال وجهوا هذه
البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء ان تنزل لهم
رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا احل المسجد لحائض ولا
جنب اخرجه ابوداود * وجوّز احمد المكث فى المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزنى من اصحاب
الشافعى وأجاب احمد عن حديث عائشة بانه فى رواته مجهول وقال عبد الحق لايثبت من قبل
اسناده * واستدل احمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجلسون فى المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن
منصور فى مسنده * واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن ام سلمة قالت دخل النبى
صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لايحل لجنب ولا حائض

لما يقتضيه كماله ومناسبة لمن
وافقه والطاعه لماقبل ذلك
منه فما كان الامن قبل نفسه
كما قال لهم الشيطان ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لى عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى فلا تلومونى
ولوموا انفسكم اذ لولم يكن
فى نفوسهم ظلمة تكسبها

اخرجه ابن ماجه * ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة * ويدل على ذلك ايضا ماروى عن علىّ بن ابى طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شئ ليس الجنابة اخرجه ابو داود و النسائى والترمذى ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال مالم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيأ اخرجه الدار قطنى * ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المنى وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة فى الفرج وان لم ينزل * ويدل على ذلك ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمرأة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابو داود والترمذى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد فى رواية وان لم ينزل * وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض واراد به المرض الذى يضر معه امساس الماء مثل الجدرى واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف اوزيادة الوجع فانه يتيمم ويصلى مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح تيمم للجريح فى الوجه واليدين لماروى عن جابر قال خرجنا فى سفرنا فأصاب رجلا مناحجر فشجه فى رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل تجدون لى رخصة فى التيمم فقالوا مانجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العى السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر اوقال يعصب شك الراوى على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه ابو داود والدارقطنى * ولم يجوز اصحاب الرأى الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان اكثر اعضائه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم * والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم * قوله تعالى (اوعلى سفر) يعنى او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلى ولا اعادة عليه لما روى عن ابى ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبنى الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا اباذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعسّ فيه ماء فسترتنى بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأنى القيت عنى جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود * العسّ قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال * اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء فى موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلى ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعى * وقال مالك والاوزاعى لا اعادة عليه * وقال ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء * وقوله تعالى (اوجاء احد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به

وظهور صفاتهم لم يكن فيهم محل لوسوسته وقابلية لدعوته (وانا مبينا) ظاهرا متضاعفا لتركبه من هيئة الخطيئة والامتناع من الاعتراف ونسبة التقصير الى انفسهم لتنكسر فتضعف عن الاستيلاء على القلب وحجبه عن الكمال (ولولا فضل الله عليك) اى توفيقه

عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعنى مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشئ باسم مكانه * وقوله تعالى (اولامستم النساء) قرئ هنا وفى سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف * العلماء فى معنى الملامسة على قولين * احدهما انه الجماع وهو قول على وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حى كريم يكنى عن الجماع بالملامسة * والقول الثانى ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع اوبغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة فى اللمس باليد فاما حمله على الاجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرأ اولامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لاتدل على الجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد فى الحديث النهى عن بيع الملامسة قال ابو عبيدة فى معناها هى ان يقول اذا لمست ثوبى اولمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة فى الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة فى غير الجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

* (فصل فى احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهرى والاوزاعى والشافعى لما روى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته اوجسها بيده فعليه الوضوء اخرجه مالك فى الموطأ قال الشافعى وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا * ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هى الا انت فضحكت اخرجه ابوداود * واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذى انه لايصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لاشئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقى يعرف بعروة المزنى وانما المحفوظ عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة * وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار * وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى * واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بماروى عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدى رسول الله صلى الله عليه ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه فى الصحيحين * واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حائل * (المسئلة الثانية) * اختلف قول الشافعى فى لمس المحرم كالام والبنت والاخت اواجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثانى انه ينتقض الوضوء به * ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعى التردد بين التعلق بعموم الآية فى قوله اولامستم النساء والنظر الى المعنى فى

النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض * وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لا فعل منه فى المباشرة رجلا كان اوامرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة * فأحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا * والقول الثانى انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدى على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة اوسنها اوظفرها فلا وضوء عليه * (المسئلة الثالثة فى الحدث) * وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا تصح صلاته مالم يتوضأ او يتيمم عند عدم الماء لما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث ياابا هريرة قال فساء اوضراط اخرجاه فى الصحيحين * اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقئ ونحوها * فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى لما روى عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطنى * وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى واحمد واسحق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ماروى عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذى وقال هو اصح فى شئ هذا الباب * (المسئلة الرابعة) * من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغماء او نوم لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السنة فمن نام فليتوضأ اخرجه ابوداود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ماروى عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن اخرجه ابوداود * وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابى هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزنى * وذهب قوم الى انه لو نام قائما اوقاعدا اوساجدا وهو فى الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى لما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث * (المسئلة الخامسة) * من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وابى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعى والشافعى واحمد واسحق

غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا لمس ببطن الكف * والرجل والمرأة في ذلك سواء * ويدل على ذلك ماروى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنسائي نحوه * وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابوزرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل* وذهب قوم الى ان مس الذكر لايوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي* واحتجوا بما روى عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كأنه بدوي فقال يانبي الله ماترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو الامضغة اوقال بضعة منه اخرجه ابوداود والترمذي والنسائي نحوه بمعناه * واجاب من اوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني المسجد وابوهريرة من آخرهم اسلاما وقدروى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث * وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ماروى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم* وكان سبب بدء التيمم ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقدلي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر الصديق فقالوا الاترى الى ماصنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابوبكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني ابوبكر وقال ماشاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ماهي بأول بركتكم ياآل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين * قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد* وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة* وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه * قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ماقبله والمعنى اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولابغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم

وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى * وقال ابو حنيفة لايجب عليه الطلب للصلاة الثانية * حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلابد في كل مرة من سبق الطلب * واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه اوعطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء * وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة * واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولانبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لاشئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالي أكان في الموضع تراب اولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لايقع اسم الصعيد الاعلى تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلايقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب اومدر يكون له غبار كأن الذي خالطه هو الصعيد * قال ولايتيمم بنورة ولا كحل ولازرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وابو عبيد في انه التراب * وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب * واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب * من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا مالاينبت ليس بطيب ولما ايضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولايتأتى ذلك في الصخر الذي لاتراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولايكون ذلك في الصخر وما اشبهه * وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ماهو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لاغبار عليها صح تيممه عندهم * واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا * واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض * قالوا ولما روى عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا * واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ماتقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل * وجوز بعضهم التيمم بكل ماهو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ماتصاعد على الارض * واجيب عنه بما تقدم من الادلة * وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء * واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد

فذهب اكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين* وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين* ويدل على ذلك ماروى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد عليّ حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد عليّ *هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحرث فقال ابو جهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط اوبول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك اولا الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح مالم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ماروى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون ايديهم اخرجه ابوداود* وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول عليّ وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحق وداود الظاهري* واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية ان تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد

اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذى في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذى في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق* واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) واركان التيمم خمسة* الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار* الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان* الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين* الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استباحة الفرض والنفل* الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب* ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول عليّ وابن عباس وابن عمرو به قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ماشاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الرأى واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ماشاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل اوجدار اونحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند ابي حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدوّ اوسبع يمنعه من الذهاب اليه اوكان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم * وقوله تعالى (ان الله كان عفوّا) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان اولى بان يرخص للعاجزين امر العبادة * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله تعالى الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوّة موسى من التوراة وانكروا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (ان تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا

الاسلام (والله اعلم باعدائكم) يعنى انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه مافى قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يامعشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم اعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعنى متوليا امركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره احد (وكفى بالله نصيرا) يعنى فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) اى يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعنى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعنى سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بامر قالوا فى الظاهر سمعنا وقالو فى الباطن عصينا وقيل انهم يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها فى المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها فى الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولانسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون فى انفسهم لاسمعت وقيل معناه غير مقبول منك ماتدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه (وراعنا) اى ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لايخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) اصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم ومافى قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا) يعنى ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا (واسمع) يعنى بدل قولهم لاسمعت (وانظرنا) يعنى بدل قولهم راعنا اى انظر الينا (لكان خيرا لهم) يعنى عند الله (واقوم) يعنى اعدل واصوب (ولكن لعنهم الله) يعنى طردهم وابعدهم عن رحمته (بكفرهم) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى فلا يؤمن من اليهود الانفر قليل مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله تعالى (يأيها الذين اوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به حق قالوا مانعرف ذلك واصروا على الكفر فأنزل الله هذه الآية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا فى المراد بالطمس ههنا وجهين * احدهما ان يحمل على حقيقته * والثانى ان يحمل على مجازه * اما من حمله على الحقيقة فقال هو

محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردّها على ادبارها) يعني نجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء وقيل ندبرها فتجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة* واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها* وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز* وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشأم من حيث جاؤا وهو اجلاء بني النضير* فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم لم يفعل بهم ذلك* قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبدالله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يارسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يارب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط* وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة* وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله تعالى (او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) اى نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم* وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى ياأيها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها فنردها ونلعن اصحاب الوجوه فتجعل الكناية في قوله او نلعنهم عن ذكر اصحاب الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم * وقوله تعالى (وكان امر الله مفعولا) يعني لابد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شئ يريد ان يفعله* وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمى امرا لانه عن امره كان * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبري معناه ياأيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء *فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع* وقيل ان الآية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ماصنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله آلها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله آلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم

فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لانعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لانكون من اهل المشيئة فنزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى ان مات * وقيل لما نزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يارسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لايغفر لمشرك مات على شركه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعنى ويغفر مادون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام * ففى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وفى الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لايجوز فى الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة * وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل مايشاء لامكره له ولاحجر عليه * ويدل على ذلك ايضا ماروى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب ياامير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الاعمله غير انه مشرك قال عمر هو فى النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الاعمله غير انه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس انى لارجوله كما انه لاينفع مع الشرك عمل كذلك لايضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن على بن ابى طالب قال مافى القرآن احب الى من هذه الآية ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعنى يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) اى اختلق (اثما عظيما) يعنى ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) نزلت فى رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا اما نحن الا كهيئتهم ماعملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وماعملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلاتزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهى صفة فى الباطن فلايعلم حقيقتها الا الله تعالى فلاتصلح التزكية الامن عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء ويدخل فى هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل او بزيادة الطاعة والتقوى او بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لايعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلاتزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤا انفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكى من يشاء) فيجعله زاكيا (ولايظلمون فتيلا) يعنى ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم * وقيل معناه ان الذين زكاهم الله

وامداده لسلوك طريقه بما يخرج كمالك الى الفعل ويبرز مافيك كامنا من العلم (ورحمته) هبته لذلك الكمال المطلق الذى اودعه فيك فى الازل وهى الرحمة التى ليس وراءها رحمة (لهمت طائفة منهم ان يضلوك ومايضلون الا انفسهم) لكون الضلال

لاينقصون من ثواب طاعتهم شيأ* والفتيل المفتول وسمي مايكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته* وقيل الفتيل هو ماتفتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشئ الحقير الذى لاقيمة له (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يامحمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعنى قولهم انهم لاذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم (وكفى به) اى بذلك الكذب (اثما مبينا) * قوله عزوجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابى سفيان فأحسن منواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولانأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال ابوسفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر يعنى يامحمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجودهم للصنمين* واختلف العلماء فيهما. فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى. وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش . وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ويكلم الناس فيغترون بذلك. وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر* عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابوداود* وقال الطرق الزجر والعيافة الخط* وقيل العيافة هى زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا اخذ ذات اليمين مضى في حاجته واذا اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك . والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه . والطيرة هو ان يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير* وقيل الجبت كل ماحرم الله تعالى والطاغوت كل مايطغي الانسان . وقيل الجبت هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (للذين كفروا)يعنى لكفار قريش (هؤلاء) يعنى انتم ياهؤلاء (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى طريقا(اولئك الذين لعنهم الله) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (ومن يلعن الله) يعنى يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا)يعنى ينصره * قوله تعالى (ام لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك

ناشئا من اصل استعدادهم لكونهم مجبولين على الشقاوة ازلا فكيف يرجع ذلك الضلال المعجون فيهم الى غيرهم (ومايضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب) اى العلم التفصيلي التام بعد الوجود الموهوب (والحكمة) وعلم احكام التفاصيل وتجليات

والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلايؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم * والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشئ الحقير التافه الذى لاقيمة له * قوله عزوجل (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) اصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى فى زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهى الحسد * والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة مالايجتمع مثله فى جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعنى انه يقوم مقام امة * وقيل المراد بالناس النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب * وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لوكان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعنى انه قد حصل فى اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة المعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لاتحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم فى حق داود وسليمان بكثرة النساء فانكان لداود مائة ولسليمان الف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الاتسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا فى حقهم ولانقصا فى نبوتهم فلايكون مستبعدا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ولانقصا فى نبوته (فمنهم) يعنى من اليهود (من آمن به) اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن سلام واصحابه (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعنى وكفى فى عذاب من لم يؤمن بالنبى صلى الله علية وسلم سعيرا * قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عزوجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله عزوجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولى محمد من آياتى الدالة على توحيدى وصدق رسولى محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اى ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعنى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعنى غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ اعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين الف مرة (ق) عن ابى هريرة يرفعه مابين منكبي الكافر فى النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع

الصفات مع العمل به (وعلمك مالم تكن تعلم) لانه علم الله لايعلمه الا هو فلما كشف لك عن ذاته بفنائك فيه ثم ابقاك بالوجود الحقانى فصار قلبك وجبك بحجاب ذلك القلب علمك علمه اذ الصفة تابعة للذات (وكان فضل الله عليك) فى اظهار هذا الكمال عليك بالتوفيق

(م) عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر اوقال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام* فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن فى الدنيا ولم تعص *قلت يعاد الجلد الاول فى كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمى خاتما غيره فالثانى هو الاول غيران الصناعة بدلت الصفة* وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهى النفس التى عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر فى كل ساعة من الجلود مالايحصى لتحترق ويصل الماليه* وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لواحترقت لفنيت وفى فنائها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لايموتون فيهاولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل* وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا * وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لاتألم لتكون زيادة فى عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره * وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) اى انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ماينالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا بان احساسهم به فى كل حال كاحساس الذائق فى تجديد وجدان الذوق من غير نقصان فى الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن ينتقم من خلقه لايغلبه شئ ولا يمتنع عليه احد (حكيما) يعنى فى تدبيره وقضائه لايفعل الاماهو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعنى سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) يعنى باقين فيها (ابدا) يعنى ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعنى فى الجنات (ازواج مطهرة) يعنى مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعنى كنينا ذلك الظل لاتنسخه الشمس ولايؤذيهم فيه حرولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة* فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس يؤذى حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل * قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا* قوله عزوجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) قال البغوى نزلت فى عثمان ابن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى على بن ابى طالب واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال على لقد انزل الله عزوجل فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى اولادهم الى يوم القيامة* قلت وفيما ذكره البغوى رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ماحكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة

للعمل الذى اوصلك الى ماللوصلك (عطفها لاخير فى كثير من نجواهم) فانها فضول والفضول يجب تركها على السالك كما قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه لايعنيه (الامن امر) اى الانجوى من امر (بصدقة) اى بفضيلة العطاء التى هى

فى هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشى فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعنى انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبى صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بنى طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله اعلم وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزى فى تفسير هذه الآية من رواية ابى صالح عن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابى انت وامى اجمعه لى مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه * ففى هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك * فعلى هذا القول يكون الخطاب فى قوله ان الله يأمركم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الله امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة * وقيل الخطاب فى قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم * وقيل ان الآية عامة فى جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فى ذلك جميع الامانات التى يحملها الانسان * وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام * القسم الاول رعاية الامانة فى عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة فى كل شئ حتى فى الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات * القسم الثانى هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك * القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعوارى الا اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب ويدخل فى ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل فى ذلك ايضا عدل الامراء والملوك فى الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التى امر الله عز وجل باداثها الى اهلها وروى البغوى بسنده عن انس قال فلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعنى وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له * واصل

من باب العفة (او معروف) قولى كتعليم علم وحكمة من باب فضيلة الحكمة او فعلى كاغاثة ملهوف واعانة مظلوم من باب الشجاعة (او اصلاح بين الناس) من باب العدالة (ومن يفعل ذلك) اى يجمع بين الكمالات المذكورة (ابتغاء مرضاة

العدل هو المساواة فى الاشياء فكل ماخرج عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء ينبغى للقاضى ان يسوى بين الخصمين فى خمسة اشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيمالهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وماولوا عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذى * قوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم الشئ الذى يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعنى انه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير فعلكم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم الآية قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار انى قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علىّ وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم * واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق * واختلف العلماء فى اولى الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولى الامر منكم يعنى واطيعوا اولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال علىّ بن ابى طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب اوكره الا ان يؤمر بمعصية الله فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس ايضا * ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابابكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه

الله) لا لطلب المحمدة او الرياء والسمعة فتصير به الفضيلة رذيلة (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) من جنات الصفات (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر

وروى البغوى بسنده عن الحسن عن انس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لايصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح * قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق * وقوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ) يعنى اختلفتم فى شئ من امر دينكم * والتنازع اختلاف الآراء واصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته * والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد * وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم * الله ورسوله اعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال * قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لايكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (واحسن تأويلا) يعنى واحد عاقبة وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به) قال ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمى اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به او اخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة

ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا) اى نفوسا اذ كل من يشرك بالله فهو عابد لنفسه بطاعة هواها وعابد لشيطان الوهم بقبول اغوائه وطاعته اوكل ما يعبد من دون الله لانه ممكن وكل ممكن فهو متأثر

فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة فى الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابى بردة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابى بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا اللقمة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتى فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آيتى القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك* الزعم والزعم بضم الزاى وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذى لا يتحقق* وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به فى هذه الآية الكذب لان الآية نازلة فى المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة فى الذين نافقوا من مؤمنى اهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعنى كعب بن الاشرف فى قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم* وقيل هو ابو بردة الكاهن فى قول السدى (وقد امروا ان يكفروا به) يعنى بالطاغوت ايمانا بالله عز وجل (ويريد الشيطان ان يضلهم) يعنى عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعنى للمنافقين (تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعنى هلموا الى حكم الله الذى انزله فى كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعنى يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واى اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا* قوله عز وجل (فكيف اذا اصابتهم مصيبة) يعنى فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت ايديهم) يعنى تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هى قتل عمر لذلك المنافق وقيل هى كل مصيبة تصيب المنافقين فى الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعنى المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يحلفون بالله ان اردنا) اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) يعنى فى التحاكم الى غيرك لا اساءة (وتوفيقا) يعنى بين الخصمين لا مخالفة لك فى حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذى قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا فى حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) يعنى من النفاق (فاعرض عنهم) يعنى عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعنى باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا) يعنى بليغا يؤثر فى قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما فى قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول

عن الغير قابل لتأثيره محتاج اليه وهى صفة الاناث (وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) اى غير المخلصين الذين خصوا دينهم بالتوحيد (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم) بالعادات الفاسدة والاهواء

بلغ فى نفوسهم كل مبلغ* وقيل معناه فاعرض عنهم فى الملا وقل لهم فى انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اى اغلظ لهم فى القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها فى السر انجع * وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء فى حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم فى احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى *وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار* وقيل احسن الكلام ماقلت الفاظه وكثرت معانيه* وقيل خير الكلام ماشوّق اوّله الى سماع آخره*وقيل لايستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل* المراد بالقول البليغ فى الآية ان يكون حسن الالفاظ حسن المعانى مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه فى القلوب واثر فى النفوس * قوله تعالى (ومآ ارسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا (الا ليطاع باذن الله) يعنى بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن فى ذلك وامر به وقيل* معناه بعلم الله وقضائه اى طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يامحمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت(ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) يعنى الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعنى جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة(فاستغفروا الله) يعنى من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك ثم لا تفتاكم الى غيرك (واستغفر لهم الرسول)يعنى من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر التسوية ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما الاستغفار والصديقو ذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك صدق تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة الله ـوا الله توابا رحيما) يعنى لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم * قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية فى الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يازبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت فى ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأيا اى اراد سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب

المردية والافعال الشنيعة المخالفة للعقل والشرع فليبتكنّ آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا اولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا والذين آمنوا) الايمان الحقيق التوحيد لانهم فى مقابلة لمشركين (وعملوا الصالحات) مايصلح لهم فى الوصول الى الجمع او يصلح للناس اجمعين بالاستقامة فى الله وبالله بعد الفناء وحصول البقاء (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها

هذه الآية نزلت الا فى ذلك * قوله فى شراج الحرة * الشراج مسايل الماء التى تكون من الجبل و تنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء * والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود * وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغير * وقوله فلما احفظ اى اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعنى اصل الجدار * وقوله فاستوعى له اى استوفى حقه فى صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باوّل الوادى وحقه تمام السقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير فى السقى على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مرّ الحق * فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها * قال البغوى وروى انهما لما خرجا مرّا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو امرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت * وقال مجاهد والشعبى نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى الطاغوت * وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها * فلا وربك معناه وربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم * وقيل ان لا ردّ لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه * وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره فى الامر اذا نازعه فيه اصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض واختلط (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) يعنى ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعنى وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك فى شئ من امرك * وقيل معناه يسلموا ما تحكم به * قوله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم) اى فرضنا واوجبنا عليهم * الضمير فى عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله * وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتى لرجالا الايمان فى قلوبهم اثبت من الجبال الرواسى * ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى ان ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو ان كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم * وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) يعنى ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول

(صلى)

ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا) الجنات الثلاثة المذكورة (ليس) حصول الموعود (بامانيكم ولا امانىّ اهل الكتاب) اى ما بقيتم مع نفوسكم وصفاتها وافعالها فارادتكم مجرّد تمن والتمنى طلب ما يمتنع وجوده فى العادة (ومن يعمل من

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعني في الدنيا والآخرة وانما سمي ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (واشد تثبيتا) يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدي الى الجنة * قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يارسول الله مابي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذا ذكرت الآخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني اخاف ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الآية * وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يارسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية * ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي * والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها * فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة (من النبيين) يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لاتفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لانهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم * وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك * والمراد بالصديقين في هذه الآية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد (والصالحين) جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير * وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة * وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن اولئك) يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما احسن اولئك (رفيقا) يعني في الجنة * والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته * وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع * وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا (ق) عن انس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء اشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم

الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا) اي طريقا (ممن اسلم وجهه) اي وجوده (لله) واخلص ذاته من شوب الانية والاثنينية بالفناء المحض (وهو محسن) مشاهد للجمع في عين التفصيل

وابابكر وعمر وارجوان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم * وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ماتقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعنى بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته * وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته * ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم * وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم * ولقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر * فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) اى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (او انفروا جميعا) يعنى او اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت فى المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان فى الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا فى حقيقة الايمان * والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبدالله بن ابى بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان اصابتكم مصيبة) اى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد انعم الله على) يعنى بالقعود (اذ لم اكن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيدا) يعنى حاضر الوقعة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) اى فتح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (ياليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة التى غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) اى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله) هذا خطاب للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله * وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة * وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) اى فيستشهد (او يغلب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيهما (اجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا الجهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم * قوله عز وجل (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدى الكفار * وفيه دليل على ان الجهاد واجب * والمعنى لاعذر لكم فى ترك الجهاد

مراع لحقوق تجليات الصفات واحكامها سالك طريق الاحسان بالاستقامة فى الاعمال (واتبع ملة ابراهيم) فى التوحيد (حنيفا) مائلا عن كل شرك فى ذاته وصفاته وافعاله وعن كل دين باطل اى طريق يؤدى الى اثبات فعل لغيره اوصفة اوذات اذ دينه دين الحق اعنى سيره

وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا الخبسوا وعذبوا* وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين *فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين* وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت انا وامى من المستضعفين وفى رواية ابن ابى مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامى ممن عذر الله انا من الولدان وامى من النساء * فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال * والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم اهلها) يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم اهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعنى وليا يلى امرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى * قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) يعنى فى طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) يعنى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) اى فقاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما كاد المؤمنين به من تخويفه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه *وادخال كان فى قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان * قوله عز وجل (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) قال الكلبى نزلت فى عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص وجماعة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يارسول الله ائذن لنا فى قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة * وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم جهاد المشركين امروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعنى اذا جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعنى يخافون مشركى مكة (كخشية الله او اشد خشية) او بمعنى الواو يعنى واشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا

حينئذ سير الى الله لا سير فى الله بسلوك طريق الصفات ولا الى الله بقطع صفات النفس ومناهل صفات القلب فلا دين احسن من دينه (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يخاله اى يداخله فى خلال ذاته وصفاته بحيث لايذر منها بقية اويسد خلله ويقوم

القتال) يعنى لم فرضت علينا الجهاد (لولا اخرتنا الى اجل قريب) يعنى هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا* والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين* وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) اى قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعنى ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعنى وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعنى اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) اى ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يعنى بالسبابة فى اليم فلينظر بم ترجع * قوله عز وجل (اينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية* وقيل نزلت فى الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت يعنى ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل فى سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة * ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجى منه شئ بقوله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) البروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة *وقيل هى المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعنى المنافقين واليهود حسنة اى خصب فى الثمار ورخص فى السعر يقولوا هذه من عند الله يعنى من قبل الله (وان تصبهم سيئة) اى جدب فى الثمار وغلاء فى السعر (يقولوا هذه من عندك) يعنى من شؤم محمد واصحابه*وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذى حملتنا عليه يا محمد* فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) اى قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه (فما لهؤلاء القوم) اى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ماقالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعنى لا يفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها * قوله تعالى (ما اصابك من حسنة) يعنى من خير ونعمة (فمن الله) يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما اصابك من سيئة) يعنى من شدة ومكروه ومشقة واذى (فمن نفسك) يعنى فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به *وفى المخاطب بهذا الكلام قولان* احدهما انه عام وتقديره ما اصابك ايها الانسان* والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برئ لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت*ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبى اذا طلقتم النساء

بدل ما يغنى منه عند تكميله وفقره اليه فالخليل وان كان اعلى مرتبة من الصفى لكنه ادون من الحبيب لان الخليل محب يوشك ان يتوهم فيه بقية غيرية والحبيب محبوب لا يتصور فيه ذلك ولهذا القى فى نار العشق دونه (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب

خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة لذنبك ياابن آدم كذا قاله قتادة * وقال الكلبى مااصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب * وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصى بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الآية مايصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لايقال فى الطاعة والمعصية اصابنى وانما يقال اصبتها ويقال فى النعم والمحن اصابنى بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على مايقول اهل القدر لقال مااصبت من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل مااصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابنى خير اومكروه واصبت حسنة اوسيئة * وقيل فى معنى الآية مااصابك من حسنة اى النصر والظفر يوم بدر فمن الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة اى من قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعنى فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك * فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الآية * قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى فى قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك * وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى * وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ويقولون مااصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله * وقال ابن الانبارى فى معنى الآية مااصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى * قوله تعالى (وارسلناك للناس رسولا) يعنى وارسلناك يامحمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعنى على ارسالك للناس كافة فماينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ماارسلت به الى الناس * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد اطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين مايريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما امر به ونهى فقد اطاع الله يعنى ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها * وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعى

لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا اواعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما

ان كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شئ من العبادات واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) يعنى حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله * قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال * قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اى امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت * والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة * وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم * فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل * وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر * وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) اى يثبت ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعنى ما يزوّرون ويغيرون ويقدرون * وقال ابن عباس يكتب ما يسرّون من النفاق (فأعرض عنهم) اى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم فى ضلالتهم فانا منتقم منهم * وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) اى فوّض امرك الى الله فى شأنهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعنى ناصرا لك عليهم * قوله عز وجل (افلا يتدبرون القرآن) اصل التدبر النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشئ اى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر ما فيه من الآيات * قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان احدا من الخلق لا يقدر عليه * قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم * والحجة فى ذلك من ثلاثة اوجه * احدها فصاحته التى عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها فى اسلوبه * الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاوّلين واخبارهم وما يأتى فى المستقبل من امور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى * الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض * وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة * والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة

والبلاغة ثبت انه من عندالله والمعنى أفلا يتفكرون فى القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق مايخبربه عن الغيوب انه كلام الله عزوجل وان مايكون من عند غيرالله لايخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على مالايقدر عليه غيره عالم بمالايعلمه سواه * قوله تعالى (واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوابه) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايافاذا غلبوااوغلبوا بادرالمنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذاجاءهم يعنى المنافقين امر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة اوالخوف يعنى القتل والهزيمة اذاعوا به اى افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار اوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعنى الامر الذى تحدثوا به (الى الرسول) يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره (والى اولى الامر منهم) يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى * وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى اولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومايبنغى لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ماينبغى ان يكتم من الامور ومايبنغى ان يذاع منها * والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ماتحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لمايخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعانى والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسألة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه * وفى الآية دليل على جواز القياس وان من العلم مايدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه مايدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما * ومعنى الآية ولو ان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغى ان يشاع اويكتم * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعنى ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعنى لبقيتم على الكفر والضلالة (الاقليلا) اختلف العلماء فى هذا الاستثناء والى ماذا يرجع * فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوابه الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ماعلموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبرى * وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاقليلا * فعلى هذين القولين فى الآية تقديم وتأخير * وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى مايليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وانزال

القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي * قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب * وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه * وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) اي لعل الله (ان يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله ان يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان اباسفيان بداله عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله اشد بأسا) اي اعظم صولة (واشد تنكيلا) يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره * قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به * وقيل هي الاصلاح بين الناس * وقيل معنى الآية من يصر شفعا لوتر اصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس * وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين * وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) اي ضعف وقيل نصيب (منها) اي من وزرها (وكان الله على كل شيء مقيتا) قال ابن عباس يعني مقتدرا او مجازيا واقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت الشر عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعني قادرا على الاساءة اليه * وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا وليقضي الله على لسان رسوله ما شاء * وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ولو كره * قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حيا واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الآخرة * والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه

بأحسن مما سلم عليكم به. وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (اوردوها) يعني او ردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شيء حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او بأحسن منه مجاز

(فصل في فضل السلام والحث عليه) (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف *قوله اي الاسلام خير معناه اي خصال الاسلام خير (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا اولادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم*عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح*عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه

(فصل في احكام تتعلق بالسلام) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى في كيفية السلام)* (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع مايحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله*قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم*عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابوداود وقال الترمذي حديث حسن*وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه*وروى ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة*ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه*ويشترط ان يكون الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد *(المسئلة الثانية في حكم السلام)*الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل* قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا*وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام*ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او يتأكد استحبابه* اما الرد على المسلم فقد اجمع العلماء

على وجوبه * ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها والامر للوجوب لان فى ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة * فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفاية فلورد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا * عن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزى عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود *(المسئلة الثالثة فى آداب السلام)* السنة ان يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن ابى امامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود والترمذى ولفظه قال قيل يارسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن * ويستحب ان يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روى عن أنس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه فى الصحيحين * وفى رواية لابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم * واما السلام على النساء فان كن جماعات جالسات فى مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روى عن اسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفى رواية الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن * واذا مر على امرأة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هى عليه * وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض *(المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها)* فمن ذلك لذى يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط او البول * ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا * ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة * ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مامورون بالانصات للخطبة * ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء *(المسئلة الخامسة فى حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى)* اختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم فى طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم * واذا سلم يهودى او نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن انس ان يهوديا

اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ماقال قالوا الله ورسوله اعلم سلم يانبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك اى عليك ماقلت اخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا *ويدل على ذلك ماروى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك ياابا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت الم تسمع ماقالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم* واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث (لاريب فيه) يعنى لاشك فى ذلك اليوم انه كائن (ومن اصدق من الله حديثا) يعنى لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لاشك فيها ولا ريب * قوله عز وجل (فمالكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يارسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لانقتلهم فنزلت فمالكم فى المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال كما ينفى الكير خبث الحديد * وقيل نزلت فى قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون *وقيل نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذى فارقناك عليه من الايمان ولكننا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا فى تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لاينهى احد الفريقين فنزلت هذه الآية *وقيل نزلت فى قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين *وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق لما تكلم فى حديث الافك ومعنى الآية فمالكم يامعشر المؤمنين فى المنافقين فئتين اى صرتم فى امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا

ان يكونوا على منهاج واحد فى التباين لهم والتبرؤ منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله (والله اركسهم) يعنى نكسهم فى كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار (بما كسبوا) اى بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) هذا خطاب للفئة التى دافعت عن المنافقين والمعنى اتبتغون ايها المؤمنون فى هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى (ومن يضلل الله) يعنى عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى * قوله تعالى (ودوا) يعنى تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعنى تكفرون انتم يا معشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعنى يسلموا او يهاجروا (فى سبيل الله) معكم وهى هجرة اخرى * والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين فى اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفى هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين اى خذوهم ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعنى اين وجدتموهم فى الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعنى فى هذه الحالة (ولا نصيرا) يعنى ينصركم على اعدائكم لانهم اعداءه ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال * وفى رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة * وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم ايضا داخلون فى عهدكم (او جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم (ان يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم (او يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم * وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن

الشم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجأ الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز * وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (والقوا اليكم السلم) يعني الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهي قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة * قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بالقرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين * وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون ان يأمنوكم) يعني يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعني كلما دعوا الى الشرك (اركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم) اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعني اسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعني حيث ادركتموهم (واولئكم) يعني اهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابي جهل ابني هشام وهما اخوا عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث ابن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا انزل فان امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه

لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اى شئ صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انه كان من امرى وامر الحرث ما قد علمت وانى لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله * وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه * وقوله تعالى الا خطأ استئناف منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة * وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى اهله) اى وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه (الا ان يصدقوا) يعنى الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه (فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة * وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد (فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) اى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا (وكان الله عليما) يعنى بمن قتل خطأ (حكيما) يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة * (فصل فى احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل) * قال الشافعى القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ * اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ او دية حالة مغلظة فى مال القاتل * واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين * واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين * ومن صور قتل الخطأ ايضا ان يقصد رمى مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد * (المسئلة الثانية فى حكم الديات) * فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم * ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة

(دينار)

دينار او ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتى بقرة وعلى اهل الشاء الفى شاة وعلى اهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود * فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل او الف دينار اواثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى * وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى واصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى * وذهب قوم الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى واصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد * والاصل فى ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائى * فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بأن الاصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمى فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية فى قتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة فى بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى لماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا الدية وهو ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وماصولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة * وفى رواية اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها اربعون فى بطونها اولادها اخرجه النسائى * وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهرى وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الرأى * واما دية الخطا فمخففة وهى اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا فى تقسيمها * فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهرى وربيعة وبه قال مالك والشافعى * وابدل قوم ابناء اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الرأى * والدية فى قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجانى منها شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة * ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين فى كتب الفقه * ودية اعضاء المرأة على النصف من دية اعضاء الرجل والله اعلم * (المسئلة الثالثة فى حكم

وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله مافى السموات ومافى الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض وكان الله غنيا حميدا * ولله مافى السموات ومافى الارض

وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا) بالوقوف مع هوى النفس فماله يطلب اخس الاشياء ويقف فى ادنى المراتب (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) الدارين حيث ان اراده بالفناء فيه لانه

الكفارة) * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب فى مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا فى خلال الشهرين اونسى النية اونوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين * وان افطر يوما بعذر مرض اوسفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه * فنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعى واظهر قولى الشافعى لانه افطر مختارا * ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبنى وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبى ولو حاضت المرأة فى خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه * فان عجز من الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان * احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما فى كفارة الظهار * والثانى لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكره بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطا والله اعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت فى مقيس بن صبابة الكنانى وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر الى بنى النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهرى ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله مانعلم له قاتلا ولكنا نؤدى اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقتل الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال فى ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار ارباب فارع
وادركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصد القتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعنى وطرده عن رحمته (واعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ام لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم * وفى رواية قال اختلف اهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت فى آخر مانزل ولم ينسخها شئ * وفى رواية اخرى

(قال)

قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لايدعون مع الله آلها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون ومايغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقدقتلنا النفس التى حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فامامن دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلاتوبة له اخرجاه فى الصحيحين*وروى عن علىّ بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وماتزداد الاشدة وعن خارجة ابن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الابالحق بستة اشهر اخرجه ابوداود والنسائى وزاد النسائى فى رواية بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لايدعون الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة*واراد بالغليظة هذه الآية التى فى سورة النساء وباللينة آية الفرقان *وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها*فقال بعضهم نسختها التى فى الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لاينسخ المتأخر * وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النساء ايضا وهى قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء *واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية والنسخ لايدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لايكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الامن تاب*وقال بعضهم ماورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل فهوكما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لاتوبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله *وروى عنه ايضا ان توبته تقبل*وهو قول اهل السنة*ويدل عليه الكتاب والسنة*اما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا *واما السنة فماروى عن جابر بن عبدالله قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماالموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار اخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق وفى رواية ولاتقتلوا اولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولاتعصونى فى معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

*(فصل) * وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد فى النار *واجاب علماء السنة بان الآية نزلت فى كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة*وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا

الوجود المحيط بالكلّ فلايفوته شئ (وكان الله سميعا) بأحاديث نفوسكم (بصيرا) بنياتكم وارادتكم باعمالكم (يا أيها الذين آمنوا) بالتوحيد العلمىّ وارادة ثواب الدارين (كونوا) ثابتين فى مقام العدالة التى هى اشرف الفضائل (قوّامين بالقسط شهداء

وهو مخلد فى النار بسبب كفره وعن ابى مجلز فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هى جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابوداود * وقيل ان الخلود لا يقتضى التأبيد بل معناه دوام الحالة التى هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود فى حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذى لا ينقطع * اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور فى الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا فى النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت فى احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار * وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل اولى والله اعلم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت فى رجل من بنى مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثى فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لى يا رسول الله فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت انى لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفى رواية عن ابن عباس قال مرّ رجل من بنى سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوّذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى اذا سافرتم الى الجهاد * فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذى تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام) يعنى التحية يعنى لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوّذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اى استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اى لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعنى لست من اهل

ـه ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) بحقوقها بحيث تكون ملكة راسخة فيكم لا يمكن منها صدور جور وميل منكم فى شيء ولا ظهور

الايمان فتقتلوه بذلك*قال العلماء اذا رأى الغزاة فى بلد اوقرية اوحى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولايغيروا عليهم لما روى عن عصام المزنى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا اوسرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا اوسمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابوداود والترمذى*وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودى اوالنصرانى انا مؤمن لايحكم بايمانه لانه يدعى ان الذى هو عليه ايمان ولوقال لااله الاالله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لايحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذى كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لانه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من التهود اوالتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته * وقوله تعالى (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعنى تطلبون الغنيمة التى هى من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعندالله مغانم كثيرة) اى غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوّذ به وقيل معناه فعندالله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعنى كما كان هذا الذى القى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعنى من قبل ان يعزالله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم*وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون فى قومكم بهذه الكلمة فلاتحقروا من قالها ولاتقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمنّ الله عليكم) يعنى بالاسلام والهداية فلاتقتلوا من قال لااله الاالله*وقيل معناه منّ عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل منّ عليكم بالتوبة (فتبينوا) اى ولاتعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فلا تتهاونوا فى القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه * قوله عز وجل (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال املى علىّ النبى صلى الله عليه وسلم لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علىّ فقال والله يارسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت علىّ حتى خفت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر وفى رواية اخرى لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يارسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول واضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى* وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لايستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لايعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله

صفة نفس لاتباع هوى فى جذب نفع دنيوى أودفع مضرّة (ياايها الذين آمنوا) بالايمان التقليدىّ (آمنوا) بالايمان التحقيقىّ اوآمنوا بالايمان العلمىّ آمنوا بالايمان العينىّ (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله

من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير اولى الضرر يعني اولى الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ماسرتم مسيرا ولاقطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الاوهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لايستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعني كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله (على القاعدين) يعني الذين لاعذر لهم ولاضرر (اجرا عظيما) يعني ثوابا جزيلا * ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولايقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة مابين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي يارسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وماهي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله اوجلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا اولا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة * فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فاوجه الحكمة في ذلك * قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولاعذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة * وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم * قوله تعالى (ومغفرة) يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعني رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته * عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعه ارجعته بما

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا) اى تحيروا وترددوا بين جهتي الربوبية العلوية والسفلية لشدة النفاق وغلبة نور الفطرة تارة واستيلاء ظلمة النفس والهوى أخرى لاستواء الحالتين فيهم حتى

(اصاب)

اصاب من اجر اوغنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائى

* (فصل) * اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدوّ دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لاعذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوّهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم * وجيرانهم وسواء فى ذلك الحرّ والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة * وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدوّ فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار * ولا يدخل فى هذا الفرض اعنى فرض الكفاية الفقراء والعبيد * واذا كان الكفار قارّين فى بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار * والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعده ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم * قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) الآية نزلت فى اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعنى ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار * وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع * وفى التوفى هنا قولان * احدهما انه قبض ارواحهم * الثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار * ظالمى انفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين * وقيل ظالمى انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى اىّ الفريقين كنتم افى فريق المسلمين ام فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين (فى الارض) يعنى فى ارض مكة (قالوا) يعنى قال لهم الملائكة (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعنى الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم (فاولئك) يعنى من هذه صفتهم (مأواهم) يعنى منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم * ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعنى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعنى ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فاولئك) يعنى المستضعفين واهل الاعذار (عسى الله ان يعفو عنهم) يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله (وكان الله

استحكمت الهيئات المظلمة وازدادت الحجب ورسخت العقائد الفاسدة والملكات الكاسدة باستيلاء صفات النفس واستعلائها مطلقا فرانت على قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) لمكان الرين الحاجب وفساد جوهر القلب وزوال الاستعداد (ولا ليهديهم سبيلا) الى

عفواً غفورا) قال ابن عباس كنت انا وامى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ✽ قوله عز وجل (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم ابال به رغم انفه ✽ويقوّى ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدّو برغم انفه ✽وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم اى مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وانشد الزجاج فى المعنى

الى بلد غير دانى المحل ✽ بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة فى معنى المراغمة ✽وقال ابن عباس يجد متحوّلا يتحوّل اليه من ارض الى ارض ✽وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه ✽وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومى اى هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعنى فى الرزق ✽وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى ✽ وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها ✽ قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبل هذه سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعنى قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع اجره على الله) يعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم ✽ قال بعض العلماء ويدخل فى حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذى عمل واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت فى معرض الترغيب فى الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعنى ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا ✽ قوله عز وجل (واذا ضربتم فى الارض) يعنى اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) اى حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) يعنى من اربع ركعات الى ركعتين وذلك فى صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل

الحق ولا الى الكمال ولا الى الفطرة الاصلية لعدم قبولهم الهداية وصرف عذابهم بالايلام لمكان ستعدادهم فى الاصل (الذين يتخذون الكافرين اولياء) لمناسبتهم اياهم فى الاحتجاب (من دون المؤمنين) لعدم الجنسية (يبتغون عندهم العزة فانّ العزة لله جميعا

القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى اصله وفسر ابن الجوزى القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين *احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين* والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفى بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود *والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى (ان خفتم ان يفتنكم) يعنى يغتالكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) *ذهب داود الظاهرى الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد* وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ماروى عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبدالله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان امرنا ان نصلى ركعتين في السفر اخرجه النسائى وعن ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الارب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذى والنسائى واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف مادل عليه القرآن* فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف *قلت انما نزلت الآية على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع * وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة فلعلى بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع *(فصل في احكام تتعلق بالآية)* وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر *فذهب اكثر العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبدالعزيز وقتادة وهو قول مالك وابى حنيفة ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفى رواية

وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا

اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر اخرجاه فى الصحيحين* وذهب قوم الى جواز الاتمام فى السفر ولكن القصر افضل روى ذلك عن عثمان وسعد بن ابى وقاص واليه ذهب الشافعى واحمد وهو رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ماروى البغوى بسند الشافعى عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يارسول الله بابى انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت قال احسنت ياعائشة وماعاب على اخرجه النسائى وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لاجناح انما تستعمل فى الرخصة لافيمايكون حتما واجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع* (المسئلة الثانية)* اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين هل هى مقصورة ام غير مقصورة *فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر روى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه* وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعى واحمد* (المسئلة الثالثة) *ذهب الشافعى ومالك واحمد والجمهور الى انه يجوز القصر فى كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر فى سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثورى يجوز ذلك * (المسئلة الرابعة)* اختلف العلماء فى مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله وروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لايجوزون القصر فى السفر القصير واختلفوا فى حد الطويل الذى يجوز فيه القصر فقال الاوزاعى مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران فى مسيرة اربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فتكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثورى وابو حنيفة واهل الكوفة لاقصر فى اقل من ثلاثة ايام

(فصل) قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بمابعده منفصل عماقبله وتقديره وان خفتم روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا فى القرآن كثير يجئ الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو فى الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه * قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر

المنكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) التعزز بهم فى الدنيا والتقوى بمالهم وجاههم فلاسبيل الى ذلك وهم قد اخطؤا لان العزة كلها صفة من صفات الله تعالى

(ان المشركين)

ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عزوجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروى عن ابى عياش المرزوقى فى سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفى رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم فى الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر *قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذا كنت يا محمد فى اصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعنى اذا حان وقت الصلاة واقتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلى بهم (وليأخذوا اسلحتهم) اختلفوا فى هؤلاء الذين امرهم الله بأخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم فى الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذى به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدوّ من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير اويؤذى من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا فى وجه العدوّ فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعنى اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعنى فلينصرفوا الى المكان الذى هو فى وجه العدوّ للحراسة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) يعنى ولتأت الطائفة التى كانت فى وجه العدوّ (فليصلوا معك) الركعة الثانية التى بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) يعنى ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فى دفع العدوّ فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح *فان قلت لم ذكر فى اول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة *قلت لان العدوّ قلما يتنبه للمسلمين فى اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين فى المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين فى الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة فى الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم فى هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة (ودّ الذين كفروا) يعنى تمنى الكفار (لو تغفلون) يعنى لو وجدوكم غافلين (عن اسلحتكم وامتعتكم) يعنى حوائجكم التى بها بلاغكم فى اسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعنى فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

*(فصل فى احكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابى حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزنى من اصحاب الشافعى كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم

منبع القوى والقدرة له قوة القهر والغلبة للكل فبقدر القرب منه وقبول نوره وقوته والاتصاف بصفاته تحصل العزة فهى بأهل الايمان اولى واهل الحجاب والكفر بالزلة اولى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) لعدم شوقهم

فأقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلة اذا تفيد الشرط* وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت فى حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت فى حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى اصلى ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن على بن ابى طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابوموسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة* واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون فى هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين* ونظيره قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم* واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم* (المسئلة الثانية) * قال الخطابى صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم فى ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى فى ذلك كله ماهو الاحوط للصلاة وابلغ فى الحراسة فهى مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف مااذا كان العدو فى غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلى بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتى الطائفة الثانية التى كانت تحرس فيصلى بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا فى التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ماروى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه فى الصحيحين الذى صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابى حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعى لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط للصلاة وابلغ فى حراسة العدو اما كونه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لايكثر فيها العمل من المجئ والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا فى الصلاة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه* وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلى مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم فى صلاتهم ثم تأتى الطائفة الثانية فتصلى مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتى الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها روى ذلك عن ابن مسعود

الى الحضور ونفورهم عنه لظلمة استعدادهم باستيلاء الهوى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر بن السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته * (المسئلة الثالثة) * فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ماروى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة * (المسئلة الرابعة) * اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومؤن بالركوع والسجود الى اي جهة كانت هذا مذهب الشافعي * ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا مافاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم * وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) اي ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم اذى من مطر اوكنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء) لئلا يتعدى اليكم كفرهم واحتجابهم بالصحبة والمخالطة فانه لاشئ اقوى تأثيرا من الصحبة والميل الى ولايتهم لا يخلو عن جنسية بينهم لوجود هوى كامن فيهم وضراوة بعادة

لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعنى راقبوا عدوّكم ولاتغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلايتجرأ العدوّ عليهم قال ابن عباس نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بنى محارب وبنى انمار فنزلوا ولايرون من العدوّ احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاوهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يامحمد من يمنعك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عزوجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بماشئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال ياغورث من يمنعك منى الآن فقال لااحد فقال اتشهدان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك فقال لاولكن اشهد ان لااقاتلك ابدا ولااعين عليك عدوّا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا له ويلك ياغورث مامنعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله مادرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولاجناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر اوكنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعنى من عدوّكم (ان الله اعدّ للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون به ❊ قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلوة) يعنى فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعنى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله فى جميع احوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ماانتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عزوجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل احيانه ❊ وقيل المراد بالذكر الصلاة يعنى فصلوا لله قياما يعنى فى حال الصحة وقعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم يعنى فى حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعنى فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمانينة سكون القلب (فأقيموا الصلاة) يعنى فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين فى اوطانكم فأقيموا الصلاة تامة اربعا من غير قصر ❊ وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعنى فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعنى مكتوبة موقتة فى اوقات محدودة فلايجوز اخراجها عن اوقاتها على اىّ حال كان من خوف اوامن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا فى الحضر اربع ركعات وفى السفر ركعتين ❊ قوله تعالى (ولاتهنوا فى ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فشكوا من الم

ردية تشملهم لايؤمن عليهم الوقوع فى الكفر بغلبة الهوى والنفس (اتريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) حجة ظاهرة فى عقابكم برسوخ الهيئة التى بها تميلون الى ولايتهم بصحبتهم ومجالستهم (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) باعتبار زيادة عذابه وشدة ايلامه

الجراحات فقال الله تعالى ولاتهنوا يعنى ولاتضعفو ولاتتوانوا فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب ابى سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة ذلك والزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ماتكابدون من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فادام لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لاتصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لايقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) يعنى وتأملون من الله من الثواب فى الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعنى انه تعالى لايأمركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم ❊ قوله عز وجل (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وماله بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودى فأخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق زاد فى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودى وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل (لتحكم بين الناس بما اراك الله) يعنى بما علمك الله واوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية فى قوة الظهور روى عن عمر انه قال لايقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى احدنا يكون ظنا ولايكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه (ولاتكن) يعنى يا محمد (للخائنين خصيما) يعنى ولاتكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعنى مما هممت به من معاقبة اليهودى وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعنى بعباده المؤمنين ❊ (فصل) ❊ وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه فى قوله ولاتكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودى فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحى السماوى والامر الالهى فنزلت هذه الآية واعلم رسول

واحراقه لاباعتبار كونه ادون مرتبة اذ تأثير النار فى المنافق أشد وأكثر ايلاما لبقية استعداد فيه واما الكافر الاصلى البهيم فلعدم استعداده لايتالم بعذابه كما يتالم المنافق وان كان اسوا حالا منه واعظم عذابا وهوانا (ولن تجد لهم نصيرا) ينصرهم من عذاب الله

الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودى برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه فى الظاهر من المسلمين فامر الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا زورا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر فى الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ فى نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون الذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبى صلى الله عليه وسلم الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل والسهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم ❊ قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يعنى ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة اى فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) يعنى خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودى وهو برئ وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة ❊ قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة ابن ابيرق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافيه وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعنى يضمرون ويقدرون ويزورون فى اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافيه (ها انتم هؤلاء) ها للتنبيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون

لانقطاع وصلتهم وارتفاع محبتهم مع أهل الله (الا الذين تابوا) رجعوا الى الله ببقية نور الاستعداد وقبول مدد التوفيق (وأصلحوا) ما افسدوا من استعدادهم بقمع الهوى وكسر صفات النفس ورفع حجب القوى بالزهد والرياضة (واعتصموا بالله) بالتمسك بحبل الارادة

عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعنى خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم فى الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة القتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وعن قومه (فى الحيوة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفى قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة فى الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعنى اذا اخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (ام من يكون عليهم وكيلا) يعنى محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم * قوله تعالى (ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه) نزلت هذه الآية فى ترغيب طعمة فى التوبة وعرضها عليه * وقيل نزلت فى قومه الذين جادلوا عنه * وقيل هى عامة فى كل مسيئ ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسيئ به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة * وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون فى الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعنى فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك * وقيل معناه ومن يعمل سوأ اى قبيحا او يظلم نفسه برميه لبرئ * وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعنى من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) * ففى هذه الآية دليل على حكمين * احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه عم الكل * والحكم الثانى ان ظاهر الآية يقتضى ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعنى ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعنى انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب الذى ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فانى لغفار لمن تاب * وهذه الآية نزلت فى طعمة ايضا (وكان الله عليما) يعنى بسارق الدرع (حكيما) يعنى اذا حكم عليه بالقطع * وقيل معناه عليما بما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة او اثما) قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة * وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل ان الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريأ) يعنى ثم يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودى ولم يسرق * فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير فى قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريأ * وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذى يتحير فى عظمه (واثما مبينا) يعنى ذنبا بينا لانه يكسب الاثم آثم ويرميه البرئ باهت فقد جمع بين الامرين * قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعنى يا محمد بالنبوة ورحمته يعنى بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعنى من

وقوة العزيمة فى التوجه اليه (واخلصوا دينهم لله) بافناء موانع السلوك من صفات النفس وازالة خطاء الشرك وقطع النظر عن الغير فى السير (فاولئك مع المؤمنين) الموقنين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) من مشاهدة تجليات الصفات وجنة الافعال (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسوله) يحتجبون عن الحق والدين وعن الجمع والتفصيل (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) بالاحتجاب عن الدين دون الحق والتفصيل دون الجمع فينكرون الرسل لتوهمهم وحدة منافية للكثرة وجماعا منافيا للتفصيل وذلك هو ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض (ويريدون ان يتخذوا) بين الايمان بالكل جمعا وتفصيلا

بنى ظفروهم قوم طعمة (ان يضلوك) يعنى عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل* وقيل معناه يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمى بها اليهودى (ومايضلون الا انفسهم) يعنى ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه برىء فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (ومايضرونك من شىء) يعنى انهم وان سعوا فى القائك فى الباطل فانت ماوقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وماخطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك *وقيل معناه ومايضرونك من شىء فى المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لايضره احد (وانزل الله عليك الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى القضاء بهما يعنى واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك فى الشبهات (وعلمك مالم تكن تعلم) يعنى من احكام الشرع وامور الدين* وقيل علمك من علم الغيب مالم تكن تعلم* وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم مالم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعنى ولم يزل فضل الله عليك يامحمد عظيما فاشكره على مااولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ماانزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذى تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففى هذه الآية تنبيه من الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ماحباه من الطافه وماشمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه * قوله تعالى (لاخير فى كثير من نجواهم) يعنى من نجوى قوم طعمة *وقيل هى عامة فى جميع مايتناجى الناس به والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ماتفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك اوجهرا او ناجيته ساررته* واصله ان يخلو فى نجوة من الارض *وقيل اصله من النجى *والمعنى لاخير فى كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الا من امر بصدقة) يعنى الا فى نجوى من امر بصدقة * وقيل معناه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها (اومعروف) يعنى اوامر بطاعة الله ومايجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (او اصلاح بين الناس) يعنى الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ماأذن الله فيه وامر به *عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هى الحالقة اخرجه الترمذى وابوداود* وقال الترمذى ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هى الحالقة لااقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن ام مكتوم بنت عقبة بن ابى معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين اوقال بين الناس فيقول خيرا اوينمى خيرا زاد مسلم فى رواية له قالت ولم اسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعنى هذه الاشياء التى ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك

(لقوله)

والكفر بالكل طريقا (أولئك هم الكافرون) المحجوبون (حقا) بذواتهم وصفاتهم فان معرفتهم وهم وغلط وتوحيدهم زندقة ليسوا من الدين ولا من الحق فى شىء (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) يهينهم بوجود الحجاب وذل النفس وصفاتها (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم) من الجنات الثلاثة (وكان الله غفورا) يستر عنهم ذواتهم وصفاتهم التى هى ذنوبهم وحجبهم بذاته وصفاته (رحيما) يرحمهم بتنعيمهم بالجنات الثلاثة وبالوجود الموهوب الحقانى والبقاء السرمدى (يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) علما يقينيا بالمكاشفة من سماء الروح (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) لان المشاهدة اكبر واعلى من المكاشفة (فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك) بطلبهم

لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (اجراعظيما) لاحد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله * قوله عزوجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عزوجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان* واصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ماتولى) اي نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع الى النار* روى ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين* وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا* وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة * قوله عزوجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به) نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا* وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله عزوجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك (ويغفر ما دون ذلك) يعني ما دون الشرك (لمن يشاء) يعني لمن يشاء من اهل التوحيد* قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه* فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك* قلت فائدة ذلك التأكيد اولان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك * قوله عزوجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته* وفي قوله اناثا اقوال* احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاناث فيقولون

المشاهدة مع بقاء ذواتهم اذ وجود البقية عند المشاهدة وضع الشيء في غير موضعه وطلب المشاهدة مع البقية طغيان من النفس ينشأ من رؤيتها كمالات الصفات لنفسها وذلك ظلم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا بالحجة عليهم بعد الافاقة (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به) رفع عيسى عليه السلام اتصال روحه عنه المفارقة عن العالم السفلي بالعالم العلوي وكونه

اللات والعزى ومنات قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان* والقول الثانى اناثا يعنى امواتا قال الحسن كل شئ لاروح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى انزل درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحى كما ان الموت انزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات* والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون) اى ومايعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا* وقيل هو ابليس لانه اغواهم واغراهم على عبادتها واطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة* والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) اى ابعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعنى ابليس (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ماطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لوكانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبى امنيهم انه لاجنة ولانار ولابعث* وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصى* وقيل ازين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان* وقيل امنيهم طول البقاء فى الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعنى يقطعونها ويشقونها وهى البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولايردونها عن ماء ولامرعى وسوّل لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعنى دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال* وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التى فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه* وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود* ولهما عن اسماء قالت لعن النبى صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس اخصاء الغنم وجوّزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك فى الموطا ومعناه فى ترك الاختصاء نماء الخلق يعنى زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء فى حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعنى يتخذه ربا يعطيه فيما يأمره به وقيل الولى من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهى غاية الخسران

فى السماء الرابعة اشارة الى انّ مصدر فيضان روحه روحانية تلك الشمس الذى هو بمثابة قلب العالم ومرجعه اليه وتلك الروحانية نور محرّك ذلك الفلك بمعشوقيته واشراق اشعته على نفسه المباشرة لتحريكه ولما كان مرجعه الى مقرّه الاصلىّ ولم يصل الى الكمال الحقيقىّ وجب نزوله فى آخر الزمان بتعلقه ببدن آخر وحينئذ يعرفه كلّ احد فيؤمن به اهل الكتاب اى اهل العلم العارفين بالمبدا والمعاد كلهم عن آخرهم قبل موت عيسى بالفناء فى الله واذ آمنوا به يكون يوم القيامة اى يوم بروزهم عن الحجب الجسمانية وقيامهم عن حال غفلتهم ونومهم الذى هم عليه الآن (قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) شاهدهم يتجلى عليهم الحق فى صورة كما اشير اليه (فبظلم) عظيم (من الذين هادوا) اى بعباداتهم عجل النفس واتخاذه الها وامتناعهم عن دخول القرية التى هى حضرة الروح واعتدائهم فى السبت بمخالفة الشرع والاحتجاب عن كشف توحيد الافعال ونقضهم

*بقى فى الآية سؤالان * الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشئ المقدر القليل وقال فى موضع آخر لاحتنكن ذريته الاقليلا وقال لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع *فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المسلمين فى العدد لكنهم اقل من المؤمنين فى الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة فى الدنيا وعلو الدرجة فى الآخرة وانشد بعضهم فى هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ماأراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعنى الذين هم اهل النار * السؤال الثانى من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال فى الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال فى بنى اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا *فالجواب من ثلاثة اوجه *احدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التى يريدها منهم فحصل له ماظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه* الوجه الثانى قال ابن الانبارى المعنى لاجتهدن ولاحرصن فى ذلك لانه كان يعلم الغيب *الوجه الثالث قال الماوردى من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لايؤمنون *وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعنى الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم مايوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ماأراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لايلتفت الى شئ منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ماأراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ماهو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لاجنة ولانار ولابعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) يعنى باطلا وضلالا (اولئك) يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولايجدون عنها) يعنى عن جهنم (محيصا) يعنى مفرا ومعدلا يعنى لايعدلون عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (ابدا) بلا انتهاء ولاغاية* والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لاانقطاع له ولايتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لايقال ابد كذا كما يقال زمن كذا* وفى قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لايفيد التأبيد والدوام لانه لوافاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لاعلى الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لاينقطع* وقوله عزوجل (وعد الله حقا) يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا حقا (ومن اصدق من الله قيلا) يعنى ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا * قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولاامانى اهل الكتاب) الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى نفس وتصويره فيها*والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه واراده

ميثاق الله واحتجابهم عن تجليات الصفات الذى هو كفرهم بآيات الله والانغماس فى الرذائل كلها كقتل الانبياء والافتراء على الله بكون قلوبهم غلفا اى مغشاة بحجب خلقية لاسبيل الى رفعها وبهتانهم على مريم وادعائهم قتل عيسى عليه السلام من الخصال التى اجتماعها ظلم لايعرف كنهه (حرمنا عليهم طيبات) جنات النعيم من تجليات الافعال والصفات وشهود الذات التى هى طيبات لايعرف كنهها (احلت لهم) بحسب قابلية استعدادهم لولا هذه الموانع (وبصدهم) الناس بصحبتهم ومرافقتهم ودعوتهم الى الضلال اوبصد قواهم الروحانية (عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقدنهوا عنه) ربا فضول العلوم كالخلاف والجدل واللذات البدنية والحظوظ التى نهوا عنها (واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) برذيل الحرص والطمع كأخذ الرشا واجر التزويرات والتلبيسات اواستعمال علوم

القوى الروحانية بين الكفر والعقل النظرىّ (العلىّ) فى تحصيل المآكل والمشارب وكسب الحطام وتحصيل اللذات والشهوات الحسية والمآرب السبعية والبهيمية عند بامؤملالوجود استعدادهم (لكن الراسخون فى العلم) اى المحققون (منهم والمؤمنون) بالايمان التقليدىّ المطابق الثابت (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة) اى يتصفون بالتزكية والتحلية (والمؤمنون بالله) الموحدون بالتوحيد العيانىّ (واليوم الآخر) المعاينون لأحوال المعاد على ماهو عليه (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) من حظوظ تجليات الصفات وجناتها (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعد واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين) بتجليات

وفى المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم* والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لانبعث ولانحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الااياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح (ومن يعمل سوأ يجزبه) قال الضحاك يقول ليس لكم ماتمنيتم وليس لاهل الكتاب ماتمنوا ولكن من عمل سوأ يعنى شركا فمات عليه يجزبه النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيآته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا) وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولى ونصير وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوأ من مسلم ونصرانى وكافر قال ابن عباس هى عامة فى حق كل من عمل سوأ يجزبه الاان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه* وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يارسول الله واينا من لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه مايكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره واما من كان جزاؤه فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيآته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله* ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجزبه بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففى كل مايصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم* وعن ابى بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجزبه ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابابكر الااقرئك آية انزلت علىّ قلت بلى يارسول الله قال فاقرأنيها فلااعلم الاانى وجدت انقصاما فى ظهرى فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأنك ياابابكر قلت يارسول الله بابى انت وامى واينا لم يعمل سوأ وانا المجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت ياابابكر والمؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابى بكر وليس له اسناد صحيح *وقوله ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولانصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة فى حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها فى حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لاولى لاحد من دون الله يوم القيامة ولاناصر فالمؤمنون لاولى لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله* قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر اوانثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجزبه قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين

على غيرهم ولفظة من فى قوله من الصالحات للتبعيض لان احد الا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النقير نقرة فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة فى نفى الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم من غير نقصان * قوله عزوجل (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا يعنى ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عزوجل وهو الذى كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم * واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين * احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعنى انقاد لله وخضع له فى سره وعلانيته * وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوّض امره الى الله * الامر الثانى من مبانى الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعنى فى عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيآت * وقال ابن عباس فى تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال * وانما خص الوجه بالذكر فى قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعنى دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعنى مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ماسواه من الاديان باطل * وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك * فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب * قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم * وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته * وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعنى صفيا والخلة صفاء المودة . وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمى ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله فى كل حال . وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خليلا لانه والى فى الله وعادى فى الله . وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذى ليس فى محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل . وانشد فى معنى الخلة التى هى بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح منى * وبه سمى الخليل خليلا

صفات اللطف (ومنذرين) بتجليات صفات القهر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ظهور وسلطنة بوجود صفة مابعد رفعها ومحوها بامداد الرسل (وكان الله عزيزا) قويا يقهرهم بمحو صفاتهم وافناء ذواتهم (حكيما) لا يفعل ذلك الا بحكمة اتصافهم بصفاته اوبقائهم بذاته (لكن الله يشهد بما انزل اليك)لكونك فى مقام الجمع وهو محجوبون لا يقرّون به بل هو يشهد (انزله بعلمه) ملتبسا بعلمه اى فى حالة كونه عالما به بحيث انه علمه الخاص لا علمك ولا علم غيرك من غيره (والملائكة يشهدون) لكونك مراعيا للتفصيل فى غير الجمع فهو الشاهد بذاته وباسمائه وصفاته (وكفى بالله شهيدا) اى الذات مع الصفات تكفى فى الشهادة اذ لا موجود غيره (ان الذين كفروا)وصدّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا حجبوا عن الحق لكون ضلالهم (بعيدا ان الذين كفروا) حجبوا عن الدين (وظلموا)منعوا استعداد انهم عن حقوقها

من الكمال بارتكاب الرذائل وتسليط صفات النفس على قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) لرسوخ هيئات الرذائل فيهم وبطلان الاستعداد (ولا ليهديهم طريقا) لجهلهم المركب واعتقادهم الفاسد وعدم علمهم بطريق ما من طرق الكمال (الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) نيران اشواق نفوسهم الى ملاذها مع حرمانهم عنها (وكان ذلك على الله يسيرا) سهلا على الله لانجذابهم اليها بالطبيعة (يا اهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) اما اليهود فبالتعمق فى الظاهر ونفى البواطن وحط عيسى عن درجة النبوة ومقام الاتصاف بصفات الربوبية واما النصارى فبالتعمق فى البواطن ونفى الظواهر ورفع عيسى الى مقام الالوهية (ولا تقولوا على الله الا الحق) بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل كما هو عليه التوحيد المحمدى والقول بكون عيسى مظهرا لصفات الآلهية حيا بحياته داعيا الى مقام توحيد الاوصاف (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله

*وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة سميت خلة للاختلال الذى يلحق الانسان فيها وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هى تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به *واختلفوا فى السبب الذى من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذى بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لوكان ابراهيم يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحى ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التى معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هى ملاءى باجود دقيق يكون حوارى فأمرت الخبازين فخبز واواطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال ياسارة من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليلى الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء فى النيران وبذل ولده للقربان وماله عليه للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفى ذريته ٠ وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله فى اوله وتحمدوه فى آخره فقال جبريل انت خليل الله فن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله (م) عن انس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياخير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله *(فصل)* وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر خليلا *وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكنه اخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبى صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء فى حديث عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذى باطول منه *قوله تعالى (ولله مافى السموات ومافى الارض) قال أهل المعانى لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال مافى السموات ومافى الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذى يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعنى عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لايشذ عنه نوع الاعلم *وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه * قوله

عزوجل (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآيه قال ابن عباس نزلت فى بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن فى أول السورة وقالت عائشة هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفى رواية قالت هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه فى ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعنى ويستخبرونك يا محمد فى شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو الاظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه * قال المفسرون والذى استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعنى قل يا محمد الله يفتيكم فى شأن النساء وحالهن (وما يتلى عليكم فى الكتاب) يعنى يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم فى النساء بما أنزل فى كتاب عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التى تتلى عليكم وانها فى اللوح المحفوظ وأن العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التى تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (فى يتامى النساء) قيل معناه فى النساء اليتامى وقيل فى اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت فى يتامى أم كحة (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعنى ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة فى ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعنى ويرغبون فى نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة فى أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عزوجل يستفتونك فى النساء الى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق * وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعنى فيجازيكم عليه * قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت فى حل من النفقة على والقسمة لى قالت فذلك قوله

وكلمته) نفسا مجردة هى كلمة من كلمات الله اى حقيقة من حقائقه الروحانية روحا من ارواح (وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله) بالجمع والتفصيل (ولا تقولوا ثلاثة) بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الاله ثلاثة اشياء ويكون عيسى جزء من حياته بالنفخ او بالتفرقة بين ذات الحق وعالم النور وعالم الظلمة فيكون عيسى متولدا من نوره بل قولوا ما الكل من حيث هو كل ويكون العلم والحياة عين الذات وكذا عالم النور والظلمة ويكون عيسى فانيا فيه موجودا بوجوده حيا بحياته عالما بعلمه وذلك وحدته الذاتية المعبر عنها بقوله (انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد) نزهه عن ان يكون موجود غيره فيتولد منه وينفصل ويجانسه بانه موجود مثله بل هو الموجود من حيث هو وجود (له ما فى السموات) الارواح (وما فى الارض) الاجساد بكونها اسماءه وظاهره وباطنه (وكفى بالله وكيلا) يقوم مقام الخلق

تعالى فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفى زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوّجها وهى شابة فلما كبرت تزوّج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوّج غيرها فقالت لاتطلقنى ودعنى أقوم على أولادى واقسم لى كل شهرين ان شئت وان شئت فلاتقسم لى فقال أن كان يصلح ذلك فهو احب الىّ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعنى علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لايحصل الاعند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعنى من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعنى بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى او اعراضا يعنى بوجهه عنها او يعبس فى وجهها اويترك مضاجعتها اويسيء عشرتها اويشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة فى القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعنى فلا حرج ولااثم على الزوج والمرأة (ان يصالحا) من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعنى فى القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت و دخلت فى السن وانا اريد ان اتزوّج امرأة جميلة شابة اوثرها عليك فى القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمى وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هى المحسنة ولاتجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة اويسرحها باحسان وان امكسها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعنى اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاتطلقنى وامسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت فلاجناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (واحضرت الانفس الشح) الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعنى وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله فى حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل

فى افعالهم وصفاتهم وذواتهم عند فنائهم فى التوحيد كما قال امير المؤمنين علىّ عليه السلام لا اله الا الله بعد فناء الخلق (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدالله ولاالملئكة المقرّبون) فى مقام التفصيل اذ باعتبار الجمع لاوجود للمسيح ولا لغيره فلايمكن اصلا واما باعتبار التفصيل فكلّ ماظهر بتعين فهو ممكن والممكن لاوجود له بنفسه فضلا عن شئ غيره فيكون عبدا محتاجا ذليلا مفتقرا غير مستنكف عن ذلة العبودية وان كان غنيا عن تعلق الاجسام بالتجرّد المحض والتقدّس عن دنس الطبائع كالملائكة المقرّبين الذين هم الارواح المجرّدة والانوار المحضة (ومن يستنكف عن عبادته) بظهور انيته ويستكبر) بطغيانه فى الظهور بصفاته (فسيحشرهم اليه جميعا) بظهور نوروجهه وتجليه بصفة قاهريته حتى يفنوا بالكلية فى عين الجمع كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين الف حجاب

(ولن)

(ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) يعنى ولن تقدروا ان تسوّوا بين النساء فى الحب وميل القلب لان ذلك مما لاتقدرون عليه وليس من كسبكم (ولوحرصتم) يعنى على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولوحرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعنى الى التى تحبونها فى القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت فى الميل القلبى لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل فى القول والفعل * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه الترمذى وعند ابى داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك يعنى القلب اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى * وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعنى فتدعو الاخرى التى لاتميلون اليها كالمعلقة لاايما ولاذات بعل كالشئ المعلق لاهو فى السماء ولاعلى الارض * وقيل معناه فتذروهـا كالمسجونة لاهى مخلصة فتزوّج ولاهى ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعنى بالعدل فى القسم (وتتقوا) يعنى الجور فى القسم (فان الله كان غفورا) يعنى لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحيما) يعنى بكم حيث لم يكلفكم مالاتقدرون عليه (وان يتفرقا) يعنى ان لم يصلحا واراد الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعنى من فضله ورزقه والمعنى يغنى الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج آخر * وقيل معناه يعوّض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفى هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعنى واسع الفضل والرحمة * وقيل واسع القدرة والعلم والرزق * وقيل هو الغنى الذى وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعنى فيما امر به ونهى عنه * (فصل) * فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن فى القسم فان ترك التسوية بينهن فى فعل القسم عصى الله عز وجل فى ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط فى البيتوتة امافى الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه * ولو كان فى نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة * واذا تزوّج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوّى بينهن ولايجب عليه قضاء عوض هذه الليالى للقديمات ويدل على ذلك ماروى ابوقلابة عن انس قال من السنة اذا تزوّج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوّج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابوقلابة ولوشئت لقلت ان انسا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جازله ان يحمل معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه فى البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخارى مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسائه معه * قوله تعالى (ولله مافى السموات وما فى الارض) يعنى عبيدا وملكا قال اهل المعانى لما ذكر الله تعالى انه يغنى

من نور وظلمة لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه فاما الذين آمنوا) بالفناء فى عين الجمع بمحو الصفات وطمس الذات (وعملوا الصالحات) بالاستقامة فى الاعمال ومراعاة تفاصيل الصفات وتجلياتها (فيوفيهم اجورهم) وصفاتهم من جنات صفاته (ويزيدهم من فضله) بالوجود الموهوب بعد الفناء فى الذات (واما الذين استنكفوا) بظهور انيتهم (واستكبروا) طغوا عند تجليات الصفات وتوهموا بنورها فظهروا بها ونسبوها الى انفسهم كمن قال انا ربكم الاعلى (فيعذبهم عذابا اليما) باحتجابهم ببقايا ذواتهم وصفاتهم وحرمانهم عن مقام الجمع (ولايجدون لهم من دون الله) غير الله (وليا) يوالبهم برفع حجاب الذات (ولانصيرا) ينصرهم فى رفع حجاب الصفات البرهانى وهو التوحيد الذاتى والنور المبين وهو التفصيل فى عين الجمع اى القرآن الذى هو علم الجمع والفرقان الذى هو علم التفصيل (يا ايها الناس

من سعته وفضله اشار الى ماوجب الرغبة اليه فى طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لاتفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى من اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعنى ووصيناكم يااهل القرآن فى كتابكم (ان اتقوا الله) اى بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا ماأوصاكم به (فان لله مافى السموات ومافى الارض) يعنى فان لله ملائكة فى السموات والارض هم اطوع له منكم * وقيل معنـاه ان الله تعـالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم عليهم باصـناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعنى عن جميع خلقه غيرمحتاج اليهم ولاالى طاعتهم (حميدا) يعنى محمودا على نعمه عليهم (ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعنى شهيدا على ان له فيهن عبيدا * وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا * فان قلت ما الفائدة فى تكرير قوله تعالى ولله مافى السموات ومافى الارض * قلت الفائدة فى ذلك ان لكل آية معنى تختص به اما الآية الاولى فمعناها فان لله مافى السموات ومافى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته * وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له مافى السموات ومافى الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله مافى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لايزداد جلاله بالطاعات ولاينقص بالمعاصى * وقيل لمـا بين ان له مافى السموات وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ماتطلبون فهو يعطيكم لان له مافى السموات وما فى الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا اى فتوكلوا عليه ولاتتوكلوا على غيره فانه المالك لما فى السموات والارض * وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشـية اصل كل خير * قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفـار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا فى القدرة لايمتنع عليه شئ اراده لم يزل ولايزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء * قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا * نزلت فى مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولايقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيـا ويصرف عنهم شرها * وقيل نزلت فى المنافقين لانهم كانوا لايصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ماينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيـا والآخرة) يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وماينالونه من الغنيمة مخطؤن قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل

قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنـا اليكم نورا مبينـا فاما الـذين آمنوا بالله) بالتوحيد الذاتى (واعتصموا به) اى فى كثرة الصفات وتفرقها وراعوا الجمع فى التفاصيل (فسيدخلهم فى رحمة منه) من جنـات الصفـات التى لايعرف كنهها (وفضل) من جنات الذات (ويهديهم اليـه صراطا مستقيما) بالاستقامة الى الوحدة فى تفاصيـل الكثرة اورحمة من جنات الافعال وفضل من جنات الصفـات ويهديهم اليـه صراطا مستقيما من تفاصيل الصفات الى الفناء فى الذات والاول اولى بهذا المقام ولك التطبيق على تفاصيل وجودك واحوالك فى نفسك حيث امكن من هـذه السورة على القـاعدة التى مرت فى آل عمران والله تعالى اعلم (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لهـا ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثـان ممـا ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل

لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية* والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب فى الآخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه فى الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعنى لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعنى بنياتهم وما فى نفوسهم* وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدى ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغنى فأنزل الله هذه الآية وامر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير* وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة ابن ابيرق فهى خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط *القوام مبالغة فى القيام بالعدل فى جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل فى جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعنى اقيموا شهادتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق فى شهادته (ولو على انفسكم) يعنى ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة فى كونه موجبا للحق عليه (اوالوالدين والاقربين) يعنى ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوى رحمه او اقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او الاقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعنى المشهود عليه (غنيا او فقيرا فالله اولى بهما) يعنى منكم اوالمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعنى فالله اولى بالغنى وبالفقير (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يعنى فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق فى اداء الشهادة* وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا) قرئ بواوين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوى لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (او تعرضوا) يعنى او يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به* وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل فى الشهادة من قولهم لويت الشئ اذا قلبته* وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعنى تميلوا مع احد الخصمين دون الآخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى انه تعالى يجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته فيجازيكم باعمالكم* قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت فى عبد الله ابن سلام واسد واسيد بنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل

حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم)

(سورة المائدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا) بالايمان العلمى (اوفوا بالعقود) اى العزائم التى احكمتموها فى السلوك والفرق بين العهد والعقد ههنا ان العهد هو ايداع التوحيد فيهم فى الازل كامر والعقد هو احكام عزائم التكليف عليهم ليتأدى بهم الى الايفاء بما عاهدوا عليه فالعهد سابق والعقد لاحق وكل عزيمة على امر يوجب اخراج ما فى الاستعداد بالقوة الى الفعل عقد بينه وبين الله يجب الوفاء به والامتناع عن نقضه بفتور او تقصير (احلت لكم بهيمة الانعام) جميع انواع التمتعات والحظوظ بالنفوس السليمة التى لا تغلب عليها السبعية والشره كالنفوس التى هى على طباع الانعام الثلاثة (الا ما يتلى عليكم) من التمتعات المنافية للفضيلة والعدالة فانها منهى عنها لحجبها عن الكمال الشخصى والنوعى (غير محلى الصيد وانتم حرم) اى لا متمتعين بالحظوظ فى تجريدكم للسلوك وشروعكم

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية ياايها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله * وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى ياايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن * وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى ياايها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لاينفع من غير مواطأة القلب * وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى ياايها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذى انزل من قبل) يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التي انزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر * وقيل بذنوب احدثوها في الكفر * وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لاوقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لايكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان * ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لاتقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة * وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ماقد سلف يعني من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعني طريق هدى * وقيل لايجعلهم بكفرهم مهتدين * قوله تعالى (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يعني اخبرهم يامحمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم * وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار * وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمد الايتم امره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (ايبتغون عندهم العزة) يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فان العزة لله جميعا) يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز اولياءه واهل طاعته كما

في الرياضة عند السير الى الله لطلب الوصول فانه يجب حينئذ الاقتصار على الحقوق اذ الاحرام في الظاهر صورة الاحرام الحقيقي للسالكين في طريق كعبة الوصال والقاصدين لدخول الحرم الآلهي وسرادقات صفات الجلال والكمال (ان الله يحكم مايريد) على من يريده من اوليائه (يا ايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) من المقامات والاحوال التي يعلم بها حال السالك في سلوكه كالصبر والشكر والتوكل والرضا وامثالها اى لاترتكبوا ذنوب الاحوال ولاتخرجوا عن حكم المقامات فانها شعائر دين الله الخالص وكان المواضع المعلومة المعلمة بما يفعل فيها كالمطاف والمسعى والمنحر وغيرها والافعال المعلومة في الحج شعائر يشعر بها الحاج فهذه المقامات والمراتب والاحوال شعائر يشعر بها حال السالك وكانه لايجوز في ظاهر الشرع تغييرها عن موضعها والخروج عن حكمها فكذلك هذه في شرع الصبين كما يحكى عن

قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (في الكتاب) يعني القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزؤن به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سواء * قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر اوخالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة اومنكر ولم يخض في بدعته اومنكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) اي انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة * قوله عزوجل (الذين يتربصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير اوشر (فان كان لكم فتح من الله) اي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعني المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة * وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) اي دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعني المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان اي غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتلكم واسركم ثم لم نفعل ذلك * وقيل معناه ألم نغلبكم على رايكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم عنهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار * فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا * قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنيء ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لا لاجل كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) * فيه قولان * احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل علي ابن ابي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين

احدهم انه كان يتكلم في الصبر فدب عقرب على ساقه واحدث تصرفه وهو على حاله لا يبحثها فسئل عنه فقال استحي من ان اتكلم في مقام واما اهمل ما انا فيه (ولا الشهر الحرام) اي وقت الاحرام بالحج الحقيقي وهو وقت السلوك والوصول بالخروج عن حكمه والاشتغال بما يافيه ويصده عن وجهته ويثبطه في سيره (ولا الهدي) ولا النفس المستعدة المعدة للقربان عند الوصول الى فناء الحضرة الآمرة على ما اشير اليه باستعمالها في شغل يصرفها عن طريقها او يضعفها او حمل فوق طاقتها من الرياضة فينقطع دون البلوغ الى المحل (ولا القلائد) ولا ما قلدته النفس من شعار اهل السلوك والسنن والاعمال الظاهرة بتركها او تغييرها عن وضعها (ولا آمين البيت الحرام) ولا القاصدين المجدين في السلوك المجتهدين بتغيرهم ومنعهم عن الرياضة وايهان عزائمهم بالمخالطة وتقليل السعي وايهامهم انه لا حاجة بهم اليه وشغلهم بما يصدهم

يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثانى انه هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة * وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين * وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة * ويتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه * منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية * قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم * وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله مجازيهم بالعقاب * وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) يعنى متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعنى انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ماصلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا * وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا * وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعنى ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة * قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدرى لاى الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجبت له النار من المنافقين والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعنى اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء

او يكسلهم (يبتغون فضلا من ربهم) بتجليات الافعال (ورضوانا) بتجليات الصفات (واذا حللتم) بالرجوع الى البقاء بعد الفناء والاستقامة (فاصطادوا) اى فلا حرج عليكم فى الحظوظ بل ربما كان تمتيع النفس بالحظوظ اعانة لها فى مشاهداتها ومكاشفاتها لشرفها وذكائها وشدة صفائها (ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لا يكسبنكم بغض القوى النفسانية المانعة عن سلوككم ان تقهروها بالكلية بمنعها عن الحقوق التى تقوم بها فتبطلوها او تضعفوها عن منافعها وما يحتاج اليه من افعالها بسبب صدها اياكم فان وبال ذلك عائد اليكم او عداوة قوم من اهليكم واقاربكم واصدقائكم بسبب منعهم اياكم عن التجريد والرياضة فى السلوك (ان تعتدوا) عليهم باضرارهم ومقتهم وارادة الشر بهم فانه اضر بكم فى السلوك من منعهم اياكم (وتعاونوا على البر والتقوى) بتدبير تلك القوى وسياستها بالاحسان

من دون المؤمنين فلتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين ❊ وقوله تعالى (وان تجد لهم نصيرا) يعني وان تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا) يعني من النفاق (واصلحوا) يعني اصلحوا الاعمال فعملوه بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به (واخلصوا دينهم لله) يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فاولئك) يعني التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) يعني في الآخرة ❊ قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمة وآمنتم به فقد انقذتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر (وكان الله شاكرا) يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك ❊ قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان

اليها بحقوقها ومنعها عن حظوظها او بمراعاة الاهلين والاقارب والاصدقاء بمواساتهم والاحسان اليهم والمعروف في حقهم مع مخالفتهم الى ما يمنعكم عنه والاجتناب عن ذلك كما قال تعالى فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله) واجعلوه وقاية لكم في هذه الامور واحذروه في خلافها (ان الله شديد العقاب) يعاقبكم بالصد والحرمان (حرمت عليكم الميتة) هذه هي الامور المستدناة من انواع التمتعات الحلالة وهي الميتة اي خمود الشهوة التي هي رذيلة التفريط المنافية للعفة كالخنونة والعجز عن الاقدام على القدر الضروري من التمتعات والتمتع بفقدان اعتدال القوة الشهوانية على ما يفعله الخنائي وبعض المغربلين والمتقشفين والمتزهدين بالطبع القاصرين عن السلوك لنقصان الاستعدادات (والدم) اي التمتع بهوى النفس في الاهمال فان مزج الهوى وشوبه يفسد الاعمال كلها (ولحم الخنزير) ووجوه التمتعات الحاصلة بالحرص

يجهر بظلم الظالم قال العلماء لايجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني اوغصب ونحو ذلك وان شوتم جازله ان يشتم بمثله ولايزيد شيأ على ذلك ويدل على ذلك ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ماقالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لايحب الله يدعو احد على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد ارخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلايدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين مايريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ماصنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلايحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابوبكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابوبكر يارسول الله شتمني فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظلوم (عليما) بمافي قلبه فليتق الله ولايقل الاالحق * قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (اوتخفوه) يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين ايضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا اوتخفوه اورفع ضرعنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (اوتعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا اوتخفوها فتعطوها سرا اوتعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه * قوله عز وجل (الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولايصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (اولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض

والشره فان قوة الحرص اخبث القوى واسدها لطرق الكمال والنجاة (وما اهل لغير الله به) اى الرياضات والاعمال بالرياء وكل مايفعل لغير الله فان كسر النفس وقمعها ومخالفتها لايكون فعلا جميلا وفضيلة ومعينا في السلوك الا اذا كان لله فاما اذا كان لغير الله فهو شرك والشرك اكبر الكبائر (والمنخنقة) اى حبس النفس عن الرذائل ومنعها عن القبائح بحصول صور الفضائل وصدور الافعال الحسنة صورة مع كون الهوى فيها فان الافعال النفسية انما تحسن بقمعها وقهرها لله وخروج الهوى الذي هو قوتها وحياتها عنها وقيامها بارادة القلب كخروج الدم الذي هو قوة الحيوان وحياته منه بذبحه لله (والموقوذة) اى صدور الفضائل في الظاهر عن النفس مع كره منها واجبار عليها (والمتردية) التي تتعلق بالتفريط والنقصان والميل الى الجهة السفلية وانحطاط النفس عن الهمم العلية والدرجة القوية (والنطيحة) التي تصدر عن خوف وقهر من مثله

الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذى يدل على نبوّة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوّة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (واعتدنا) يعنى وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعنى والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوّة جميع انبيائه وان جميع ماجاؤابه من عندالله حق وصدق (ولم يفرقوا بين احد منهم) يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (سوف يؤتيهم اجورهم) يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم فى حال الكفر * قوله تعالى (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعنى يسألك يامحمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان ليشهدلك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لاسؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لاينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت * وقوله تعالى (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) يعنى اعظم من الذى سألوك يامحمد ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لاتعظمن عليك يامحمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما اسند السؤال الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا فى ايام موسى عليه السلام [illegible] نهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم فى التعنت (فقالوا) يعنى اسلاف هؤلاء اليهود (ارنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بنى اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة فى سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعنى الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ماجاءتهم البينات) يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعنى عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يامحمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فانى قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات مافيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفى قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا)

كالعفاف الحاصل بواسطة زجر المحتسب وخوف الفضيحة (وما اكل السبع) كفضائل العفة التى تحصل لشدّة القوّة الغضبية من الانفة والحمية واستيلاء الغضب فانّ الغضب اذا استولى منع الشدّة عن فعلها اولقهر من قهار كالملك والامير (الاماذكيتم) الا ماقرنت واعتادت وانقادت لكم بعد قهر من غير فكانت تصدر عنها الفضائل بارادة قلبية من غير مزج الهوى (وماذبح على النصب) مايفعل بناء على العادات التى يجب رفعها الالغرض عقلى اوشرعى (وان تستقسموا بالازلام) وان تطلبوا السعادات والكمالات بالرسوم والطوالع اتكالا على ماقضى الله وقدّره وتتركوا السعى والجدّ فى الاب وتجعلوا ذلك علة للتقصير بان تقولوا ليس لنانصيب فيها ولوكان لنانصيب لحصل فانه ربما كان مجرّد تعليل وقدطلق فى القدر تماه بسعيه فانه لم يطلع على ذلك (ذلكم فسق) خروج عن الدين الذى هو طريق الحق (اليوم) اى وقت حصول الكمال

يعنى حجة واضحة تدل على صدقه وهى المعجزات الباهرات التى اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعنى ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بنى اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلاينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعنى والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) يعنى وقلنا لهم لاتجاوزوا فى يوم السبت الى مالايحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك فى يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهى عن العمل والكسب فى يوم السبت (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعنى واخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعنى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم مافعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعنى وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق انبيائه (وقتلهم الانبياء) يعنى بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعنى بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعنى وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهى لاتفقه ماتقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعنى قلوبنا اوعية للعلم فلاحاجة بنا الى ماتدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعنى بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلايؤمنون الاقليلا) يعنى ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لايؤمنون قليلا ولاكثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبدالله بن سلام واصحابه الذين آمنوا من اليهود * قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غيراب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات مايدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم * قوله عزوجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله (وماقتلوه وماصلبوه) وفى قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثانى انه من قول الله لاعلى وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى ابدل ذكرهم فى عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح * وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعنى القى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء فى صفة التشبيه الذى شبه على اليهودى فى امر عيسى عليه السلام فروى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهودى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى اولنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشترى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا

تمرن النفس بالفضائل وتثبتها فى العزائم (يئس الذين كفروا) اى حجبوا من قوى نفوسكم اومن ابناء جنسكم راهل جلدتكم من الطبيعيين والمتزندقين (من دينكم) اى من ان يصدوكم عن طريق الحق (فلاتخشوهم) فانهم يستولون عليكم بعد ذلك (واخشونى) بان لاتقفوا عند تجلى صفة من صفاتى وتهيبوا عظمة ذاتى حتى تصلوا الى مقام الفناء (اليوم اكملت لكم دينكم) ببيان الشرائع وكيفية السلوك (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية الى (ورضيت لكم الاسلام) الاستسلام والانقياد بالانمحاء عند تجليات الافعال والصفات اواسلام الوجه للفناء عند تجلى الذات (دينا فمن اضطر) الى امر من هذه الامور المحرمة التى عددناها (فى مخمصة) فى هيجان شديد من النفس وغلبة لظهور صفة من صفاتها (غير متجانف لاثم) غير منحرف عن الدين والوجهة الى رذيلة مانعة لقصد منه وعزيمة (فان الله غفور) يستر ذلك عنه بنور صفة

انهم قدقتلواعيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عزوجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفى رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا آخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ماتجعلون لى ان اناد لتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكرلنا ان نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهى وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يانبى الله فاخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عزوجل عيسى الى السماء وقيل اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلو عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب فرفع الله عزوجل عيسى فى ذلك الوقت قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب ماذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القى على جميع من كان مع عيسى فى البيت حين احيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزى الله بذلك اليهود وينقذبه نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من اراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون القى شبهه على بعض اصحابه بعد ماتفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقى ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفى امر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود (لفى شك منه) يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه فى البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عزوجل عيسى الى السماء وفقدوا اصحابهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (مالهم به من علم) يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى اوغيره (الا اتباع الظن) يعنى لكنهم يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم انه عيسى لاعن علم وحقيقة (وماقتلوه يقينا) قال ابن عباس يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ماقتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ماوقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما تاما واصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كلاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة

من صفاته تقابلها (رحيم) يرحم بمداد التوفيق لاظهار الكمال ورفع موانعه (يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات) من الحقائق والمعارف الحقية والفضائل العلية التى تحصل لكم بعقولكم وقلوبكم وارواحكم (وماعلمتم من الجوارح مكلبين) من جوارح حواسكم الظاهرة والباطنة وسائر قواكم وآلاتكم البدنية فى اكتساب الفضائل والآداب محرضين (تعلمونهن مما علمكم الله) من علوم الاخلاق والشرائع التى تبين طريق الاحتظاء من الحظوظ على وجه العدالة (فكلوا مما امسكن عليكم) مما حصلن لكم بتعليمكم على ماينبغى بنية وارادة قلبية وغرض صحيح يؤدى الى كمال الشخص او النوع لايجمعن ويشبعن ويزن عليه بميلهن وحرصهن لطلب لذتهن وشهوتهن (واذكروا اسم الله عليه) واحضروا بقلوبكم انها الصورة الانسانية الكاملة تقصد وتراد لا لغرض اخروا جعلوا الله وقاية لكم فى فعلها حتى

على عيسى والمعنى وماقتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى مابعده تقديره وماقتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية * وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بنطيونس بن اسبيسانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة * قوله تعالى (وان من اهل الكتاب) يعنى وما من احد اهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة فى قوله الا ليؤمنن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لاوجه له لانه لم يجر للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى (قبل موته) اختلف المفسرون فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الاآمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لاينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع اليأس حين لاينفعه ايمانه سواء احترق اوتردى من شاهق اوسقط عليه جدار اواكله سبع اومات فجأة فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء فقيل له ارأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا ياعدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبدالله ورسوله وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبدالله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لاينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الاليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتابين الاآمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة اسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لايبقى يهودى ولا نصرانى ولا احد يعبد غير الله الاآمن بعيسى وانه عبدالله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله احد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول ابوهريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته الآية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلايسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى آخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لاينزل نبيا

تكون حسنة (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) يحاسبكم بها فى آن لافى ازمنة لحصول هيآت تنافى انفسكم بمقدارتكابها (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ياايها الذين آمنوا) الايمان العلمى (اذا قمتم الى الصلاة) انبعثتم عن نوم الغفلة وقصدتم الى صلاة الحضور والمناجاة الحقيقية بالتوجه الى الحق (فاغسلوا وجوهكم) اى طهروا وجود قلوبكم بماء العلم النافع الطاهر المطهر من علم الشرائع والاخلاق والمعاملات التى تتعلق بازالة الموانع عن لوث صفات النفس (وايديكم) اى وقدركم عن دنس تناول الشهوات والتصرفات فى مواد الرجس (الى المرافق) الى حد الحقوق والمنافع (وامسحوا برؤسكم)

برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعنى لايقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولايقبل من أحد الا الاسلام أوالقتل وعلى هذا قديقال هذاخلاف ماهوحكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام* والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بماقبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ أوأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية ومامن أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الآية وان من أهل الكتاب الاليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلايموت يهودى ولانصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الغرغرة حتى لاينفعه ايمانه . * وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهدوا على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية * قوله عزوجل (فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى ماحرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الابظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هوماذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الهـا كمالهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ماذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى فى معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ماوصفهم الله به فى كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم فى كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغى بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا

بجهات ارواحكم عن قتام كدورة القلب وغبار تغيره بالتوجه الى العالم السفلى ومحبة الدنيا بنور الهدى فان الروح لايتكدر بالتعلق بل يحتجب نوره عن القلب فيسود القلب ويظلم ويكفى فى انتشار نوره صقل الوجه العالى من القلب الذى اليه فان القلب ذو وجهين احدهما الى الروح والرأس ههنا اشارة اليه والثانى الى النفس وقواها فاحرى بالرجل ان تكون اشارة اليه (وارجلكم) وجهات قواكم الطبيعية البدنية بنفض غبار الانهماك فى الشهوات والافراط فى اللذات (الى الكعبين) الى حد الاعتدال الذى يقوم به البدن فعلى هذا من انهمك فى الشهوات وافرط فى اللذات احتاج الى غسلها بماء علم الاخلاق وعلم الرياضات حتى ترجع الى الصفاء الذى يستعد به القلب للحضور والمناجاة ومن قرب حوضه فيها من الاعتدال كفاه المسح ولهذا مسح من مسح وغسل من غسل (وان كنتم جنبا) بعداء عن الحق بالانجذاب الى الجهة السفلية والاعراض عن الجهة العلوية والميل

أكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ماذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيأ انتهى اليه امتركته ولقد أنصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لايعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الآية ماتقدم ذكره وكلها ذنوب فى المستقبل* فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ماحرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ماسيقع منهم* قلت جوابه ماتقدم وهو ان الله تعالى لايعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين فى تفسير هذه الآية ماذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة فى نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك فى غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم بسببها فى الدنيا والآخرة *أما التشديد فى الدنيا فهو ماتقدم من تحريم الطيبات عليهم* واما التشديد فى الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب * قوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم) يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عزوجل من آمن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم فى الآيات التى تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم * ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالغون فيه اولو البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعنى بالله ورسله (يؤمنون بما انزل اليك) يعنى بالقرآن الذى انزل اليك (وما انزل من قبلك) يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى انزلها الله على انبيائه من قبلك يامحمد* وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان * احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما انزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقرآن الذى انزل اليك يامحمد وما انزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء فى وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له افلا تغيره فقال دعوه فانه لايحل حراما ولايحرم حلالا* وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولاغيره* واجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك

الكلى الى النفس (فاطهروا) بكليتكم عن تلك الهيئة المظلمة والصفة الخبيثة الموجبة للبعد والاحتجاب (وان كنتم مرضى على سفر اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) من ضيق ومشقة بكثرة المجاهدات والمكابدات (ولكن يريد ليطهركم) ان يطهركم من الهيئات المظلمة والصفات الخبيثة (وليتم نعمته عليكم) بالتكميل (لعلكم تشكرون) نعمة الكمال بالاستقامة والقيام بحق العدالة عند البقاء بعد الفناء (واذكروا نعمة الله عليكم) بالهداية الى طريق الوصول (وميثاقه الذى واثقكم به) اى عقود عزائمه المذكورة اذ قبلتموها من معدن النبوة بصفاء الفطرة (اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ان تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى)

(فكيف)

فكيف يتركون فى كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلاينبغى ان ينسب هذا اليهم* قال ابن الانبارى ماروى عن عثمان لايصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولايلتفت الى مازعموا من وقوع لحن فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قدذكره سيبويه عن امثلة وشواهد وربما غبى عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله عزوجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفؤه من يلحق بهم* ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة اهم الراسخون فى العلم ام غيرهم على قولين* احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك فى صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح اوذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب آخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لايبعدون قومى الذين هم * سم العداوة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءنى قومك المطعمين وهم المعينون* والقول الثانى ان المقيمين الصلاة غير الراسخين فى العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم عن اقامة الصلاة* وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لايفترون* وصحح الزجاج القول الاول واختاره* وصحح الطبرى القول الثانى واختاره ❊ وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (اولئك) يعنى من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم اجرا عظيما) يعنى سنعطيهم على ماكان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة ❊ قوله عزوجل (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدى بن زيد يامحمد مانعلم ان الله انزل على بشر من شئ من بعد موسى فأنزل الله هذه الايات* وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عزوجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا اليك يامحمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يامعشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين فى هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يامعشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على كل احد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ماانزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قادحا فى نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا فى نبوته بل قد انزل عليه كما

اى العقل اقرب للتجرد عن ملابس صفات النفس واتخاذ صفات الله تعالى وقاية لانه اشرف الفضائل الذى اذا حصل تبعه الجميع (واتقوا الله) واجعلوه وقاية لكم فى صدور العدل منكم فان منبع الكمالات والفضائل ذاته تعالى (ان الله خبير بما تعملون) انه من صفات نفوسكم اومنه (وعد الله الذين آمنوا) منكم بالتوحيد العلمى (وعملوا الصالحات) التى توصلهم الى التوحيد العينى وتعدهم لذلك (لهم مغفرة) من صفاتهم (واجر عظيم) من تجليات صفاته تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم) من قوى نفوسكم المحجوبة وصفاتها (ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالاستيلاء والقهر والاستعلاء لتحصيل مآربها وملاذها ؤ معها عنكم بما اراكم من طريق التطهير والتنزيه (فكف ايديهم عنكم واتقوا الله) واجعلوه وقاية فى قهرها ومنعها

انزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عزوجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر (وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) يعني وآتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى انزل على داود وهومائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولاحلال ولاحرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجئ الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدى زاد البرقانى قلت والله يارسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتى لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة *قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى فى هذه الآية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء فى الآية انه لم ينزل على احد كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام*قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود مالموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم فى القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وماورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اى لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعانى الذى نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لاتؤكد بالمصادر فلايقال اراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمى كل مايوصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل لكن لاتحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الاحقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لاافهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامى يعني على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل فى خلقك شئ يشبه كلامك قال لا واقرب خلق شبها بكلامى اشد مايسمع الناس من

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله) رؤية الافعال كلها منه (ميثاق بني اسرائيل) هو العهد المذكور والنقباء الاثنا عشرهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطن والقوة العاقلة النظرية والعاقلة العملية (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم) بالنصر (لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) اى فى العقد اللاحق او فقكم واعينكم لئن اقمتم بحقوق التزكية والتحلية من الاعراض عن السعادات الدنية بالعبادة وترك السعادات الخارجية بالزهد وايثار الثالثة التى هى الايمان برسل العقل والالهامات والافكار الصائبة والخواطر الصادقة من الروح والقلب وامداد الملكوت وتعزيرهم اى تعظيمهم بتسليطهم على شياطين الوهم وتقويتهم ومنعهم وساوسها والقاء الوهميات والخياليات والخواطر النفسانية (وآمنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا) بالبراءة من الحول والقوة والعلم والقدرة الى الله بالجملة من الافعال والصفات

الصواعق*قال العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعنى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين ارسلت رسلا الى خلق مبشرين من اطاعنى واتبع امرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف امرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار*وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تالفها فاذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة فى ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا* وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة فى ترك الطاعات والعبادات *فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التى النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

*قلت الرسول منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر فى تلك الدلائل التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لهم وهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون احكام الله تعالى التى افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الله الفواحش ماظهر منها ومابطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله (حكيما) يعنى فى ارساله الرسل * قوله تعالى (لكن الله يشهد بما انزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله اعلم انكم لتعلمن انى رسول الله فقالوا مانعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفى رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله

كلها ثم من الذات بالمحو والفناء واسلاء ها الى الله (لاكفرن عنكم سيئاتكم) اى وجودات هذه الثلاث التى هى حجبكم وموانعكم عنكم (ولادخلنكم جنات) من افعالى وصفاتى وذاتى (تجرى من تحتها الانهار) علوم التوكل والرضا والتسليم والتوحيد وبالجملة علوم تجليات الافعال والصفات والذات فمن احتجب بعد ذلك العهد وبعث النقباء منكم (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) المستقيم بالحقيقة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) قست باستيلاء صفات النفس عليها وميلها الى الامور الارضية الجاسية الصلبية فحجبت عن انوار الملكوت والجبروت التى هى كلمات الله واستبدلوا قوى نفوسهم بها واستعملوا وهمياتهم وخيالياتهم بدل معارفها وحقائقها من المعانى المعقولة اوخلطوها بها وذلك هو تحريف الكلم مواضعه (ونسوا حظا) اى نصيبا وافرا مما اوتوه

عليه وسلم فقالوا يامحمد اناسألنا عنك اليهود وعن صفتك فى كتابهم فزعموا انهم لايعرفونك فانزل الله عزوجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعنى ان جحدك هؤلاء اليهود يامحمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ماانزل الله على بشر من شئ فقدكذبوا فيما ادعوا فان الله يشهدلك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووحيه* والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يامحمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهدلك يامحمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى انزله عليك (انزله بعلمه) يعنى انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة* وقيل معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده *وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده فى انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعنى يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعنى وحسبك يامحمد ان الله يشهدلك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهدله وملائكته كذلك * قوله عزوجل (ان الذين كفروا) يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات فى قلوب الناس وهو قولهم لوكان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة (قدضلوا ضلالا بعيدا) يعنى عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعنى كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة فى قلوبهم (لم يكن الله ليغفرلهم) يعنى لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر *وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم فى الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبى والجلاء وفى الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولاليهديهم طريقا) يعنى ينجون فيه من النار وقيل ولايهديهم طريقا الى الاسلام لانه قدسبق فى علمه انهم لايؤمنون (الاطريق جهنم) يعنى لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى جهنم وهى اليهودية لماسبق فى علمه انهم اهل لذلك (خالدين فيها) يعنى فى جهنم (ابدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا * قوله عز وجل (ياايها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم *وقيل هو خطاب لمشركى العرب (قدجاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعنى بدين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذى هو الحق (من ربكم) يعنى من عند ربكم (فآمنوا خيرالكم) يعنى فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرالكم يعنى من الكفر الذى انتم عليه (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله مافى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن ايمانكم لان له مافى السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على مايشاء (وكان الله عليما)

فى العهد السابق من الكمالات الكامنة فى استعدادهم بالقوة فذكروا به فى العهد اللاحق (ولاتزال تطلع على خائنة منهم الاقليلا منهم فاعف عنهم واصفح) اى على نقض عهد ومنع امانة لاستيلاء صفات النفس والشيطان عليهم وقساوة قلوبهم (ان الله يحب المحسنين) الذين يشاهدون ابتلاء الله اياهم فلايقابلونهم بالعقاب فيستعملون معهم الصفح والعفو (ومن الذين قالوا انانصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مماذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة وسوف) اى الزمناهم ذلك لتخالف دواعى قواهم السبعية والبهيمية والشيطانية وميلهم الى الجهة السفلية الموجب للتضاد والتعاند لاحتجابهم عن نور التوحيد وبعدهم عن العالم القدسى الذى فيه المقاصد كلية لاتقتضى التجاذب والتعاند الى وقت قيامهم بظهور نور الروح والقيامة الكبرى بظهور نور التوحيد (ينبئهم الله بما كانوايصنعون) بعقاب ماصنعوا عند الموت وظهور

(يعنى)

يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله (حكيما) يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل (يا اهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى * واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستأتي قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى * وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولود الغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا اهل الكتاب (لا تغلوا في دينكم) واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك (وكلمته) هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة (القاها الى مريم) يعني اوصلها الى مريم (وروح منه) يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله تعالى وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله * قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام * وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه * وقيل ادخل النكرة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح واي روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان له من العمل * وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله)

الحرمان والخسران بظهور الهيئات القبيحة المؤذية الراسخة فيهم (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) بان حصروا الالوهية فيه وقيدوا الاله بتعينه (قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا) بالافناء في التوحيد والطمس في غير الجمع كما قال كل شيء هالك الا وجهه (ولله ملك السموات) اي عالم الارواح (والارض) عالم الاجسام (وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) من الصور والاعراض كلها ظاهرة وباطنة واسماؤه وصفاته وافعاله (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم

يعنى فصدقوا ياأهل الكتاب بوحدانية الله وانه لاولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عندالله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولاتجعلوه الها وقوله تعالى (ولاتقولوا ثلاثة) يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم فاثبتوا ذواتا متعددة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعنى يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث * ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله اله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه ان يكون له ولد) يعنى لاينبغى ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى له ملك السموات والارض ومافيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعنى انه تعالى كاف فى تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غنى عنهم * وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعنى لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اى انفت منه واصله من نكفت الشئ نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبد الله (ولا الملائكة المقربون) يعنى ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيد الله لانهم فى ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى فى عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التى وقعت للنصارى بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبد الله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيد الله * وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه * والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعنى كان المسيح عبدا لله فكذلك الملائكة عبيد الله * وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعنى ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعنى فسيجمعهم يوم القيامة

بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض ومابينهما واليه المصير ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) اى حضرة القلب التى هى مقام تجلى الصفات فانه بالنسبة الى سماء الروح ارض (كتب الله لكم) عين لكم فى القضاء السابق واودع فى استعدادكم الوصول اليها والمقام بها (ولا ترتدوا على ادباركم) فى الميل الى مدينة البدن والاقبال عليه بتحصيل مآربه ولذاته وطلب موافقته وتزيين هيئاته فانه مقام خلف مقامكم وادنى واسفل من رتبتكم (فتنقلبوا خاسرين) باستبدال ظلمات البدن بانوار القلب وخباثه بطيباته (قالوا ياموسى

لوعدهم الذى وعدهم حيث لايملكون لانفسهم شيأ (فاماالذين آمنوا وعلوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) يعنى يوفيهم جزاءاعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعنى ويزيدهم على مااعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (واماالذين استنكفوا واستكبروا) يعنى الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله) يعنى من سوى الله لانفسهم (وليا) يعنى ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعنى ولاناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته* فى فى الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاماالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واماالذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهوقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر* والجواب انه لااشكال فيه فهومثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به* وصحة ذلك لوجهين* احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى* والوجه الثانى ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا اجور المطيعين العاملين لله تعالى * قوله عزوجل (ياايها الناس) خطاب للكافة (قدجاءكم برهان من ربكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وماجاءبه من البينات من ربه عزوجل وانما سماه برهانا لمامعه من المعجزات الباهرة التى تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذرجميع الخلائق (وانزلنا اليكم نورا مبينا) يعنى القرآن وانماسماه نورا لان به تتبين الاحكام كماتتبين الاشياء بالنور بعدالظلام ولانه سبب لوقوع نورالايمان فى القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فاماالذين آمنوا بالله) يعنى صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب (واعتصموابه) يعنى بالله فى ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل فى معنى واعتصموابه اى وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم فى رحمة منه) يعنى فسيدخلهم فى رحمته التى ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعنى ماينفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة ممالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعنى ويوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذى ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام * قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) نزلت فى جابربن عبدالله الانصارى (ق) عن جابربن عبدالله قال مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر يعودانى ماشيين فاغمى علىّ فوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب علىّ من وضوئه فأفقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف اصنع فى مالى كيف اقضى فى مالى فلم يردعلىّ شيأحتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وفى رواية فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قال هكذا نزلت وفى رواية للترمذى

ان فيها قوما جبارين) من سلطان الوهم وامراء الهوى والغضب والشهوة وسائر صفات النفس الفرعونية اخذوها عنوة وقهرا واستولوا عليها مستعلين يجبرون كلا على هواهم مالنابهم يدان ولانقدر على مقاومتهم قالوا ذلك لاعتيادهم باللذات الطبيعية والشهوات الجسمانية وغلبة الهوى عليهم فلم يقدروا على الرياضة وقمع الهوى وكسر صفات النفس بالمجاهدة (واناان ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فاناداخلون) اى يصرفهم الله عنها بلا رياضة منا ومجاهدة اوينصرفوا بالطبع مع احالته اويضعفوا عن الاستيلاء كما فى الشيخوخة مع امتناع دخولهم فيها حينئذ (قال رجلان من الذين يخافون) كانامن النقباء الاثنى عشروهم العقل النظرىّ والعقل العملىّ يخافون سوء عاقبة ملازمة الجسم ووبال العقوبة بهيئاته المظلمة (انعم الله عليهما) بالهداية الى الطريق المستقيم والدين

وكان لى تسع اخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ولابى داود قال اشتكيت وعندى سبع اخوات فدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يارسول الله الااوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركنى فقال ياجابر لااراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة* وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسألوا عنها نبى الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية* وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسيرله والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملنى ان احدثك فيها مالم احدثك يومئذ فقال عمر لم اردهذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يامحمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم فى اوّل السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد* وقوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعنى مات سمى الموت هلا كالانه اعدام فى الحقيقة (ليس له ولد) يعنى ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله اخت) يعنى ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه (فلها نصف ماترك) يعنى فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند ابى حنيفة واهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة* وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث (يبين الله لكم ان تضلوا) يعنى يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعنى من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبى صلى الله

القوم (ادخلوا عليهم الباب) باب قرية القلب وهو التوكل بتجلى الافعال كما انّ باب قرية الروح هو الرضا (فاذا دخلتموه) دخلتم مقام التوكل الذى هو باب القرية (فانكم غالبون) بخروجكم عن افعالكم وعن احوالكم وبكونكم فاعلين بالله واذا كان الحول والقوّة بالله يهرب شيطان الوهم والتخيل والهوى والغضب منكم فغلبتم عليهم ويدلّ على انّ الباب هو التوكل قوله (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) بالحقيقة اذ الايمان بالغيبة عن المؤمن به اقل درجات حضور تجلى الافعال (قالوا ياموسى) اى اصروا على ابائهم وامتناعهم عن الدخول (انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك) اى ان كنت نبيا فادفعهم ضا بقوّة نفسك واقمع الهوى وتلك القوى فينا بلا رياضة ومجاهدة منا وسل ربك يدفعها عنا كما يقول الشطار والوغود عند موعظتك اياهم وزجرك وتهديدك لهم ادفع بهمتك

(عليه)

عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوى وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لايحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لايحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوى ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة المائدة)

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها* فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها* قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فأكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لايجوز الظلم في شيء من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها* وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوى روى عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولاتقتلوا الصيد وانتم حرم ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

❁ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) يعني العهود قاله الجماعة* واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بوفائها* فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به *وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القرآن فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولاتحدثوا عقدا

عنا هذه الشقاوة وانما استهزاء وعنادا واماجدا واعتقادا (فقاتلا اناههنا قاعدون) ملازمون مكاننا في مقام النفس معتكفون على هوى نفوسنا ولذات ابداننا كما قالوا حطا سمقاثا (قال رب انى لااملك الانفسي واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض) هي مدة بقائهم في مقام النفس اى بقوا في تيه الطبيعة يتحيرون اربعين سنة الى قرية القلب فان دخول مقام القلب مع استيلاء جبابرة صفات النفس عليه حرام ممتنع ولهذا قال بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فانه وقت البلوغ الحقيقي وقيل في قصة التيه انهم كانوا يسيرون حادين طول النهار في ستة فراسخ فاذا امسوا كانوا على المقام الذي ارتحلوا عنه اى كان سعيهم

فى الاسلام *وقيل بل هى العقود التى يتعاقدها الناس بينهم ومايعقده الانسان على نفسه * والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف *قال الطبرى واولى الاقوال عندنا بالصواب ماقاله ابن عباس ان معناه اوفوا يا ايها المؤمنون بعقود الله التى اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (احلت لكم بهيمة الانعام)وهو خطاب للمؤمنين خاصة * والبهيمة اسم لكل ذى اربع من الحيوان لكن خص فى التعارف بما عدا السباع والضوارى من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتميز قال الزجاج كل حى لايميز فهو بهيمة والانعام جمع ا لنعم وهى الابل والبقر والغنم ولايدخل فيها ذوات الحافر فى قول جميع اهل اللغة * واختلفوا فى معنى الآية *فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعزو على هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد *وقال الكلبى بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لوافردها فقال البهيمة لدخل فيه مايحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هى الاجنة التى توجد ميتة فى بطون امهاتها اذا ذبحت اونحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعى ويدل عليه ماروى عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذى وابن ماجه وفى رواية ابى داود قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد فى بطنها الجنين انلقيه ام نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبرى عن ابن عمر فى قوله احلت لكم بهيمة انعام قال مافى بطنها قال عطية العوفى قلت ان خرج ميتاآكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد فى بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة مافى بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب *وقال ابو حنيفة لايحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام *وقوله تعالى (الامايتلى عليكم) يعنى فى القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو مااستثنى الله عزوجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وانتم حرم) يعنى احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وانتم محرمون فى حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا فى حال احرامه (ان الله يحكم مايريد) يعنى ان الله يقضى فى خلقه مايشاء من تحليل مااراد تحليله وتحريم مااراد تحريمه وفرض مايشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه بما فيه مصلحة لعباده * قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبعة البكرى اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى امراء لااقطع امرا دونهم ولعلى اسلم وآتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبى صلى الله

فى تحصيل المناجح الجسمانية والمباغى البدنية المحصورة فى الجهات الست ولم يخرجوا عن الجهات بالتجرد فكانوا على المقام الاول لعدم توجههم الى سمت القلب بطلب التجرد والتنزه عن الهيئات البدنية والصفات النفسانية وكان ينزل من السماء بالليل عمود من نار يسيرون وينتفعون بضوئه اى ينزل عليهم نور عقل المعاش من سماء الروح فيهتدون به الى مصالحهم وقيل من نار لانه عقل مشوب بالوهم ليس عقلا صرفا والا لاهتدوا به الى طريق القلب واما الغمام والمن والسلوى فقدمر ذكرها وتأويلها وقيل كان على كل مولود ولد فى التيه قميص بقدر قامته يزيد بزيادته يعنون به لباس البدن والله اعلم وان شئت ان تطبق القصة على حالك اولت موسى بالقلب وهرون بالروح

عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وماالرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قدلفها بالليل سواق حطم * ليس براعى ابل ولاغنم
ولابجزار على ظهر وضم * باتوانياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قدخرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قدقلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله * قال ابن عباس هى المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك * وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة انها هدى وهو سنة فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبى صلى الله علية وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعثها الى البيت فما حرم عليه شئ كان له حلالا اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج * وعند ابى حنيفة لايجوز اشعار الهدى بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس فى معنى الآية لاتحلوا شعائر الله هى ان تصيد وانت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لاتحلوا شيأ من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التى نهى عنها (ولا الشهر الحرام) اى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرم هنا ذوالقعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عكاظ فيقول انى قد احللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسئ فى سورة براءة (ولا الهدى ولاالقلائد) الهدى مايهدى الى بيت الله من بعير اوبقرة اوشاة اوغير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولاالهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * واعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى ولاتستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلايتعرض لهم احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعنى ولاتستحلوا المقاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعنى يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق والارباح

فانه كان اخاه الاكبر ولهذا قال هوافصح منى لسانا وبنى اسرائيل بالقوة الروحانية والارض المقدسة بالنفس المطمئنة ثم اجريت القصة بحالها الى آخرها (فلا تأس على القوم الفاسقين) اى لاتهتم بهدايتهم ولا تغتم على عقوبتهم فانهم فسقوا وخرجوا عن طريق القلب بهواهم وطغيانهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) القلب للذين هما هابيل القلب وقابيل الوهم اذ كان لكل منهما توأمة اماتوأمة العقل فالعاقلة العلمية المدبرة لامور المعاش والمعاد بالآراء الصلاحية المقتضية للاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة المستنبطة لانواع الصناعات والسياسات واما توامة الوهم فالقوة المخيلة المتصرفة فى المحسوسات والمعانى الجزئية لتحصيل الآراء الشيطانية فأمر ادم القلب بتزويج الوهم توامة العقل التى

فى التجارة (ورضوانا) يعنى ويطلبون رضاالله عنهم بزعمهم لان الكافر لاحظ له فى الرضوان
لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين
كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لاينالونه فلايبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك
القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون فى حجهم مايصلح لهم
دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين
خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا
(فصل) اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا
لان قوله تعالى لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل فى الشهر الحرام وفى الحرم
وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت
الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا فلايجوز ان يحج مشرك ولايأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس
ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية
وقيل المنسوخ منها قوله ولاآمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقوله فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون
يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مؤمن
او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم
قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لامنسوخ فى هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ماندبنا الى ان
نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا فى الشهر الحرام ولا فى غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر
تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التى
كانوا يفعلونها فى الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية
لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك فى الاشهر الحرم وغيرها وكذلك
اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له امانا من القتل
اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة اوامان وكذلك اجمعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة
من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم
❊وقوله تعالى (واذا حللتم) يعنى من احرامكم (فاصطادوا) هذا امر اباحة لان الله حرم
الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم واباحه له اذا حل من احرامه
بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه
ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ
من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لايحملنكم وقيل معناه لايكسبنكم ولا يدعونكم (شنآن قوم)
يعنى بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعنى لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لايحملنكم
عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية
فكان الصد قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل واخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى)

هى العاقلة العلية لتتسلط
عليه بالقياسات العلية
البرهانية وتدربه بالرياضات
الاذعانية والسياسات
الروحانية وتسخره للعقل
فيطيع اب القلب ويحسن
اليه ويبره بانواع الرجاء
الصادقة ويعينه فى الاعمال
الصالحة ويمتنع من عقوقه
بالتسويلات والتزيينات
الشيطانية الفاسدة واغراء
النفس عليها بالهيئات
الفاسقة والافعال السيئة
وتزويج العقل توأمة الوهم
ليجعلها صالحة ويمنعها عن
شهوات التخيلات الفاسدة
وتهيج احاديث النفس
الكاذبة فيستريح ابوها منها
ويستعملها فى المعقولات
والمحسوسات والمعانى
الكلية والجزئية فتصير
مفكرة عاملة فى تحصيل
العلوم فينتفع ابوها فحسد
قابيل الوهم هابيل العقل

(يعنى)

يعني ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) اى واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف امره فيه وعيد وتهديد عظيم * قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير اراد به جميع اجزائه واعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة الاشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك * قوله تعالى (وما اهل لغير الله به) يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بئر فتموت * والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها * ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة * فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره * فان قلت لم اثبت الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الوضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة * قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف ارجل هو ام امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف

لكون توأمته اجمل عنده واحب لنا سبتها اياه فامر ابوهما القلب بان يقرب كل واحد منهما قربانا اى نسكا يتقرب به الى الله بافاضة النتيجة وافناء صورة القياس وقبول الصورة المعقولة الكلية المطابقة لما في نفس الامر التي هي نسيكته التي يتقرب بها الى الله منه وعدم قبول قربان الوهم الذي هو صورة المغالطة او الصورة الموهومة الجزئية امتناع اتصال العقل به بافاضة النتيجة اذ لا نتيجة لها او امتناع قبول الصورة الوهمية اذ لا تطابق ما في نفس الامر فزاد حسده عليه (اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك) اى لما ازداد قرب العقل من الله وبعده عن

غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتى فعيله بالهاء وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقبيلة بنى فلان * وقوله تعالى (وما اكل السبع) قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله او اكل منه اكلوا مابقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفى الآية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقى منه (الا ما ذكيتم) يعنى الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة فى الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول على ابن ابى طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبى هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول * واما كيفية ادراكها . فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جائز . قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال . وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر فى حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانبارى لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ماروى عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فدى الحبشة اخرجاه فى الصحيحين * واقل الذبح فى الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرئ مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك * وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) يعنى وحرم ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب اولاجل النصب فهو حرام (وان تستقسموا بالازلام) يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اى ليس عليه شئ وكانت العرب فى الجاهلية اذا ارادوا سفرا اوتجارة اونكاحا اواختلفوا فى نسب اوامر قتيل اوتحمل عقل اوغير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى

رتبة الوهم فى مدركاته وتصرفاته كان الوهم احرص على ابطال عمله ومنعه عن فعله كما ترى فى التشكيكات الوهمية ومعارضاته العقل فى تحصيل المطالب النظرية العميقة الغور وقتله عبارة عن منعه عن فعله وقطع مدد الروح ونور الهداية الذى به حياة العقل عنه (قال انما يتقبل الله من المتقين) الذين يتخذون الله وقاية فى صدور الخيرات منهم او يحذرون آثام الهيئات المظلمة البدنية والاكاذيب الباطلة والاضاليل المغوية والاهواء المردية والتسويلات المهلكة (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) لانى لا ابطل اعمالك التى هى شديدة

يحيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه وان اجالوا على
نسب فان خرج منكم كان وسطافيهم وان خرج من غيركم كان حلفافيهم وان خرج ملصق كان على
حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل
أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا* وقيل الازلام
كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها* وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد
وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها * عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابوداود وقال الطرق الزجر والعيافة
الخط* وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ماعبد من دون الله عزوجل
* وقيل الجبت الكاهن وروى البغوى بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تكهن اواستقسم بالازلام اوتطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة
* وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ماذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم
عليكم تناول كذاوكذا فانه فسق والفسق مايخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة
على الاستقسام بالازلام والاول اصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني يئسوا ان
ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى
دينهم فلما قوى الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو
يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يومابعينه وانما
المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قدكبرت تريد الآن قدكبرت وتقول
فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم تريدوما بعينه يعني وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم
قال الشاعر   فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر
اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار ايها
المؤمنون الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون)
اي وخافوا المخالفة امري واخلصوا الخشية لي * قوله عزوجل (اليوم اكملت لكم) نزلت هذه
الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته
العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة
(ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال ياامير المؤمنين آية
في كتابكم تقرؤنها لوعلينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأي آية قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت
فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى
ان ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت
في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان
في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع

في مواضعها من المحسوسات
ولا اقطع عنك حياتك التي
هي مدد النفس والهوى
ولا امنعك عن فعلك الخاص
بك اذ العقل يعلم ان المصالح
الجزئية واحكام المحسوسات
والمعاني الجزئية المعلقة بها
وترتيب اسباب المعاش كلها
لاتحصل ولاتتيسر الا
بالوهم ولولا الرجاء
وحصول الاماني والآمال
الصادرة عن الوهم لم يتيسر
لاحد ما يتعيش به (اني
اخاف الله رب العالمين)
لاني اعرفه وقال انما يخشى
الله من عباده العلماء واعلم بانه
انما خلقك لشأن واوجدك
لحكمة فلا اتعرض له في
ذلك (اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك) باثم قتلي واثم
قتلك من الآراء الباطلة

اعياد لاهل الملل فى يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعمر فقال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعنى بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس * وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم اى حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين * وقيل معناه انى اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ماكنتم تخافونه * وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لايزول ولاينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة * وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبى وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانبارى اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ فى وقت ثم يزيد عليه فى وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما فى وقته وكذلك الوقت الثانى تاما فى وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التى تعبد الله عزوجل بها عباده فى الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها فكمل الله عزوجل الشرائع فى اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ماكان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما فى اول وقت البعثة بان ماهو كامل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ولا بصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما فى آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثانى كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (واتممت عليكم نعمتى) يعنى باكمال الدين والشريعة لانه لانعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ماوعدهم فى قوله ولاتم نعمتى عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامرى والانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذى اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولاتفارقوه وروى البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عزوجل هذا دين ارتضيته لنفسى

والتصورات الفاسدة التى لم يتقبل قربانك لاجلها (فتكون من اصحاب النار) نار الجبة والحرمان (وذلك جزاء الظالمين) الواضعين الاشياء فى غير موضعها كوضعك الاحكام الحسية فى المعقولات (فطوعت) فسهلت وسولت (له نفسه قتل اخيه فقتله) بمنعه عن افعاله الخاصة وحجبه عن نور الهداية (فاصبح من الخاسرين) لتضرره باستيلائه على العقل واستبدال ضلالته وخطائه بهداية العقل وصوابه فان الوهم اذا انقطع عن معاضدة العقل حمل النفس بانواع التسويلات والتزيينات على اقدام امور يتضرر به النفس والبدن جميعا

ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبرى عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل اهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم فى الخير حتى يجيء الاسلام فيقول يارب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزى ※ وقوله تعالى (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره فى المطاعم التى حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل فى حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذى هو المرضى عند الله ومعنى الآية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذى لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى فى مخمصة يعنى فى مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعنى غير مائل الى اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها فى المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية فى مقصد وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعنى لمن اكل من الميتة فى حال الجوع والاضطرار ※ قوله عز وجل (يسئلونك ماذا احل لهم) روى الطبرى بسنده عن ابى رافع قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يارسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرنى ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرنى بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التى امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع فى قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالى فدخل عاصم وسعد بن ابى خيثمة وعويمر بن ساعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزى واخرج حديث ابى رافع الحاكم فى صحيحه قال البغوى فلما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوى وهذا القول اصح فى سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعنى يسألك اصحابك يا محمد ما الذى احل لهم اكله من المطاعم والمآكل كانهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) يعنى قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعنى ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص

كالاسرافات المذمومة من باب اللذات البهيمية والسبعية مثل شدة الحرص فى طلب المال والجاه والافراط فيضعف الوهم ايضا اويبطل (فبعث الله غرابا) غراب الحرص (يبحث فى الارض) ارض النفس (ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) اى الوهم اذ انقطع العقل عن نور الهداية وحجبها عن السير فى العالم العلوى لتحصيل الكمال وطلب سعادة المآل تحير فى امره فانبعث الحرص فهداه فى تيه الضلالة واراه كيف يوارى ويدفن عورته اى جثته المقتولة التى حلها الوهم على ظهره حتى انتنت فصار عقل المعاش فى تراب الارض وهو صورة العقل المنقطع عن حياة الروح المشوب بالوهم والهوى المحجوب عن عالمه فى ظلمات ارض النفس المدفون فيها

من كتاب اوسنة * واعلم ان العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلاعبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة * وقوله تعالى (وماعلمتم من الجوارح مكلبين) يعنى واحل صيد ماعلمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وماعلمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مماامسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار * والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عندامساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ماجرحتم بالنهار أى اكتسبتم * مكلبين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه اكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله فى الآية دليل على انه لايجوز صيد جارحة مالم تكن معلمة وصفة التعليم هوان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها انه اذا اشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها ان لاينفر منه اذا اراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما امسك عليك الا ان يأكل الكلب فلاتأكل فانى اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلاتأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لاتدرى ايها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعديوم اويومين ليس به الااثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلاتأكل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيأ فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى وهواصح قولى الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تأكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم فى اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لماروى عن ابى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرجه ابوداود اماغير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا اوالمعلم اذاخرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لايحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن ابى ثعلبة الخشنى قال قلت يارسول الله انا بارض قوم اهل كتاب افنأكل فى آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى

تأكله ديدان القوى الطبيعة باستعمالها فى تحصيل لذاتها ومطالبها (قال ياويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب) الذى دفن فرخه اى داعيته اوكماله فى ارض النفس بافناء مايحصل له وكتمانه فيها (فاوارى سوأة اخى) باخفائها فى ظلمة النفس فانتفع بها (فاصبح من النادمين) عند الخسران وحصول الحرمان (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا) لان كل شخص يشتمل على مايشتمل عليه جميع افراد النوع وقيام النوع بالواحد كقيامه بالجمع فى الخارج والاعتبار بالعدد فان النوع لايزيد بحسب الحقيقة بتعدد الافراد ولاينقص

قال اما ماذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وماصدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل * وقوله تعالى (فكلوا مما امسكن عليكم) دخلت من فى قوله مما للتبعيض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعنى اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدى اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير فى عليه عائدا الى ماعلمتم من الجوارح اى سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ماامسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الاكل يعنى واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسيأتى بيان هذه المسئلة فى سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعنى واحذروا مخالفة الله يعنى فيما احل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل مانهاه عنه * قوله عزوجل (اليوم احل لكم الطيبات) انما كررا حلال الطيبات للتأكيد كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التى سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذى انزلت فيه هذه الآية او اليوم الذى تقدم ذكره فى قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام فى ذلك اليوم وفى معنى الطيبات فى الآية المتقدمة * وقوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يعنى وذبائح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل فى دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فامامن دخل فى دينهم بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهم متنصر والعرب من بنى تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن على بن ابى طالب قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يتمسكوا بشئ من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعى ان من دخل فى دين اهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابى رباح والشعبى وعكرمة وقتادة والزهرى والحكم وحماد وهو مذهب ابى حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعى واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر اهل الشرك من مشركى العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهى محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ماقبل هذه الآية فى بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه اولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابى اوغيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودى

بانحصاره فى شخص (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) بالتزكية (وابتغوا اليه الوسيلة) بالتحلية وجاهدوا فى سبيله) بمحو الصفات والفناء بالذات (لعلكم تفلحون من ظهور) بقايا الصفات والذات (ان الذين كفروا لو ان لهم مافى الارض جميعا) اى مافى الجهة السفلى لانها اسباب زيادة الحجاب والبعد ولا يجمع ثمة الافق

او نصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لايحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل سئل الشعبى وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى او النصرانى وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولا وجه للنسخ * وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعنى ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة فى ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التميز بين النوعين * ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لاتدخل الامة المؤمنة فى هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل فى هذا التحليل واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها وروى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت انى اخشى ان افضحك انى قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر او العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين * وقوله تعالى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك يريد العفائف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعى قال لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب ابى حنيفة لعموم هذه الآية * واختلف العلماء فى حكم هذه المسئلة * فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وان طلحة بن عبيدالله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نساء اهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب * وقوله تعالى

الجهة العلوية من المعارف والحقائق النورية (ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم

(اذا آتيتموهن اجورهن) يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزوج غير زانين (ولا متخذي اخدان) يعني ولا منفردين ببغي واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر قال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشيء مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد واجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ اخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها الطهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى الآية * وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية اربعة * الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وجته ان الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث

هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله

عمر بن الخطاب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية فى جميع الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة فى هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز واجيب عنه بأنا انما اوجبنا النية فى الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية فان كان كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر مانزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لايجب لان الشعر النازل عن حد الراس لايكون حكمه حكم الراس فى المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لايجب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية فى حكم الوجه * الفرض الثانى قوله تعالى (وايديكم الى المرافق) يعنى واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين فى الغسل ونقل عن مالك والشعبى وزفر وابى بكر بن داود الظاهرى انه لايجب ادخال المرفقين فى الغسل واختاره ابن جرير الطبرى ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذى آمر به ان يبلغ المرفقين فى الغسل لايجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومايجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لايدخل فى المحدود فوجب ان لايجب غسل المرفقين فى الوضوء وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم ويعضده من السنة ماصح من حديث ابى هريرة انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى اشرع فى العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما فى هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه * الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء فى القدر الذى يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفى رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الشافعى الواجب مسح ماينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح

فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب) علم القرآن الذى هو ظهور تفاصيل كمالك (بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اى علم القرآن وهو العلم الاجمالى الثابت استعدادك وحافظا عليه

بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب واخذ الشافعى باليقين فأوجب مسح مايقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ماروى عن المغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس * الفرض الرابع قوله تعالى (وارجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء فى هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان وروى ذلك عن قتادة ايضا وروى عن انس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهمل ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف واما قراءة الكسر فقد اختلفوا فى معناها والجواب عنها فقال ابو حاتم وابن الانبارى وابو على الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح فى الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما اتمسح به للصلاة بمعنى اتوضأ قال ابو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا ان مسح الرأس اخف والذى يدل على ان المراد بالمسح فى الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه فى حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس فى الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعنى وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى فى الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس فى الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين فى الوضوء واما من جعل كسر اللام فى الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل

بالاظهار اولما بين يديه العلوم النازلة على الانبياء السابقين زمانا فان الغالب على موسى عند الرجوع الى البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب قوة النفس وسلطانها ولهذا بطش باخيه كما قال تعالى واخذ برأس اخيه يجره اليه وقال عند طلب التجلى ارنى انظر اليك فكان اكثر التوراة علم الاحكام الذى يتعلق باحوال النفس وتهذيبها ودعوته الى الظاهر والغالب على عيسى قوة القلب ونوره ولهذا تجرد عن ملابس الدنيا وامر بالترهب وقال لبعض اصحابه اذا لطمت فى خدك فادر الخد الآخر لمن لطمك وكان اكثر الانجيل علم تجليات الصفات والاخلاق والمواعظ والنصائح التى تتعلق باحوال القلب وتصفية وتنويره ودعوته الى الباطن والغالب على محمد

لاجل الضرورة فى الشعر اويصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الحرب لايكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما فى وجوب غسل الرجلين كما فى قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء فى ذلك عند قوله الى المرافق * والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم * ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ماذكروه لكان فى كل رجل كعب واحد فكان ينبغى ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما فى قوله تعالى وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ماقالوه وثبت قول الجمهور

* (فصل) * قد تقدم ان الفروض المذكورة فى هذه الآية اربعة وهى غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعى بهذه الآية على وجوب النية فى الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعى ومالك واحمد الى وجوب الترتيب فى الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء فى الوضوء على الولاء كما ذكره الله فى هذه الآية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا * وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب فى الوضوء غير واجب * احتج الشافعى على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد فى قصة السعى بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبى صلى الله عليه وسلم فى الوضوء ماوردت الا مرتبة كما ورد فى نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله تعالى ونص عليه فى هذه الآية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الآية ايضا وذلك ان الواو لاتوجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

* (فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله) * (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى

عليه الصلاة والسلام سلطان الروح ونوره فكان جامع المكارم الاخلاق متممالها عادلا فى الاحكام متوسطا فيها وكان القرآن شاملا لما فى الكتابين من العلوم والاحكام والمعارف مصدقا له حافظا عليه مع زيادات فى التوحيد والمحبة ودعوته الى التوحيد (فاحكم بينهم بما انزل الله) من العدل الذى هو ظل المحبة التى هى ظل الوحدة التى انكشفت عليك (ولا تتبع اهواءهم) فى تغليب احد الجانبين اما الظاهر واما الباطن (عما جاءك من الحق) من التوحيد والمحبة والعدل فان التوحيد يقتضى المحبة والمحبة العدل ويقع ظله من سماء الروح على القلب بالمحبة وعلى النفس بالعدالة (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) موردا كورد النفس ومورد القلب

المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه عن عبد خير قال اتانا على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتى باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده فى الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمين ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء فى اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل اصبعيه السباحتين فى اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد ساء وظلم او قال ظلم واساء اخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذى وصححه (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال اخبرنى عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع واحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى اخرجه مسلم * عن خالد عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلى وفى قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا * عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة اخرجه البخارى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين اخرجه ابو داود والترمذى وقال وقد روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل بين يدى يقول التى قبلها اجود فنظرت فاذا عمر قال انى قد رايتك جئت آنفا قال ما منكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع

ومورد الروح وطريقا كعلم الاحكام والمعاملات التى تتعلق بالقلب وسلوك طريق الباطن الموصل الى جنة الصفات وعلم التوحيد والمشاهدة الذى يتعلق بالروح وسلوك طريق الفناء الذى يوصل الى جنة الذات (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) موحدين على الفطرة الاولى متفقين على دين واحد (ولكن ليبلوكم فى ما آتيكم) ليظهر عليكم ما آتاكم بحسب استعداداتكم على قدر قبول كل واحد منكم فتنوع الكمالات (فاستبقوا الخيرات) اى الامور الموصلة الى كمالكم الذى قدر لكم بحسب استعدادكم المقربة اياكم اليه باخراجه الى الفعل (الى الله مرجعكم جميعا) فى عين جمع الوجود على حسب المراتب لا فى عين جمع الذات (فينبئكم بما

منكم ان يطيل غرته فليفعل وفى رواية قال رايت اباهريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع فى الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفى رواية لمسلم قال سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء * عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذى * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه ابو داود وابن ماجه * وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى اغتسلوا امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المنى على اى صفة كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه فى الماء يخلل بهما اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده اما قوله تعالى (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) فقد تقدم تفسيره واحكامه فى تفسير سورة النساء وفى قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب * وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعنى من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعنى ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون نعمة الله عليكم مان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم فى الدين من حرج * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعنى ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذى واثقكم به) يعنى واذكروا عهده الذى عاهدكم به ايها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا واطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذى اخذه عليهم فى يوم الست بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعنى فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى ان الله تعالى عالم بما فى قلوب عباده من خير وشر * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق فى كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعنى وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب فى شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعداءك اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملكم بغض قوم (على الا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) امر الله بالعدل فى كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعنى ان الله تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل * (وعد الله الذين آمنوا وعملوا

كنتم فيه تختلفون) اى يظهر عليكم مااختلفتم فيه بحسب اختلاف استعداداتكم من طلب احدى الجنان الثلاث والوصول اليها والحرمان بموانعها التى احتجبتم بها عما فى استعداداتكم من الكمال (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون) ذنوب اليهود حجب الافعال وذنوب النصارى حجب الصفات ففسق اليهود هو الخروج عن حكم تجليات الافعال الالهية برؤية النفس افعالها وفسق النصارى خروجهم عن حكم تجليات الصفات الحقانية برؤية النفس صفاتها واحتجابها بها كان فسق

الصالحات) يعني عملوا بما واثقهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة واجر عظيم) هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل اى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (اولئك) يعني من هذه صفته (اصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعني اذكروا انعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذهم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم * اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي

الحدبين هو الالتفات الى ذواتهم والخروج عن حكم الوحدة الذاتية (افحكم الجاهلية يبغون) اى ما يطلبون بجهلهم الاحكاما صادرا عن مقام النفس بالجهل لا صادرا عن علم الهى (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح اوامر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين آمنوا

لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم وسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك
حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عز وجل هذه الآية ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله
عليكم اذهم قوم يعني اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش وهو اذا مدها الى
المبطوش به ليقتله (فكف ايديهم عنكم) يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم (واتقوا الله) يعني فيما
امركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) امر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي
جميع عباده امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدى
اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح
افعالهم وخياناتهم وذلك قوله تعالى (ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل) لما ذكر الله في الآية المتقدمة
بعض غدرات اليهود وما ارادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما
نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وان
يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اختلف العلماء في معنى
النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل
هو الباحث عن القوم وعن احوالهم * (ذكر القصة في ذلك) * قال اصحاب الاخبار والسير ان الله
عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون
الجبارون فأمر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل
سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل
حتى قربوا من اريحاء وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها
فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق امه وهي احدى بنات آدم عليه السلام وكان
طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان
آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب
ويشرب منه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس وروى ان الماء لما طبق على
الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في السفينة فقال نوح
عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله تعالى
على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في
فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقوّرها بمنقاره فوقعت
في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عوج النقباء اخذهم
وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء
الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امرأته بل خل عنهم حتى
يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك
ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رأيتم وكان بما رأوا ان العنقود العنب لا يحمله الا خمسة انفس منهم
بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة نفس فرجع النقباء وقال بعضهم
لبعض يا قوم انكم اذا اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه

من يرتد منكم عن دينه)
من رجع عن طريق الحق
لى الاحتجاب ببعض الحجب
ى حجاب كان وخرج عنه
هو من المرد ودين لا من
هل المحبة ولا ينثلم ولا ينتقص
ين الحق بارتداده فان الله
سوف يأتي بقوم يحبهم
بحسب العناية الاولى لا لعلة
ل لذواتهم ويحبون ذاته
لا لصفة من صفاته ككونه
طيفا او رحيما او منعما فان
محبة الصفات تتغير باختلاف
تجلياتها ومن يحب اللطيف
لم تبق محبته اذا تجلى بصفة
القهر ومن يحب المنعم انمحت
محبته اذا تجلى بصفة المنتقم
واما محبة الذات فهي باقية
بقلبها لا تتغير باختلاف
التجليات فيحب محبها القهار
عند القهر كما يحب اللطيف
عند اللطف ويحب المنتقم
حالة الانتقام كما يحب المنعم
حالة الانعام فلا تفاوت
في الرضا وعدمه ولا تختلف

اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون بما رايتم فيريان رايهما واخذ بعض
النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه
بما راى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما اوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله
تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف
تقديره قال للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول
اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى * ثم ابتدا الكلام فقال مخاطبا لبني
اسرائيل (لئن اقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة امور وهي قوله لئن اقمتم
الصلوة (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط
قوله تعالى (لاكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة
وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني جميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود
كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لكم ذلك ولا تحصل
المقصود الا بالايمان بجميع الرسل * وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير
في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم
وعظمتموهم والقول هو الاول * واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم
ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل
اقراضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض * قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه
وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله
تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا * وقوله لاكفرن عنكم سيآتكم يعني اذا
فعلتم سائر ما امرتكم به لامحون عنكم سيآتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد اخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد
اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه * قوله تعالى (فبما
نقضهم ميثاقهم) اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا
الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعني جازيناهم
على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة
(وجعلنا قلوبهم قاسية) يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل
معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم
عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به)
يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته
(ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد
ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم
التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه

محبته في احواله ويشكر
عند البلاء كما يشكر عند
النعماء واما من يحب المنعم
فلا يشكر عند البلاء بل يصبر
ومثل هذه المحبة يلزم
الاولى التي هي لله لاوليائه
فيحبونه بحبه اياهم والا فمن
اين لهم المحبة لله بالتراب
ورب الارباب (فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين) لينين
حانين عليهم عطوفين
في تواضعهم لهم لمكان الجنسية
الذاتية ورابطة المحبة الازلية
والمناسبة الفطرية بينهم
(اعزة) اشداء غلاظ
(على الكافرين) المحجوبين
لاضداد ما ذكر (يجاهدون
في سبيل الله) بمحو صفاتهم
وافناء ذواتهم التي هي
حجب مشاهداتهم (يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم) من نسبتهم الى
الاباحة والزندقة والكفر
وعذلهم بترك الدنيا ولذاتها

الذين اسلموا من اهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) اى فاعف عن زلاتهم يامحمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولاتؤاخذهم بماسلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم مادموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعنى اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود فى نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لاان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعنى فتركوا ماامروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأغرينا) يعنى فالقينا واوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثانى ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم التى عملوها فى الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (يااهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قدجاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم مافيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفوا عن كثير) يعنى مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لاحاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قدجاءكم من الله نور) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن (يهدى به الله) يعنى يهدى الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) اى اتبع مارضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعنى دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) قال ابن عباس

بل بترك الآخرة ونعيمها كما قال امير المؤمنين عليه السلام اعبدوا الله لارغبة ولارهبة فهم من الفتيان الذين قيل فيهم واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه * هانت عليه ملامة العذال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) والمؤمنون لاهم للتنافى الحقيق بينكم وبينهم اى يتولى الله ورسوله والمؤمنون اياكم اولايتولى الله واولياءه من الرسول والمؤمنين المحجوبون للتضاد الحقيقى بينهم انما تتولون الله ورسوله والذين آمنوا انتم جمع اولافى ثبات ولايتهم لله مطلقا ثم فصلها بحسب الظاهر فقال ورسوله والذين آمنوا كما فصل فى الشهادة فى قوله شهد الله انه لااله الا هو (الذين)

هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله مايدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعنى يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعنى يقدر ان يدفع (من الله شيأ) يعنى من امر الله شيأ (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه) يعنى يعدم المسيح وامه (ومن فى الارض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرها (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) انما قال ومابينهما ولم يقل ومابينهن لانه اراد مابين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده (يخلق مايشاء) يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام (والله على كل شئ قدير) يعنى ان الله تعالى لايعجزه شئ اراده ولا اعتراض لاحد من خلقه عليه * قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ماتخوفنا يا محمد نحن ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية * وسبب هذه المقالة ماحكاه السدى قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل انى ادخل من ولدك النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب الى ابى وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذى فى السماء لتقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده * وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا فى تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه فى النار (بل انتم بشر ممن خلق) يعنى بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان * قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفرله ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض

آمنوا (يقيمون الصلاة) صلاة الشهود والحضور الذاتى (ويؤتون الزكوة) زكاة البقايا (وهم راكعون) خاضعون فى البقاء بالله بنسبة كمالاتهم وصفاتهم الى الله كامير المؤمنين عليه السلام النازل فى حقه هذا القائل لااله الاالله بعد فناء الخلق لامنتصبون فى مقام الطغيان بنسبتها الى انفسهم (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله) فهو من اهل الله وان اهل الله (هم الغالبون) بالله (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون

وما بينهما) يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه (واليه المصير) يعني والى الله مرجع العباد في الآخرة فيجازيهم باعمالهم * قوله تعالى (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل * واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك انها اربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى و ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد اربعة من الرسل وذلك قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكانت تلك السنون مائة واربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال ابو سليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عزوجل (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم * قوله عزوجل (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه لديهم وآلائه لديهم سلى بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل (اذ جعل فيكم انبياء) يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل بأيام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بأن جعل فيكم انبياء قال الكلبي

منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان) اي يقدمون على جميع الرذائل بالسرعة لاعتيادهم بها وتدربهم فيها وكونها ملكات لنفوسهم فالاثم رذيلة القوة النطقية لانه الكذب والعدوان رذيلة القوة الشهوية (واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس

هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا كان انبياء بنى اسرائيل من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل انبياء فانه لم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا فى ايدى القبط قال ابن عباس يعنى جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال له عبدالله الك امرأة تأوى اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانكم يذكرهم ماانعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التى انعم الله بها عليهم * قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ماانعم الله به عليهم امرهم الخروج الى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هى الطور وما حوله وقيل هى اريحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى ارضه وبها اكثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم * فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما * قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على ادباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذى امركم به وان فعلتم خلاف ماامركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعنى فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله * قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (ياموسى ان فيها) يعنى فى الارض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما عاتين لاطاقة لنا بهم ولاقوة لنا بقتالهم وسموا اولئك القوم جبارين

ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لايحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا) آمنوا الايمان التوحيدى الحقيقى (واتقوا) واجتنبوا عن

لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى اجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على مايريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعنى ارض الجبارين التى امرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه واخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لاتخبروا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم* وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لاتخبروا بنى اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا واخبروا موسى امرهم ان لايخبروا بنى اسرائيل بذلك فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا فى ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بنى اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعنى يخافون الله ويراقبونه (انعم الله عليهما) يعنى بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعنى قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعنى يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) يعنى قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعنى مدة حياتنا (ماداموا فيها) يعنى مقيمين فيها (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوّزون الذهاب والمجئ على الله تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم وربك اخاه هرون لانه كان اكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الى مما عدل به اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يارسول الله انا لانقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى

شرك افعالهم وصفاتهم وذاتهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم) من بقاياهم (ولادخلناهم جنات النعيم) الجنات الثلاث (ولوانهم اقاموا التوراة) بتحقق علوم الظاهر والقيام بحقوق تجليات الافعال والمحافظات على احكامها فى المعاملات (والانجيل) بتحقق عنوان الباطن والقيام بحقوق تجليات الصفات والمحافظة على احكامها (و) احكموا (ماانزل اليهم من ربهم) من علم المبدا والمعاد وتوحيد

اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر ❊ قوله تعالى (قال) يعنى موسى عليه السلام (رب) اى يارب (انى لاأملك الا نفسى واخى) يعنى انى لاأملك الا نفسى واخى لايملك الا نفسه وقيل معناه لاأملك الا نفسى ونفس اخى لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لاأملك الا نفسى واخى وان كان معه فى طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقنا الاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخى فى الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه فى الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان فى قوله واخى ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اى افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعنى فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بى حلفت لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم فى هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لاتحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (اربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون فى الارض فاما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم ❊ وقوله تعالى (يتيهون فى الارض) يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير ❊ واختلفوا فى مقدار الارض التى تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمئة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذاهم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما ❊ فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد ❊ قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى ازمان الانبياء غير مستبعد فان الله على كل شئ قدير ❊ وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ماحرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالمكث اربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ماهى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه ان يسقيهم فأتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم

الملك والملكوت من عالم الربوبية الذى هو عالم الاسماء (لأكلوا من فوقهم) اى لرزقوا من العالم العلوى الروحانى العلوم الالهية والحقائق العقلية اليقينية والمعارف الحقانية التى بها اهتدوا الى معرفة الله ومعرفة الملكوت والجبروت (ومن تحت ارجلهم) اى من العالم السفلى الجسمانى العلوم الطبيعية والمدركات الحسية التى اهتدوا بها الى معرفة عالم الملك فعرفوا الله باسمه الظاهر والباطن بل

الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحاء ممن قال انا لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى عليه السلام مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

(قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام)

فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدى اوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال ياموسى انى احب ان انام على هذا السرير قال ثم قال انى اخاف ان يأتى رب هذا البيت فيغضب علىّ قال لاتخف انى اكفيك رب هذا البيت فنم قال ياموسى فنم انت معى فان جاء رب هذا البيت غضب علىّ وعليك جميعا فلما ناما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال ياموسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان اخى افترونى اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرا الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم * واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يانبى الله مااحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شئ مما احدث الله اليك حتى كنت انت تبتدئ به وتذكره لى ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطت يده من شعرة سنة قال اى رب ثم مه قال ثم الموت قال فالان فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفى رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ماتقدم قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوّره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت واجاب عنه العلماء باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ويمتحنهم بما اراد والثانى ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادّت المدافعة الى فقء عينه لانه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا

بجميع الاسماء والصفات ووصلوا الى مقام التوحيدين المذكورين (منهم امة مقتصدة) عادلة واصلة الى توحيد الاسماء والصفات (وكثير منهم ساء مايعملون) لم يصلوا الى توحيد الافعال بعد فضلا عن توحيد الصفات فساء عملهم لانه من صفات نفوسهم فهو حجابهم الاكثف (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين قل يااهل

جواب الامام ابى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض قالوا وليس فى الحديث تصريح بانه قصد فقأعينه * فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى * واما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم * وفيه دليل على استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين * قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم * قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمرّ برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفى الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوّت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بنى اسرائيل فاخبرهم ان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى اريحاء وهى مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان فى السابع نفخوا فى القرون وضجوا فى الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علىّ الشمس وقال للشمس انك فى طاعة الله وانا فى طاعة الله وسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فردّ الله عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفى الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبنى بها ولم يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا

الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدنّ كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين انّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا) على حسب مراتبهم فلما كانوا محجوبين من جميع الوجوه

وعجزنا فأحلهالنا اخرجه البخارى ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لايتبعنى رجل ملك بضع امرأةالبضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها اى لم يدخل عليها والخلفات الوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيى الدين قال القاضى عياض اختلف الناس فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذى حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضى وقد روى ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره امر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة * وقيل ان الذى فتح اريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى لا املك الانفسى واخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ماصنعت بنا ياموسى فكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره فى التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعوراء كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى * قوله تعالى (فلاتأس على القوم الفاسقين) يعنى لاتحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على مادعا على قومه اوحى الله اليه فلاتأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اى لاتحزن يامحمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) يعنى اذكر لقومك واخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابنى آدم اللذين قربا القربان ماكانا ابنى آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى اخر الآية فبعث الله غرابا يبحث فى الارض لان القاتل جهل مايصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته * ومقصود

ارسلنا موسى لرفع حجاب الافعال والدعوة الى توحيد الملك فماهوته انفسهم لان دعوته كانت مخالفة لهواها لضراوتها بافعالها وتبجحها بها وبلذاتها وشهواتها فكذبوه وعبدوا عجل النفس واعتدوا فى السبت وفعلوا مافعلوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز من حجاب الافعال حسب انه الكمال المطلق فارسلنا عيسى برفع حجاب الصفات والدعوة الى الباطن وتوحيد الملكوت فماهوته انفسهم لمخالفة

هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة اونسك اوغير ذلك مما يتقرب به

* (ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل) *

ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوّاء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ماولدته اربعين ولدا فى عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله فى نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حوّاء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حوّاء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ماوقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بها بيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوّج اية اخواته شاء غير توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا امر الله آدم ان يزوّج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوّج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى اختى وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه آدم انها لاتحل لك فأبى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم فربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردئ واضمر فى نفسه لاابالى ايتقبل منى ام لا لايتزوج اختى احد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش فى غنمه فقربه واضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من احدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى قابيل فغضب قابيل اذلم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو فى غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك وردّ قربانى وتريدان تنكح اختى الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير منى ويفخر ولدك على ولدى فقال هابيل وماذنبى (انما يتقبل الله من المتقين) يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الىّ يدك) يعنى لئن مددت

دعوته هواها من حسبان الكمال فكذبوه وفعلوا مافعلوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز عن حجاب الصفات بقى على حاله حاسبا لنفسه الكمال المطلق فارسلنا محمدا بدفع حجاب الصفات والدعوة الى توحيد الذات فدعوته انفسهم فكذبوه (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ان لاتكون فتنة) شرك عند توحيد الافعال وظهور الدعوة العيسوية (فعموا) عن

الىّ يدك (لتقتلني ماانا بباسط يدى اليك لاقتلك) يعنى ماانا بمنتصر لنفسى بل استسلم لامرالله وقيل معناه ماكنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا ارادالرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (نى اخاف الله رب العالمين) والمعنى انى اخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك * قوله عزوجل اخبارا عن هابيل (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) يعنى ترجع باثم قتلى الى اثم معاصيك التى عملتها من قبل * فان قلت كيف قال هابيل انى اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لاتجوز * قلت اجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال ان بسطت الىّ يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فما انا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلزم الى ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى اريد ان تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف وماباء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لامحالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من اصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما * قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة * وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا اخ واما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبدالله ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل * قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر مايصنع به لانه اول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث

تجليات رؤية الصفات (وصموا) عن سماع علمها (ثم تاب الله عليهم) بفتح اسماع قلوبهم وابصارها فتابوا فقبل توبتهم (ثم عموا وصموا) عند الدعوة المحمدية عن مشاهدة الوجه الباقى وسماع علم توحيد الجمع المطلق (كثير منهم والله بصير بما يعملون) بعملهم فى المقامات الثلاث وردّ الدعوات وانكار الانبياء فيجازيهم على حسب حالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح

فى الارض يعنى يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يوارى سوأة اخيه يعنى ليرى الله او يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة اخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال ياويلتا) اى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسرو تلهف وتستعمل عند وقوع الداهيــة العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما اقدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأوارى سوأة اخى) يعنى فأستر جيفته وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) يعنى على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقــال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقــال آدم قد حــدث فى الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صــلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى ســواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بنى انت وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرثى الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

ومالى لا اجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة على غما * فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى وروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى

يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله) اى خصصوا عبادتكم بالذات الموصــوفة بجميع الصفات والاسماء التى هى الوجود المطلق ولا تعينوه باسم وصــفة فان نسبة ربوبيته الى الكل ســواء ومن حصر الوهيــة فى صورة وخصصهــا باسم معين وكلمة معينة وصــفة معينة فقد اثبت غيره ضرورة وجود ما سواه من الاسماء والصور والصفات ومن اثبت غيره فقــد اشرك به

ءهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد اخته اقليما وهرب
بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب
انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه
بالحجارة فأقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله
فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى
وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة
ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثلج فى الشتاء فهو
يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان
والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى اغرقهم الله تعالى جميعا
بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم
القيامة * قوله تعالى (من اجل ذلك) يعنى بسبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل فى اللغة
الجناية يقال اجل عليهم شرا اى جنى عليهم شرا (كتبنا) اى فرضنا واوجبنا (على بنى اسرائيل)
فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل
لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل * قلت قال بعضهم
هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك اى من اجل انه قتل هابيل
ولم يواره * ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا
يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعانى على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس
يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو
اشارة الى ما مر ذكره فى هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله
فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله
فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حظر فى انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع
لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من اجل ذلك الذى ذكرنا فى اثناء القصة
من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد الحرم شرعنا القصاص على القاتل * فان قلت فعلى هذا تكون
شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببنى اسرائيل * قلت ان وجوب
القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور ههنا فى حق بنى اسرائيل غير
ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا
ولا يشك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة
العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما
كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى
صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد
للمقصود والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعنى قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعنى بغير
قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (او فساد فى الارض)
هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة

ومن اشرك به (فقد حرم الله عليه الجنة) جنة شهوده بذاته وصفاته وافعاله اى الجنة المطلقة الشاملة يعنى فقد حجبه مطلقا (ومأواه النار) نار الحرمان لظلمه بالشرك (وما للظالمين من انصار) ينصرونهم فينقذونهم من العذاب (لقد كفر) حجب (الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) واحد من جملة ثلاثة اشياء الفعل الذى هو ظاهر عالم الملك والصفة التى هى باطن عالم الملكوت والذات

منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد فى الارض (فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبى او امام عدل فكانما احيى الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعنى من غرق اوحرق اووقوع فى هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعنى ان له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه * قال اهل المعانى قوله ومن احياها على المجاز لان المحيى هو الله تعالى فى الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية اهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل فقال اى والذى لا آله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعنى بعد مجئ الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (فى الارض لمسرفون) يعنى بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عزوجل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت فى قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا فى الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشاء يقتل وان يشاء يصلب وان يشاء يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبى الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى آثارهم فأمر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وارجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد فى رواية قال قتادة فحدثنى ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفى رواية للبخارى ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا

التى تقوم بها الصفة ويصدر عنها الفعل اذ ليس هو ذلك الواحد الذى توهموه بل الفعل والصفة فى الحقيقة عين الذات ولا فرق الا بالاعتبار وما الله الا الواحد المطلق والالكان بحسب كل اسم من اسمائه اله آخر فتتعدد الآلهة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) من كون الصفة والفعل غير الذات (ليمسن الذين كفروا)

من البانهاوابوا لها فقتلوا الراعى واستاقوا الذودفأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم فى الحرة يعضون الحجارة زاد فى رواية قال ابو قلابة فاى شئ اشد مماصنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفى رواية ابى داود ان قومامن عكل اوقال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمرلهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل فى آثارهم فاارتفع النهار حتى جئ بهم فامربهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا فى الحرة يستسقون فلايسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد فى رواية له وانزل الله عزوجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه * قوله انا كنا اهل ضرع يعنى اهل ماشية وبادية نعيش بالابن ولسنا من اهل المدن* والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع ارياف* قوله استوخموا المدينة يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه * والذود من الابل مابين الثلاثة الى العشرة *والحرة هى ارض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة*وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها * وقوله وينهى عن المثلة المثلة ان تقطع اطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك*واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم ومايجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله* واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين لله هم المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثانى معناه يحاربون اولياء الله واولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد*ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين ومايستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا اويصلبوا اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اوينفوا من الارض) وللعلماء فى لفظة او المذكورة فى هذه الآية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس فى رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى ومجاهد وهو ان الامام مخير فى امر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثانى ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات

المحجوبين (منهم عذاب اليم) مؤلم لقصورهم فى العرفان مع كونهم مستعدين (افلا يتوبون الى الله) بالرجوع عن اثبات التعدد فى الله الى عين الجمع المطلق (ويستغفرونه) عن ذنب رؤية وجودهم ووجود غيرهم (والله غفور) يسترهم [illegible] بذاته (رحيم) [illegible] العذاب بكمال العرفان والتوحيد (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين

على ترتيب الجرائم وهذا كما روى عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا
وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم
من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة
والاوزاعي والشافعي واصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في
بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب
اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل
هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل
بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود
وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس
لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من
الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس
في السجون يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم
قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا)
اي عذاب وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين
نزلت الآية فيهم فأما من اجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الآخرة
لان المسلم اذا عوقب بجناية في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة
ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة * وقوله تعالى
(الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله
ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشيء من العقوبات
المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به اذا رجع
عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن
واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وانه لا يطالب
بشيء مما اصاب من مال او دم قال ابو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم
في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن واصلح
وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة
عليه فقال السدي هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشيء الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرد على اهله
وهذا مذهب مالك والاوزاعي غير ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما اصاب من الدماء
والاموال ولم يطلبها اولياؤها فلا يتبعه الامام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة
بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل ان يقدر عليه فامنه علي على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد
الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى
هذا مقام العائذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد
واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادي وانه كان حارب الله ورسوله
وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعي يسقط

لهم الآيات ثم انظر انى
يؤفكون قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا) اذ لا فعل
له فيضر او ينفع بل لا وجود
فضلا من الفعل وقال ما لا يملك
دون من وان كان المراد
عيسى للتنبيه على انه شيء
يعتبر اعتبارا من حيث
تعينه ولا وجود له حقيقة
(والله هو السميع العليم
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا
من قبل) بالاحتجاب عن

عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بني آدم من قصاص او مظلمة من مال اوغيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * اى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اى تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) اى وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب اليم) المقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا جاءهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) قال ابن السائب نزلت في طعمة بن ابيرق وقدمنا قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدى وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء موحد من اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع * وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق

* (فصل في بيان حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * اقتضت هذه وجوب

انوار الصفات (واضلوا كثيرا وضلوا) الآن (عن سواء السبيل) طريق الوحدة الذاتية التي هي الاستقامة الى الله (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وعن عائشة قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال مايساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه * (المسئلة الثانية) * اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ماروى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم او قيمتها لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روى عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة مادون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز او غير حرز * (المسئلة الثالثة) * الحرز هو ماجعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي له او متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) الموالاة والمعاداة انما يكونان بحسب المناسبة والمخالفة فكل من والى احدا دل على رابطة جنسية بينهما وكل

فلاشئ عليه اخرجه الترمذى وابوداود والنسائى وزادفيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو مايحمله الانسان فى حضنه وقيل هو مايأخذه فى خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع التمر الذى يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك فى الموطأ عن ابى حسين المكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاقطع فى ثمر معلق ولافى حريسة الجبل فاذا آواه المراح اوالجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبدالله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابى حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو عبدالله بن عمرو بن العاص قوله ولافى حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس فى الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هى الشاة التى يدركها الليل قبل ان تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذى تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولامنتهب ولامختلس قطع اخرجه الترمذى والنسائى * (المسئلة الرابعة) * اذا سرق مالاله فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده اوالوالد يسرق من مال ابنه اوالعبد يسرق من مال سيده اوالشريك يسرق من مال شريكه فلاقطع على احد من هؤلاء فيه * (المسئلة الخامسة) * اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته روى هذا عن ابى بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعى لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوى بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعدما قطعت يده ورجله فلاقطع عليه بل يحبس وروى عن على انه قال انى استحى ان لاادع له يدا يستنجى بها ولارجلا يمشى بها وهذا قول الشعبى والنخعى والاوزاعى وبه قال احمد واصحاب الرأى * قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعنى من بعد ماظلم نفسه بالسرقة (واصلح) يعنى واصلح العمل فى المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعنى فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعنى لمن تاب (رحيم) به * (فصل) * وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولابد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على مامضى والعزم على تركه فى المستقبل عن ابى امية المخزومى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مااخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين اوثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جئ به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابوداود والنسائى بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ماسرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثورى واصحاب الرأى لاغرم عليه فلو كان المسروق باقيا

من عاداه دل على مباينة ومضادة بينهما ولما كان اليهود محجوبين عن الذات والصفات ولم يكن لهم الاتوحيد الافعال كانت مناسبتهم مع المحجوبين المشركين مطلقا اقوى من مناسبتهم مع المؤمنين الموحدين مطلقا ولما كان النصارى برزوا من حجاب الصفات ولم يتولهم الاحجاب الذات كانت مناسبتهم مع المؤمنين اقوى فلذلك كانوا اقرب مودة لهم من غيرهم والمشركون

عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمى فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم * قوله عز وجل (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس * ان الله له ملك السموات والارض يعنى ان الله مدبر امر ما فى السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شئ مما اراده فيهما لان ذلك كله فى ملكه واليه امره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك فى الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه فى مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة فى قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصى لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافى ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه فى ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه * قوله تعالى (يا ايها الرسول) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبى فى مواضع من كتابه ويا ايها الرسول فى موضعين هذا احدهما والآخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا تهتم بهم الاتهم الكفار ولا تبال بهم فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعنى المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) اى وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثانى ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اى ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب اى يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان اى لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه * وقوله تعالى (سماعون) يعنى بنى قريظة يعنى انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم اهل خيبر (لم يأتوك) يعنى اهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد * (ذكر القصة فى ذلك) * قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس فى كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بنى قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه من ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالحد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه

والیهود اشدّ عداوة لقوّة حجابهم اما ترى كيف علل قربهم فى المودّة بعلمهم وعبادتهم وعدم استكبارهم فان العبادة توصل الى جنة الافعال لتجرّدهم فيها عن افعال نفوسهم فاعلين ما امر الله والعلم يوصل الى جنة الصفات لتنزههم به عن جنة النفوس والوصول الى مقام القلب الذى هو محل المكاشفة وقبول العلم الآلهىّ وعدم الاستكبار يدلّ على انهم ماراوا نفوسهم

ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بنى قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان تسألوه عن قضائه فى ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بينك و بينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأى رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام فى التوراة قال فأرسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودى قال كذلك يقولون فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر فى امرأة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد ناشدنى بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيا امرك اذا اماتوه فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا اصدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية اخرى لهما قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود

موصوفة بصفات العبادة والعلم ولا انسبوا فعلهم وعلمهم اليها بل الى الله والا استكبروا واظهروا العجب (ترى اعينهم تفيض من الدمع) شوقا الى ما عرفوا من توحيد الذات لانهم كانوا اهل رياضة وذوق فهاجت نفوسهم بسماع الوحى وذكروا الوحدة (مما عرفوا من الحق) بصفاته اوسمعوا من الحق كلامه فبكوا اشتياقا كما قال ويبكى ان نأوا شوقا اليهم ويبكى ان دنوا خوف

قد زنيا فقال لليهود ماتصنعون بهما قالوا نحمم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقال لرجل ممن يرضون اعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يحني زاد في رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك بحد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من احيا امرك اذا ماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبى صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه فى كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى اليه ان الرجم فى التوراة الموجودة فى ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما فى حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله وسلم حين كتموه * قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعنى يغيرون حدود الله التى اوجبها عليهم فى التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبرى يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعنى من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه * فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال فى موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما * قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعنى انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفى قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية * وقوله تعالى (يقولون) يعنى اليهود (ان اوتيتم هذا فخذوه) يعنى ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعنى وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعنى كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعنى فلن تقدر على دفع امر الله فيه (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم)

الفراق (يقولون ربنا آمنا) بالتوحيد الذاتى ايمانا عينيا فاجعلنا (فاكتبنا من الشاهدين) الحاضرين الذين مقامهم الشهود الذاتى واليقين الحقى وايمانا علميا يقينيا فاجعلنا مع المعاينين (ومالنا لا نؤمن بالله) ايمانا حقيقيا بذاته وماجاءنا من كلامه اولا نؤمن بالله جمعا (وماجاءنا من الحق) تفصيلا (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) الذين استقاموا بالبقاء بعد فنائهم بالله بما قالوا (جنات تجرى

قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفى هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على القدرية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى للمنافقين واليهود اما خزى المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزى اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبى والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى الخلود فى النار للمنافقين واليهود * قوله عز وجل (سماعون للكذب اكالون للسحت) نزلت فى حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها فى كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهى السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة فى الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشى والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون فى حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشى والمرتشى فى الحكم اخرجه الترمذى واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك فى الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة فى كل شئ فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * قوله عز وجل (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت فى اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت فى رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حيى بن اخطب قد جعل للنضيرى ديتين وللقرظى دية واحدة لانه كان من بنى النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيى ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم

* (فصل) * اختلف علماء التفسير فى حكم هذه الآية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الآيتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم

من تحتها الانهار خالدين فيها) من التجليات الثلاث مع ومها (وذلك جزاء المحسنين) المشاهدين للوحدة فى عين الكثرة بالاستقامة فى الله (والذين كفروا) حجبوا عن الذات (وكذبوا بآياتنا) بآيات الصفات (اولئك اصحاب) الحرمان الكلى فى جحيم صفات النفوس (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا عليا (لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) من مكاشفات الاحوال وتجليات الصفات بتقصيركم فى السلوك .

بينهم بل يخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحا لم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم * وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى امثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤوّل بتأويل يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم * قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوّته طلبا للرخصة لا جرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفى الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من اجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم (وما اولئك) يعنى اليهود (بالمؤمنين) يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك * قوله عز وجل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوّات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث فى بنى اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اى انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم فى التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا

(ولا تعتدوا انّ الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) بطغيان النفس وظهورها بصفاتها واجعلوا ما رزقكم الله من علوم التجليات ومواهب الاحوال والمقامات غذاء قلوبكم سائغا طيبا واجعلوا الله وقاية لكم فى حصول تلك الكمالات بان تروها منه وله لا منكم ولكم فتطغوا (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو فى التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد وقال
الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور
للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والربانيون والاحبار) اما الربانيون فتقدم تفسيره فى سورة
آل عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء*الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها
لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمى به لمكان الحبر الذى يكتب به وذلك لانه صاحب
كتاب وقال ابو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من اثر علومه فى قلوب الناس
وافعاله الحسنة التى يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه
الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه وانما سمى العالم حبرا لما عليه
من اثر جمال العلم*وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون
والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى
قدمهم فى الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون
علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها
الربانيون والاحبار * وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعنى بما استودعوا من كتاب الله
وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرائعه وقد
اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله فى صدورهم
ويدرسوه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا
قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعنى ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على
كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا
خطاب لحكام اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى لا تخافوا احدا
من الناس فى اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعنى فى كتمان ذلك
(ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا) يعنى ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا يعنى الرشوة
فى الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس
كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع فى المال والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا
قليل (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) يعنى ان اليهود لما انكروا حكم الله تعالى
المنصوص عليه فى التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة
وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن*واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهى قوله
ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون
ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث
نزلت فى الكفار ومن غيّر حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر
وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ماروى عن البراء بن عازب
قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها اخرجه مسلم

فكفارته اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم اوكسوتهم اوتحرير
رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة
ايام ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم
كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تشكرون يا ايها
الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء فى الخمر
والميسر ويصدكم عن

وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث فى اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقربه ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله تعالى التى انت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعى هذه الآيات الثلاث عامة فى اليهود وفى هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدى لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفى عليه النص اواخطأ فى التأويل فلا يدخل فى هذا الوعيد والله اعلم بمراده * قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) يعنى وفرضنا على بنى اسرائيل فى التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم فى التوراة ان على الزانى المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان فى التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بنى النضير على بنى قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادّوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بنى النضير ادّوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذى انزله فى التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه فى التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعى انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علىّ بن ابى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (والعين بالعين) يعنى تفقأ بها (والانف بالانف) يعنى يجدع به (والاذن بالاذن) يعنى تقطع بها (والسن بالسن) يعنى تقلع بها واما سائر الاطراف والاعضاء فيجرى فيها القصاص كذلك * وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعنى فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض فى لحم اوكسر فى عظم اوجراحة فى بطن يخاف منها التلف فلا قصاص فى ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا فى التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الاما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة فى شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن اصحاب ابى حنيفة وبعض اصحاب الشافعى وعن احمد فى احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع

ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون) موحدين (واطيعوا الله) بالفناء فيه فتنقادوا فيما يستعملكم فيه كالميت (واطيعوا الرسول) بالبقاء بعد الفناء فتستقيموا فيه مراعين للتفصيل احياء بحياته (واحذروا) ظهور البقاء حالة الاستقامة (فان توليتم فاعلموا) ان التقصير منكم لا علينا ما على رسولنا وما على الرسول الا البلاغ لا الالزام (ليس على الذين آمنوا) الايمان الغيبى بتوحيد الافعال (وعملوا) بمقتضى ايمانهم

من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيدالوحى وهوالحق والاليق للنزاع معنى اذلاينكر احد كون النبى صلى الله عليه وسلم متعبدا بعدالبعثة بما اوحى اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهواختيار الآمدى من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور فى التوراة ومكتوب على بنى اسرائيل ولولا انامتعبدون بشريعة من قبلنا لماصح هذا الاستدلال * قوله تعالى (فمن تصدق به) يعنى بالقصاص فلم يقتص من الجانى (فهو كفارة له) فى هاءله قولان احدهما ان الهاء فى له كناية عن المجروح وولى المقتول وذلك ان المجروح اوولى المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ماروى عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذى وعن انس قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابوداود والنسائى والقول الثانى ان الضمير فى قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعنى ان المجنى عليه اذا عفا عن الجانى كان ذلك العفو كفارة لذنب الجانى لايؤاخذ به فى الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله تعالى * وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) يعنى لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل * قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعنى وعقبنا على آثار النبيين الذين اسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لمابين يديه من التوراة) يعنى ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عندالله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعنى فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار للاول لان فى الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لمابين يديه من التوراة وفى الثانى الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينفعون بالمواعظ * قوله تعالى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) قال اهل المعانى قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم فى وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ماقبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثانى ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى بالحكم بما فى كتابهم وهو الانجيل * فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن * قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره فى الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما فى الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعنى فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل (وانزلنا اليك الكتاب)

اعمالا تخرجهم عن حجب الافعال وتصلحهم لرؤية افعال الحق حرج وضيق فيما تمتعوا به من انواع الحظوظ اذاما اجتنبوا بقايا افعالهم واتخذوا الله وقاية فى صدور الافعال منهم (وآمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا) مايخرجهم عن حجب الصفات ويصلحهم لمشاهدة التجليات الآلهية بالمحو فيها (ثم اتقوا) بقايا صفاتهم واتخذوا الله وقاية فى صدور صفاته عليهم (وآمنوا) بتوحيد الذات

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لاشك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذووالالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبيا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لاينسخ ولايغير ولايبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والافلا (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله اليك (ولاتتبع اهواءهم) يعني ولاتتبع اهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لاتأخذ باهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعني ولاتنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهواءهم وقوله ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط * وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بدليل ان الله عزوجل قال قبل هذا انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عزوجل فيها مايشاء ويحرم مايشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لايقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة ان لااله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع

(ثم اتقوا) بقية ذواتهم واتخذوا الله وقاية في وجودهم بالفناء المحض والاستهلاك في عين الذات واحسنوا بشهود التفصيل في عين الجمع والاستقامة في البقاء بعد الفناء (والله يحب المحسنين) المشاهدين للوحدة في عين الكثرة المراعين لحقوق التفاصيل في عين الجمع بالوجود الحقاني (يا أيها الذين آمنوا) بالغيب (ليبلونكم الله) حال سلوككم واحرامكم لزيارة كعبة الوصول (بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم)

وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله اعلم باسرار كتابه * واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعنى جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعنى ولكن اراد ان يختبركم (فيما آتاكم) يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا فيتبين بذلك المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعنى فبادروا ياامة محمد بالاعمال الصالحات التى تقربكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعنى المطيع والعاصى والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعنى فيخبركم فى الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم فى الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصى بالثواب والعقاب * قوله تعالى (وان احكم بينهم بما انزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يامحمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم . نزل الله هذه الآية وان احكم بينهم بما انزل الله يعنى احكم بينهم يامحمد بالحكم الذى انزله الله فى كتابه (ولا تتبع اهواءهم) يعنى فيما امروك به قال العلماء ليس فى هذه الآية تكرار لما تقدم وانما انزلتا فى حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت فى شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت فى شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه فى امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير فى قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم * وقوله تعالى (واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) يعنى واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك فى كتابه واتباع اهوائهم (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله عليك (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى فاعلم يامحمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم فى الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبى والجلاء واخر مجازاتهم على باقى ذنوبهم الى الآخرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعنى اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى (افحكم الجاهلية يبغون) يعنى افحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعنى بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور فى الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله به وقال مقاتل كانت بين بنى النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى احكم ان دم القرظى وفاء من دم النضيرى ودم النضيرى وفاء من دم القرظى ليس لاحدهما فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك

من الحظوظ بتيسر لكم ويتهيأ ما يتوصل به اليها (ليعلم الله) العلم التفصيلى التابع للوقوع الذى يترتب عليه جزاء (من يخافه) فى حالة الغيبة فان الخوف لا يكون الا للمؤمنين بالغيب لتعلقه بالخطاب الذى هو من باب الافعال واما فى حالة الحضور فاما الخشية فتجلى الربوبية والعظمة واما الهيبة فتجلى الذات فالخوف من صفات النفس والخشية من صفات القلب والهيبة من صفات الروح

فانك لناعدو وانك ماتألوفى وضعناوتصغيرنا فأنزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يامحمد افحكم الجاهلية يبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى اى حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل فى احكامه * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لايمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبدالله ابن ابى بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولامولى لى الا الله ورسوله فقال عبدالله بن ابى لكنى لاابرأ من ولاية اليهود فانى اخاف الدوائر ولابدلى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياابا الحباب مانفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهولك دونه فقال اذن اقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا انى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان النصرانى من اهل الشام وآخذ منه امانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه فى حلقه اشارة الى انه الذبح وانه يقتلكم فأنزل الله ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم اولياء بعض) يعنى ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لايتولى مولى احد الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لايهدى القوم الظالمين) يعنى ان الله لايوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان اباموسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعنى مسلما اماسمعت قول الله عز وجل ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لااكرمهم اذ اهانهم الله ولااعزهم اذ اذلهم الله ولاادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لايتم امر البصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فماتصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين * قوله تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى فترى يامحمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعنى يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت فى عبدالله بن ابى المنافق وفى اصحابه من المنافقين (يقولون) يعنى المنافقين (نخشى ان تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التى تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لاننا نخشى ان يدور

(فمن اعتدى بعد ذلك) بارتكاب الحظوظ بعد الابتلاء (فله عذاب اليم) مؤلم للاحتجاب بفعله عن الشوق (ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا) لاترتكبوا الحظوظ النفسانية فى حالة الاحرام الحقيقى ومن ارتكبه قصدامنه ونية بميل قوى من النفس وانجذاب اليه لالامر اتفاقى اورعاية حظر ضعيف اوصاحب (فجزاء مثل ما قتل من النعم) اى فحكمه جزاء قهر تلك القوة التى ارتكب بها الحظ النفسانى من قوى

علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كالتي في قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم وخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام * وقوله تعالى (فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين) يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعني ويقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين (اهؤلاء الا الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة (حبطت اعمالهم) اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيأ وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبرانه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بيته وقتله فاخبر صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في آخر ربيع الاول * وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * وستأتي قصة قتله فيما بعد * وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه * وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو

النفس البهيمية بامر يوازي ذلك الحظ (يحكم به ذوا عدل) من العاقلتين النظرية والعملية (منكم) اي من انفسكم او من شيوخكم او من اصحابكم المقدمين السابقين بعيان كيفيته وكميته (هديا بالغ الكعبة) الحقيقية اي في حال كون تلك القوة البهيمية هديا بافنائها في الله ان كان صاحبها من الاقوياء مليا قادرا (او كفارة) اي ستر بصدقة او صيام يزيل ذلك الميل ويستر تلك الهيئة عن

سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا اوقال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال ابو بكر بن عياش سمعت اباحصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد العرب واشراب النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كبير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني اباموسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من اهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه احسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل

نفسه او بابناء حق تلك القوة والاقتصار عليه دون الحظ فانها مسكينة او امساك عن افعال تلك القوة بقدر ذلك الحظ كيلا يزول عنها الميل (ليذوق وبال امره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه) بالحجب والحرمان (والله عزيز) لا يمكن الوصول الى جنات عزه مع كدورات صفات النفس (ذو انتقام) يحجب بهيئة مظلمة وظهور صفة ووجود بقية كما قال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام انذر الصديقين

ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه * وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعنى انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال على بن ابى طالب اذلة على المؤمنين يعنى اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم فى دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبارى اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين فى انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعنى انهم اشداء اقوياء فى انفسهم وعلى اعدائهم (يجاهدون فى سبيل الله) يعنى انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعنى لا يخافون عذل عاذل فى نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان من كان قويا فى الدين فانه لا يخاف فى نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعنى انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه * قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال اوالى الله ورسوله والمؤمنين يعنى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت فى عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين اولياء وقيل الآية عامة فى حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعنى باتمام ركوعها وسجودها فى مواقيتها ويؤتون الزكاة يعنى ويؤدون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى

بانى غيور (احل لكم صيد البحر) بحر العالم الروحانى من المعارف والمعقولات والحظوظ العلية فى احرام الحضرة الالهية (وطعامه متاعا) من العلم النافع الذى هو حق واجب تعلمه فى المعاملات والاخلاق تمتيعا (لكم) بها السالكون لطريق الحق (وللسيارة) المسافرين سفر الآخرة المحرزين لارباح النعيم الباقى (وحرم عليكم صيد البر) بر العالم الجسمانى من المحسوسات والحظوظ النفسانية *

ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثانى ان يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع ونزلت فى شخص معين وهو على بن ابى طالب قال السدى مرّ بعلىّ سائل وهو راكع فى المسجد فأعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل فى الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة على بن ابى طالب وهو راكع ويدل على ذلك ماروى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت اباجعفر محمد بن على الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علىّ فقال علىّ من الذين آمنوا * وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعنى ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتى بعدهم (فان حزب الله) يعنى انصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوّهم والحزب فى اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعنى اهمه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود (والكفار) يعنى عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب (اولياء) يعنى لا تتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يامعشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اولياء وانصارا (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعنى مؤمنين حقا لان المؤمن يأبى موالاة اعداء الله عز وجل * قوله تعالى (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبى كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدى نزلت هذه الآية فى رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيأ لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعى النبوّة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فاقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الآية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) يعنى ان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم * قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا (هل تنقمون منا) يعنى هل تكرهون منا او تعيبون علينا (الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا فى الدين الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما

واجعلوا الله وقاية لكم فى سيركم لتسيروا به واجعلوا نفوسكم وقاية الله فى صدور الشرور المانعة منها وتيقنوا انكم (اليه تحشرون) بالفناء فى الذات فاجتهدوا فى السلوك ولا تقفوا مع الموانع وراء الحجاب (جعل الله) الكعبة حضرة الجمع (البيت الحرام) المحرّم من دخول الغير فيه كما قيل جل جناب الحق من ان يكون شريعة لكل وارد (قياما للناس) من موتهم الحقيقىّ وانتعاشا لهم به وبحياته

انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا اليس مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى انه ليس فيهم عيب الاذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابى رافع وعازوراء وزيد خالد وازار بن ابى ازار واشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لانؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله مانعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولادينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاان آمنا بالله وما انزل الينا وماانزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وان اكثركم فاسقون) يعنى انما كرهتم ايماننا وتقمتموه علينا مع علمكم باناعلى الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله * قوله عز وجل (قل هل انبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا مانعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يامحمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذى ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا (مثوبة عندالله) يعنى جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها فى معنى الثواب فكيف جاءت فى الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك * وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل انبئكم بمن لعنه الله اوهو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعنى وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعنى من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان فى اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان فى الذين كفروا بعد نزول المائدة فى زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يااخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعنى وجعل منهم عبد الطاغوت يعنى من اطاع الشيطان فيما سوّل له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (اولئك) يعنى الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين (شر مكانا) يعنى من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولامكان اشد شرا منه (واضل عن سواء السبيل) يعنى واخطأ عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا

وقدرته وسائر صفاته (والشهر الحرام) اى زمان الوصول وهو زمان الحج الحقيقى الذى يحرم ظهور صفات النفس فيه (والهدى) اى النفس المذبوحة بفناء تلك الكعبة (والقلائد) وخصوصا النفس القوية الشريفة الطيعة المنقادة فان التقرّب بها افضل وشأنها عند البقاء والقيام بالوجود الثانى والحياة الحقيقية ارفع (ذلك) اى جعل تلك الحضرة قياما لكم (لتعلموا) بعلمه عند القيام به

آمنا) قال قتادة نزلت فى اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شئ من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج (والله اعلم بما كانوا يكتمون) يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم * قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة فى الشئ المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى يسارعون فى الخيرات وضدها العجلة وتقال فى الشر فى الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة فى قوله يسارعون (فى الاثم والعدوان واكلهم السحت) لفائدة وهى انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصى والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصى وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان مازادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعنى لبئس العمل الذى كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت * قوله تعالى (لولا) يعنى هلا وهى هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعنى الكذب (واكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعنى الاحبار والرهبان اذلم ينهوا غيرهم عن المعاصى وهذا يدل على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين فى هذه الآية قال ابن عباس مافى القرآن اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك مافى القرآن آية اخوف عندى منها * قوله عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) نزلت هذه الآية فى فنحاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم مابسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لاجرم ان الله تعالى اشركهم معه فى هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبربه قسمه وذلك قدر ماعبد آباؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فأطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى

(ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض وان الله بكل شئ عليم) حقائق الاشياء فى عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شئ اذلايمكن احاطة علمكم بعلمه (اعلموا ان الله شديد العقاب) بالحجب لمن ظهر بصفة اوبقية حال الوصول اوضرب بحظ اواشتغل بغير حال السلوك

اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد * وقوله
تعالى (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) يعنى امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله
قال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هى المغلولة الممسوكة وقيل
هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت ايديهم اى فى نار جهنم فعلى هذا هو
من الغل حقيقة اى شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا فى النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى
لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ماقالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا فى الدنيا قردة وخنازير وضربت
عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفى الآخرة لهم عذاب النار * وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان)
يعنى انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ماافتروه واختلقوه
على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام
فى اليد فقد اختلف العلماء فى معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل
السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا
الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت فى الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله
تعالى لما خلقت بيدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول
الثانى قول جمهور المتكلمين واهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر فى اللغة على وجوه احدها
الجارحة وهى معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندى يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله
تعالى اولى الايدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى
سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة فى يد فلان اى فى ملكه ومنه قوله تعالى الذى
بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية فى صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع
ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية
والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعانى
التى فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد فى حق الله عبارة عن
القدرة وعن الملك وعن النعمة * وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله
واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان * واجيب عن هذا
الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم
فقال بل يداه مبسوطتان اى ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على
سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه * والاشكال الثانى ان اليد اذا فسرت
بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها * واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت
كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لانهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة
الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة فى وصف النعمة * اجاب اصحاب القول
الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم
بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون
بقدرته وجميعهم فى ملكه ومتقلبون فى نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت

وانتهك حرمة من حرماته (وان الله غفور) للتلوينات والفترات (رحيم) بهيئة الكمالات والسعادات التى لا يعلم قدرها الا هو (ما على الرسول الا البلاغ) التبليغ لا الايصال (والله يعلم) سركم وعلانيتكم (ماتبدون) من الاعمال والاخلاق (وماتكتمون) من النيات والعلوم والاحوال هل

بيدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخرالدين الرازى عن ابى الحسن الاشعرى قولا ان اليدصفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذى يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلوكانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا احركلامه واجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة بان الاسم اذاثنى لايؤدى فى كلام العرب الاعن اثنين باعيانهما دون الجمع ولايؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ فى كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الدرهم اذاثنى لايؤدى فى كلام العرب الاعن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدراهم فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لااعتراض عليه فى ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يدالله ملأى لاتغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث ايضا احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف * وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة فى كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل القى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين فى دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التى حصلت فى المسلمين انما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما فى الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) يعنى كلما افسد اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم افسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلى ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يدالله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأه الله تعالى وقال السدى كلما اجمعوا امرهم على شئ ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأها الله واخمد نارهم وقذف فى قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون فى الارض فسادا)

تصلح للتقرب بها اليه وهل تستعدون بها للقائه ام لا (قل لايستوى الخبيث) من النفوس والاعمال والاخلاق والاموال (والطيب) منها عندالله تعالى فان الطيب مقبول موجب للقرب والوصول والخبيث منها مردود موجب للبعد والطرد

يعنى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعنى ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه * قوله تعالى (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعنى اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيآتهم) يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ماقبله (ولادخلناهم جنات النعيم) يعنى مع المسلمين يوم القيامة (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) يعنى اقاموا احكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة مافيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما فى القرآن * وقوله تعالى (وما انزل اليهم من ربهم) فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفى هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثانى ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعنى ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذى هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم امة مقتصدة) اى عادلة والاقتصاد الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشى واصحابه الذين اسلموا (وكثير منهم) يعنى من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساء مايعملون) يعنى بئس مايعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) الآية روى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل هذه الآية وقيل نزلت فى عيب اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية فى امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمسك فى بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تترك شيأ مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيأ من ذلك

والحرمان (ولو اعجبك كثيرة الخبيث واتقوا الله يا اولى الالباب) الخبيث بكثرته ووفوره لمناسبته للنفس وملائمته لصفاتها فاجعلوا الله وقاية لكم فى الاجتناب عن الخبيث واختيار الطيب * يا كل من له لب اى عقل خالص عن شوب الوهم ومزج هوى النفس (لعلكم تفلحون) بالخلاص عن نفوسكم

فى وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعنى ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتى يعنى انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيأ مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيأ مما اوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيأ مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعنى يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذى بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابى فقال ان هذا اخترط على سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفى رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافنى فقال لا فقال من يمنعك منى قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى فى رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج رأسه فى يوم احد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه * قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب لستم على شئ) يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شئ من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شئ مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها

وصفاتها وخباثتها والوصو الى الله بالفناء فيه (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى

حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم مافيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا برئ من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يااهل الكتاب لستم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وماانزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بمافيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلاتأس على القوم الكافرين) يعني فلاتحزن يامحمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شئ مالم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لايحصل لاحد منهم فضيلة ولامنقبة الااذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لايتم الايمان الابه وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين وكذا قراءة ابي ابن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين اشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ماجاءبه الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في اول الآية ان الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا اى بالسنتهم لابقلوبهم ثم قال من آمن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وارسلنا اليهم رسلا) يعني لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بمالاتهوى انفسهم) يعني بما يخالف اهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعني من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا ذكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره * قوله تعالى (وحسبوا)

ما نزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا اولوكان آباؤهم لايعلمون شيأ ولايهتدون يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر

يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (ان لاتكون فتنة) يعني ان لايعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لايكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة (فعموا وصموا) يعني انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعني في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه (والله بصير بما يعملون) يعني من قتل الانبياء وتكذيب الرسل * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه (ومأواه النار) يعني انه يصير الى النار في الآخرة (وما للظالمين) يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك (من انصار) يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة * قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان احدهما وهو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة آلهة او واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس

احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم اوآخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لانشتري به ثمنا ولوكان ذاقربى ولانكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما

اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لاتكون واحدا والواحد لايكون ثلاثة ولاترى فى الدنيا مقالة اشد فسادا ولااظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا اخبر الله عنهم فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (ومامن اله الا اله واحد) يعنى انه ليس فى الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لاثانى له ولاشريك له ولاوالد له ولاولد له ولاصاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعنى وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) يعنى ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (افلا يتوبون الى الله) يعنى من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر اى توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعنى لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه * قوله عزوجل (ماالمسيح ابن مريم الارسول قد خلت من قبله الرسل) يعنى المسيح رسول من الله عزوجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد اتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وامه صديقة) يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه * وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وامه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولايعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع والم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من اكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى انظر يامحمد (كيف نبين لهم الايات) يعنى الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر انى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله * قوله تعالى (قل اتعبدون من دون الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يامحمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (مالا يملك لكم ضرا ولانفعا) يعنى لايستطيع ان يضركم بمثل مايضركم الله به من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولايقدر ان ينفعكم بمثل ماينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والدافع هو الله تعالى لامن تعبدون من دونه ومن لايقدر على النفع والضر لايكون الها (والله هو السميع العليم) يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمائركم * قوله عزوجل

من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما ومااعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اويخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لايهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل) فى عين

(قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحدود وذلك ان الحق بين طرفى الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان فى الدين (غير الحق) يعنى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا فى عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فالتقصير فى حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى فمجاوزة الحد فى حقه حتى جعلوه الهم وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جميع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبى ما ذكر الله تعالى الهوى فى القرآن الا وذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب فى قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (واضلوا كثيرا) يعنى من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعنى واخطؤا عن قصد طريق الحق ❊ قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود) قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتى قصتهم فى سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعنى وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بأنهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام فى لبئس لام القسم اى اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد فى رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذى

الجمع المطلق او حين جمع الذات (فيقول ماذا اجبتم) اجابكم الامم حين دعوتموهم الى اى هل تطلعون على مراتبهم فى كمالهم التى توجهوا اليها فى متابعتكم (قالوا لا علم لنا) اى العلم كله لك جمعا وتفصيلا ليس لغيرك علم الفناء صفاتنا فى صفاتك (انك انت علام

نفسی بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذی هذا الحديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعنى لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذی خالفه والقصر القهر على الشیء * قوله عز وجل (ترى كثيرا منهم) يعنى من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه (يتولون الذين كفروا) يعنى يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) يعنى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فی الآخرة (ان سخط الله عليهم) يعنى بما فعلوا من موالاة الكفار (وفی العذاب هم خالدون) يعنى فی الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبی) يعنى ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبی مبعوث الى كافة الخلق (وما انزل اليه) يعنى ويؤمنون بالقرآن الذی انزل اليه من ربه (ما اتخذوهم اولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعنى ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره انما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام واصحابه * قوله تعالى (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) اللام فی قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام فی العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم فی الدين بأی طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء فی مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة فی طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بان منهم) يعنى من النصارى (قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى فی عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشی واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعنى العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله رهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله فی مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفه بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح فان النصارى ينازعون فی الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون فی النبوات فيقرون ببعض النبيين وينكرون بعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى

الغيوب) فغيوب بواطننا وبواطنهم كلها علك (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتی عليك) بالهداية الخاصة ومقام النبوة والولاية (وعلى والدتك) بالتطهير والتزكية والاصطفاء (اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فی المهد) فی مهد البدن

قلت انما هو مدح فى مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه * (ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية) * قال ابن عباس وغيره من المفسرين فى قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عقبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابى خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابى طالب وتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا الى النجاشى وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبى وانه قد بعث اليك برهط من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشى قالوا يستأذن اولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيونى بتحيتى فقالوا له انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشى ما يقول صاحبكم فى عيسى وامه فقال جعفر بن ابى طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول فى مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشى عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيأ مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشى لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضى يعنى انكم آمنون فرجع عمرو واصحابه خائبين واقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك فى سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى على يد عمرو بن امية الضمرى ان يزوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل

(وكهلا) بالغا الى نور شيب الكمال بالتجرد عن البدن وملابسه (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كتاب الحقائق والمعارف الثابتة فى اللوح المحفوظ بتأييد روح القدس وحكمة السلوك فى الله بتحصيل الاخلاق والاحوال والمقامات والتجريد والتفريد * وتوراة العلوم الظاهرة والاحكام المتعلقة بالافعال واحوال النفس وصفاتها وانجيل العلوم

النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرّت
بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد فى نكاحها فانكحها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبت منها خمسين
دينارا قال تأخذها وقالت ان الملك امرنى ان لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه
وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتى اليك ان تقرئيه منى السلام قالت نعم فقالت قد
امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها
فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر خيبر فخرج
من خرج اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت
عليه فكان يسألنى عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عزوجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة يعنى اباسفيان وذلك بتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ
اباسفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ام حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث
النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى فى ستين رجلا
من اصحابه وكتب اليه يارسول الله انى اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت
ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابنى ازهى وان شئت ان آتيك بنفسى
فعلت والسلام عليك يارسول الله فركبوا فى سفينة فى اثر جعفر حتى اذا كانوا فى وسط البحر
غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون
رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا
ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الآية فيهم وهى قوله ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعنى وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون
وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت فى ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بنى الحرث
بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من اهل الشام وقال قتادة نزلت فى ناس
من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
آمنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعنى لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق
* قوله عزوجل (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) يعنى واذا سمعوا القرآن الذى انزل الى
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى اعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ
حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال
ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن ابى طالب سورة مريم قال فمازالوا يبكون
حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعنى الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم
وهو الحق (يقولون) يعنى القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي

الباطنة من علوم تجليات
الصفات واحكامها واحكام
احوال القلب وصفاته
واعماله (واذ تخلق
من الطين) من طين العقل
الهيولانى الذى هو الاستعداد
المحض بيد التربية والحكمة
العملية (كهيئة الطير)
طير القلوب الطائرة الى
حضرة القدس لتجردها
عن عالمها وكمالها (باذنى)
اى بعلمى وقدرتى وتيسيرى
عند تجلى صفات حياتى

(ربنا آمنا) يعني بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لانؤمن بوحدانية الله وماجاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعني ونرجو بذلك الايمان (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا) يعني بالتوحيد الذي قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو ايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعني في الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عزوجل الوعد لمؤمني اهل الكتاب وما اعدلهم من الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه والملق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (اولئك اصحاب الجحيم) * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابوبكر وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وابوذر الغفاري ولم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولاينامون على الفرش ولايأكلون اللحم والودك ولايقربون النساء ولا الطيب ويسيحون في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته احق مابلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يارسول الله ان كان قداخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يارسول الله ومااردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان

وعلى وقدرتي لك واتصافك واستنبائي اياك (فتنفخ فيها) من روح الكمال حياة العلم الحقيقي بالتكميل والاضافة (فتكون طيرا باذني) نفسا مجردة كاملة تطير الى جناب القدس بجناح العشق (وتبرئ الاكمه) المحجوب عن نور الحق

قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزم واعليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان تجتنبوا الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ احله الله فقد كفر ماترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مأمور بها * وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعنى ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام * وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعنى وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى وانمى فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه الا على وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن ابى هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذى * وقوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما امر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما امر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد * قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يارسول الله كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة * وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته) يعنى فكفارة ايمانكم التى عقدتموها اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم) يعنى من اقصد ذلك لان من الناس من يسرف فى اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل فى اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط فى القيمة فلا يكون غاليا من اعلى

(والابرص باذنى) المعيب بمرض محبة الدنيا وغلبة الهوى (واذ تخرج الموتى) موتى الجهل من قبور البدن وارض النفس (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل) المحجوبين عن نور تجليات

الموجود ولاخسيس الثمن من ارداً الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ فى كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله (اوكسوتهم) هو معطوف على محل اوسط اى كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة (اوتحرير رقبة) يعنى عتق رقبة والمراد جلة الشخص

* (فصل فى حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * فى بيان الكفارة وهى اربعة انواع * النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مد من الطعام بمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمرو زيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمر وعلى وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مد من البر اونصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولايجوز اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز فى لكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولايجوز صرف الكل الى مسكين واحد فى عشرة ايام * النوع الثانى من الكفارات الكسوة واختلف العلماء فى قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا ورداء اوقميص اوعمامة اوسراويل اوكساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما يجزى فى الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب ثوب جامع كالملحفة * النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثورى اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد ولايجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق فى الكفارة مكاتبا اوام ولد اوعبدا اشتراه بشرط العتق اواشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لايجزى فى اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ وجوز واعتق القريب فى الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلايجزى مقطوع اليد اوالرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لاتضر بالعمل وعند ابى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولايجوز

الصفات الجاهلين المضادين لك لجهلهم بحالك ومقامك (عنك اذ جئتهم بالبينات) بالحجج والدلائل الواضحة (فقال الذين كفروا) جبوا (منهم) عن دين الحق (ان هذا الاسحر مبين) لحيرتهم فيه (واذ اوحيت الى الحواريين) اى الهمت فى قلوبهم النورانيين الذين طهروا نفوسهم بماء المنافع

عتق مقطوع الاذنين فى الكفارة * النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعنى الكفارة (فصيام ثلاثة ايام) يعنى فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام او الكسوة او العتق وجب عليه صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعنى فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعى اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل مايطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جازله الصيام وقال ابوحنيفة يجوزله الصيام اذا لم يكن عنده من المال ماتجب فيه الزكاة فجعل من لازكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا فى وجوب التتابع فى الصيام من كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة واحد واحد قولى الشافعى والقول الثانى لايجب التتابع فى كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثانى للشافعى *(المسئلة الثانية) * كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا وان شاء اعتق فبأيها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة *(المسئلة الثالثة)* لايجوز صرف شئ من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمى او عبد او غنى لايجزيه وجوز ابوحنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لايجوز * (المسئلة الرابعة) * اختلفوا فى تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير اخرجه الترمذى (ق) عن عبدالرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبدالرحمن لاتسأل الامارة فانها ان اتتك عن مسئلة وكلت اليها وان اتتك من غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعى والشافعى الا ان الشافعى قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لايجوز لانه بدنى انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابوحنيفة لايجوز تقديم الكفارة على الحنث * وقوله (ذلك) اشارة الى ماتقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) يعنى وحنثتم لان الكفارة لاتجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لايجوز بل اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا ايمانكم) يعنى قللوا ايمانكم ففيه النهى عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الالا ياحافظ ليمينه * وصفه بانه لايحلف وقيل فى معنى الآية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لماروى عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى والله ان شاء الله لااحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى واتيت الذى هو خير اخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ماتحتاجون اليه فى امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى نعمه التى انعم بها عليكم ان بين لكم آياته ومعالم شريعته * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما انزل الله تعالى

والاعمال المزكية حتى قبلوا دعوتك لصفاء نفوسهم واحبوك بالارادة التامة لمناسبتهم اياك بنور الفطرة وصفاء الاستعداد (ان آمنوا بى) ايمانا حقيقيا بتوحيد الصفات والمحو (وبرسولى) برعاية حقوق تجلياتها على التفصيل (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) يا الهنا بعلمك الشامل المحيط بالكل انا منقادون لك مسلمين

يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله فى هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ماخامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشئ الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس ❊ قوله تعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة النساء يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذى من طريقين وقال رواية ابى ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والنسائى وروى مصعب بن سعيد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابى وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بى هذا فلان اخى وكانوا اخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر فى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر يعنى انما زين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل فى الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله فى يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم مافيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان فى ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهى قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه

وجودات صفاتنا اليك (ا
قال الحواريون ياعيسى بن
مريم) اذا اقترح عليك اصحابك
فقالوا (هل يستطيع ربك
اى شاهدك من عالم الربوبية
فان رب كل واحد هو
الاسم الذى يربه ويكمله
ولا يعبد احد الا ما عرفه
من عالم الربوبية ولا عرف
الا ما بلغ اليه من المرتبة
فى الالوهية فيستفيض منه
العلوم ويستنزل منه

عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لاجرم افردهما بالذكر في آخر الآية والله اعلم * وقوله تعالى (فهل انتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الامر اى انتهوا وهذا من ابلغ ماينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلى عليكم مافيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ماكنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لن يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن ومانهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود * قوله عز وجل (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعني فيما امركم به ونهاكم عنه (واحذروا) اى واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط * قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يارسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى لاحرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
النقاخ الماء والبرد النوم (اذا ما اتقوا) يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم

البركات ويستمد منه المدد الروحاني ولهذا قالوا مع اقرارهم واسلامهم ربك ولم يقولوا ربنا الان ربهم لايستطيع (ان ينزل علينا مائدة من السماء) شريعة من سماء عالم الروح تشتمل على انواع العلوم والحكم والمعارف والاحكام فيها غذاء القلوب وقوت النفوس وحياتها وذوقها (قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) احذروه في ظهور صفات

(وآمنوا)

(وآمنوا) يعني بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) اى وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لاجناح عليه والثانية خطاب لمن بقى بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعني ماحرم عليهم فى المستقبل (واحسنوا) يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثانى المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة فى الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد) نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام فى ليبلونكم لام القسم اى ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشئ من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد فى حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشئ من الصيد ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيأ فى حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير * وقوله تعالى (تناله ايديكم) يعني الفرخ والبيض ومالا يقدر ان يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس فى قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه (ليعلم الله) اى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله (من يخافه بالغيب) يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد فى حالة الاحرام شيأ بعد النهى (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى (فله عذاب اليم) يعني فى الدنيا قال ابن عباس هو ان يوجع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين فى معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم) جمع حرام اى لاتقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا فى الحرم نزلت هذه الآية فى ابى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما

نفوسكم واجعلوه وقاية لكم فيما يصدر عنكم من الاخلاق والافعال تنجوا من تبعاتها وتفوزوا وتفلحوا ان تحقق ايمانكم فلا حاجة بكم الى شريعة جديدة (قالوا نريد ان نأكل) نستفيد (منها) ونعمل بها ونتقوى بها (وتطمئن

فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش
مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا
اولم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا اونمرا اونحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق
فاجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس
على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس
لاجناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب
والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية
النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال
ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع مالايؤكل لحمه قال لان
الحديث يشتمل على اشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لايدخل في معنى
السباع ولا معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع
الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الرأى الى وجوب الجزاء في كل مالايؤكل لحمه
الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة * قوله تعالى
(ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع
نسيان الاحرام فعليه الجزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم
من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر
الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمى فاصابه فهو
كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القرآن بالعمد
وجرت السنة في الخطأ يعني الحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لاارى
في الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لايؤخذ به (فجزاء مثل ماقتل من النعم) يعني فعليه جزاء من
النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة أهي في الخلقة ام بالقيمة والذي
عليه الجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على
ذلك ومالامثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول
اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لانزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه
الصورة فوجب ان يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لايجوز حمله الا على معنى
واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم تمكن
رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة
بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة
ببدنة وهي لاتساوي بدنة وحكموا في حمار الوحش ببقرة وهو لايساوي بقرة وكذا في الضبع
بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى مايقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به
ولم يعتبروا القيمة فيجب في الظبي شاة وفي الارنب سخل وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة
ويجب في الحمامة وكل ماعب وهدر كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه

قلوبنا) فان العلم غذاء
القلب وقوته (ونعلم) صدقك
في الاخبار عن ربك ونبوتك
وولايتك بها وفيها (ونكون
عليها من الشاهدين)
الحاضرين اهل العلم نخبر بها
من عدانا من الغائبين
ونعلمهم وندعوهم بها
الى الله (قال عيسى ابن مريم
اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا
لاولنا وآخرنا) امرا
اي شرعا ودينا يعود اليه
من في زماننا من اهل ديننا

من الطير فقيمة القيمة فى المكان الذى اصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس انهما حكما فى حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى فى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وفى الارنب بعناق وفى اليربوع بجفرة * وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعنى يحكم بالجزاء فى قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغى ان يكونا فقيهين فينظر ان الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهر ان جاء اعرابى الى ابى بكر الصديق فقال انى اصبت من الصيد كذا وكذا فسأل ابوبكر ابىّ بن كعب فقال الاعرابى انى اتيتك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شئ امرناك به * وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعنى ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لايقع فى الكعبة وعندها ملاقيالها انما يقع فى الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعى وقال ابوحنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (اوكفارة طعام مساكين اوعدل ذلك صياما) ذهب الشافعى ومالك وابوحنيفة الى ان كلمة او فى هذه الآية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابى حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعى اذا قتل صيداله مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابوحنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعى مقدر بالمد وعند ابى حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لانفع فيه للمساكين وذهب جهور الفقهاء الى ان الخيار فى تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذى وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابى حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لايجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من برأ وصاع من غيره يوما واختلفوا فى موضع التقويم فقال جهور الفقهاء يقوم فى المكان الذى قتل فيه الصيد وقال الشعبى يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها * وقوله تعالى (ليذوق وبال امره) يعنى جزاء ذنبه والوبال فى اللغة الشئ الثقيل الذى يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعنى قبل التحريم (ومن عاد) يعنى الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعنى فى الآخرة والانتقام المبالغة فى العقوبة وهذا الوعيد لايمنع ايجاب الجزاء فى المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعى وداود الظاهرى انه اذا قتل الصيد مرة ثانية

ومن بعدنا ممن سيوج
من النصارى (وآية منك
علامة وعلامة منك تعرف
وتعبد (وارزقنا) ذا
الشرع والعلم النافع والهد
(وانت خير الرازقين
لاترزق الا ماينفعنا ويكو
صلاحنا فيه (قال الله انى منز
عليكم فمن يكفر بعد منكم
يحجب عن ذلك الد
بعد انزاله ووضوحه (فا

فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيأ حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيدوج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعنى ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيأ من الصيد الذى لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشترى بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم اويصوم عن كل مد يوما * قوله تعالى (احل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ماصيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ماقذفه البحر ورمى به الى الساحل روى ذلك عن ابى بكر وعمر وابن ابى عمر وايوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه روى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى وروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى ولا فرق بين ان يموت بسبب اوبغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وماعدا السمك فقسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا فى الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله فى حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر فى الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل مافى البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابى ليلى ومالك يباح كل مافى البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل مالا يؤكل نظيره فى البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله * قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعنى ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه * وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم فى ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها فى اول السورة وهو قوله غير محلى الصيد وانتم حرم والثانى قوله ياايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال روى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثورى واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثى انه اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مافى وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه فى الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابى هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعى واحمد واصحاب الرأى ويدل عليه ماروى عن ابى قتادة الانصارى قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبى

اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) لبيان الطريق ووضوح الدين والحجة مع وجود استعدادهم فلا ينكرونه الا معاندين والعذاب مع العلم اشد من العذاب مع الجهل اذ الشعور بالمحجوب عنه يوجب شدة الايلام (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين

صلى الله عليه وسلم فى منزل فى طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون
وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يؤذنونى واحبوا
لو انى ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح
فقلت لهم ناولونى السوط والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت
على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا فى اكلهم اياه وهم حرم
فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شئ
فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم وزاد فى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هى
طعمة اطعمكموها الله وفى رواية هو حلال فكلوه وفى رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقى من لحمها اخرجاه فى الصحيحين
واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبى صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه
انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ما صيد لاجله (واتقوا الله) يعنى فلا تستحلوا الصيد فى حال الاحرام
ولا فى الحرم ثم حذرهم بقوله (الذى اليه تحشرون) يعنى فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم * قوله
عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمى
البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه
وعظم حرمته وحرم ان يصطاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم
لما صح من حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله
تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر
صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه * وقوله تعالى (قياما للناس) اصله قواما لانه سبب
لقوام مصالح الناس فى امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما فى امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك
واما فى امر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شئ ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقى الرجل
قاتل ابيه او ابنه فى الحرم لم يهجه واما فى امر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك
المناسك التى تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما
كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام)
يعنى وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهى ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعنى وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيهما من القتال وذلك
ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم
امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون فى الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح
الناس (والهدى والقلائد) يعنى وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك
انهم كانوا يأمنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على انفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا
انفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما
فى الارض) يعنى انه تعالى علم فى الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت
الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما فى السموات
وما فى الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله

من دون الله) دعو
الناس الى نفسك وا
او الى مقام قلبك ونفس
فان من بقى فيه وجو
الانانية وبقية النفس
والهوى اوكان فيه تلو
بوجود القلب وظهور
بصفته يدعون الخلق ا
الى مقام نفسه واما الى مق
قلبه لا الى الحق (قا
سبحانك) تنزيه الله م
الشريك وتبرئة له م
وجود البقية (ما يكون ا
ان اقول ما ليس لى بحق
فانى لا وجود لى بالحقيق
فلا ينبغى ولا يصح ان اقو
قولا ليس لى ذلك القو

بكل شئ عليم) يعنى انه تعالى لايخفى عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن انتهك محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعنى لمن تاب وآمن ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لايتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده مايدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم * قوله تعالى (ماعلى الرسول الا البلاغ) يعنى ليس على رسولنا الذى ارسلناه اليكم الا تبليغ ماارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففى الآية تشديد عظيم فى ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر فى التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) يعنى انه تعالى لايخفى عليه شئ من احوالكم ظاهرا وباطنا (قل لايستوى الخبيث والطيب) يعنى الحلال والحرام فى الدرجة والرتبة ولايعتدل الردئ والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو اعجبك كثرة الخبيث) يعنى ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وماعند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها زول وماعند الله يدوم وقال ابن الجوزى روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يارسول الله ان الخمر كانت تجارتى فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت فى شريح بن ضبعة البكرى وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة فى اول السورة (فاتقوا الله) يعنى فيما امركم به اونهاكم عنه ولاتعتدوه (يااولى الالباب) يعنى ياذوى العقول السليمة (لعلكم تفلحون)* قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابى فقال فلان فنزلت هذه الآية لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم وفى رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسألنى عن شئ فليسأل فلا تسألونى عن شئ الا اخبرتكم به مادمت فى مقامى فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من ابى فقال ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم فى الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ماسمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ماتقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقنى بعبد اسود لحقته زاد فى رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم اخرجاه فى الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتى فانزل الله فيهم هذه الآية ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية فى شأن الحج عن على بن ابى طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه

(سبيلا)

بالحقيقة فان القول والفعل والصفة والوجود كلها لك (ان كنت قلته فقد علمته) اى ان كان صدر منى قول فمن علمك ولا وجود لما لاتعلم او اوجد بعلمك وجد (تعلم مافى نفسى) لاحاطتك بالكل فعلى بعض علمك (ولا اعلم مافى نفسك) اى ذاتك لانى لااحيط بالكل (ماقلت لهم) ومااثرتهم الا ماكلفتنى قوله والزمتنى اياه (ان اعبدوا الله ربى وربكم) اى مادعوتهم الا الى الجمع فى صورة التفصيل وهو الذى نسبة ربوبيته الى الكل سواء فغلطوا فاراوه الا فى بعض التفاصيل لضيق وعائهم (وكنت عليهم

سبيلا قالوا يارسول الله فى كل عام فسكت فقالوا يارسول الله فى كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افى كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذرونى ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لاتسئلوا عن اشياء قال هى البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الاترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الآية ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء جمع شئ ان تبد لكم اى تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعنى ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه النبى صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض اونهى او حكم وليس فى ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن فى عدة هؤلاء دليل على عدة التى ليست ذات قرأ ولا حامل فسألوا عنها انزل الله عز وجل جوابهم فى قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية (عفا الله عنها) يعنى عن مسئلتكم عن الاشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها (والله غفور) يعنى لمن تاب منكم (حليم) فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعنى لما كان فى الجاهلية حليم يعنى عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التى يجوز السؤال عنها هى ما يترتب عليها امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن ابى وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابوداود الاغلوطات صعاب المسائل التى تزل فيها اقدام العلماء ويؤيد ذلك قول ابى هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كى يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال الحلال ما احل الله فى كتابه والحرام ما حرمه الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تقربوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما فى جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعنى قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان اولئك سألوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيأ فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك *قوله تعالى (ما جعل الله) اى ما انزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا امر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهى فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعنى المسيبة المخلاة (ولا وصيله) الوصيلة الشاة وكانت العرب فى الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وانثى قالوا

شهيدا) رقيبا حاضرا اراعيهم واعلمهم (مادمت فيهم) اى مابقى منى وجود بقية (فلما توفيتنى) افنيتنى بالكلية بك (كنت انت الرقيب عليهم)

وصلت اخاها (ولا حام) الحام هو الفحل من الابل يحمى ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت خمسة ابطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف فانتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها وفعل بها كما يفعل بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفى الله مريضي او قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحامي هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم (خ) عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون ❊ وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني لقولهم ان الله امرنا بها (واكثرهم لا يعقلون) اراد بالاكثر الاتباع يعني ان الاتباع لا تعقل ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعني واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء اضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم (او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) يعني انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم ❊ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار الى المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم

لفنائي فيك (وانت على كل شهيد) حاضر بوجدك والا لم يكن ذلك لشيء (ان تعذبهم) بادامة الحجاب (فانهم عبادك) احقاء بالحجب والحرمان

بهونهاكهنه قال سعيد بن جبير و مجاهد نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب اليهود والنصارى يعنى عليكم انفسكم لايضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لماقبلت الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا فى صلاحها لايضركم ضلال الضالين ولاجهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قلت لايدل على ذلك والذى عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لايكون مؤاخذا بذنوب اصحاب المعاصى فأما وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابى حازم عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم ولاتضعونها موضعها ولا تدرون ماهى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابوداود وزاد فيه مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على ان يغيروا ولايغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم فى معنى الآية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ماقبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه آى يقع تاويلهن يوم القيامة وهو ماذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم والبستم شيعا واذيق بعضكم بأس بعض فامرؤ نفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست فى هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لى ولالاصحابى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وانتم الغائب ولكن هذه الآية لاقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابى امية الشعبانى قال اتيت ابا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف نصنع بهذه الآية قال اية آية قلت يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية قيل يارسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لابل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل فى معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لايضره من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعنى فيما امرته من الحلال والحرام فلايضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيأ من امره فقلت له ادلك على خاصة الله التى خص بها اولياءه يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى

وانت اولى بهم تفعل بهم ما تشاء (وان تغفر لهم) برفع الحجاب (فانك انت العزيز) القوى القادر على ذلك لا تزول عزتك بتقريبهم ورفع

ولا مؤمن فيبقى الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل فى معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغى لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبرى واولى هذه الاقوال واصح التأويلات عندنا فى هذه الآية ما روى عن ابى بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية اوكد آية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعنى اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذى يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم اى احفظوا انفسكم وهذا امر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله اعلم ❊ وقوله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) فى الآخرة الطائع والعاصى والضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها ❊ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الآية ما روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بداء خرجا من المدينة فى تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدى وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل البيت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا فقالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لا ندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال تميم برئ الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الى الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو اعظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدى فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام

بجلالهم (الحكيم) تفعل ما تفعله من التعذيب بالحب والحرمان والتقريب باللطف والغفران بحكمتك البالغة (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)

عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من اولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر (اذا حضر احدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت واردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا يكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (او آخران من غيركم) يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما يشهده على وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها الوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم او آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة عن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الآية يا ايها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب

نفع صدقك اياك وصدق كل صادق لكونه خيرة الكمالات وخاصية الملكوت (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي

الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لايجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون اوعنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتياج الى اشهاد من حضر من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لايضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذى ابيح له اكل الميتة فى حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيأ من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة فى حال من الاحوال * وقوله تعالى (ان انتم ضربتم فى الارض) يعنى ان انتم سافرتم فى الارض (فاصابتكم مصيبة الموت) يعنى نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعنى ان انهما بعث الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما (من بعد الصلاة) يعنى من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لايحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله قال الشافعى الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان فى بيت المقدس فعند الصخرة وفى سائر البلاد فى اشرف المساجد واعظمها (ان ارتبتم) يعنى ان شككتم ايها الورثة فى قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لانشترى به ثمنا) يعنى لانبيع عهد الله بشئ من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه او حق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعنى ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم (ولا نكتم شهادة الله) انما اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الآثمين) يعنى ان كتمنا الشهادة اوخناها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لااله الاهو انهما لم يخونا شيأ مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما فى ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم (فان عثر) يعنى فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل مااطلع على امر كان قد خفى عليه قيل له قد عثر عليه (على انهما استحقا اثما) يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة (فآخران) يعنى من اولياء الميت واقربائه (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين فى اليمين (من الذين استحق عليهم) يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعنى بامر الميت وهم اهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله (لشهادتنا احق من شهادتهما) يعنى ايماننا احق واصدق من ايمانهما (وما اعتدينا) يعنى فى ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان وهما من اهل الميت

الله عنهم ورضوا عنه) الصفات بدليل ثمرات الرضوان فان الرضا لايكون الا انتفاء الارادة ولا تنفى ارادتهم الا اذا غلبت ارادة الله عليهم فافنتها ولهذا قدم رضوان الله عنهم على رضوانهم عنه اى لما ارادهم الله تعالى فى

(وحلفا)

وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصى اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة اليمين عليه ولما اسلم تميم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره ❊ وقوله تعالى (ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) يعنى ذلك الذى حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اى اجدر واحرى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى ان يأتى الاوصياء وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) اى واقرب ان يخاف الاوصياء ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) يعنى المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من اصعب ما فى القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه ❊ قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هى متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اى لا يهديهم الى الجنة فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا اجبتم) يعنى فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذى رد عليكم قومكم حين دعوتموهم فى دار الدنيا الى توحيدى وطاعتى وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعنى الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال فى رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى رب اصحابى فيقال لى انك لا تدرى ما احدثوا بعدك زاد فى رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى اخرجاه فى الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال فى حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازى وجها آخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا ان الادب فى السكوت وفى تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (انك انت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ما غاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما فى البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذى سألتنا عنه ليس

الازل بمظهرية ارادته ومحل رضوانه ورضى بهم محلا واهلا لذلك سلب عنهم ارادتهم بان جعل ارادته مكانها وابدلهم بها فرضى عنهم وارضاهم (ذلك الفوز العظيم) اى الفلاح العظيم الشأن ولو كان فناء الذات

عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا لعظمة ونصلى فيه نحن ومن يجئ من بعدنا فنزلت فى يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها اول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) اى وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) اى ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وانت خير الرازقين) يعنى وانت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (انى منزلها عليكم) يعنى المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعنى بعد نزول المائدة (فانى اعذبه عذابا) يعنى جنسا من العذاب (لا اعذبه احدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا فى الدنيا ويجوز ان يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبدالله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء فى نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما اوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى انى منزلها عليكم ان سألتم نزولها والصحيح الذى عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال انى منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف فى خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير اخرجه الترمذى وقال قد روى عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح وقال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ماشئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسى لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهى تهوى اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم واجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا رأس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شئ مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شئ اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها

وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض اوزمن اومبتلى الاعوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت اربعين صباحا تنزلت ضحى فاذا نزل اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولاتزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لاتنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون اغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام انى شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العلمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون فى الطرق يأكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تلطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ماشاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ *قوله عز وجل (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون فى وقت هذا القول فقال السدى قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضى وقال سائر المفسرين انما يقول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجيء بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعنى اذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عنى اذ جزى * جنات عدن فى السموات العلى

ولفظ الآية فى قوله أأنت قلت للناس لفظه استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم فى ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القائل لآخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذونى وامى الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت فى عيسى انه اله وراوا ان مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال

سبحانك) يعني تنزيهالك عن النقائص و براءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله تعالى سبحانك (مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق) اى كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى ادعوا الناس اليهو دلما بين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع فى بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال (ان كنت قلته فقد علمته) اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) يعنى تعلم مااعلم ولا اعلم ماتعلم وقال ابن عباس تعلم مافى غيبى ولا اعلم مافى غيبك وقيل معناه تعلم مااخفى ولا اعلم ماتخفى وقيل معناه تعلم ماكان منى فى دار الدنيا ولا اعلم مايكون منك فى دار الآخرة وقيل معناه تعلم مااقول وافعل ولا اعلم ماتقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشئ يقال نفس الشئ وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشئ وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة امرى ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومى ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو ملى فصيح الكلام ثم قال (انك انت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ماكان وماسيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك * قوله تعالى اخبارا عن عيسى (ماقلت لهم الا ماامرتنى به) يعنى ماقلت لهم الا قولا امرتنى به (ان اعبدوا الله) يعنى قلت لهم اعبدوا الله (ربى وربكم) يعنى وحده ولا تشركوا به شيأ (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يعنى وكنت اشهد مايفعلون واحضره مادمت مقيما فيهم (فلما توفيتنى) يعنى فلما رفعتنى الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت انت الرقيب عليهم) يعنى الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ (وانت على كل شئ شهيد) يعنى انت شهدت مقالتى التى قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعدما رفعتنى اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد لما كان ومايكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعنى انت العالم بكل شئ فلا يعزب عن علمك شئ * قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعنى ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعنى لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك انت العزيز) يعنى فى الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ماتريده (الحكيم) فى افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدى لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة اما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففى قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز فى ملكه الحكيم فى فعله ويجوز فى حكمه وسعة

مغفرته)

مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لايفعل ذلك بقوله ان الله لايغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسأل له المغفرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى ياجبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاسأله مايبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولانسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي * قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وماتقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لاينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لايخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ماقص الله عنه ماقلت لهم الا ما امرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه واما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من ايام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لادار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ماذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى مالهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) فهذا اشارة الى مايحصل لهم من الثواب الدائم الذي لاانقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) اشارة الى ماذكره من ثوابهم (الفوز العظيم عظيم) يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض ومافيهن) عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لاماقالت النصارى من الهية المسيح وامه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض ومن فيهن (وهو على كل شيء قدير) والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تم الجزء الاول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثاني اوله تفسير سورة الانعام ﴾